

# المفاتيح

من فيض النورين وروائع الوحيين

كنوز . حقائق . أسرار

تأليف

خالد بن محمد عطية

## كنوز حنّانة . أررار ..... المزّوّج ..... كنوز حنّانة . أررار

ح) - خالد محمد أحمد عطية ، ١٤٣٦ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عطية، خالد محمد أحمد

المذهّب من فيض النورين وروائع الوحيين كنوز حقائق أسرار .

خالد بن محمد عطية . مكة المكرمة ، ١٤٣٦ هـ .

٤٧٠ ص ؛ ٢٤ سم

ردمك : ٩٧٨ . ٦٠٣ . ٠١ . ٦٨٦٤ . ٤

١- المقالات العربية . السعودية . ٢- القرآن - مباحث عامة . ٣- الحديث -

مباحث عامة . أ - العنوان

ديوي ٠٨١ ١٤٣٦ / ٨٤٧

رقم الإيداع : ١٤٣٦ / ٨٤٧

ردمك : ٩٧٨ . ٦٠٣ . ٠١ . ٦٨٦٤ . ٤

الناشر :

دار الطرفين . الطائف . وادي وج .

هاتف : ٧٣٢٩٥٧٢ . فاكس : ٧٤٦٣٦٨٨

ص ب : ٢٥٧٩

جوال : ٥٥٥٧٠٤٨٠٨

مَنُوزٌ حَمَانٌ. أُرْدَارٌ..... الْمَرْوَبُ..... مَنُوزٌ حَمَانٌ. أُرْدَارٌ

بِسْمِ اللَّهِ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِالنَّاسِ

**الْمَرْفُوعُ ..... الْمَنْزُوعُ**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي فتح لعباده كل باب موصل، وشرح صدورهم،  
ويسر لهم كل علم ومقصد، وعلم الإنسان ودله وأرشده على ما لم يكن فيه يجهد،  
وهياً سبل التوفيق لكل من سعى واجتهد، ورفع قدر من له ركن وسجد وأطاع  
وعبد، فدلّه على الخير ولخطاه سدّد .

الحمد لله الذي منَّ علينا بعبادته وأتاح لنا فرص التقرب منه بطاعته ولم يحجب عنا بمعاصينا واسع رحمته، وعظيم مغفرته، ووعدنا بجزاء حسنٍ ونعيمٍ في جنته ودار كرامته ومستقر رحمته .

سبحانه لا نبلغ حق شكره أبداً ولا ندرك، ولا نستطيع ضره أو نفعه، ولا  
لجامد أو ساكن نحرّك، لولاك لما كنا ولم نخلق، ولولاك لما رزقنا ولم نرزق، ولولاك لما  
اهتدينا وبالحق ننطق، ولولاك لضللنا وضل كل الخلق، يا قريباً رغم علوه، ويا علياً  
رغم دنوه، ويا سميعاً رغم غيابه، ويا بصيراً رغم حجبهِ، ويا محيطاً بكل خلقه، ويا  
عالماً بما كان وبما يكون وبما لم يكن لو كان كيف يكون، لك الحمد يا من أمره بين  
الكاف والنون، والخلق نزرّ من علمه المكنون، يا من علم بالقلم، ورفع شأن العلم  
والتعلم، ووضع كتابه للأنام، وأنزله على خير معلم محمد ﷺ .

يا عظيم الشأن يا متعال، يا ذا الجلال والإكرام أشهد ألا إله إلا أنت، واحد  
أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، على الدوام وحتى يوم  
القيام، وما بعد يوم القيام، لا ند له ولا نظير، ولا شريك ولا مثل، سبحانه وتعالى  
عما يصفون .

## مَنُورٌ جَنَانُهُ . (مُرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ جَنَانُهُ . (مُرَارٌ)

والصلاة والسلام والبركات والرحمات على خير الخلق، ورسول الصدق، وأفضل من بعث بالحق، وأيد بمعجزات كثيرة وله القمر انشق، وبعث لعموم الثقليين من إنس وحن إلى يوم التلاق ﷺ وعلى آله وصحبه واتباعه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والوقوف بين يدي رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين .

ثم أما بعد :

فأولاً . اللهم يا الله يا رحمن يا من يسمع ويجيب ويعطي سائله فلا يخيب، ألهمنا يا الله رشدنا ورشادنا، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك حتى ترضى عنا يا الله .

وثانياً . يا حي يا قيوم نسألك قوة الإيمان، وأعلى درجاته ونسألك صدق الإخلاص، وبلوغ منازلها، ونسألك الرضا والترقي في مراتبه، ونسألك رضوانك والجنة، وما قرب إليها من أعمال وصالحات، ونسألك النجاة من النار وما قرب إليها من معاص ومفسدات اللهم آمين .

وثالثاً . فهذه شذرات من ذهب، ولُجَيْن من فضة، ورناد عود، وفتافيت مسك، وفوح عطور، وعبق زهور، وأحجار كريمة، وآليء حسان من أسرار وكنوز وحقائق الإعجاز والعلوم . كروائع بيان، وعظات حسان، ومفيد أرشاد ودلالة حيران، وإفهام نبهان، وتنبيه غفلان، وتعليم جاهل كسلان، من مزيد إيضاح، وبسط بيان، وعرض مفهوم فصيح بليغ، عميق الفكرة دقيق النبرة، لا يلتفت إليه غالباً، ولا يستقى منه إلا من بلغ من الفهم والوعي، والمعرفة والرجاحة، والحرص والحصافة، ومحبة معرفة، وطالب حجة، مع علم متقن، وأدب رفيع، ولسان بليغ، وتواضع جم، من عالم أو متعلم .

## كنوز حقائق . (أررار) ..... (الزَّوْب) ..... كنوز حقائق . (أررار)

والعلم كما قيل : (أشرف الأشياء، تعطيه كل وقتك وجهدك، فيعطيك بعضه، من قسط يسير، ونزر بسيط) .

والعلوم على أنواعها شرف ومعالي ورفعة ومكانة وأرفعها ولا ريب، علم يتقوى به الدين، وترسخ به الأقدام، من أي من ذكر حكيم، أو حديث شريف محكم، ففيهما فصل خطاب، وبالغ حكم، وجوامع كلم، وبهما سلامة البدن، ونور العقل وتمام الرزن . أو علم يتم به النفع والقصد، ويطلب به السداد والرشد .

فهذان علما نهما كمال العقل، وتما الدين لهما القلب يطمئن، والعقل يتزن، والنفس له تستكن . فيا فوز من لهما طلب، ومن عين معينهما عبّ، وسعى لهما فحصل وكسب، ولجميل رنتهما طرب، فإن فيهما نجاة من العطب، وسلوك طريق النجاة بكل سبب، وأمان من كل خطب، فلتكن أيها القارئ منهم وفيهم فلعلك بذلك معهم تكتب . اللهم آمين آمين .

وهذا الكتاب أخي القارئ أسميته المذهب قد حوى جملة من الحقائق والكنوز والأسرار مستمدة من إشراقات نور الوحيين الشريفين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ضمنته ثمانية أبواب في كل باب منها جملة من الموضوعات المتناسبة المتناسقة المتعلقة ببعضها بعضاً، موضوعات منتقاه من روائع وفيوضات وأنوار وعطاءات ونفحات ومعاني الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة .

أسأل الله تعالى الملك العلام بكرمه ومنّه أن أكون قد أصبت وبينت وأوضحتم وأفهمت لتلك المعاني العظيمة فأكون إن شاء الله تعالى على الحق دلت، وللخير أرشدت، وللهدى دعيت، وللنور سعيت، ومن الباطل حذرت، ومن الشر أنذرت، ومن الضلال خوفت اللهم آمين .

## كنوز حقائق . أسرار ..... كنوز حقائق . أسرار

وكتاب مثل هذا يحتاج لقراءة متأنية حال صفاء ذهن من شغل، وإقبال قلب على الحق، ونزوع نفس للخير لينعكس حينها مدلول المعنى والبيان على القلب، فيتشربه الجنان، ويعم الخير على جميع الأركان، برحمة الرحيم الرحمن .  
وأخيراً ! أسأل الله تعالى العزيز الحكيم للجميع الفهم والبيان والمعرفة والإتقان لعموم المعاني من هذه الحقائق والكنوز والأسرار وأسأله سبحانه وتعالى أن ينفعنا ويرفعنا بها في الدارين . وصلى الله على سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد وسلم وبارك وأنعم وزاد وتفضل وأتمم وعلى آله وأصحابه واتباعه ومن بدينه تمسك واعتصم إلى يوم لقياه في دار القرار المنعم . اللهم آمين ،،،

مكة المكرمة

في ٢٥/٣/١٤٣١ هـ

جوال : ٠٥٠٤٧٩٩٥١١

ص ب : ٤٣٨٢

E-kamahaz@hotmail.com

## كنوز حقائق. أسرار. كنوز. حقائق. أسرار

### مدخل - النسب الذهنية والكلامية والواقعية :

قبل الولوج إلى عالم الكنوز والأسرار والحقائق أحببت أن أبدأ بهذه المقالة التي توضح حقيقة كنه الكلام ووجوده داخل الإنسان ومدى موافقة ذلك للواقع .  
فكل إنسان يربطه بالعالم الخارجي جوارحه ! ويعتبر اللسان ترجمان الجوارح، فبه يعبر الإنسان عما بداخله ليفهمه كل من حوله .

غير أن الإنسان قبل أن يتفوه بأية كلمة يمر الكلام على ذهنه فيعيه عقله، فتتكون فيه ما يسمى بالنسبة الذهنية، ومن ثم يتفوه بما مر على ذهنه، فيتحول حينها الفكر في الذهن إلى كلام يعبر عنه اللسان، وحينها تتحول النسبة الذهنية إلى نسبة كلامية، وهذه النسبة الكلامية التي يتكلم بها الإنسان لها تطابق مع الواقع أو عدم تطابق وهو ما يسمى بالنسبة الواقعية .

إذن هي ثلاث نسب . وهذه النسبة الكلامية، التي تنقدح في الذهن ثم ينطق بها الإنسان فتطابق الواقع أو تخالفه لها ست حالات لا يخرج مضمون الكلام أبداً عن إطارها وهي :

- ١ - العلم (الصدق) : وهو نسبة كلامية وافقت الواقع وعليها دليل ويملك الشخص القدرة على إثباتها، كالعلم بأي شيء مما يعلم الإنسان صدقه وحقيقته .
- ٢ - الجهل (الكذب) : وهو نسبة كلامية خالفت الواقع . والجهل في حقيقته ليس عدم العلم بالشيء، بل هو العلم بعكس الواقع والصحيح، ولذا فالجاهل لديه نسبة ذهنية خاطئة، تحتاج لمن يخرج الخطأ من عقله، ومن ثم يعلمه الصحيح، لذا تجد أن الجاهل شديد اللجاج والمكابرة لأنه يعتقد أن الحق معه وأن الخطأ مع الآخرين .
- ٣ - التقليد : وهو نسبة كلامية وافقت الواقع وعليها دليل، لكن لا يملك الشخص القدرة على إثباتها إما لصغر سنّه فيقلد فيه الكبار، وإما لعدم القدرة على ذلك

## مَنُورٌ جَنَانُهُ . أُرْدَرُ ..... أُلْزَقُ ..... مَنُورٌ جَنَانُهُ . أُرْدَرُ

فيقلد فيها غيره من الناس الثقات العارفين بالشيء، كسائر الأمور التي يقلد الناس فيها بعضهم بعضاً، مع علمهم الجازم بصحة هذا الشيء لكن ليست لديهم القدرة على إثباتها .

٤- الشك : وهو تساوي كفتي النسب الذهنية من علم وجهل فيشك المرء أيهما توافق الصواب، وهنا لا تترجح أية الكفتين على الأخرى .

٥- الظن : وهو الراجح من الشك أي ترجيح إحدى الناحيتين على الأخرى لما قد يؤيد ذلك في العقل والذهن من قرائن وأحداث .

٦- الوهم : وهو المرجوح من الشك لما هو بعيد عن منطق العقل والذهن وبعيد عادة عن الحقيقة والعلم بالشيء الصحيح .

إذن فكل كلام قبل أن ينطق به الشخص موجود في الذهن بنسبة ذهنية، فيترجم المرء عما بداخله من أفكار وخواطر إلى كلام يعبر به، وهو حينها لا يخلو من إحدى تلك النسب الكلامية المذكورة .

والمفروض على المسلم ألا ينطق بأية كلمة تضره ولو خطرت بباله، وألا يتكلم إلا بما يحقق به مصلحته ومنفعته مصداقاً لقوله ﷺ : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) [متفق عليه]<sup>١</sup> .

ومن رحمة الله تعالى بنا، ما بينه لنا ﷺ بقوله : (إن الله تعالى تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل) [متفق عليه] . وفي رواية : (إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم به) . والمعنى أن الله

---

<sup>١</sup> وفي رواية : (فليقل خيراً أو ليسكت) . والفرق بين الصمت والسكوت، أن السكوت يكون عن كلام، وفيه قطع لحجة المتكلم، فيقال أسكته وقطع حجته . أما الصمت فلا يكون عن كلام، لذا يقال : (فلان كثير الصمت) أو (حسن الصمت)، ومنه حسن السم، أي الخلق والصفات .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

سبحانه وتعالى قد عفا عن المسلم حديث النفس والخواطر ما لم يظهر ذلك منه بقول أو فعل .

واللسان كما قيل ترجمان الإنسان، لأن الإنسان تخطر بباله أفكار كثيرة منها النافع ومنها الضار، ومنها الهراء ومنها الهادف، ومنها ما هو من نسج الخيال وضروبه، ثم يأتي دور اللسان ليظهر الإنسان ما بداخله، فيفضح عقله بلسانه، وكما قيل : (لسان العاقل وراء عقله، وعقل الأحق وراء لسانه) والمعنى أن العاقل يفكر بكلامه قبل أن ينطق به، وبالتالي فلا يرتكب به أية حماقات ولا يقول إلا نافعاً مفيداً، أما الأحق فينطق ثم يفكر فيما قال فيفضح نفسه بنفسه .

ولذا قالت العرب : (كل إناء بما فيه ينضح) أي أن كل شخص تستولي أفكاره عليه فتظهر على لسانه وحينها يكشف لسانه ما بداخله، ويبين طريقة تفكيره، ولو ظل ساكناً لما عرف الناس كيف يفكر، ولا ما الذي يجول بخاطره .

ولذلك على المسلم ألا يجهد فكره إلا بما يعود عليه بنفع، وعليه ألا يطلق لسانه إلا بما يحقق له ذلك . اللهم يا الله اجعل سرنا خيراً من علانيتنا وأصلح ما فسد منا ومن أخلاقنا وطهر ألسنتنا من الكذب ومن الفسوق والعصيان وزكي نفوسنا من النفاق وقها شرور الوسوس وجر أفعالنا من الرياء والسمعة وألهمنا يا حي يا قيوم ذكرك وشكرك وحسن عبادتك يا ذا الجلال والإكرام اللهم اجعل قولنا سديداً، ورأينا رشيداً، وعلمناً مفيداً، وعملنا حميداً، وفكرنا نيراً، وسعينا صالحاً مشكوراً يا الله يا الله اللهم آمين .



## الباب الأول : من كنوز الأقوال

- ١ - بسم الله الرحمن الرحيم
- ٢ - كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)
- ٣ - اسما (الواحد والأحد)
- ٤ - لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
- ٥ - إنا لله وإنا إليه راجعون
- ٦ - حسبنا الله ونعم الوكيل
- ٧ - الاستغفار (لسان التوبة)
- ٨ - سبحان الله وبحمده
- ٩ - سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر
- ١٠ - الأذان
- ١١ - الكلمة الطيبة

مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... مُزَوَّبٌ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

## ١ - بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه الكلمة مرتبطة بالمسلم ارتباطاً وثيقاً لا تنفك عنه أبداً، ونحن المسلمون نقولها في كل أحياننا عموماً، ولكن القليل منا وربما نادراً من تجده يعلم سرها، وسر مفعولها، وكنزها الثمين، فهذه الكلمة تعني :

أي بسم الذي له القدرة على الفعل في الوقت المناسب بالقدر المناسب، من غير نشوء ضرر منافي للمنفعة .

بسم الله أي بسم الذي يفعل كل شيء له طوعاً وكرهاً، بسم الله تعني استفتح بك يا رب وبما يهيئه اسمك على الشيء فينقاد لي ويسخر لي .

فاسمك على الشيء يقي شره، واسمك على الشيء يعطي خيره، واسمك على الشيء يبارك فيه، واسمك على الشيء يحفظه ويطوعه ويهيؤه .

باسم الله الذي نحتاج لقوته وقدرته وحكمته وعظمته وكرمه وحلمه وسعة علمه ورزقه وعطائه وجوده ... في كل وقت ولا سيما الذي نحتاجه فيه على الوجه والقدر المطلوبين والطريقة المناسبة لذلك .

باسم الذي له صفات الكمال والجمال والجلال الدالة على المسمى الذي يجمع كل تلك الصفات المحيطة بالخلق من أسماء حسنى وصفات علا .

وكل اسم له حيثية دالة على صفة من صفات الله تعالى الكثيرة، واسم الله تعالى هو الجامع لكل تلك الصفات المتضمنة ذاتاً محيطية بكل شيء وتعلم كل شيء، حقيقة يجب على الجميع معرفتها .

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (من قال : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، لم يضره

## مَنُورٌ مَحْفَافٌ . (مُرَرَرٌ) ..... (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ مَحْفَافٌ . (مُرَرَرٌ)

شيء)] أبو داود والترمذي والنسائي في الكبرى وابن ماجه وأحمد واللفظ له] .  
فا اسمه سبحانه بركة وتركه حسرة وتيره .

باسم الله الذي أحاط بكل شيء علماً، وقدر على كل شيء، باسم إله كل شيء القادر والعالم بكل شيء، والمحيط بكل شيء، أعوذ بك من كل شيء، وأسألك خير كل شيء، باسم الله الذي ذل له كل شيء، باسم الله الذي خضع له كل شيء، باسم الله الذي انقاد له كل شيء، باسم الله الذي سخر اسمه على الشيء كل شيء من الشيء سبحانه وبحمده .

باسم الله أي باسم كل صفة من صفاتك يا رب أطلب منك، يا من حوت صفاتك كل صفات الكمال والجمال والجلال، بما تسعه أسماؤك وبما تحويه من مضامين ومن دلائل، يا من آمنت به ذاتاً وبأسمائه صفاتاً استعينك على كل شيء لا أطيعه، ولا أعلمه ولا أقدر عليه ولا أعرف سره، أن تكون لي معيلاً ونصيراً ومنيراً ومرشداً وهادياً ودليلاً، وأن تطوعه لي وتيسره لي، وتعطيني خيره وتكفيني شره، وأن تحفظني من بوائقه الظاهرة والباطنة، وأن تكشف لي أسرار في الخير وأن توفقي لاغتنامه . يا من لاسمه ذل كل شيء، ويا من باسمه خضع كل شيء، يا من وسع كل شيء علماً، يا من بصفاته الدالة على عظمة ذاته، وسعة تنوع قدرته، وتعدد عطاءاته أضع اسمك على الشيء، حفظاً له وتيسيراً وتطويلاً له اعتصاماً بك وتوكلاً عليك .

باسم الله أي أني أقبل على العمل، باسم الله تبركاً واعتصاماً وتذليلاً، والمسلم الحق متى فعل ذلك وتيقنه علم أنه لن يقبل على معصية وهو يقول باسم الله، فتحجزه كلمة باسم الله هنا عن المعصية حياءً منه سبحانه، إذ كيف تبدأ باسمه جلت عظمته على ما يغضبه تعالى شأنه .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّ . (الْمُرُورُ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّ

إذن باسم الله تعني باسم القادر الوحيد الأوحد الفرد الصمد على كل شيء خلقه ولا خالق غيره ويعلم سره وكنهه، فيا من هذه هي صفة من صفاته الكثيرة المتعددة سخر لي هذا الشيء حتى ينفع لي وينقاد لي فأنفع به ولا يضربني بقدرتك وتسخيرك . سبحانك سبحانك يا عظيم .

لذا كان اسم الله تعالى يذكر في كل أحوال المسلم، عند بدء الأكل يسمي، وعند الذبح يسمي، وعند رمي الجمار يسمي، وعند بدء الطواف يسمي، وفي الرقية يسمي، وعند دخول المسجد والخروج منه يسمي، وعند دخول البيت والخروج منه يسمي، وهكذا يظل المسلم يسمي في كل أحواله . يضع اسم الله تعالى على كل شيء تبركاً وتيمناً واستفتاحاً واعتصاماً .

**الرحمن الرحيم** . أما الرحمن فصيغة مبالغة من الرحمة، وفي هذا اللفظ تتجلى معاني الربوبية الحقّة، وهو أنه جل وعز في الدنيا يرحم كل خلقه المؤمن والكافر البر والفاجر ولو أنه سبحانه وتعالى اقتصرت رحمته على أهل الإيمان والطاعة لما أنعم على أحد من أهل الكفر والعصيان .

ولذلك فلفظ الرحمن في الدنيا محقق لأن الخلق كلهم يحتاجون لرحمة الله تعالى وإلا لتمايز أهل الحق من أهل الباطل، وأهل الإيمان من أهل الكفر، وأهل الطاعة من أهل العصيان .

وبالتالي فالكل تشمله الرحمة فكان سبحانه وتعالى بحق رحمن الدنيا، ووسعت رحمته كل شيء وفي محكم التنزيل قوله جل ربنا في علاه : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف] . فكان لفظ الرحمن يدل على رحمة الربوبية التي شملت فيوضاتها جميع الخلق والكائنات، وهي صفة يحتاجها الخلق أكثر من أية صفة أخرى له عز وجل لذا قال جل ربنا في علاه في محكم التنزيل : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّ . الْمُرُورُ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّ

أَسْتَوَى ﴿٥﴾ [طه] . نلاحظ في الآية لم يقل سبحانه وتعالى : (الجبار على العرش استوى)، وإنما قال : (الرحمن) ليعبر لخلق غايه رحمته وواسع رحمانيته جل شأنه وتقدس أسمائه فسبحانك يا رحمن يا رحيم .

أما الرحيم فهو لفظ يدل على معنى الرحمة بوجه عام في الدنيا، ولذا فهو سبحانه وتعالى رحيم في الآخرة لمن آمن فقط، ولا رحمة لمن لم يؤمن به سبحانه وتعالى . وبالتالي فلفظ الرحيم يدل على رحمة الألوهية ممن قام بالتكليف من العباد وآمن به عز وجل .

وبالمعنى العام فالله تعالى في الدنيا هو الرحمن لجميع خلقه المؤمن والكافر سواء، لأنها دار ممر وابتلاء، ولكنه عز وجل في الآخرة رحيم بالمؤمنين فقط، لأنها دار جزاء ومصير، ولا يرحم حينها إلا أهل الإيمان والطاعة سبحانه وتعالى هو الرحمن الرحيم .

وفي الأثر عن نبينا الأكرم قوله ﷺ : (إن عيسى بن مريم "عليه السلام" أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلمه فقال له المعلم : اكتب، فقال : ما أكتب قال : بسم الله، قال له عيسى : وما بسم الله، قال المعلم : ما أدري قال له عيسى : الباء بهاء الله والسين سناؤه والميم مملكته والله إله الآلهة<sup>١</sup>، والرحمن رحمن الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة) [ابن القيسراني في الذخيرة وأبو نعيم في الحلية والديلمي في الفردوس والطبري وابن كثير في تفسيرهما] .

فمدلول معنى الرحمن يشمل الجميع في الدنيا لكل الخلق ممن آمن وممن لم يؤمن، أما مدلول معنى الرحيم فالله تعالى رحيم بعباده المؤمنين الذين آمنوا به وقبلوا

---

<sup>١</sup> إله الآلهة، كقول القائل : (رب الأرباب) .

## مَنُورٌ حَمَانِيٌّ . أُرْدَارٌ ..... الْمُرُورُ ..... مَنُورٌ حَمَانِيٌّ . أُرْدَارٌ

منهجه فهو تعالى رحيم بهم في الآخرة . ولذا حوت البسملة على صفتين لله تعالى  
بهما جماع الرحمة في الدنيا والآخرة، وهما الربوبية والألوهية، فتحققت بذلك رحمة  
الرب ورحمة الإله .

والعبد في كل أحواله لن يُقبل على الله تعالى مستعيناً ومعتصماً به ومتوكلاً  
عليه وهو عاصٍ له ومذنب وآثم ومرتكب للسيئات، ولكنه عز وجل هو الرحمن  
الرحيم سيقبل من العاصي رغم كل ذلك وسيعفو عنه رغم كل تفريط، وسيتوب  
عليه بل وسيقبل على عبده متى ذكر اسمه واعتصم به وتوكل عليه، ولو كان بعيداً  
عن ربه سبحانه، وهذا من عظيم رحمانيته وواسع رحمته جل شأنه . فاللهم يا رحمن  
يا رحيم أرحمنا رحمة من عندك تغنيننا بها عن رحمة من سواك .



مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... مُزَوَّبٌ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

## ٢- كلمة (لا إله إلا الله)

تعتبر هذه الجملة هي مفتاح الدخول إلى رياض الإسلام وحدائقه الغناء . وبها يشهد العبد أن ربه وإلهه هو الله تعالى، وبالتالي لا معبود ولا مطاع ولا مكلف ولا مشرّع بحق إلا الله سبحانه، غير أن كثيراً من المسلمين يجهل معناها الحقيقي وما يتضمنه مفادها، فجملة (لا إله إلا الله) :

في حقيقتها شهادتين متداخلتين، الأولى شهادة نفي والثانية شهادة إثبات، أما شهادة النفي فهي قول : (لا إله) نفت هذه الجملة أن يكون هناك أي إله، وأما شهادة الإثبات فهي قول : (إلا الله) أثبتت هذه الجملة أن الله وحده هو الإله لا سواه سبحانه .

فكانت بذلك عبارة متكاملة لأن النفي والإثبات إن اجتمعا كانا يفيدان الحصر والقصر، والمعنى أنها حصرت أن الله تعالى هو الإله لا سواه ولا إله غيره، فأفادت وحصرت شيئاً لا ينصرف إلا الله تعالى المستحق لذلك جل في علاه .

لا إله إلا الله بها يصبح العبد مسلماً، وبها يكون قد رضي بالله تعالى رباً وإلهاً وخالقاً، وبالتالي دخل في عهد مع الله تعالى، وقَبِلَ شرعه والامتثال له والاتباع لما جاء من عنده جلّت عظمتُه، فله من الله تعالى ألا يدخله النار وله على الله تعالى أن يتوب عليه متى استغفره وتاب إليه .

لا إله إلا الله تعني إقرار قائلها بالعبودية الحقة لمن يستحقها، وأفراده بالعبادة دون سواه، والخلوص له من الشرك والندّ، وبالتالي ضمان الجنة إن شاء الله تعالى مصداقاً لقوله ﷺ لمعاذ رضي الله تعالى عنه لما سأله ﷺ فقال : (يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، قال : الله ورسوله أعلم، قال : أن يعبدوه ولا يشركوا به

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . رُردر ..... (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . رُردر

شيئاً، ثم قال : أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم "وفي رواية" أن يدخلهم الجنة) [متفق عليه] .

لا إله إلا الله تعني أنك اعترفت بالله تعالى إلهاً لك فقَبِلْتَ الاحتكام لشرعه القويم، وبالتالي لزمك القيام بما أمرك سبحانه به، واجتناب ما نهاك عنه، فأنت من المسلمين، ومن جملة عباد الله المؤمنين، وحينها وجب عليك أن تصرف كل أنواع العبادة الحقة له عز وجل، وأن تقوم بعبادته جل شأنه حق القيام، والعبادة هي طاعة العابد للمعبود، طاعة مطلقة .

لا إله إلا الله تعني أنك اطمأنت لها وفهمت معناها فلزمك العمل بمضمونها ومحتواها . لا إله إلا الله تعني أنك أمنت الله تعالى على حركة حياتك، فأمنت به ودخلت في عهده ورضيت بحكمه فلك من الله سبحانه وتعالى أن يوفقك لكل ما يحبه ويرضاه، وأن يمنحك السعادة في الدارين، وألا يخزيك أبداً ما دمت في عهده ومعيته .

لا إله إلا الله تعني أن العبد عَرَّض نفسه وجعلها لئن تكون في معية الله تعالى وفي حفظه وفي كنفه، يحل عليه سبحانه وتعالى بركته ويعطيه من نعمه ويؤجره عليه، لأن نعيم الدنيا حتى الكافر يناله ويحصِّله ولم يُمنع عنه، غير أنه لا يؤجر عليه كالمؤمن بالله تبارك وتعالى .

أما في الآخرة فقد استوثق صاحب (لا إله إلا الله) بعهد من الله جل في علاه ألا يدخله النار ما دام قد عمل بمقتضاها مصداقاً لقوله ﷺ : (من شهد أن لا إله إلا الله حرمه الله على النار وأوجب له الجنة) [أحمد والحاكم وابن أبي شيبة وابن حبان والهيثمي] . وفي الحديث النبوي الشريف الآخر قوله ﷺ : (من قال : لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة، قيل : يا رسول الله وما إخلاصها قال : أن تحجزه

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... مُزَوَّبٌ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

عن المحارم) [الطبراني في الكبير والأوسط والحكيم الترمذي في النوادر وأبو نعيم في الحلية والهيثمى والسيوطي في الجامع] .

لا إله إلا الله أقوى أسباب دخول الجنة والفوز بشفاعته ﷺ مصداقاً لقوله ﷺ حين سأله أبو هريرة رضي الله تعالى عنه فقال : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك فقال له ﷺ : (لقد علمت أنه لن يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، ثم قال له : أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبله أو نفسه) [البخاري] . وفي الحديث النبوي الشريف الآخر قوله ﷺ : (إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنا أحدثكم ما هي كلمة الإخلاص التي ألزمها الله محمداً وأصحابه وهي كلمة التقوى التي حض عليها نبي الله عمه أبا طالب عند الموت شهادة أن لا إله إلا الله) [أحمد والهيثمى والبوصيري في الاتحاف والسيوطي في الجامع] .

تفكر أخي كيف أنه ﷺ بيّن أن هذه الكلمة ترقى بالعبد إلى أن يجد لذتها وحلاوتها في قلبه، هذا في الدنيا قبل نعيم الجنة في الآخرة، وفي كل الأحوال فإنه يتقلب في رضا الله تعالى ورحماته وبها يبقى حبل العبد موصولاً بربه سبحانه دوماً .

لا إله إلا الله هي المنجية في الآخرة بحق لا يساويها شيء في الميزان أبداً فهي الأثقل والأوجب والأثمن مصداقاً لقوله ﷺ : (يُصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق فينشر عليه تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر، ثم يقول الله تبارك وتعالى : هل تنكر من هذا شيئاً، فيقول : لا يا رب، فيقول : أظلمتك كتبتي الحافظون، فيقول : لا ثم يقول : ألك عذر ألك حسنة فيهاب الرجل، فيقول : لا، فيقول : بلى إن لك عندنا حسنات وإنه لا ظلم

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدِّ رَدِّ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدِّ رَدِّ)

عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فيقول، : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فيقول : إنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء) [الترمذي واللفظ له وابن ماجة وصححه الألباني والحاكم] .

لا إله إلا الله كلمة لها عظمة كبرى لا تساويها عظمة أبداً، لأن فيها توحيد لعظيم السموات والأرضين وبارئهما وخالقهما وموجدتهما ورازقهما ومصرفهما ومدبرهما والقيوم على شؤونهما بما وبمن فيهما مصداقاً لقوله ﷻ : (قال موسى عليه السلام : يا رب علمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به، قال : يا موسى قل : لا إله إلا الله، قال موسى : يا رب كل عبادك يقول هذا، قال : قل : لا إله إلا الله، قال : لا إله إلا أنت إنما أريد شيئاً تخصني به، قال : يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله) [النسائي في الكبرى والحاكم وأبو يعلى والهيثمي] . فهي أحق كلمة قالها العبد، وهي أصدق كلمة قالها العبد، وهي أعظم كلمة قالها العبد، وهي أعدل كلمة قالها العبد، لأن فيها الاعتراف الكامل بالخضوع التام لمن يستحقه لا سواه، وبالتالي التقرب إليه بكل أنواع العبادة كما شرع سبحانه وكما يحب جل جلاله في عليائه وفوق سمائه .

لا إله إلا الله هي الحياة الحقيقية مصداقاً لقوله تعالى : ﴿أَوْمَنَ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام] . فهي النور المبين، وهي الحق المستبين، وهي طريق النجاة، وهي سبيل السالكين، الموصل إلى رب العالمين .

## مَنُورٌ حَمَانِيٌّ . (رَدُّ رَدِّ) ..... (مُنْزَعٌ حَمَانِيٌّ) . (رَدُّ رَدِّ)

لا إله إلا الله كلمة عرف معناها مشركي قريش فأبوا أن يقولوها كبيراً وعناداً وإعراضاً، لأنهم يعرفون مضمونها قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل فقال : إن ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول فلو بعثت إليه فنهيته، فبعث إليه فجاء النبي ﷺ فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل فحشي أبو جهل أن يجلس إلى أبي طالب ويكون أرقى عليه فوثب فجلس في ذلك المجلس فلم يجد رسول الله ﷺ مجلساً قرب عمه فجلس عند الباب فقال له أبو طالب : أي ابن أخي ما بال قومك يشكونك يزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول قال وأكثروا عليه من القول وتكلم رسول الله فقال : (يا عم إنني أريدكم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم بها العجم الجزية، ففزعوا لكلمته ولقوله فقال القوم : كلمة واحدة نعم وأبيك عشرين" أي لو طلبت عشر كلمات" قالوا : فما هي، قال : لا إله إلا الله فقاموا فرعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون : ﴿أَجْعَلِ لِلَّهِ إِلَهًا وَحَدًّا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ ﴿٥﴾ فنزل فيهم قول الله سبحانه : ﴿صَ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ ﴿١﴾ إلى قوله عز وجل : ﴿بَلْ لَّمَّا يَدُورُوا عَذَابِ﴾ ﴿٨﴾ [الترمذي والنسائي وأحمد وابن أبي شيبة] . لا إله إلا الله<sup>١</sup>، بها بُعث الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ولأجلها قاتلوا، وعليها افترق الناس إلى مؤمن وكافر، فهي الفرقان الحق بين الحق والباطل، والخير والشر، وجند الله سبحانه وحزبه، وجند الشيطان وحزبه . فلا إله إلا الله محمد رسول الله حقاً وصدقاً وعدلاً لا إله غيره ولا رب لنا سواه عليها نحيا وعليها نموت وعليها نبعث يوم النشور .



<sup>١</sup> سيأتي الحديث عن الشق الثاني من شهادة التوحيد .

**الْمَرْفُوعُ ..... الْمَنْزُوعُ**

### ٣- اسما (الواحد والأحد)

سورة الإخلاص هي أعظم سور القرآن الكريم على الإطلاق، لأنها دلت على ذات الله سبحانه وتعالى، ولتنزل هذه السورة سبب وهو أن نفرأ من اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فسألوه وقالوا له : انسب لنا ربك، وفي رواية "صف لنا ربك، فنزل قول الله سبحانه وتعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَكَ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الترمذي وأحمد والحاكم والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب، والرواية الأخرى عنده في الأسماء والصفات] .

فدلت هذه السورة على أن الله عز وجل واحد أحد فرد صمد .

والذي يجب أن نفهمه أن اسم الواحد له مدلول، واسم الأحد له مدلول آخر، وكثيراً من الناس من يعتقد أنهما بمعنى واحد وهذا خطأ .

فالواحد هو المتفرد بذاته الذي ليس له ثاني . أما الأحد فهو الذي ليس بمركب من أجزاء يحتاج بعضها لبعض .

إذن فاسم الواحد ينفي التعدد عن الله تعالى، واسم الأحد ينفي التبعض عن الله عز وجل، وكونه مركب من أجزاء .

ولذلك فالله تعالى ليس كلاً وليس كلي، إذ الكل هو الذي يتعدد إلى غيره، أما الكلي فهو الذي يتبعض ويتجزأ . لكن الله سبحانه هو الواحد الأحد الفرد الصمد .

ولو لاحظنا حقيقة ذلك لوجدنا أن كل ما في الكون هو إما متعدد إلى غيره،  
فله مثيل من جنسه وشاكلته من سائر المخلوقات، وإما متجزء إلى أجزاء يتكوّن  
منها، وعلى ذلك فكل ما في الكون غير الله سبحانه وجل في علاه، هو إما نعمة

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . مُرَرٌ ..... (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (مُرَرٌ)

من نعم الله تعالى عليه، ينتفع بها الخلق عموماً ويحتاجون إليها، ولا غنى لهم عنها ولها خالق وموجد وهو الله تعالى .

وإما مُنْعَمٌ عليه بتلك النعم، التي يحتاج إليها ولا شك وله خالق وموجد، فكيف يصلح أن يكون إلهاً . فما ثم إلا الله سبحانه وتعالى الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي ليس كلاً ولا كلياً، ولا يتعدد ولا يتجزأ، ولا هو نعمة ولا هو مُنْعَمٌ عليه جلت عظمته، ولا يحتاج لغيره أبداً، بل الكل يحتاج له ولنعمه وبه يقوم، ولولاه لما كان شيء في الكون، وبه وبأمره قام أمر السماوات والأرضين ومن وما فيهن : ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الأنعام] .

إذن هو الواحد الأحد في الكون بحق، لأنه سبحانه وتعالى ليس بنعمة ولا مُنْعَمٌ عليه، وليس كلاً يتعدد فله مثل، وليس كلياً يتبعّض ويتركب من أجزاء، بل هو واحد أحد ليس له صاحبة "أي زوجة" ولا ولد . ولماذا لم يتخذ سبحانه وتعالى ولداً ؟ لأن الولد إنما يُتخذ في الدنيا لأسباب، هي :

- أن يتخذ الإنسان ولداً نصيراً له، ومعيناً يتقوى به في حياته، ويفخر به .
- أن يتخذ ولداً يُحيي له ذكره بعد موته .
- أن يتخذ ولداً ليرثه بعد موته .

لذا فالله سبحانه لا يحتاج لأن يتخذ ولداً يتقوى به وينصره لأنه قوي عزيز، ولا يحتاج لأن يتخذ ولداً يُحيي ذكره لأنه حي لا يموت، ولا يحتاج لأن يتخذ ولداً ليرثه، لأن له ميراث السماوات والأرض عز وجل، إذن فاتخاذ الولد في حق الله تعالى لا معنى له سبحانه ولو شاء عز وجل لكان ذلك .

وما دام هو جل في علاه لم يتخذ ولداً لأي سبب كان، ولم يكن بحاجة له، ولم تكن له صاحبة من مثله، لأنه ليس كلاً ولا كلياً، ولا يتبعّض ولا يتجزأ، ولا هو

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . أَمْرٌ دَر . . . . . أَمْرٌ دَر . . . . . مَنُورٌ حَمْدُهُ . أَمْرٌ دَر

نعمة ولا هو مُنعم عليه، بل هو فرد صمد تنتهي إليه كل الأمور؛ تحقق عندئذ فعلاً أنه واحد أحد وأنه لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يصفون . وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۚ ﴾ [مريم] . وقوله عز وجل : ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۚ ﴾ [الجن] .

ومن مصلحة البشر أن الله تعالى واحد لا سواه، وهو عز وجل رب الجميع وخيره للجميع، حتى يشعر الجميع أن ربهم واحد وكبيرهم واحد، يلجأون إليه في كل وقت وحين ويرجعون إليه في منتهى أمورهم .

لأنه متى تعددت المعبودات ضاع الناس بينهم واختلفت مصائرهم، فلعل بعض تلك المعبودات يكون أرفأ وأرحم وأنفع من غيره لعباده، ولا سيما متى كان منهجه أسهل . وحينها سيتفرق أمر الناس بين كثرة المعبودات التي تتعالى، أيها أفضل وشرعه أيسر وصفاته أكمل ؟ وذلك محال ولا ريب .

لكن حين يكون لا معبود للخلق جمعياً إلا واحد، حينها تتوحد مصالحهم ومنافعهم ومصائرهم، وهم عنده وأمامه سواء، ولا فرق بينهم عنده إلا بمدى الالتزام بالمنهج الحق واتباعه، وعندئذ فالكل سيسعى إليه لتحقيق محبته ورضاه وللغفر بجنته ونعيمه وللنجاة من غضبه وسخطه وناره . فاللهم يا الله ألزم قلوبنا بتوحيديك وتعظيمك وتقديسك وتنزيهك على الدوام يا من تفرد عن كل شيء وبأمر خلقه قام يا ملك يا قدوس يا سلام .



كنوز حقائق . (ردر) ..... (لنز) ..... كنوز حقائق . (ردر)

#### ٤- لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

بين ﷺ في حقيقة شأن هذه الكلمة أنها كنز من كنوز الجنة، وهي كلمة تقال في الأحوال التي يشعر فيها المسلم بأنه ضعيف مغلوب مكروب يحتاج لوقفة من يمدّه بالحوّل والقوة، ومع ذلك فقليل جداً من استلهم حقيقة كنزها والقليل جداً من وقف على مضمون معناها، فهي كلمة تعني :

أنه لا قدرة ولا علم ولا معرفة ولا حكمة ولا عظمة ولا قادر على الفعل إلا الله تعالى، صاحب القوة والقهر والسلطان والقدرة والفعل والخلق والأمر والتصرف المطلق، وكل ما سواه يستمد قوته وحوله من الله تعالى، فهو عز وجل يمد من يشاء بحوله وقوته ويسلبها ممن شاء من خلقه، وهو غني عن الخلق عليّ على الجميع في علو مكانه جميل في أسمائه وصفاته حكيم في قدرته وقدره وقضائه، حسيب رقيب على خلقه مطلع على شؤون عباده .

فكل قوة هي من الله تعالى مستمدة، وكل حول هو من الله عز وجل مستمد ولو شاء الله سبحانه لسلبه ومنعه ممن شاء بما شاء وكيفما شاء . لا حول ولا قوة إلا بالله تعني سلب كل حول أو قوة عن الفعل من غير الله تعالى، وإحالتها وإضافتها إلى الله تعالى القادر العليم .

لا حول ولا قوة إلا بالله أي لا سبب للمخلوق يقدر عليه، ولا سبيل يلجأ إليه، ولا حيلة يتوصل لها إلا من الله تعالى، وبالله عز وجل، فمنه الحول والقوة والتوفيق والسداد والهداية والرشاد والعون والقدرة والإلهام والإعانة والحماية والحفظ سبحانه وتعالى صاحب الحول والقوة، فلا حول ولا قوة على القيام بالطاعة والصبر عليها، وعلى البعد عن المعصية وتركها إلا بك يا الله العلي العظيم . وفي الحديث النبوي الشريف عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : كنت عند النبي

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَرٌ

ﷺ يوماً فقلت : لا حول ولا قوة إلا بالله فقال النبي ﷺ : أتدري ما تفسيرها ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله هكذا أخبرني جبريل عليه السلام) [البزار وابن جبان والبيهقي في الشعب واللفظ له] .

وفي رواية قوله ﷺ : (يا معاذ تدري ما تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ قال : الله ورسوله أعلم قال : لا حول عن معصية الله إلا بقوة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله، ثم ضرب بيده على كتف معاذ، فقال: يا معاذ هكذا حدثني حبيبي جبريل عن رب العزة) [مسند الفردوس وكنز العمال واللفظ له] .

وهو عز وجل لا تجري عليه الأسباب، ولا تحكمه قوانين، بل هو سبحانه مسببها وموجدتها وخارقها بطلاقة قدرته جلّت عظمته . فيا من يجري كل شيء في الكون بأمره وبعلمه وبمراده، ولا يجري عليه شيء، ويا من يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار، ويا من يهيئ الأمور، ويا من لا تحكمه أسباب، سبب لي الأسباب بما فيه خير ونفع، وامنحني من لدنك حولاً وقوة يا عظيم، فأنت العلي في مكانك العظيم، في ذاتك وصفاتك، المطلع على جميع خلقك وعبادك، القادر على كل شيء، فيا من هذه هي بعض صفاته مُنَّ عليّ بالعطاء منك وبالحول والقوة والتأييد والتمكين إذ لا حول ولا قوة إلا بك ومنك يا عليّ يا عظيم .

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم تعني أن أسبابي تعجز عن تحقيق مرادي، فيا من مراده فوق الأسباب، وعلمه محيط بكل شيء امنحني منك الحول والقوة فإنه قد حار عقلي وعجزت قوتي، وانقطعت أسبابي لا ملجأ لي إلا أنت يا مسبب الأسباب ويا من لا يحكمه قانون ولا نظام وله القدرة المطلقة التي لا ترام قوتي بقوتك وبحولك وحيلتك يا الله سبحانه .

## كنوز حقائق . (مرار) ..... (لنر) ..... كنوز حقائق . (مرار)

كلمة عظيمة القدر أوصى بها خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام نبينا الكريم ﷺ ليلة أسري به لما مرّ عليه، بقوله : (مر أمتك فليكثر من غراس الجنة، فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة، قال : وما غراس الجنة ؟ قال : لا حول ولا قوة إلا بالله) [أحمد والبخاري وابن حبان والبيهقي في الشعب والهيثمى وصححه الألباني من حديث الترغيب والترهيب] .

فلا حول ولا قوة إلا بالذي هو المالك المعبود رب الخلائق  
فحولي وقوتي عليه وتوكلني إذا لمت بي الأحداث وضاعت مضائقي  
وفي بيان فضل هذه الكلمة ما ورد عن الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي قوله جل في علاه : (يا محمد قل لأمتك يقولوا : لا حول ولا قوة إلا بالله عشراً عند الصباح وعشراً عند المساء وعشراً عند النوم، يدفع عنهم عند النوم بلوى الدنيا وعند المساء مكايده الشيطان وعند الصباح أسوأ غضبي) [الديلمي في الفردوس والسيوطي في الجامع والمتقي الهندي في كنز العمال وفي جامع الأحاديث القدسية برقم : (٤٠٩)] حديث عظيم النفع واضح المعنى .

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ لأبي هريرة رضي الله تعالى عنه : (ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة، أو قال : كنز من كنوز الجنة، قلت : بلى يا رسول الله، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله إذا قالها العبد قال الله عز وجل : أسلم عبدي واستسلم) [مسلم] <sup>١</sup> . ومعنى كنز من كنوز الجنة قيل : إن لقائلها كنز

---

<sup>١</sup> وفي الأثر عنه ﷺ قال : (لما فرغت مما أمرني الله تعالى به من أمر السماوات والأرض، قلت : يا رب إنه لم يكن نبي قبلي إلا قد كرمته جعلت إبراهيم خليلاً وموسى كليماً وسخرت لداود الجبال ولسليمان الريح والشياطين وأحييت لعيسى الموتى فما جعلت لي، قال : أوليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله أن لا أذكر إلا ذكرت معي، وجعلت صدور أمتك أناجيل يقرؤون

## كنوز حقائق . (مرار) ..... (لنر) ..... كنوز حقائق . (مرار)

في الجنة، وقيل : إن له عطاء ونصرة وتأييد من الله تعالى بما هو فوق الأسباب الدنيوية كما أن عطاء الجنة بلا أسباب، لأنه قائلها اعتصم بالخالق القادر العلي العظيم جلت عظمته<sup>١</sup>.

فكل من اعتصم بالله تعالى وقالها يكن قد خرج من حيز نفسه وقوتها إلى حيز الله تعالى وقوته سبحانه الذي سيمده بمدد ونصرة وحول وقوة هي فوق الأسباب الظاهرة للخلق . عطاء عاجل لمن لجأ للرب المتين وفيض أكيد من لدن إله ممكن . ومما يروى في بعض كتب السير والتفسير أن الصحابي الجليل عوف بن مالك الأشجعي رضي الله تعالى عنه جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن ابني أسره العدو وجزعت الأم، فما تأمرني ؟ فقال : **أمرك وإياها أن تستكثرا من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم** . فرجع إلى منزله، فقالت له : بماذا أمرك رسول الله ﷺ ؟ فقال : بكذا . فقالت : نعم ما أمرك به . فجعلا يقولان ذلك، فخرج ابنه بغنيمة كثيرة، فنزل قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۚ ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ ۝٣ ﴾ [الطلاق]<sup>٢</sup> . فاللهم يا من عبدناك بحولك وقوتك قونا بقوتك ومدنا بحولك يا قوي يا عزيز يا متعال .



القرآن ظاهراً ولم أعطها أمة، وأنزلت عليك كلمة من كنوز عرشي لا حول ولا قوة إلا بالله) [ابن كثير في تفسيره لسورة الشرح وكذلك السيوطي في الدر المنثور وغيرهما] .

<sup>١</sup> لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، تقال قبل وقوع المكروه وحصول المصيبة، وإنا لله وإنا إليه راجعون، تقال متى وقع المكروه وحصلت المصيبة .

<sup>٢</sup> تفسير القرطبي ج ١٨، ص ١٦٠ . السيوطي في الدر المنثور ج ٨، ص ١٩٨ . وغيرهما . وفي روايات أخرى أن الابن الأسير اتسع القيد في يده فسقط عنه، فخرج من محبسه حال غفلة القوم فوجد الأنعام أمامه فساقها غنيمة باردة وعاد إلى المدينة المنورة .

مَنُورٌ مَّخَانُورٌ . (رَدِّ رَدِّ) ..... (مُزَوِّجٌ مَّخَانُورٌ) . (رَدِّ رَدِّ)

## ٥- إنا لله وإنا إليه راجعون

شرح لنا سبحانه وتعالى من واسع رحمته وعظيم منته بنا وعلينا هذه العبارة،  
نتشبث بها حال البلاء والمصيبة وكل ما تكرهه النفس وتستثقله مصداقاً لقوله عز  
وجل : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (١٥٦) . والجزء : ﴿ أُولَئِكَ  
عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (١٥٧) [البقرة] .  
والمعنى أن من قال هذه الكلمة وتشبث بها متى أصابته مصيبة، وعلم أنها من  
عند الله عز وجل ابتداءً، وأنه لا كاشف لها إلا هو سبحانه انتهاءً، فتعلق بربه  
القادر وأن الكل له وإليه راجع .

فالجزء ! أن عليهم صلوات من ربهم ورحمة، والصلاة هنا هي المغفرة، ومن  
تحقق له ذلك فعلاً فهو حينها من الصادقين المهتدين المصدقين، الذين سلكوا  
طريق الهداية والسداد والرشاد والموصل إلى رب العباد سبحانه وتعالى . ولذلك لو  
تأملنا في مضمون هذه الكلمة العظيمة لوجدناها تعني :

إننا يا رب منك وإليك وفيك ولك، فممنك كان وجودنا من عدم، وتحت  
قدرتك وبرعايتك وعنايتك نعيش ونحيا في دنيانا، ثم في منتهى أمرنا إليك نصير،  
وبين يديك نقف، وعن كل شيء مما عملنا في دنيانا أنت سائلنا .

فأنت الذي خلقت، وأنت الذي أوجدت، وأنت الذي أنعمت، وأنت الذي  
تفضلت، وأنت الذي تقدر ولا نقدر، وأنت الذي تعلم ولا نعلم، أرواحنا لك،  
وأجسادنا لك، ونفوسنا لك، وعقولنا لك، وقدراتنا منك، وسعينا إليك، وعملنا  
بتوفيقك، ومعصيتنا بعلمك وحلمك، ومصائرنا إليك، لا منجى ولا ملجأ منك إلا  
إليك، فسبحانك يا عظيم .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّ . (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَدُّ)

بدأنا منك وبك وسنتتهي إليك وفيك لا سبيل لنا للخلاص، ولا محيص ولا مناص، ولا مهرب ولا طريق، إلا وهو يقود إليك ويوصل إلى ما تريد، لا يجري في ملكك شيء إلا بعلمك وبمradك، ولو شئت لما كان مصداقاً لقولك يا عظيم في محكم التنزيل : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام] . أي ولو شاء الله ما حصل شيء من أمر الشرك والكفر والمعاصي، ولكنه سبحانه وتعالى أمهل العباد في الدنيا ليختبرهم وليرى أعمالهم ومن ثم ليجازيهم بها .

فلا قوة لنا ولا حيلة، لأن كل شيء بدأ منك وسينتتهي إليك، وأنت رب الدنيا والآخرة، والعليم والقادر في الأولى والأخرى لك الحكم وإليك المرجع والمصير، فالحمد لله رب العالمين مصداقاً لقولك يا رحمن يا رحيم : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص] .

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : ( ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله : ﴿ إِنْ لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً ) [مسلم] . وعن أم المؤمنين أم سلمة حين توفي زوجها أبو سلمة رضي الله تعالى عنهما، قالت : ( سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيراً منها إلا آجره الله تعالى في مصيبيته وأخلف له خيراً منها ) قالت : فلما مات أبو سلمة قلت : أي المسلمين خير من أبي سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ ثم إني قلتها فأخلف الله لي خيراً منه رسول الله ﷺ [مسلم] . سبحانك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك .



<sup>١</sup> ورواية (أجرني) من الإجارة، أي السلامة من المصيبة . ورواية (أجرني) أي امنحني أجر المصيبة .

مَنُورٌ مَّخَانُورٌ . (مُرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَّخَانُورٌ . (مُرَارٌ)

## ٦- حسبنا الله ونعم الوكيل

أوجدنا الله سبحانه وتعالى في هذه الدنيا لعبادته وطاعته عز وجل، وقدّر علينا فيها عموم المصائب والبلايا لنبقى دوماً في معيته، معتصمين به متوكلين عليه سبحانه عائذين بعظمته عمن سواه، ومن عظيم رحمته جلّت عظمته أن شرع لنا هذه الكلمة العظيمة نقولها في كل الأحوال ونتشبث بها، ولا سيما حال الخوف والفرع والضعف والبلايا والمصائب، فلجأ إلى الله تعالى حينها ونعتصم به ونتوكل عليه مباشرة، ورغم أن كل المسلمين يقولون هذا الكلمة متى خافوا أو حلّت بهم مصيبة أو بلية إلا أن القليل منهم؛ من يقولها من قلبه بحق مستشعراً حقيقة معناها العظيم فهي كلمة تعني :

حسبنا الله القادر ولا قادر غيره، العالم ولا عالم غيره، القوي ولا قوي غيره، العظيم ولا عظيم غيره، الحكيم ولا حكيم غيره، المتصرف في الأمور ولا متصرف فيها سواه، المقدر على عباده في هذه الدنيا أنواع القدر بما ينفعهم بحكمته ورحمته وعظمته . حسبي الله الذي بيده الأمور يقلبها كيف يشاء، الذي عنده علم كل شيء يعلم خيره وشره، ومبدأه ومنتهاه، حقيقته وكنهه، سره وجهه .

حسبي الله الذي خلق وهو بخلقه أعلم وعليهم أقدر . حسبي الله أي ألوذ بمن يحيط بكل شيء ولا يحيطه شيء، أعتصم بمن علم كل شيء ولا يفوته أدنى شيء، أستمسك بمن أطلع على كل شيء ولا يغيب عنه من أمر خلقه شيء .

حسبي الله أي أقدمه عز وجل في كل الأمور بلا استثناء معيناً ونصيراً وولياً وحفيظاً وهادياً ودليلاً ومرشداً ومؤيداً . حسبي الله تعني تجردت من أسبابي التي بها أحتمي وعليها كل علمي، لأحتمي بمن لا ناصر ولا قادر ولا حافظ إلا هو، لأبقى في معيته وحفظه وكنفه ورعايته . حسبي الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّ . (الْمُرُورُ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّ

الصلاة والسلام حين ألقاه قومه في النار فعرض له جبريل عليه السلام في الهواء فقال له : يا إبراهيم ألك حاجة ؟ فأجابه عليه السلام : أما إليك فلا وأما إلى الله فبلى، فكان ما كان من أمر نجاته من النار، وارتفاع شأنه على قومه .

حسبي الله أي أخرج من كل علمي وحيلتي وقوتي ومقدرتي وطاقتي، إلى علم وقوة وقدرة وطاقه من لا مصرف ولا مدبر ولا فاعل في الكون إلا هو سبحانه، وحينها سيتحول الضعيف إلى قوي، لأنه ركن إلى من لا قوي فوق قوته، ولا عظيم فوق عظمته، ولا عزة فوق عزته، مصداقاً لقوله تعالى في محكم التنزيل : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران] . فمن لجأ إلى الله تعالى عصمه وحماه وحفظه ورعاه وقلبه إلى كنفه وكنهه فتولاه سبحانه فيمن تولى ووقاه فيمن وقى وأيده فيمن أيد .

ونعم الوكيل أي خير معين يتولى الأمور ويدبر الأمور، بتلطف في القدر والمقدور، يحفظ عباده من كل سوء، ويدفع عنهم كل شر، فهو الحافظ سبحانه وهو الولي سبحانه وهو النافع سبحانه وهو المعطي سبحانه وهو المنعم سبحانه وهو الكريم البر الرحيم سبحانه، فيا من خلق كل شيء وعلم كل شيء احفظني من شر كل شيء ومن شر كل ذي شر، فأنت الظاهر على كل شيء، والباطن لكل شيء، والأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، لا يفوتك شيء، ولا يغيب عنك شيء، أنت حسبي وحسيبي ونعم الوكيل .

يا رقيب يا حسيب يا مقيت، يا نافع يا ضار، يا قابض يا باسط، يا ميسر يا معسر، يا حنان يا منان، أنت حسبي وحسيبي في كل شيء، وعلى كل شيء، ومن كل شيء، أقدمك فيما أعلم وفيما لا أعلم، لتتولى نفعي وتصرف الشر والضرر عني، يا خير مسئول وأفضل مأمول، وخير وكيل تبدأ منه وترجع إليه كل الأمور .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُنُورٌ حَمْدُهُ) . (رَدُّر)

ونعم الوكيل لأن الإنسان متى عجز أحوال الأمر إلى وكيل ينوب عنه لإتمام الشيء، والله تعالى هو خير وكيل، لأنه لا يعجز بل ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو المطلع المحيط القادر القدير سبحانه وبحمده فهو خير وكيل . وفي الحديث النبوي الشريف أن رسول الله ﷺ قضى بين رجلين، فقال المقضي عليه لما أدبر : حسبي الله ونعم الوكيل، فقال ﷺ : (إن الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيس فإذا غلبك أمر فقل : حسبي الله ونعم الوكيل)[أبو داود والنسائي في الكبرى وأحمد والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب . والكيل العقل والفطنة] . والمعنى عليك ببذل الأسباب ومن ثم التوكل على الله تعالى قاضي الحاجات . ومما يروى بهذا الشأن أن جعفر الصادق رحمه الله تعالى كان يقول : عجبت لأربع كيف يغفلون عن أربع وذكر منهم، فقال : (عجبت لمن خاف ولم يفرع لقوله تعالى : (حسبنا الله ونعم الوكيل) فإني قد سمعت الله تعالى بعقبها يقول : (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء)<sup>1</sup> . لاحظ قوله : (فإني سمعت الله يقول بعقبها) . لم يقل : (فإني قرأت)، لأن المسلم حين يسمع القرآن فكأنما يسمع الله تعالى يتكلم فأرعى القرآن الكريم سمعك واهتمامك كله وهذا من كمال الإيمان وفقه المؤمن . فאלلهم أيدنا بتأييدك يا نعم المولى ونعم النصير .



<sup>1</sup> وتتمة المقالة قوله رضي الله تعالى عنه : وعجبت لمن اغتم ولم يفرع لقوله تعالى : (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) فإني سمعت الله سبحانه يقول بعقبها : (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننج المؤمنين) . وعجبت لمن مكر به ولم يفرع لقوله سبحانه : (وأفوض أمري إلى الله والله بصير بالعباد) فإني سمعت الله سبحانه يقول بعقبها : (فوقاه الله سيئات ما مكروا) . وعجبت لمن طلب الدنيا وزينتها ولم يفرع لقوله سبحانه : (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) فإني سمعت الله يقول بعقبها : (فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك) .

مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَرَر) ..... (لُزَز) ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَرَر)

## ٧- الاستغفار (لسان التوبة)

أكثر الناس بحسب علمهم المتفاوت يعلمون أن الاستغفار هو أن يقول المسلم متى أذنب : (استغفر الله العظيم وأتوب إليه) . أو أية صيغة أخرى من صيغه . هذا هو المعروف بوجه عام، على حد علم كثير من الناس، غير أن هناك حقائق للاستغفار ومضامين يجهلها الكثير منهم منها :

أن حقيقة الاستغفار هي الرجوع والإنابة إلى الله تعالى من الذنوب والمعاصي، فهو حبل النجاة الأول .

والمسلم حين يقول : (استغفر الله العظيم وأتوب إليه) . يقولها راجياً بذلك التوبة والإنابة إلى الله تعالى .

إذن فالاستغفار حقيقة يعني الاعتراف بالذنب أولاً، ثم الندم على فعله ثانياً، ثم تذكر أن الله سبحانه وتعالى غفار الذنوب وقابل التوب ثالثاً، ثم العزم على عدم العودة إلى المعصية رابعاً .

إذن هو فرصة للرجوع إلى الله سبحانه وتعالى وإلى ساحة غفرانه وكنفه وعفوه وأحضانه<sup>١</sup>، في أي زمان وفي أي مكان .

والاستغفار لا يحصل إلا من قلب مليء بالإيمان، فمتى أذنب ووقع العبد في الذنب والعصيان واقترب الإثم تذكر أن له رباً يأخذ الذنب ويعفو عنه ويصفح مصداقاً لقوله ﷻ : (يقول الله تعالى: يا عبادي كلّم ضال إلا من هديت فسلوني الهدى أهديكم، وكلّم فقير إلا من أغنيت فسلوني أرزقكم، وكلّم مذنب إلا من عافيت، فمن علم منكم أنني ذو قدرة على المغفرة فاستغفروني

---

<sup>١</sup> (أحضان الله تعالى) . صيغة تشبيه بلاغي . يراد بها أن يكون العبد مع ربه سبحانه .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... مُزَوَّبٌ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

غفرت له ولا أبالي...) [الترمذي وابن ماجة وأحمد]<sup>١</sup>. إذن فالاستغفار لا يبدر إلا ممن كان ذا قلب حي، وضمير متيقظ، ونفس لوامة، وله من نفسه وازع وناقد وواعظ وراذع ومؤنب، متى وقع في الخطأ عاد إلى رشده وصوابه .

الاستغفار كنز من الكنوز وجب على العبد أن يلزمه دوماً، وهو تارة يكون من ذنب من باب التوبة والإنابة إلى الله سبحانه عن كل معصية اقترفها المسلم مصداقاً لقوله ﷺ : (من قال : استغفر الله الذي لا إله إلا هو وأتوب إليه غفر له وإن كان قد فر من الزحف) [أبو داود والترمذي وصححه الألباني والحاكم] .

وتارة يكون من غير ذنب فهو من باب القرية إلى الله تعالى وذكره عز وجل لتلافي التقصير والخلل الذي قد يحصل في العبادة .

الاستغفار يهدم الذنوب والآثام، ويبدل السيئات إلى حسنات، والغضب إلى رضا، فيستبدل العبد ويستأنف حياته من جديد، من ضياع إلى عودة إلى الله عز وجل مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى : ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝٧٠﴾ [الفرقان] .

<sup>١</sup> وتام الحديث : (ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أتقى قلب عبد من عبادي ما زاد ذلك في ملكي جناح بعوضة، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أشقى قلب عبد من عبادي ما نقص ذلك من ملكي جناح بعوضة، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا في صعيد واحد فسأل كل إنسان منكم ما بلغت أمنيته فأعطيت كل سائل منكم ما سأل ما نقص ذلك من ملكي إلا كما لو أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه إبرة ثم رفعها إليه، ذلك بأني جواد واجد ماجد أفعل ما أريد عطائي كلام وعذابي كلام إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له : كن، فيكون) .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (أُذنبُ عبدٌ ذنباً، فقال : اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب، فقال : أي رب اغفر لي ذنبي، فذكر مثله مرتين وفي آخره قال : اعمل ما شئت فقد غفرت لك) [مسلم] .

الاستغفار يعني الاعتراف التام بعدم القدرة على إدراك المسلم وتحقيقه العبادة الكاملة، وبلوغ المنتهى فيها لله عز وجل، من غير أن يكون هناك نقص أو تقصير حاصل منه في أي من العبادات .

وبالتالي طلب الغفران عما حصل من تقصير وخطأ وتفريط وزلل، فالاستغفار هنا يعد مكماً للعمل الصالح الذي يجبر به ذلك الخلل، وكل ذلك رحمة من الله تعالى بعباده، لأن العبد لا يسلم من كل ذلك وهو واقع فيه لا محالة .

لذا أمرنا ﷺ أن نكثر من الاستغفار بقوله ﷺ : (أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إلى الله وأستغفره في كل يوم مائة مرة) [مسلم] .

نلاحظ مثلاً حالنا في الصلاة ! فمع كونها عماد الدين وأفضل وأحب الأعمال إلى الله تعالى والمسلم فيها يكون مع الله سبحانه، وبين يديه عز وجل فرغم كل ذلك علمنا ﷺ بأن نقول بعدها مباشرة أذكار ما بعد الصلاة وأولها هو قول : (أستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله) استدراكاً لما قد حصل فيها من سهو أو تفريط أو تهاون أو غفلة .

الاستغفار في جميع حالاته يقرب إلى الله تعالى، ويحلّ رضاه، ويستجلب رزقه ويزيده مصداقاً لقوله ﷺ : (من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب) [النسائي في الكبرى وابن ماجه وأحمد] .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... مُزَوَّبٌ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

الاستغفار يعني أمان من العقاب، ومن عذاب الله تعالى ومن سخطه، وبه تكون النجاة من الهلاك مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١ وَيُمَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَجْهَيْكُمْ لِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا ۝١٢ ﴾ [نوح] وتحقيقاً لقوله ﷺ في الحديث النبوي الشريف : (طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً) [النسائي وابن ماجة] .

الاستغفار في حقيقته دوام إعلان الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، والتوبة والإنابة له عز وجل، والانخلاع من الذنوب والمعاصي، وكل ذلك فيه هدم للذنوب والآثام، وإرضاء للرحمن وإغضاب للشيطان مصداقاً لقوله ﷺ كما في الأثر : (عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار فأكثروا منهما فإن إبليس قال : أهلكتم الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء فهم يحسبون أنهم مهتدون) [أبو يعلى وابن أبي عاصم في السنة والمنذري والديلمي في الفردوس والهيثمي والسيوطي في الجامع] .

الاستغفار هو أول أبواب التوبة، وولوجه يفضي إلى رحمة الله تعالى ولا شك، ومشروعية التوبة من الله عز وجل لخلقه في حد ذاتها رحمة منه سبحانه بهم من ناحيتين :

١- أنه أعطى فرصة للمذنب في العودة إليه سبحانه فلا يقنط من رحمته تعالى أحد، بل يتقرب إليه بالتوبة والاستغفار وبالعمل الصالح، والمذنب كلما تذكر ذنبه اجتهد في أن يُحصى عنه ويغفر له، مما يجعله يبادر ويستكثر من القربات دوماً، وليس حاله كحال من كانت طاعته رتيبة قد يفقد حينها لذتها والشوق لها وإليها . وهذا مضمون قوله ﷺ في الحديث النبوي الشريف : (والذي نفسي بيده لو لم تذبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم) [مسلم] .

## مَنُورٌ جَنَانُهُ . أُرْدَارٌ ..... لُزْزَقٌ ..... مَنُورٌ جَنَانُهُ . أُرْدَارٌ

والمعنى أن الذنب واقع من العبد لا محالة لنقصه، فيجب تدارك ذلك بالتوبة والاستغفار مما يجعل العبد التائب يؤنب نفسه دوماً فيبادر ويسابق في الخيرات، فكان الذنب هنا كالحافز للعبد على فعل الخيرات والمصارعة والإكثار من عمل الصالحات بعد توبته .

٢- إن في توبة العبد رحمة للعباد فلا يشقون بشقاء العاصي ولا يصطلون بأذاه، فلو لم تكن التوبة مشروعة لزد حاله ولتفشى واستشرى فسادُه وَلَلْحَقُّ أَذَاهُ بِكُلِّ مَنْ حَوْلَهُ . لذا كانت مشروعية التوبة رحمة لعموم الخلق، والله سبحانه وتعالى كل الشكر والحمد .

الاستغفار سمة المؤمنين الصالحين وطريق العابدين الذاكرين، ومسلك التوابين الأواهين، وملاذ العاصين المسرفين وهو ولا ريب أميز صفات الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام :

- قال تعالى في محكم التنزيل في شأن آدم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَنَا تَغْفِيرٌ لَنَا وَرَحْمَةٌ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف] .

- وقال عز وجل في شأن نوح عليه السلام : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴾ [نوح] .

- وقال جلت قدرته في شأن هود عليه السلام : ﴿ وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ [هود] .

- وقال تعالى في شأن صالح عليه السلام : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ [هود] .

## مَنُورٌ جَنَانُهُ . دُرَرٌ ..... لُزْزَقٌ ..... مَنُورٌ جَنَانُهُ . دُرَرٌ

- وقال تبارك وتعالى في شأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُّنِيبٌ ﴾ (٧٥) ﴿ هود . والأواه هو الرجاء ) .
- وقال جل ذكره في شأن شعيب عليه السلام : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ (١٠) ﴿ هود ] .
- وقال جلّت عظمته في شأن موسى عليه السلام : ﴿ أَنْتَ وَلَيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ (١٥٥) ﴿ [الأعراف] .
- وقال تقدس اسمه في شأن سليمان عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٣٥) ﴿ [ص] .
- وقال جل في علاه في شأن محمد ﷺ خير الأنبياء وأفضل المرسلين : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفَرَ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ (١٩) ﴿ [محمد] .
- وكان آخر ما نزل عليه ﷺ قوله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (٢) ﴿ [النصر] .

فإذا كان هذا هو شأن عامة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وهم خير خلق الله تعالى فكيف بمن سواهم . وبالتالي فمن الواجب الاقتداء بهم في لزوم الاستغفار والسير على نهجهم أجمعين عليهم السلام .

وأفضل وقت للاستغفار هو ما ذكره عز وجل في محكم التنزيل بقوله جلّت عظمته : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ (١٧) ﴿ [آل عمران] . صفة للمؤمنين الصادقين أن يستغفروا الله تعالى، ولا سيما أوقات السحر وهم أقرب ما يكونون فيه من ربه سبحانه وتعالى، وهو في السماء الدنيا ينادي عباده ويفتح لهم أبواب رحمته ليلجوها ويعرض عليهم أبواب فضله ليطرقوها .

## مَنُزَلُ حَمْدِهِ . مُرَرَر ..... الْمُنَزَّلُ ..... مَنُزَلُ حَمْدِهِ . مُرَرَر

- وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول : من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفري فأغفر له) [متفق عليه] . فكان الاستغفار وقت السحر أفضل الاستغفار، ولا يحافظ عليه إلا مؤمن صادق متعلق بربه عز وجل، ووقت السحر هذا عجيب جداً حتى أن العلماء سموه بعدة أسماء :
- فهو وقت الطلب لأن المسلم يدعو فيه من ربه سبحانه وتعالى ويطلب منه ما شاء من أمور الدين والدنيا .
  - وهو وقت الغنائم لأن العبد يغتنم فيه فرصة رحمة الله تعالى حين يعرض فيه عز وجل رحماته وعطاءاته على الخلق ليلتي لهم ما يريدون .
  - وهو وقت التجلي لأن الله تعالى يتجلى فيه في السماء الدنيا .
  - ووقت القرب لأن الله جل في علاه أقرب ما يكون من العباد في السماء الدنيا .
  - ووقت المصالحة لأن العبد فيه يعود إلى ربه فيصالحه على التوبة وعدم العصيان .
  - ووقت الغفلة لأن أكثر الناس فيه إما نيام منهمكون في رقودهم، وإما في غفلة اللهو والفجور والخنأ والشقاء .
  - ووقت النزول لأن الله سبحانه ينزل فيه إلى السماء الدنيا .
- والسعيد بحق من اغتنم فرصة قربه من ربه عز وجل، وهو سبحانه في السماء الدنيا ينادي عباده ويعرض عليهم أبواب رحماته وفضله ليطرقوها ويلجوها، والمسلم حينها منكسر بين يدي ربه عز وجل، مستغفر له من ذنوبه مقبلاً عليه ذاكراً إياه سبحانه في ظلمة الليل حيث لا يراه أحد إلا خالقه الرحمن الرحيم . اللهم مغفرتك أوسع لنا من ذنوبنا وأحب إلينا وأرجا من أعمالنا عندك سبحانه .



مُنْزَلٌ مِّنَّا . مُرَادٌ ..... الْمُنْزَلُ ..... مُنْزَلٌ مِّنَّا . مُرَادٌ

## ٨- سبحان الله وبحمده

آخر سورة نزلت من القرآن الكريم على رسول الله ﷺ هي سورة النصر قوله عز وجل : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۚ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٢﴾ [النصر] .

وقد تضمنت آخر آية من هذه السورة أمر الله تعالى لرسوله ﷺ بأمرين مهمين هما : (التسبيح بالحمد، والاستغفار) . والمعنى أن الله تعالى يخبر رسوله الكريم ﷺ بحصول علامة ستقع وهي إتمام هذا الدين وبجيء وفود العرب إليك مسلمين لله تعالى، فمتى حصل ذلك وتحقق (فسبح بحمد ربك) .

ولذلك قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : (كان رسول الله ﷺ يكثّر في آخر أمره من قول : سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، وقال : إن ربي كان أخبرني أنني سأرى علامة في أمّتي وأمرني إذا رأيته أن أسبح بحمده وأستغفره إنه كان تواباً فقد رأيته) ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۚ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٢﴾ [مسلم] . وفي الحديث الآخر قولها رضي الله تعالى عنها : (كان رسول الله ﷺ يكثّر أن يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي، يتأول القرآن يعني ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ ﴾) [متفق عليه] .

ومعنى سبح أي نزه، فالتسبيح هو : التنزيه من العيوب والنقائص فهو سبحانه الكامل جل عن النقائص والعيوب .

ومعنى (سبح بالحمد) أي سبحه من حيث كونه هو الحمود المستحق للثناء والحمد لكماله وجماله وجلاله ولبهائه ولكبريائه ولعظائه ولتفضله على خلقه

## مَنُورٌ مَّخَانُورٌ . (مُرَرَرٌ) ..... (مُزَوَّرٌ) ..... مَنُورٌ مَّخَانُورٌ . (مُرَرَرٌ)

ولإنعامه على عباده كل ذلك يستوجب منا حمده وشكره دوماً وأبداً . فهو سبحانه المستحق للحمد لكونه الخالق ولا خالق غيره، ولكل ما أعطى ويعطي لعباده، وبكل ما سخر ويسخر لخلقه، وإذا علمت أنه عز وجل هو المستحق للحمد لا سواه، ولا شريك له في ذلك فسبحه ونزهه بما استحق وبما يستحق من كونه صاحب الحماد كلها والمتفرد بذلك .

فكان التسبيح بالحمد هو أفضل التسبيح وأفضل الحمد، لأنه تسبيح بحمد وحمد بتسبيح . فجمع بين اثنين لا يستحقهما إلا واحد وهو الله سبحانه وبحمده وجل شأنه وتعالى وتقدس .

وبالمعنى العام تنزيه المتفضل علينا بالنعم المستحق للثناء لا سواه . فلا يقال لأحد مثلاً : (سبحانك) مع أن المعبودات من دون الله تعالى كثيرة، وكذلك لا يقال لأحد على وجه الحقيقة : (الحمد لك) مع أن المعبودات من دون الله سبحانه كثيرة وذلك لأن هذين الأمرين لا يُصرفان إلا لله عز وجل تحقيقاً فسبحانك وبحمدك يا عظيم<sup>١</sup> .

---

<sup>١</sup> أخذ التسبيح في القرآن الكريم كل الزمان تماماً ليظل التسبيح لله عز وجل دائم وغير منقطع ففي الماضي قال تعالى في عدة سور : ﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۝١ ﴾ . ولم ينقطع التسبيح بذلك بل قال سبحانه في الزمن الحالي المضارع والمستقبلي أيضاً : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۝١ ﴾ . وأيضاً لم يقف التسبيح بذلك بل قال جلّت عظمتُه بصيغة الأمر : ﴿ سَبِّحْ أَسْمَاءَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١ ﴾ . وهذا التسبيح في كل الأحوال ليس قاصراً على الإنسان فحسب بل أن كل شيء في هذا الكون يسبح بحمد ربه عز وجل قال تعالى في ذلك : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۝٤٤ ﴾ . فسبحان الله وبحمده وسبحان الله العظيم ما دام ملك الله تعالى أبداً .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُنُورٌ حَمْدُهُ) . (رَدُّر)

إذن فهذه الكلمة شأنها عظيم لما فيها من جمع بين أمرين لا يستحقهما إلا الله تعالى، ولذلك قال فيها ﷺ حين سُئِلَ أي الكلام أفضل فقال ﷺ : (سبحان الله وبحمده) . وفي رواية قال ﷺ : (أحب الكلام إلى الله ما اصطفاه الله لملائكته سبحان الله وبحمده) وفي لفظ : (سبحان ربي وبحمده) .  
وفي رواية أنه ﷺ قال لأبي ذر رضي الله تعالى عنه : (ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله، قال : أخبرني يا رسول الله، قال : إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده) [مسلم] .

وفي الحديث النبوي الشريف المشهور في بيان فضلها قوله ﷺ : (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) [متفق عليه] .

فهي كلمة يسيرة في القال عظيمة في الأجر يجب على المسلم أن يلزمها وأن يحرص عليها في كل صباح ومساء، لما فيها من الأجر العظيم مصداقاً لقوله ﷺ : (من قال حين يصبح وحين يمسي : سبحان الله وبحمده مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه) [مسلم] . وفي الحديث النبوي الشريف الآخر قوله ﷺ : (أعجز أحدكم أن يكسب في اليوم ألف حسنة؟، فسأله سائل : كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟، قال : يسبح الله مائة تسبيحة، فيكتب له ألف حسنة، ويحط عنه ألف خطيئة) [أحمد وغيره] .

ومن عطاء وفضل هذه الكلمة أيضاً قوله ﷺ : (من قال : سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة) [الترمذي والنسائي وصححه الألباني والحاكم] . فلو أن المرء قالها مثلاً في يومه على الأقل (٢٠٠) مرة فقط في الصباح

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

والمساء فهذا يعني أن له في الجنة (٢٠٠) نخلة، في اليوم الواحد وبذلك يكون له في كل شهر (٦٠٠٠) نخلة، وفي السنة (٧٢٠٠٠) نخلة، فكم يا ترى سيكون للمسلم في مدى عمره وكيف لو أنه كل يوم قالها أكثر من (٢٠٠) مرة . الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً .

وهذه الكلمة هي من التسبيح الجامع الذي حرص عليه ﷺ ففي قصة أم المؤمنين جويرية رضي الله تعالى عنها حين خرج من عندها ﷺ بكرة (أي أول النهار) ثم رجع إليها بعد أن أضحى وهي جالسة فقال لها ﷺ : ما زلت على الحال التي فارقتك عليها، قالت : نعم، قال : لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته) [مسلم] .

إذن فهذه الكلمة كما تبين لنا من خلال هذه الأحاديث، قد جمعت بين عدل الله تعالى وفضله سبحانه، أي جانبي (العدل والفضل) :

- فجانب العدل لأنهما كلمتان خفيفتان على اللسان وهما كذلك بالفعل .
- وجانب الفضل لكونها ثقيلتان في الميزان بفضل الله تعالى .

فكانت النتيجة أنهما حبيبتان إلى الرحمن، لأن فيهما تسبيح بحمد وحمد بتسبيح . ولذا اصطفاهما سبحانه لملائكته الكرام ليذكروهما بهما، وبالتالي فكان الجزاء عليها عظيم عند الله عز وجل . اللهم اجعل ألسنتنا رطبة بذكرك يا الله .



مَنْزُورٌ حَقٌّ . (مَنْزُورٌ) ..... مَنْزُورٌ حَقٌّ . (مَنْزُورٌ)

٩- سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر

قال ﷺ في الحديث النبوي الشريف : (لأن أقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس) [مسلم] .

وهذا صحيح ولا شك لأن الشمس إنما تطلع على كل زائل في هذه الدنيا، أما بقاء أثر تلك الكلمات فهو عطاء دائم باقٍ في الجنة . وبهذا المعنى أيضاً ما رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ مر به وهو يغرس غرساً، فقال : يا أبا هريرة ما الذي تغرس ؟ قلت غرساً لي، قال : ألا أدلك على غراس خير لك من هذا ؟ قال : بلى يا رسول الله، قال : قل : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة) [ابن ماجه وصححه الألباني والطبراني في الأوسط والسيوطي في الجامع وغيرهم] .

وفي الحديث الآخر قوله ﷺ : (لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال : يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) [الترمذي وصححه الألباني وأحمد والبخاري في الثلاثة وابن الأثير في الجامع] .

ذلك هو الغرس الحقيقي الباقي أثره ولا ريب، ولذا سماهن ﷺ بالباقيات الصالحات وهن كذلك، ففي حديث طويل قال فيه ﷺ : (..ألا وإن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، هن الباقيات الصالحات) [أحمد واللفظ له والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب والألباني في الصحيحة] . وهذا يبين لنا ولا شك عظم هذه الكلمات عند الله تعالى . وفي حديث نبوي شريف عظيم النفع قال فيه ﷺ : (بخٍ بخٍ لخمسٍ ما أثقلهن في الميزان، لا إله إلا الله والله أكبر

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (مُرَادٌ) ..... (مُنَزَّهٌ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (مُرَادٌ)

وسبحان الله والحمد لله والولد الصالح يُتوفى فيحتسبه والداه..)[النسائي في الكبرى وأحمد والحاكم وابن حبان والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب]<sup>١</sup>. كلمات جليلة ثقيلة يجبها الله سبحانه، لما حوته من أمور عظيمة هي ليست بحال إلا لله جل جلاله، وهي :

أ- التسبيح لله القدوس جلت عظمته . وهو التنزيه من كل عيب ونقص، ولا قداسة إلا له عز وجل في علاه .

ب- الحمد لله سبحانه . بالاعتراف الكامل بأنه لا محمود بحق إلا هو الواحد الأحد الفرد الصمد، المستحق لكمال الحمد دوماً لا سواه .

ج- التوحيد له عز وجل . بإفراده بالعبودية جل شأنه لا شريك له في ذلك .

د- التكبير . بأنه جل في علاه أكبر من كل شيء، لأنه تعالى خالق كل شيء سبحانه ومحمده .

لذلك كانت هذه الكلمات الأربع أحب الكلام إلى الله جل جلاله وأفضلها وأطيبها، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ : (أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت)[مسلم] . وفي رواية ابن ماجة : (أفضل الكلام) . وفي رواية أحمد : (أطيب الكلام) .

ولعظم هذه الكلمات ولحب ربنا ومولانا جلت عظمته لها لاستحقاقه الكامل لمضمونها؛ حث رسول الله ﷺ علي لزومها وحرّص على ذلك، ففي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (من قال : سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله

---

<sup>١</sup> وتتمة الحديث : (... بخ بخ لخمسن من لقي الله مستيقناً بهن دخل الجنة، يؤمن بالله واليوم الآخر وبالجنة والنار والبعث بعد الموت والحساب) . وكلمة بخ بخ تقال عند المدح، ومعناها تعظيم الأمر وتفخيمه .

## مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَدُّ رَدِّ) ..... (مَنْزُورٌ مَحْنَانٌ) . (رَدُّ رَدِّ)

أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال الله : أسلم عبدي واستسلم) [الحاكم والبوصيري في الاتحاف والسيوطي في الجامع] .

لذا كانت من أهم الأذكار عقب الصلوات الخمس المكتوبة مباشرة . ففي الحديث النبوي الشريف أن فقراء المسلمين جاءوا إلى رسول الله فقالوا له : يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور "بالدرجات العلى والنعيم المقيم" فقال ﷺ : وما ذاك ؟ قالوا : يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق، فقال رسول الله ﷺ : (أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم، قالوا : بلى يا رسول الله، قال : تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة) [متفق عليه . والدثور الأموال] <sup>1</sup> .

وليس ذلك فحسب ! بل أن لتلك الكلمات شأن عجيب تجعل المسلم دائم التعلق بالله عز وجل، كما أنها ترفع عنه عناء تعب الدنيا ونصبها .

ففي وصية نبوية عظيمة من سيد الخلق رسول الله ﷺ لأحب بناته إليه، وهي فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها حين جاءت إليه ﷺ تشكو وتسأله خادماً، فقال لها : (ما ألفتيه عندنا، قال : ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم، تسبحين ثلاثاً وثلاثين وتحمدين ثلاثاً وثلاثين وتكبرين أربعاً وثلاثين، حين تأخذين مضجعتك) [مسلم] . وفي رواية عند أبي داود وأحمد زيادة (فقالت : رضيت عن الله عز وجل وعن رسول الله ﷺ) . وصية نبوية جامعة منه ﷺ لأمته، بها يخفف المسلم عن نفسه عناء تعب الدنيا ونصبها ومشقتها وكدحها المتواصل،

---

<sup>1</sup> وتمة الحديث : (فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثلنا، فقال رسول الله ﷺ : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّ . (لُزْزَقٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّ

بذكر أحب الكلام إلى الله تعالى وأطيبه وأفضله قبل ختام يومه . كما أن هذه الكلمات لعظم مكانتها عند الله تعالى فقد سبقت الملائكة الكرام ذكر الله تعالى بها في الطواف قبل أن يوجد البشر، وما ذاك إلا لعظيم فضلها .

ففي الأثر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : (حج آدم عليه السلام وطاف بالبيت سبعاً، فلقيته الملائكة في الطواف فقالوا : بَرَّ حجك يا آدم، أما إنا قد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام، قال : فما كنتم تقولون في الطواف ؟ قالوا : كنا نقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، قال آدم عليه السلام : فزيدوا فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال : فزادت الملائكة فيها ذلك، قال : ثم حج إبراهيم عليه السلام بعد بنيانه البيت، فلقيته الملائكة في الطواف فسلموا عليه، فقال لهم إبراهيم : ماذا كنتم تقولون في طوافكم ؟ قالوا : كنا نقول قبل أبيك آدم : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فأعلمناه ذلك، فقال آدم عليه السلام : زيدوا فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله، فقال إبراهيم : زيدوا فيها العلي العظيم، قال : ففعلت الملائكة ذلك)[أخبار مكة للأزرقي والفاكهي] .  
والمحصلة ! لو أن المسلم في يومه سبح وحمد وكبر وهلل الله جل في علاه، كل تلك الأعداد عقب الصلوات المكتوبة، وعند النوم فقط دون سائر التسبيح المطلق، لكان له بعدادها غراساً في الجنة، ففي اليوم الواحد يحصل على (٦٠٠) غرسة وشجرة، وفي الشهر قرابة (١٨,٠٠٠) غرسة في الجنة، وفي السنة (٢١٦,٠٠٠) غرسة في الجنة، وعند الله تعالى للآتقى المزيد .

وكل ذلك يمكن أن يحصله المسلم بكل سهولة ويسر ! بالمحافظة على كلمات خفيفة على اللسان، ولكنها ثقيلة في الميزان حبيبة إلى الرحمن . فالحمد لله الذي أمر بالقليل من العمل وكان جزاؤه كثير من الثواب الجزيل .



## ١٠ - الأذان

لو أمعنا النظر في كلمات الأذان حين سماعه لوجدناها داعية إلى حقائق جمة، بل إلى فضائل وعموم خيرات وقل من يتفطن لها .  
ولذلك أمرنا ﷺ في الحديث بالاستماع للأذان والتركيز حال سماعه بل والترديد معه حتى يعي المسلم لما في تلك الألفاظ من معاني ومضامين .  
كما أمرنا ﷺ بأن يتولى القيام به من كان شجي الصوت حسن الأذان، حتى يوقعه في المسامع فتتأثر من وراء ذلك القلوب . وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ في قصة تشريع الأذان : (إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت، فليؤذن به، فإنه أُنْدى صوتاً منك) [أبو داود والترمذي وابن ماجه]¹ .

---

¹ والحديث بتمامه : عبد الله بن زيد، قال : لما أمر رسول الله ﷺ بالناقوس يعمل ليضرب به للناس لجمع الصلاة طاف بي وأنا نائم رجل يحمل ناقوساً في يده، فقلت : يا عبد الله أتبيع الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ فقلت : ندعو به إلى الصلاة، قال : أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك ؟ فقلت له : بلى، قال : فقال : تقول : الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، قال : ثم استأخر عني غير بعيد، ثم، قال : وتقول : إذا أقمت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، فلما أصبحت، أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، بما رأيت فقال : إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت، فليؤذن به، فإنه أُنْدى صوتاً منك، فقامت مع بلال، فجعلت ألقيه عليه، ويؤذن به، قال : فسمع ذلك عمر بن الخطاب، وهو في بيته فخرج يجر رداءه، ويقول : والذي بعثك بالحق يا رسول الله، لقد رأيت مثل ما رأى، فقال رسول الله ﷺ : فله الحمد) .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّ . (الْمُرْقَبُ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَدُّ)

والأذان في حقيقته نداء وهو أصدق نداء ولا ريب، لأنه نداء من الله تعالى وإلى الله عز وجل، فهو نداء حق ويدعو إلى الوقوف بين يدي الحق في أطهر البقاع، وهي المساجد والمسلم حينها في أبهى زينة وأحسن هيئة وهو طاهر نظيف متهيء للقاء ربه العظيم العلي الأعلى في قدسه .

ونلاحظ أن هذا النداء يُلقى على مسامعنا خمس مرات في اليوم، وهو بذلك يتوالى على مسامعنا بعد كل ساعات معدودة . وبالتالي فلو تدبره المسلم، وأنصت له، واستمع للمؤذن بحق لما صداً قلبه، ولا خبثت نفسه لأنه يحرك النفوس، ويثير مشاعر القلوب وينفض عنها ركام الشواغل والمشاكل الدنيوية . ولتدبر معاً معنى تلك الكلمات والألفاظ :

الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر . تعني : أيها الناس أن الله أكبر من كل شيء، لأنه خلق وذراً وبرأ وأعطى وأنعم، وعلى خلقه تفضل، فاتركوا ما في أيديكم من مشاغل وأمور وهلموا إلى ذكر الله تعالى، والوقوف بين يديه سبحانه، لأن الله أكبر من كل شيء وهو أكبر من مشاغلكم ومن أمور دنياكم ومن السعي خلف أرزاقكم، ولئن كانت كل تلك الأمور كبيرة إلا أن الله تعالى أكبر من كل ذلك فهلموا إلى ذكره وعبادته والوقوف بين يديه، ليمنحكم رضاه ورحمته وبركته، ويعينكم على أمور دينكم ودنياكم، هلموا إلى لقاء ربكم والوقوف بين يدي الحضرة الإلهية<sup>١</sup>؛ رب الأرباب إله الحق والصدق ولا تزهّدوا في ذلك . ثم يكرر المؤذن لفظ الله أكبر أربع مرات، ليؤكد المعنى في النفس ويثبتته في القلب فيتغلغل في كل الجسد .

---

<sup>١</sup> الذي أقصده هنا بكلمة الحضرة الإلهية : (الحضور والمثول بين يدي الله تعالى الإله الحق حال لقائه عز وجل في الصلاة بوقوف المصلي خاشعاً له سبحانه) .

## مَنُورٌ جَنَانٌ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ جَنَانٌ . (رَدُّر)

أشهد ألا إله إلا الله . أشهد ألا إله إلا الله . تعني : أنه لا معبود بحق في هذا الكون وفي هذه الدنيا إلا الله، الخالق الرازق المدبر المتصرف، فاعبدوه حق عبادته ولا تلتفتوا إلى غيره ولا تسألوا سواه، ولا تتوكلوا وتعتمدوا على غير الله تعالى، لأن الكون بما وبمن فيه خلق من خلقه، يدبره ويصرفه كيف يشاء، فاعبدوه وعظموه واذكروه وكونوا في معيته يكن معكم، فيحفظكم ويرعاكم ويوفقكم ويحل رضاه بكم، وينزل بركاته عليكم ويوسع الأرزاق ويحيطكم برحمته، فأطيعوه وأقيموا شرعه تفلحوا . ثم تكرر هذه الشهادة مرتين للتأكيد والتدبر والاعتبار .

أشهد أن محمداً رسول الله . أشهد أن محمداً رسول الله . تعني : أن محمداً ﷺ هو رسول الله الخاتم لعالم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام . لذا وجب على الكل طاعته واتباع هديه ولا يسع أحداً الخروج عن مقتضى ذلك أبداً لأن به انقطع خبر السماء، وتوقف الوحي فلا تشريع بعده نزل، ولا حكم تغير أو نسخ وتبدل، وعليه فلا حبل للعباد مع رب السماء والأرض جل في علاه إلا من خلاله وعن طريقه، وكل ما سوى ذلك فهو منسوخ وموقوف العمل به لما طرأ عليه من تحريف وتبديل وتغيير .

فهو النبي الحق المرسل إلى عموم الثقلين من جن وإنس، ودينه هو الباقي على مرّ الزمان، وشريعته الثابتة للخلق أجمعين . هذا هو إمامكم ونبيلكم ورسولكم وحيبيكم وقائدكم إلى جنان رب العالمين، وأسوتكم في الدنيا ومخلصكم وشفيعكم عند ربكم، فاقتدوا به وتأسوا، ولا نجاة لأحد إلا بذلك، لأن الله تعالى ختم به الرسل وأكمل به الدين وأنزل عليه كتابه المتين، أفضل الكتب السماوية، والمهيمن على سائر الكتب السابقة له، وشرع لنا خير شرعه إلى يوم الدين فالزموا طريقه تفلحوا، لأنه لا طريق يوصل إلى الرحمن وإلى أعلى الجنان إلا به . ثم تكرر ...

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... الْمَرْقَبُ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

حي على الصلاة . حي على الصلاة . تعني : يا عباد الله أجيئوا النداء وهلموا إلى الصلاة، وإلى الذكر والعبادة، إلى ما يحبيكم ويرضي ربكم عنكم، ويحل بركته عليكم، هلموا إلى قوام الدين، وأحب الأعمال إلى رب العالمين، وركن الإسلام الركين، اسعوا إلى المساجد أطهر البقاع، وخير الأماكن على وجه الأرض، لكي تلقوا ربكم وتعبدوه ثم تسألوه وتدعوه وتطلبوه من أمور دينكم ودنياكم لما ترجوه، حيا إلى الموقف العظيم لتقفوا أمام الرب العظيم الذي لا تنفعه عبادتكم ولا صلاتكم، ولكنه تعالى يريد أن يمتن عليكم ويمدكم بالنعم، فخيركم لكم لا خيركم له ونفعه لكم لا نفعكم له، حيها للقاء من يعينكم على أمور دنياكم، ومن ثم ليوصلكم إلى الجنة لتسعدوا بها، وهو عن كل ذلك غني لا ينتفع بشيء من عبادتكم أبداً، ولا يضره تقصيركم أبداً حيا لتحصلوا على الخير وعلى الرضى وعلى الرحمة وعلى التوفيق وعلى البركة من لدن ربكم الكريم .

حيها إلى الصلاة التي هي العبادة الحققة، أعلنوا من خلالها ولاءكم الدائم لله تعالى، واهتمامكم بأمور دينكم المتواصل، قفوا بين يدي الله تعالى ليرحمكم ويحفظكم ويرعاكم ويكلأكم ويرضى عنكم . ثم تكرر هذه العبارة مرتين للتأكيد والتدبر والاعتبار .

حي على الفلاح حي على الفلاح . تعني يا عباد الله افهموا أن هذا اللقاء الذي نوديتم له نفعه لكم وخيره لكم ونعمه ونعيمه، فهو الفلاح بعينه ولا فلاح بغيره أبداً، فمن أضاع الصلاة فقد أضاع الفلاح والفوز والنجاح، بل قد أضاع الدين كله، فأضاع الدنيا والآخرة، من علم ذلك منكم فليسعى إلى الفلاح ولما فيه منفعة في أمور دينه ودنياه، لأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر، فإن فرطت في معيَّته وعبادته أضاعك وفرَّق عليك أمرك وشتت عليك شملك ونزع البركة منك

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّرٌ ..... (الْمُرُورُ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّرٌ

وحرملك الرحمة وسلط عليك الدنيا تهلكك، فلا أنت حصلتها وارتحت ووجدت السعادة فيها، ولا أنت كسبت الآخرة التي بيدك قد فرطت في تحصيلها بتفريطك وتقصيرك، فلا فلاح عن الله تعالى أبداً، بل الفلاح كل الفلاح من الله وفي الله وعلى الله وإلى الله ومع الله فكونوا معه تفلحوا في الدنيا والآخرة . ثم تكرر هذه العبارة مرتين للتأكيد والتدبر والاعتبار .

دعوة صدق وبر، تحتاج لمعونة من الله تعالى . لذا جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (إذا قال المؤذن : الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم : الله أكبر الله أكبر، ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله، قال : أشهد أن لا إله إلا الله، ثم قال : أشهد أن محمداً رسول الله قال : أشهد أن محمداً رسول الله، ثم قال : حي على الصلاة، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال : حي على الفلاح، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال : الله أكبر الله أكبر، قال : الله أكبر الله أكبر، ثم قال : لا إله إلا الله، قال : لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة) [مسلم] . لماذا ؟

لأن المسلم لا حول له ولا قوة في المحافظة على الصلاة في وقتها جماعة وبصفة دائمة ومستمرة ما لم يعنه الله تعالى ويوفقه، وهو أمر كبير بحق .

لذا وصفه ﷺ بالرباط، ففي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط) [مسلم] .

الله أكبر الله أكبر . لا إله إلا الله . تعني : تذكروا في نهاية النداء أن الله أكبر من كل أمور الدنيا، التي أشغلت بزینتها الكثير، وألهت بزخرفها الكثير، وفتنت

## مَنُورٌ مَحْفَافٌ . مُرَرٌ ..... مُزَوَّبٌ ..... مَنُورٌ مَحْفَافٌ . مُرَرٌ

ببهرجها الكثير، تذكروا أن الله تعالى أكبر من كل ذلك، وتذكروا أنه لا إله إلا هو سبحانه وتعالى، فاعبدوه واذكروه وأشكروه وأحمدوه واسعوا إليه لتنالوا الرفعة والتوفيق في الدارين سواء .

وإذا كان هو ربكم وخالقكم ورازقكم فلا تنشغلوا عنه أبداً، لا تنشغلوا عنه بالدنيا فتضيعوا في الدنيا والآخرة .

لا إله إلا الله أي لا تعظموا في دنياكم إلا الله الرب الخالق الرازق المعطي الجواد الوهاب المتفضل الكريم سبحانه وتعالى عما يصفون .

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (إن الشيطان إذا نودي للصلاة ولي وله حُصاص) [مسلم . وفي رواية : (وله ظراط)] .

حتى لا يسمع الأذان، وفي ذلك دليل على أن الأذان مطردة للشيطان الرحيم بكل حال، لأن فيه كلمات الحق ترفع على الأسماع وتصدح بها الأفواه، فتطرد جنود إبليس الرجيم .

ثم تفكر أخي وتدبر وانظر وأمعن النظر في معنى قوله ﷺ حين وصف الأذان بقوله ﷺ : (من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة) [البخاري] .

دعوة تامة بالفعل تدعو لتدبر ألفاظه وماعنيها، والتأمل والاستماع له والانصات، لأن فيه دعوة الحق إلى الحق وللحق، وهي من الله عز وجل وإلى الله تعالى، وفي كل ألفاظه مجمع تعابير الصلاح والفلاح والنجاح للمسلم في كل أمور دينه ودنياه .

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَرَر) ..... (لُزْزُز) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَرَر)

لذا قال ﷺ في الحديث النبوي الشريف : (من قال حين يسمع المؤذن :  
أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت  
بالله ربا وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً، غفر له ذنبه) [مسلم] .  
الأذان دعوة تامة لأن به صلاح أمور الدين والدنيا سواء، لأنه يدعو إلى  
الحضور والوقوف بين يدي الحضرة الإلهية ليبقى المسلم في معية الله عز وجل،  
وبالتالي سيفيض سبحانه عليه من رحماته وبركاته ورضوانه وعطاءاته وتوفيقه فيوفقه  
جل شأنه لكل ما يحبه ويرضاه في دنياه ولما يوصله للسعادة في آخره .  
هو بحق دعوة تامة لأنه يدعو لامتنال ما أمر الله تعالى به الذي سيصلح لنا  
أمر ديننا ودنيانا وآخرتنا سبحانه وتعالى وجلت عظمته، ونسأله تعالى العون على  
تدبر ألفاظ الأذان عند سماعه وأن يفتح شغاف قلوبنا للحق .



مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (مُرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (مُرَارٌ)

## ١١ - الكلمة الطيبة

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه المجيد : ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت] . وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (الكلمة الطيبة صدقة) [البخاري] .

وفي الحديث الآخر قوله ﷺ : (إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنهما من ظاهرها، فقام أعرابي فقال : لمن هي يا رسول الله، قال : لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام) [الترمذي واللفظ له وأحمد والحاكم والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب وصححه الألباني من حديث الترغيب والترهيب] .

هذه الآية وهذين الحديثين أفادوا إجمالاً أن الكلمة الطيبة بها يكون كسب النفوس والتأثير عليها واستمالة القلوب والفوز بودها .

ومعنى الآية : (ادفع السيئة عنك، بالتي هي أحسن من الكلام الطيب، الذي تصير عدوك اللدود صديق حميم لك) .

لأن المرء يعبر عما بنفسه فينجيها أو يوبقها ويوردها المهالك، وكما قالت العرب : (رب كلمة قالت لصاحبها دعني) .

والكلام كما قيل (بعضه دواء وبعضه داء) والعاقل؛ لسانه وراء عقله، والأحمق؛ عقله وراء لسانه، لذا حث نبينا الكريم ﷺ وحذر في نفس الوقت من عاقبة الكلام ما لم يكن بذكر الله تعالى ومرضاته . قال الشاعر :

يموت الفتى من عشرة بلسانه	وليس يموت الفتى من عشرة الرجل
فعرثته بلسانه تودي بنفسه	وعرثته بالرجل تبرأ على مهل

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (لُزُوقُ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

ولنا في حديث معاذ رضي الله تعالى عنه؛ المشهور موعظة كبرى أظهر خلالها ﷺ عظم خطورة اللسان على سائر بدن الإنسان، بل وأظهر مدى تأثيره المباشر على استقامة المسلم ومدى حفاظه على دينه بوجه عام من عدم ذلك .

فعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال : (كنت مع رسول الله ﷺ في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقلت : يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال : لقد سألت عظيماً وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت، ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير، الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ النار الماء وصلاة الرجل من جوف الليل، ثم قرأ : ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة] حتى بلغ : ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة] . ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه الجهاد، قلت : بلى يا رسول الله، قال : رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد . ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله، قلت : بلى، فأخذ بلسانه ثم قال : كفّ عليك هذا، فقلت : يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم) [الترمذي والنسائي في الكبرى وابن ماجه وأحمد والحاكم] .

حديث عظيم النفع كثير الفوائد بين لنا ﷺ من خلاله أمور مهمة، يخصنا منها هنا ثلاثة أمور :

١- أن حفظ اللسان يعدل كل تلك الأعمال الصالحات . لذا بيّن ﷺ بأنه ملاك ذلك كله بعدما عدد لنا ﷺ عبادات كثيرة .

## مَنُورٌ حَمَانٌ . (مُرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمَانٌ . (مُرَارٌ)

٢- أن كل تلك الأعمال الصالحات المتعددة والمتنوعة إنما جاءت من حيث الجملة لتهذب وتقوّم سلوك الإنسان من حيث العموم، يأتي على رأس ذلك حفظ اللسان وكفه عن القول المحرم . لذا قال ﷺ : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) [متفق عليه] .

٣- تهاون الناس في حفظ ألسنتهم رغم خطورة ذلك الأمر، وظنهم أن سلامة القلب تكفي المسلم وإن تجاوز بلسانه الحدود الشرعية، حتى الصحابي معاذ رضي الله تعالى عنه ظن ذلك، فبين له ولنا رسول الله ﷺ أن اللسان به يكون ملاك الأعضاء كلها . لذا قال ﷺ في الحديث النبوي الشريف الآخر : (إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول : اتق الله فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا) [الترمذي وصححه الألباني وأحمد والطيالسي والبيهقي في الشعب] .

واللسان هنا كما لو كان سيد الجوارح بل هو كذلك . لذا نجد أن عموم الأعمال الشرعية تنقسم إلى قسمين :

١- أقوال . وهي تخص اللسان وحده .

٢- أفعال . تعم جميع الجوارح الأخرى .

وبالتالي فكان اللسان له النصيب الأكبر من الأعمال الصادرة عن المسلم، سواء الصالح منها أو الفاسد . لذا كان اللسان قائد المرء إما إلى النجاة والفلاح، وإما إلى الهلاك والبوار والوبال .

والكلمة الطيبة والرفق واللين والمعاملة بالحسنى كل ذلك يؤتي ثماراً طيبة ونتائج حميدة تنعكس على سلوك الناس أجمعين، وبالعكس ذلك فالبذاء والجفاء والغلظة وسوء الخلق لها آثار خبيثة وعواقب وخيمة .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... مُزَوَّبٌ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار)[الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني وأحمد وابن حبان والطبراني في الكبير . والبذاء هو الفحش في القول] .  
والمسلم باستطاعته بذل الندى من كلمة طيبة وتعامل رفيع مع الآخرين، أو بعكس ذلك بكلمة سيئة خبيثة وتعامل أجوف غليظ، وفي محكم التنزيل قوله جل شأنه : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ۝٨٣ ﴾ [البقرة] . دعوة من الله سبحانه وتعالى لمعاملة الخلق بالحسنى، وأول ذلك هو القول الحسن .

اللسان هو مرتبط فرس الإنسان به يحيا وبه يموت، به يسعد وبه يشقى . لذا قال ﷺ : (إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم)[البخاري] . وفي الحديث النبوي الشريف الآخر قوله ﷺ : (إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوي بها سبعين خريفا في النار)[الترمذي وابن ماجه] .

والمحصلة ! أن الكلمة الطيبة رباط يربط المسلم بربه سبحانه، ويربطه بعموم البشر من حوله، كما أن الكلمة الخبيثة قاطع لذلك الرباط بكل حال . اللهم احفظ جوارحنا علينا واحجزها عن المعاصي وجميع السيئات .



## الباب الثاني : في رحاب الأركان

- ١ - مراتب الدين الإسلامي
- ٢ - حقيقة أركان الإسلام
- ٣ - الوضوء (طهارة الروح والبدن)
- ٤ - مكانة الصلاة
- ٥ - عطاءات ومنح الصلاة
- ٦ - جزاء الصلاة (الصلاة وحدها جنة)
- ٧ - مقام القنوت منزلة الفاتحة (حوار بين العبد وربّه)
- ٨ - مقام الركوع
- ٩ - مقام الخضوع الكامل (منزلة السجود)
- ١٠ - مقام التشهد
- ١١ - الزكاة (طهر ونقاء)
- ١٢ - الصدقة (صلة بالناس وبرب الناس)
- ١٣ - المال (أحد النجاتين)
- ١٤ - الصوم (صحة وائتزان)
- ١٥ - الحج (لبيك الله هم لبيك)

مَنْزُورٌ حَقٌّ . (مَرْر) ..... (مَنْزُورٌ) ..... مَنْزُورٌ حَقٌّ . (مَرْر)

## ١ - مراتب الدين الإسلامي

جاء في السنة النبوية المطهرة حديث نبوي شريف يعرف بحديث جبريل عليه السلام، ففي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : (بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبته إلى ركبته، ووضع كفيه على فخذيه، وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال : صدقت، قال : فعجبنا له يسأله، ويصدقه، قال : فأخبرني عن الإيمان، قال : أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال : صدقت، قال : فأخبرني عن الإحسان، قال : أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال : فأخبرني عن الساعة، قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال : فأخبرني عن أمارتها، قال : أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، قال : ثم انطلق فلبثت ملياً، ثم قال لي : يا عمر أتدري من السائل ؟، قلت : الله ورسوله أعلم، قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) .

حديث عظيم النفع جم الفوائد، والذي يهمنا منه هنا مسألة مراتب الدين التي وردت فيه، وهي : (الإسلام، والإيمان، والإحسان) .

فالإسلام بمعناه العام هو الإستسلام لله عز وجل، والإيمان بمعناه العام هو التصديق، والإحسان بمعناه العام المراقبة .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّ . (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَدُّ)

الإسلام هو الأعمال الظاهرة، من صلاة وزكاة وصيام وحج وما إلى ذلك، والإيمان يقين قلبي لكل الغيبات، من ملائكة وجنة ونار وقدر وما إلى ذلك، وكلاهما مما يصدر عن العبد، والإحسان استحضار العبد رقابة الله سبحانه عليه .

الإسلام مع النفس اعتراف لله بكل ما يستحقه سبحانه، والإسلام مع الله استسلام له جل جلاله، والإسلام مع الآخرين كف الأذى، وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) [متفق عليه] .

الإسلام دين الله تعالى، لا دين غيره يقبل، وفي الذكر الحكيم : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۝١٦ ﴾ [آل عمران] . وضد الإسلام الكفر قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٨٥ ﴾ [آل عمران] . وهو ثابت لا يزيد ولا ينقص، وزواله بالكفر جملة وحدة .

أما الإيمان فهو يسبق الإسلام، فالمرء يؤمن ويصدق بالله تعالى وبكل ما شرع، ومن ثم يسلم وجهه لله سبحانه وينقاد بالأعمال الظاهرة .

الإيمان لا يكمل إلا بالإحسان معاً حين يستحضر المؤمن رقابة ربه جلا في علاه عليه دوماً، فكلما قوي إيمانه استحضر الرقابة، والعكس صحيح . وكلما ضعف إيمانه غفل عنها، والعكس صحيح أيضاً .

الإيمان مع النفس تصديق، ومع الله تعالى يقين، ومع الناس ثقة وأمانه، وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (والمؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم) [الترمذي والنسائي وابن ماجه] .

الإيمان هداية وبصيرة، وفي القول الحق : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ۝١١ ﴾ [التغابن] . وضد الإيمان الفسوق، وفي الذكر الحكيم : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا ۚ لَا يَسْتَوُونَ ۝١٨ ﴾ [السجدة] . وهو يقوى ويضعف، ويزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

أما الإحسان فهو مرتبة عليا يكمل فيها إسلام القلب والجوارح لله تعالى، كما يكمل فيها إيمانها بالله رب العالمين، فينقادان له ولمرادده جل في علاه .  
الإحسان بلوغ أعلى درجات اليقين، فيتعدى خير المرء لغيره من الناس ويفيض عليهم، ويكف شره عن نفسه وعن الجميع .

الإحسان مع النفس كمال يسعى إليه المرء دأباً، ومع الله تعالى حضور لا يغيب عنه أبداً، ومع الناس خير يشملهم دوماً، وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد، يعني مسجد المدينة، شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله عز وجل قلبه أمناً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى أثبتها له أثبت الله عز وجل قدمه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام)[الطبراني في معاجمه الثلاثة والمندري في الترغيب والترهيب وحسنه الألباني] .

الإحسان سلوك مستقيم ومنهج قويم، به تتحقق الاستقامة على الوجه الصحيح، وفي الكتاب العزيز : ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة) . ويكثر الإحسان بالبذل والعطاء، ويقل بعدم ذلك .

والخلاصة ! فضياع الإسلام يعني ضياع الإيمان والإحسان معه، وضياع الإيمان يضيع معه الإحسان، مع بقاء الإسلام، وضياع الإحسان يقصر المرء عن إدراك أعلى المنازل، مع بقاء الإسلام والإيمان . اللهم اجعلنا مسلمين لك مؤمنين بك محسنين فيك يا كريم .



مَنُورٌ جَنَانُهُ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ جَنَانُهُ . (رَدُّر)

## ٢ - حقيقة أركان الإسلام

يظن البعض من الناس أن دين الإسلام كله محصور في خمسة أمور هي التي قال فيها ﷺ : (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت) [متفق عليه] . فأكثر المسلمين لا يفهم هذا الحديث كما ينبغي ويعتقد أن الإسلام كله هو هذه الأفعال فقط، وهذا خطأ . ففي الحديث إشارة خفية لا يفهم معناها إلا من تدبره، فالمعنى المراد منه هو تحقيق ثلاثة أمور مهمة :

أ- أن هذه الخمسة أفعال ليست هي الإسلام، وإنما هي أركانه وأساسه التي تبنى عليها شرائعه الكثيرة والمتعددة التي شملت كل جوانب حياة المسلم .

ب- إن كل الأعمال الصالحات من (أقوال وأفعال) في الإسلام كلها يصب في هذه الخمسة أفعال فهي تنبثق منها وتعود إليها لأنها أسس شرائع الإسلام، قال طلحة رضي الله تعالى عنه : جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول حتى دنا من رسول الله ﷺ فإذا هو يسأل عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ : خمس صلوات في اليوم والليلة، فقال : هل علي غيرهن، قال : لا إلا أن تطوع، وصيام شهر رمضان، فقال : هل علي غيره، قال : لا إلا أن تطوع، وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، فقال : هل علي غيرها، قال : لا إلا أن تطوع، فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، فقال رسول الله ﷺ : أفلح إن صدق [متفق عليه] . والمعنى لو أن الأعرابي تمسك بذلك بالفعل والتزم به كما قال فإن تلك الأفعال الخمسة ستدله وستؤدي به إلى كل خير ونفع، لذا كان رده ﷺ عليه أن قال : (أفلح إن صدق) .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

ج- إن الإسلام هو دين الحياة أجمع تضمّن شرائع كثيرة لكل جنّبات ومناحي ونواحي الحياة فهو ليس دين مسجد فقط كما يعتقد البعض ويقول إنه ليس للإسلام أي تأثير على باقي جنّبات الحياة وميادينها .

هذا خطأ فادح ! فالإسلام لم يغفل عن أي شيء مما في حياة الإنسان أبداً بل إنه علمه كل شيء في حياته حتى كيف يقضي حاجته، وكيف يأتي زوجته، وكيف يأكل وكيف يشرب، وكيف يحكم دولة، وكيف يدير سلطة، علمه من أصغر صغير في حياته إلى أكبر كبير فيها، فهو سلوك قويم مشاع تغلغل في كل حياة وتصرفات المسلم الصغيرة والكبيرة .

إذن الإسلام في حقيقته منهج متكامل وشرع قويم يحقق قوام السلوك والأخلاق وصلاح القلوب والنفوس، ليحيي الإنسان الحياة المطمئنة . وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : ( اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ربكم ) [الترمذي وصححه الألباني والحاكم وأحمد وابن حبان والبيهقي في الشعب] . وفي رواية عند أحمد والطبراني في الكبير : ( اعبدوا ربكم وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وحجوا بيتكم، وأدوا زكاتكم طيبة بها أنفسكم تدخلوا جنة ربكم ) .

والخلاصة ! أن هذه الأفعال الخمسة هي أسس الدين الحق التي تنبع منها وفي نفس الوقت تصب فيها كل شرائع الإسلام عوداً على بدء . فاللهم اجعلنا ممن أسلم لك وآمن بك وتوكل عليك وسعى إليك وحقق شرعك وطبق منهجك .



مَنْزُورٌ حَقٌّ . (مَرْر) ..... (مَرْر) حَقٌّ . (مَرْر)

### ٣- الوضوء (طهارة الروح والبدن)

ورد في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (إذا توضأ العبد المسلم -أو المؤمن- فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجليه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقياً من الذنوب) [مسلم] . هذا الحديث بين لنا فيه ﷺ عظيم مكانة الوضوء، وأنه يعد من أكبر أسباب تكفير السيئات، وتنقية الجوارح من الذنوب والخطايا حتى مع آخر قطرات الماء التي تتساقط من الإنسان .

ولذلك حث ﷺ وحض على الاهتمام بالوضوء بقوله ﷺ : (من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده، حتى تخرج من تحت أظفاره) [مسلم] . فدلالة هذا الحديث أن على المسلم أن يحسن وضوءه وأن يهتم لذلك دوماً ليتطهر بطريقة صحيحة، فيلقى ربه عز وجل وهو نظيف حسياً بإزالة أوساخه عنه، ونظيف معنوياً بخروج خطاياه منه . وفعل الوضوء هذا عبادة تحصل من العبد في اليوم على الأقل خمس مرات في كل مرة يكفر الله تعالى عنه بها من خطاياه بذلك الوضوء . لذا عدّه ﷺ من أفعال الرباط التي يربط المسلم على فعلها عدة مرات يومياً، ويؤجر عليها إن شاء الله تعالى بقوله ﷺ : (ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره -إلى أن قال ﷺ- فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط) [مسلم]<sup>١</sup> .

<sup>١</sup> سبق الحديث بتمامه .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُنَزَّهٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

والوضوء بكل حال يعتبر عملاً صالحاً بإمكان المسلم البقاء عليه طوال يومه بالمحافظة على وضوئه، وبذلك يكون مستعداً لفجأة لموت بعمل صالح في أي زمان ومكان، لأنه متى مات على ذلك يكون حينها قد مات على طهر وهو عمل صالح في حد ذاته .

وفي الأثر عن السلف قولهم : (الوضوء سلاح المؤمن) . وقوله ﷺ أعلى وأولى : (ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن) [مالك وابن ماجه وأحمد والدارمي] . لأنه عمل صالح به يستعد المؤمن للقاء ربه سبحانه في كل وقت وحين .

كما أن الوضوء يعتبر من أسباب دخول الجنة، وقصة بلال رضي الله تعالى عنه معروفة حين قال له رسول الله ﷺ : (يا بلال بمَ سبقتني إلى الجنة ؟ ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي، دخلت الجنة البارحة فسمعت خشخشتك أمامي ... فقال بلال : يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن الله عليّ ركعتين، فقال رسول الله ﷺ : بهما) [الترمذي وصححه الألباني وأحمد والحاكم وابن خزيمة والبيهقي في الشعب . والخشخشة صوت النحاس أو حركة السلاح] . هذا الحديث بيّن لنا فيه ﷺ أن من أسباب دخول الجنة بل ومن أسباب السبق إليها المحافظة على الوضوء لأنه عمل صالح يُبقي المسلم في دائرة حفظ الله جلّت عظمته له .

وليس ذلك وحسب ! بل إن الوضوء سبيل لدخول الجنة من أي أبوابها الثمانية متى لحق به النطق بالشهادتين، وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (ما منكم من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقول حين يفرغ من وضوئه : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إلا

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (لُزْزَقٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء) [مسلم وأبو داود واللفظ له] . وفي رواية الترمذي : (من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين، فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء) . والوضوء عبادة بدنية مادية، ومعنوية حسية، فهو بذلك في حقيقة فعله يحقق ثلاثة أمور جميعاً :

الأول . يكون بغسل الأعضاء فيزيل عنها الأوساخ والروائح، لذا أمر ﷺ بإسباغها وتحسينه وحث على ذلك، بقوله ﷺ : (إسباغ الوضوء) . والإسباغ هو تعميم غسل الأعضاء بالماء لضمان نقائها، وهذه هي الطهارة المادية .

الثاني . أنه يغسل المسلم من ذنوبه ويطهره من آثارها، ويتركه طاهراً من كل ذلك، كما بين ذلك الحديث الأول، وهذه هي الطهارة المعنوية .

الثالث . أنه يبعث في النفس النشاط والحيوية فيزيل عنها عناء الكسل والوهن، وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث، يضرب كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، وإذا توضأ انحلت عنه عقدتان، فإذا صلى انحلت العقد، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان) [متفق عليه . والقافية مؤخرة الرأس] .

فدلالة الحديث أن الوضوء هو أحد الأسباب التي تبعث النشاط والحيوية في الجسم وتطرد الشيطان منه، ولا سيما حال المبالغة بالاستنشاق بغسل داخل الأنف وهو مكان بيات الشيطان لقوله ﷺ : (إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستنثر ثلاث مرات، فإن الشيطان يبيت على خياشيمه) [متفق عليه] .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَرَر) ..... (مَزَّوَج) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَرَر)

أضف إلى ذلك أن فعل الوضوء مطردة للشيطان الرجيم حال الغضب لقوله ﷺ : (إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ) [أبو داود وأحمد والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب] . وبالتالي فالوضوء هنا علاج من سورة الغضب .  
والمحصلة ! أن الوضوء عبادة تتحقق بفعلها أمور كثيرة للمسلم يكفي أنه قال فيه ﷺ : (الطهور شطر الإيمان) [مسلم . والشطر النصف] ، أي أن به يؤدي المسلم عبادات كثيرة لا تصح إلا بالوضوء، فيتقرب حينها العبد إلى الله تعالى .  
اللهم اغسل جوارحنا ونورها بنورك وامح حوبتنا وأملأ قلوبنا بالإيمان واليقين .



مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدِّ رَدِّ) ..... (مَنُورٌ مَحَنَانٌ) . (رَدِّ رَدِّ)

#### ٤ - مكانة الصلاة

عموم المسلمين يصلون لله تعالى خمس مرات في اليوم يتوجهون فيها جميعهم إلى الكعبة المشرفة لأداء نفس الأفعال والأقوال بين يدي الله سبحانه، وكلنا يعرف معنى الصلاة وكيفية أدائها، لكن ليس كل مسلم يعرف سر الصلاة وكنزها الثمين ومفهومها الفياض العظيم وما تحويه من مضامين كثيرة، فالصلاة في حقيقتها :  
رابط بين العبد وربّه، وهذا الرابط موجود في كل مخلوق، يرتبط بخالقه وموجده ووهابه، لأنه رابط دين يجده كل أحد في قرارة نفسه، حين يحتاج لمن يقويه ويعطيه ويلجأ إليه في كل الأحوال فهو رابط حاجة .

وهذه الحاجة لها ثمرة وعوائد معنوية ومادية للروح وللجسد، ولذلك كان الوقوف خمس مرات بين يدي الله تعالى له عطاءات وإشراقات ومنافع شتى، يجدها الإنسان ولا ريب في حياته من توفيق وبركة ورضا ونور وطمأنينة وما إلى ذلك .  
وحقيقة الصلاة أن فيها دوام إعلان الولاء والعبودية لله تعالى، وفيها عرض الصنعة على صانعها يصلحها ويهيئها ويفيض عليها بأنواع الرحمت والعطاءات والكرامات، ويمنحها من كل ما يقويها، ويمدها بأنواع الاحتياجات الجسدية والمعنوية، ولأن الله سبحانه وتعالى غيب جل في علاه لإصلاحه للإنسان على وجه الحقيقة كذلك غيب لا يعلم ذلك إلا هو سبحانه .

لنتذكر قوله ﷺ في الصلاة : (أرأيتم لو أن بواب أحدكم نهراً غمراً يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيئاً، قالوا : لا يا رسول الله، قال : كذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الذنوب والخطايا)[متفق عليه] .  
فالحديث يبين أن الصلاة طهر للجسد بالوضوء، وطهر للروح لأنها مكفرة للذنوب

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدِّ رَدِّ) ..... (مَنُورٌ مَحَنَانٌ) . (رَدِّ رَدِّ)

والآثام، وهي قربة إلى الله تعالى ومغضبة للشيطان، فهي نقاء وصفاء وعطاء للمسلم بحق .

والمرء حينما يمشي إلى المسجد ليؤدي الصلاة بهذه الكيفية سيجد لها بإذن الله تعالى ثمرة وعطاء، ولذة مناجاة، وحلاوة عبادة .

أما حينما يسعى إلى المسجد ليؤدي ما يراه عبء عليه وكُلف ليضعه عن عاتقه ويتخلص منه فهذا وأمثاله لن يجدوا ولن يصلوا لدرجة إدراك حقيقة عطاءات الصلاة ومنح الإله وحلاوة العبادة، وهذا هو حال الكثير من الناس مع شديد الأسف .

لنتفهم قوله ﷺ : (أرحنا بها يا بلال) [أبو داود وأحمد والطبراني في الكبير] .  
وقوله ﷺ : (وجعلت قرّة عيني في الصلاة) [النسائي وصححه الألباني وأحمد]¹ .  
فمضمون الحديثين أن الصلاة راحة، بل هي قرّة عين، لماذا ؟ لأن فيها لقاء الله تعالى والوقوف بين يديه عز وجل، ومناجاته وطلبه، والرباط والارتباط به، وأنس يأنس به ومعه العابد، كل ذلك لدقائق معدودة يسبق فيها الوقت والزمن .  
ولنتفكر في حال الغافلين كيف أن أحدهم يأنس بأنيسه وجليسه ساعات طوال لا يمل فيه، ولا يريد من أحد أن يقطع عليه حديثه ومجلسه، ولكنه حال الصلاة يعتبرها تكليفاً مرهقاً مع أنها لا تتجاوز دقائق معدودة ومع ذلك لا يستطيع أن يكون فيها مع الله تعالى فيقف أمامه موقف العبد المحب المقبل عليه عز وجل .  
وفي ذلك قال الشاعر :

حسب نفسي عزاً أني عبد	يحتفي بي في كل وقت رب
هو الأعز في قدسه لكن	أنا ألقى متى وأين أحب

¹ والحديث بتمامه : (حب إلي الطيب والنساء وجعلت قرّة عيني في الصلاة) .

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدِّدْ) ..... (اُنْزِعْ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدِّدْ)

والمعنى أنه كفى بالمسلم فخراً وعزاً أنه عبد لرب يأخذ خيره . هذه هي العبودية الحقّة حين يأخذ العبد خير سيده، وليس السيد الذي يأخذ خير عبده، فكونك أخي المسلم عبد لله تعالى الذي ينيلك خيره ويعطيك نعمه، ويحتفي بك للقاءه بالوقوف بين يديه في أي وقت كان، لا يمنعك ولا يحدد ذلك عليك، بل متى شئت، استقبل القبلة وقِف بين يديه سبحانه فهذا في حد ذاته عزاً لك .

حاول أخي التلذذ بالصلاة لأنك في الصلاة تقف بين يدي الحضرة الإلهية تقابل الله تعالى وتخطبه وهو جلت عظمته يرد عليك ولكنك لا تسمع، فجاهد نفسك قدر المستطاع في كل مرة وأنت في مثل هذا الموقف العظيم، الذي تقف فيه بين يدي الله تعالى وحاول أن تستحضر عظمته عز وجل وأنت تطيل الصلاة لأنك بين يدي ملك الملوك .

ثم انظر في حقيقة الصلاة تجدها لقاء مع ربك وسيدك الأعز الأكرم فلو أنك أردت مقابلة عظيم من عظماء الدنيا لسعيت إليه أولاً ولاستعددت لذلك باللباس والزينة ثم يُحدد لك الزمان والمكان ووقت اللقاء وماهية الموضوع استعدادات كثيرة، لكنك للقاء ربك أنت الذي تتحكم في كل ذلك فأنت الذي تحدد الزمان والمكان وكيفية وطول اللقاء مع ربك ثم إنه سبحانه وتعالى لا يمل حتى يمل العبد فيكون هو الذي يسلم وينتهي اللقاء مع ربه عز وجل مصداقاً لقوله ﷺ : (.. إن الله لا يمل حتى تملوا) [متفق عليه]<sup>١</sup> .

ولذلك كان بعض السلف يستوحش أن يسلم من الصلاة لأنه حينها سيقطع صلته بربه، فمثل هذه العبودية ولا شك ! خير ورفعة وعز للمسلم .

---

<sup>١</sup> والحديث بتمامه : (اكلفوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا) .

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدُّر)

ثم اعلم أخي أن أشرف الأوقات التي تقضيها في دنياك هي التي تقف فيها مع ربك في الصلاة وبين يديه، وبالتالي يستنير العبد بنور ربه سبحانه وتعالى فيجد من الفيوضات والرحمات والعطاءات الشيء الكثير، وبالأخص في وضع السجود الذي هو أقرب ما يكون العبد فيه من ربه عز وجل .

فكلما أطال العبد الصلاة وبالأخص أطال السجود كلما كان لقاءه مع ربه أطول في الموضع الذي هو فيه منه أقرب فيجد لذة ذلك، وإشراقاته وعطاءاته ومنحه الإلهية سبحانه ولا ريب، ولذلك قال ﷺ للرجل الذي جاءه وسأله مرافقته في الجنة فقال له ﷺ : (أعني على نفسك بكثرة السجود) [مسلم]<sup>١</sup> . فعلى المسلم أن يحاول قدر جده وجهده واجتهاده ألا يستعجل في إنهاء الصلاة، وليحاول أن يقضي أطول وقت ممكن مع ربه وبين يديه فتلك الأوقات كما قلت هي أرفعها وأشرفها .

ثم اعلم أخي أيضاً أن من أخص خصائص الصلاة أنها رجاء وطلب، يقف فيها العبد أمام ربه في كل مرة يطلبه ويسأله ويدعوه بما شاء ولذلك شرعت في كل وقت حتى في أحلك وأصعب الأوقات .

والغريب في الأمر أن بعض الناس حال الخوف والضيق والقلق لا يصلي بحجة أنه مشغول البال مكدر خاطر وهذا خطأ كبير منه، فالمسلم في تلك الأحوال هو أحوج ما يكون للصلاة وأدعى للوقوف بين يدي ربه تعالى ليعينه وينقذه ويفرج عنه ما أهمه، ولذلك لم تسقط الصلاة أبداً حتى حال القتال والمسلم أشغل ما يكون

---

<sup>١</sup> والحديث بتمامه : عن ربيعة بن كعب الأسلمي، قال : كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي : سل، فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة . قال : أو غير ذلك، قلت : هو ذاك . قال : فأعني على نفسك بكثرة السجود) .

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَرَر) ..... (مَزَّوَب) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَرَر)

حينها عن الصلاة، ورسول الله ﷺ هو قدوتنا الأولى في ذلك قال حذيفة رضي الله تعالى عنه : (كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة) [أبو داود وأحمد] .  
وحزبه أي أهمه شيء أو شغل باله هرع إلى الصلاة مباشرة، ليقف بين يدي ملك الملوك العظيم العلام معلناً كمال خضوعه وعبوديته له تعالى مجدداً الولاء له دوماً،  
سائلاً إياه ما أراد من أمور الدنيا والدين .

وبالمجاهدة مرة بعد مرة تجد نفسك قد عشقت الصلاة وإطالتها، وأحببت أن  
تقف أمام الله تعالى وبين يديه تعبده وتعظمه وترجوه وتدعوه وهو عز وجل في كل  
مرة يعطيك ويمنحك ويصلحك ويهبك ويفيض عليك ويغفر لك . اللهم أحسن  
وقوفنا بين يديك ولا تحزننا يوم العرض عليك .



مَنْزُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّ رَدِّ) ..... (مَنْزُورٌ حَمْدُهُ) . (رَدُّ رَدِّ)

## ٥- عطاءات ومنح الصلاة

تبين لنا معنى قوله ﷺ : (وجعلت قرة عيني في الصلاة) [النسائي وصححه الألباني وأحمد] . مما يعني أن أفضل الأوقات التي يقضيها المسلم هي تلك التي يكون فيها بين يدي الله جل في علاه في الصلاة .

غير أن السواد الأعظم من الناس لم يتذوق طعم ذلك اللقاء ولم يذوق حلاوة المناجاة والسبب في ذلك لأنه فرط في كل ما يخص الصلاة من استعداد لها، باللباس والزينة وطيب الرائحة، ومن حُسن وضوء، وإتيان بخشوع، وتبكير إليها وسعي للمساجد، وحرص على الجماعات، وعدم تفويتها وحرص على أداء السنن الرواتب والنوافل . وهذا كله يعين المسلم على الخشوع في صلاته .

فأول الأمر أن الله تعالى قد جعل للصلاة وقتاً محدداً قال فيه سبحانه : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ (١٢٣) [النساء] .

والمعنى أن لها وقتاً يجب عدم تجاوزه، وأفضل الصلاة ما كانت على أول الوقت مصداقاً لقوله ﷺ لما سُئِلَ أي العمل أحب إلى الله تعالى فقال ﷺ : (الصلاة على وقتها) [متفق عليه] لأن ذلك فيه دليل على اهتمام المسلم بصلاته وعشقه لها كما يحب ربنا ويرضى سبحانه .

ثم بين ﷺ أيضاً فضل صلاة الجماعة وعظيم أجرها بقوله ﷺ : (صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه بضعاً وعشرين درجة) [مسلم] .

وفي رواية قوله ﷺ : (صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة) [متفق عليه] . وهذا مما ينبغي المحافظة عليه .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مَرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مَرَارٌ)

وفي الحديث الآخر قوله ﷺ لما ذكر السبعة الذين يظلمهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وذكر منهم ﷺ : (ورجل قلبه معلق بالمساجد) [متفق عليه]<sup>١</sup> .  
أي معلق بالصلاة تلو الصلاة . ثم بين سبحانه وتعالى أن على المسلمين اتخاذ أفضل الزينة، لأن المساجد هي خير البقاع إلى الله تعالى وفيها ذكر الله عز وجل وبها يلقي المؤمن ربه سبحانه مصداقاً لقوله تبارك وتعالى في الذكر الحكيم : ﴿يَبْنِيْ

ءَادَمَ حُذُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف] .

وأفضل الزينة لبس البياض لما فيه من تشبه بالملائكة الكرام وهو يرمز للطهر والنقاء قال ﷺ : (البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم) [أبو داود والترمذي والنسائي وأحمد] . ومن الزينة أيضاً الطيب والرائحة الحسنة وتجنب الروائح الكريهة التي تؤذي المصلين والملائكة الكرام لقوله ﷺ : (من أكل من هذه البقلة الثوم "وقال مرة" من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم) [مسلم] .

كما بين ﷺ أيضاً في الحديث الآخر أن من أحسن الوضوء استعداداً للصلاة كان وضوؤه كفارة له، وبالتالي صارت خطاه للمسجد وصلاته بمثابة النافلة أي زيادة أجر لأنه لم يبق عليه شيء من الذنوب بقوله ﷺ : (إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يده

<sup>١</sup> والحديث بتمامه : (سبعة يظلمهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) .

مَنْزُورٌ حَقٌّ . (رَدَّ) ..... (مَنْزُورٌ) حَقٌّ . (رَدَّ)

مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب) [مسلم] .  
وقوله ﷺ أيضاً : (من توضأ هكذا (وذكر صفة الوضوء) غفر له ما تقدم من ذنبه وكانت صلاته ومشيه إلى الصلاة نافلة) [مسلم] .

وبين أيضاً ﷺ أن كثرة الخطأ إلى المساجد خير كثير وكبير، فإحداها ترفع درجة والأخرى تحط خطيئة وأن ذلك من الرباط الحق بقوله ﷺ : (ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط) [مسلم] . والمعنى أن هذه الأفعال الثلاثة التي في الحديث هي الرباط أي أنها تتوالى على المسلم كل يوم وليلة على أقل تقدير خمس مرات، وهذا يعني أن المسلم يحتاج لصبر كبير ومحافظة ومداومة عليها ومجاهدة نفس واهتمام بالغ بها، فهي مرابطة بحق ولن يستطيع القيام بذلك على الوجه المطلوب إلا من وفق لذلك وداوم عليها وربط .

وبين أيضاً ﷺ أن المشي إلى الصلاة يجب أن يكون بسكينة وخشوع حتى يشعر المسلم بالطمأنينة والارتياح وهو يمشي للقاء رب العالمين بقوله ﷺ : (إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا) [البخاري] . وفي رواية عند الترمذي : (إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن ائتوها تمشون وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا) .

وبين ﷺ أن على المسلم متى دخل المسجد أن يصلي ركعتين، تسمى تحية المسجد بقوله ﷺ : (إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَارٌ)

يجلس) [متفق عليه] . ثم حث ﷺ على المحافظة على السنن الرواتب التي تكون قبل الصلاة وبعدها بقوله ﷺ : (من صلى في يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة بني له بيت في الجنة أربعاً قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل صلاة الفجر) [مسلم] .

هذا بالإضافة إلى أن المؤمن إذا بَكَرَ إلى الصلاة فإن في المسجد ملائكة كرام، يدعون له بالرحمة والمغفرة والتوبة حتى تقام الصلاة، وهذا من عظيم رحمة الله تعالى فكلما بَكَرَ المسلم كلما اغتنم أكبر قدر ممكن من ذلك الدعاء، ومن جاء متأخراً فقد فاتته ذلك الخير والأجر الكبير ولا شك، قال ﷺ : (.. فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه يقولون اللهم ارحمه اللهم اغفر له اللهم تب عليه ما لم يؤذ فيه ما لم يحدث فيه) [مسلم] . وهذا الدعاء ولا ريب هو دعاء من ملائكة بررة لا يريدون من أحد أجراً ولا فضلاً ولا شكراً وهم ولا شك لا ينافقون أبداً، فهو دعاء صادق للمسلم يجب أن يحرص عليه ولا يفرط فيه .

ثم يكون أداء الصلاة الفرض، ثم يكون ذكر ما بعد الصلاة من أوراد لها أجور كبيرة، وفي الحديث النبوي الشريف عن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً وقال : اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام) [مسلم] .

وقوله ﷺ : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) [مسلم] .

## مَنُورٌ حَمَانٌ . (رَدُّ رَدِّ) ..... (مَنْزُورٌ حَمَانٌ) . (رَدُّ رَدِّ)

وقوله ﷺ : (معقبات لا يخيب قائلهن - أو فاعلهن - دبر كل صلاة مكتوبة، ثلاث وثلاثون تسبيحة، وثلاث وثلاثون تحميدة، وأربع وثلاثون تكبيرة) [مسلم . ومعقبات أي عقب الصلاة] .

فكل هذه الأمور تجعل المؤمن وتحيته لأن يستشعر عظم مكانة الصلاة، وهي مشوقات ومرغبات تحفز المسلم حتى يحرص عليها ويهتم بها وحينئذ سيتذوق حلاوتها وسيجد للصلاة عشقاً وحباً كبيرين كلما أحسن واهتم واستعد .

أما من أساء فضيع وقت الصلاة أو فرط في الاستعداد لها باللباس المناسب والزينة والرائحة الطيبة ثم أساء في الوضوء، ثم جاء متأخراً، وركض مسرعاً، ولم يدرك تحية المسجد، ولا السنة القبلية الراتبة أو النافلة ولا حتى دعاء الملائكة الكرام المذكور، ثم دخل الصف وهو يلهث فلم يستطع أن يقيم صلبه، وربما أدرك ركعة أو ركعتين، وفوق هذا كله تجد أن هذا حاله ودأبه دوماً .

حتى أن البعض ربما يمر عليه شهر بأكمله أو أكثر من ذلك لم يدرك فيه تكبيرة الإحرام مع الإمام، ولا حتى فرضاً واحداً من أوله، فهذا وأمثاله لن يجد يوماً حلاوة الصلاة ما دام على تلك الحالة وذاك التفريط . لأنه يكون قد فرط في كل الاستعدادات المطلوبة، وبالتالي فاته الكثير من تلك الأجور العظيمة .

ويجب أن نحذر من ذلك فمن يدري لعل الله تعالى يرد عليك يا مسلم مثل هذه الصلاة ولا يقبلها منك، وبالأخص ممن كان دأبه تأخير الصلاة عن وقتها وربما حتى يخرج الوقت وهو متقاعس بلا أي سبب أو مانع يمنعه من أدائها سوى التفريط والكسل والتهاون في ذلك .

فمن فرط في الصلاة وأدائها كما يجب فهو على خطر عظيم ليحذر منه كل الحذر، فرمها الله تعالى عليه وعاقبه عليها . وفي الحديث النبوي الشريف قوله

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدِّ رَدِّ) ..... (مَنُورٌ مَحَنَانٌ) . (رَدِّ رَدِّ)

ﷺ : (إذا توضأ العبد فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة فأتى ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت حفظك الله كما حفظتني ثم أضعدها بها إلى السماء ولها ضوء ونور وفتحت لها أبواب السماء وإذا لم يحسن العبد الوضوء ولم يتم الركوع والسجود والقراءة قالت ضيعك الله كما ضيعتني ثم تلف كما يلف الثوب الخلق ثم يضرب بها وجه صاحبها) [البزار والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب وابن كثير في الجامع والهيثمي] .

ولهذا كله ! فالصلاة هي عهد للمسلم عند ربه سبحانه ألا يعذبه متى حافظ عليها، واهتم بها، ومن ضيعها ضيعه الله عز وجل، ولا عهد له عنده، قال كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنه : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن ننتظر صلاة الظهر فقال : (هل تدرون ما يقول ربكم، قلنا : لا، قال : فإن ربكم يقول : من صلى الصلوات لوقتها وحافظ عليها ولم يضيعها استخفافاً بحقها فله علي عهد أن أدخله الجنة، ومن لم يصلها لوقتها ولم يحافظ عليها وضيعها استخفافاً بحقها فلا عهد له علي إن شئت عذبتك وإن شئت غفرت لك) [أبو داود وأحمد والطبراني في الكبير والأوسط وابن كثير في الجامع] . فاحذر أخي من عاقبة ذلك . والمحصلة ! أنك أخي المسلم متى صليت ولم تجد للصلاة طعماً ولا ارتياحاً ولا لذة مناجاة ولا ذوقاً وطمأنينة وأنت بين يدي الله تعالى، وإذا غلبتك الوسواس فيها فلم تستطع الخشوع، وإذا صليت وكأنك لم تصل، فاعلم أن سبب ذلك كله أنك قد فرطت في إحدى الأمور سابقة الذكر، فراجع حساباتك وما قد فرطت فيه لتجد لذة الصلاة وحلاوتها، وبالتالي سيمنحك الله تعالى حينها عطاءات الصلاة ومنحها الكثيرة الفياضة . اللهم ارزقنا حُسن الأدب معك وفي حضرتك يا الله .



نُزِّلَ مِنْهُ . (رُزِّقَ) ..... (نُزِّلَ) ..... (نُزِّلَ) ..... (رُزِّقَ) . (رُزِّقَ)

## ٦- جزاء الصلاة (الصلاة وحدها جنة)

بَيَّنَ ﷺ في الحديث النبوي الشريف عظم شأن الصلاة بقوله ﷺ : (من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح) [متفق عليه] . والمعنى أن للمصلي بكل فرض نزلان في الجنة، لذهابه نُزْلٌ ولحيثه نزل، والنُّزْل هو المكان المعد في الجنة والمهيأ لنزول صاحبه فيه ولا سيما الضيف، من طعام وشراب وسكنى وملاذ وأهلون، فهو مكان في الجنة جُمِعت فيه كل أنواع النعيم . وبحسب مدلول هذا الحديث فللمسلم في كل يوم (١٠) نُزُلَات، لكل صلاة نزلان، وفي الشهر (١٥٠) فرضاً فله بها (٣٠٠) نُزْل، وفي السنة (١٨٠٠) فرضاً له بها (٣٦٠٠) نزلاً .

ولو أن العبد المسلم صلى الله تعالى في كل عمره (٤٠) سنة فقط فسوف يكون له من تلك المنازل ما عدده (١٤٤,٠٠٠) نُزلاً في الجنة، هذا فقط جزاء الصلاة غير باقي المنازل والبيوت والقصور والبساتين التي له في الجنة جزاء أعماله الأخرى . وهذا يعني أن للعبد في الجنة مسافات شاسعات من منازل ونُزُل وقصور وبيوت وحدائق وبساتين بما فيها من حور عين وولدان مخلدون ومأكِل ومشارب وملاذ ونعم بما يفوق الوصف، وتصور العقل في الدنيا .

وهذه المنازل مهياة ومعدة بقدره الله تعالى وبما أعطى لخلقه وتكرم به عليهم وبما هو فوق تخيل الإنسان وتصوره، فلا يعتقد إنسان أن ما أعده الله جل في علاه لخلقه، يشابه ما أعده البشر للبشر .

فالصلاة وحدها جنة بأسرها والفرض الواحد منها جزاؤه مكاناً ونزلاً في الجنة بما فيه من نعم ونعيم وملاذ وأمور معدة .

## كنوز جنة . (ردر) ..... (لنر) ..... كنوز جنة . (ردر)

ولذلك أمر سبحانه وتعالى عباده بالمحافظة على صلاة الجماعة لما فيها من خير كبير وكثير لا يعلمه إلا الله تعالى ولا يسعد بذلك ويفوز به إلا من وفق له .  
إذن الصلاة كنز من الكنوز الربانية، وباب من أبواب الجنة بل هي أول باب فيها من خلاله يلج العبد لرحمات ونفحات ورضوان وأنوار الله سبحانه عليه الكثيرة .  
وفي بعض كتب الأثر أن ملكاً من الملائكة الكرام قال : يا رب ائذن لي أن أطوف حول ملكك، فقال الله تعالى له : لن تستطيع، فقال : ائذن لي، فأذن له فراح الملك مئة عام يطوف ويسبح حول ملك الله سبحانه وتعالى . ثم جاء الملك بعد المائة عام تلك، فقال الله تعالى له : أتدري كم قطعت في كل تلك المدة ! :  
(قطعت عشر عشر ملك أبي بكر في الجنة) .

الله أكبر ملك سريع كالبرق الخاطف طاف مئة عام ما قطع إلا عشر عشر  
ما لأبي بكر في الجنة وليس كله، إذن كم هو ملك أبي بكر رضي الله تعالى عنه كله في الجنة ! وكم هو ملك نبينا محمد ﷺ فيها ! وكم هو ملك جميع الأنبياء والمرسلين فيها ! وكم هو ملك جميع المسلمين فيها ! وكم هو ملك جميع العالمين من آدم عليه السلام إلى آخرهم وفاة ! وكم هي الجنة ! وما هي سعتها ! وهذا كله في حيز ضيق من ملك الله تعالى فسبحان الله العظيم .

ولو تدبرنا الحديث الوارد معنا في أول المقالة لفهمنا هذه القصة حقاً فإذا كان للمسلم الضعيف في دينه وربما المفرط في أمور الشرع كل هذه المنازل في الجنة مقابل الصلاة فقط هذا غير أعماله الصالحات الأخرى فيا ترى ما هو جزاء صالح عمله كله ! وكم سيكون ذلك لو كان ملتزماً بدينه ومسابق في الخيرات ؟ وكم سيكون جزاؤه لو كان من الأولياء الصالحين ؟ وكم سيكون لو كان من المحبتين المقربين ؟ لا شك لكل عبد من عباد الله تعالى جنان وجنان ونعيم ونعيم وصدق

## المزور . حقائق . (ردار) ..... (المزور) ..... (المزور) حقائق . (ردار)

جل شأنه في قوله تعالى في علاه : ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت] . والمعنى أن الجنة هي الحياة الحقيقية لو فطن العباد لذلك وفهموا مقصد ربه عز وجل في الدنيا؛ التي غرّتهم وفتنتهم .

لنستمع لقوله ﷺ في بيانه لأجور وجزاء بعض النوافل من الصلوات، وما للعبد فيها من عظيم الأجر، والقرب من الله تعالى، هذا فضلاً عن الصلوات المكتوبات، قال ﷺ : (من توضأ في بيته ثم أتى المسجد فهو زائر الله وحق على المزور أن يكرم الزائر) [الطبراني في الكبير والأوسط وأبو نعيم في الحلية وابن كثير في الجامع والهيثمي والألباني في الصحيحة] .

وفي رواية قوله ﷺ : (إن داود عليه السلام قال : إلهي ما لعبادك إذا هم زاروك في بيتك، قال : لكل زائر حق على المزور يا داود إن لهم أن أعافهم في الدنيا وأغفر لهم إذا لقيتهم) .

فإذا كان هذا هو جزاء سنة تحية المسجد وهي ركعتان خفيفتان ! فما هو يا ترى جزاء ما يفوق ذلك من صلوات ورواتب ونوافل وسنن ؟ لنستمع لقوله ﷺ في فضل راتبة الفجر وحدها مع أنها سنة خفيفة ركعتان قبل الفرض قال فيها ﷺ : (ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها) [مسلم] . أجر كبير على عمل يسير .

لنستمع لقوله ﷺ أيضاً في فضل نافلة صلاة الضحى وما فيها من عظيم الأجر قال ﷺ : (يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليل صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى) [مسلم] . الله أكبر ! أي أن من صلى سنة الضحى ركعتان على الأقل فقد أدى شكر يومه لله تعالى .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

ولنستمع لقوله ﷺ في فضل راتبة الظهر قال ﷺ : (من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار) [أصحاب السنن] . الله أكبر ! ثمان ركعات فقط قبل الفرض وبعده تجعلك محرماً على النار عند الله تعالى . لنستمع لقوله ﷺ في فضل نافلة العصر قال ﷺ : (رحم الله امرأً صلى قبل العصر أربع) [أبو داود والترمذي وحسنه الألباني وأحمد] . الله أكبر ! أربع ركعات نوافل قبل الفرض تدخلك في حيز رحمة الله تعالى . ثم لنستمع لفضل عموم السنن الرواتب قوله ﷺ : (من ما عبد مسلم يصلي لله كل يوم اثني عشرة ركعة تطوعاً غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة، أربعاً قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل صلاة الفجر) [مسلم] . مدلول الحديث أن باستطاعة المسلم أن يبني كل يوم بيتاً في الجنة .

وغير ذلك من سائر السنن التي لها أجر كبير وكثير عند الله تعالى، الذي شرع لنا سبحانه الصلوات الخمس فرضاً، ثم حَبَّبنا وحَثَّننا على ما سواها من سنن رواتب ونوافل وقربات كثيرة، وهي سنن خفيفة أوجبت أجوراً عظيمة لو تفتن المسلم لذلك .

فبداية اليوم تكون براتبة الفجر الخفيفة، ثم فرض الفجر، ثم يتبعه سنة الضحى، ثم راتبة الظهر، ثم فرض الظهر، ثم راتبة ما بعد الظهر، ثم نافلة ما قبل العصر، ثم فرض العصر، ثم نافلة ما قبل المغرب، ثم فرض المغرب، ثم راتبة ما بعد المغرب، ثم الصلاة بين العشاءين، ثم نافلة ما قبل العشاء، ثم فرض العشاء، ثم راتبة ما بعد العشاء، ثم قيام الليل، ثم الوتر، ثم نافلة السحر، ثم مرة أخرى راتبة الفجر . وهكذا يظل المسلم طوال يومه وليلته في مسلسل متواصل من صلوات مفروضة، وسنن رواتب، وسنن نوافل، وما سواها من تنفل مطلق يبقى كل اليوم

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدَارٌ)

وهو مع ربه عز وجل، وإذا كان جزاء هذه السنن من رواتب ونوافل كالتى ذكرت جزاء عظيم ! فكيف بجزاء الفرائض لا شك هو أكبر بكثير !  
ثم ما هو يا ترى جزاء من حافظ على كل تلك الفرائض والرواتب والنوافل سواء ؟ ذالكم هو السعيد القَطن والموفق لقرب الله تعالى ومحبتة ورضاه وصدق ﷺ حين قال : (صلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين) [أبو داود وحسنه الألباني وأحمد] .

والمعنى صلاة بعد الصلاة سواء كانتا فرضان أو سنة وفرض، المهم المتتابع والتواصل مع الله تعالى، والحرص على إدراك محبته والتلذذ بالوقوف بين يديه بفرض أو سنة، المهم أن ينشغل المسلم بالصلاة لله تعالى، والجزاء هو أن له أجراً عظيماً يكتب في الكتاب المرقوم في عليين عند الله عز وجل .

والمحصلة هي أن الصلاة باب عظيم وهي الصلة الحقيقية بين العبد وربّه، وهي العهد بين الله سبحانه وخلقه، وهي القرب بين الحبيب ومحبّوبه . اللهم حبيب إلينا الصلاة واجعلها قرّة أعيننا وامنحنا فيها حُسن الخشوع والخضوع في السجود والقيام والركوع يا الله .



مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... الْمُرُورُ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

## ٧- مقام القنوت

### منزلة الفاتحة (حوار بين العبد وربّه)

لو تأملنا أفعال الصلاة لوجدناها تتضمن أفعالاً متعددة، ولكل فعل منها فضيلة وعطاء وقرب من الله سبحانه وتعالى بحسب رتبته .  
وأهم تلك الأفعال أربعة، ولكل منها منزلة في الصلاة . فأول تلك المنازل هي منزلة القنوت<sup>١</sup>، وهو طول القيام بالقراءة في الصلاة مع الخشوع والتذلل بين يدي الله تعالى، قال جلّت قدرته في المحكم المنزل : ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْاُولٰٓئِي وَاقُومُوا لِلّٰهِ قَنَتًا﴾ [البقرة] . وقانتين أي ساكتين طائعين مطيعين ذليلين خاشعين لله تعالى مستشعرين عظمتة وهيبته جل في علاه . وفي الحديث النبوي الشريف عن معاوية بن الحكم السلمي، قال : بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت : يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم، فقلت : واثكل أمياه، ما شأنكم ؟ تنظرون إلي، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لکني سکت، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله، ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال : إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن [مسلم . وكهرني أي نهرني] .  
والقنوت كلما طال كلما كان أفضل ولا ريب، لأن فيه تلاوة كلام الله تعالى وترتيله، فيخشع القلب ومن ثم الجوارح من وراء ذلك .

<sup>١</sup> وبقا المقامات الثلاثة هي : الركوع، والسجود، والجلوس (التشهد) . وسيأتي الحديث عنها .

## مَنُورٌ جَنَانٌ . (رَدُّ رَدِّ) ..... (مُنْزَعٌ) ..... مَنُورٌ جَنَانٌ . (رَدُّ رَدِّ)

وقد اختلف العلماء في أي المقامات الأربعة تلك هو الأفضل، وانحصر التفضيل بين مقامي القنوت والسجود، فذهب جملة منهم إلى أن السجود أفضل، في حين ذهب آخرون إلى أن القنوت هو الأفضل، وذلك لسببين اثنين هما :

١- أن مقام القنوت فيه يتلى كلام الله تعالى الرفيع وهو القرآن الكريم، بخلاف السجود الذي منع المصلي فيه من القراءة، وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (ألا وإنني نهيت أن أقرأ القرآن راکعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء) [مسلم] .

٢- أن مقام القنوت فيه مناجاة الله تعالى حال قراءة القرآن الكريم، بخلاف مقام السجود الذي تكون فيه المناجاة بكلام البشر، وهو التسبيح، كما أمر بذلك سبحانه . وتأني الفاتحة على رأس تلك الآيات الكريمات، التي تعتبر في حقيقتها حوار بين العبد وربّه، فما هي منزلة سورة الفاتحة ؟

قال النبي الأكرم ﷺ في الحديث النبوي الشريف : (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب) [متفق عليه] .

فما هي حقيقة هذه السورة العظيمة التي استفتح بها سبحانه وتعالى كتابه العزيز ! ولماذا كانت أعظم سورة فيه ؟

يبين ذلك ما جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سأل، فإذا قال العبد : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١ ، قال الله تعالى : حمدني عبدي، وإذا قال : ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ٢ ، قال الله تعالى : أثني علي عبدي، وإذا قال : ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ٣ ، قال : مجدني عبدي - وقال مرة فوض إلي عبدي - فإذا قال : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ٤ ، قال : هذا بيني وبين عبدي، ولعبي

## مَنُورٌ مِثْلَانِ . (رَدُّ رَدِّ) ..... (مَنْزُورٌ مِثْلَانِ) . (رَدُّ رَدِّ)

ما سأل، فإذا قال : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝ ﴾، قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل [مسلم] .

دلالة هذا الحديث العظيم أن فاتحة الكتاب في حقيقتها حوار بين العبد وربّه سبحانه، فكل آية يقرؤها المصلي يجيبه ربّه عز وجل، العبد يسأل والله تعالى يرد عليه، فكان لكل آية من آياتها فضل عطاء من رب العالمين للمصلي الواقف بين يديه، وفي حضرة ربّه جل في علاه .

أما كونها أعظم سورة في القرآن الكريم، فبيّن ذلك ويوضحه ما جاء في الحديث النبوي الشريف عن أبي سعيد بن المعلّى رضي الله تعالى عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : (ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج، قلت : يا رسول الله إنك قلت : لأعلمنك أعظم سورة من القرآن، قال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ ﴾، هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته) [البخاري]<sup>١</sup> . والمثاني أي التي تتكرر فتقرأ في كل ركعات الصلاة .

ونلاحظ هنا أن ألفاظ الخطاب في السورة والتي اختصت بالعبادة والاستعانة والهداية جاءت بصيغ الجمع، حيث قال ربنا جل في علاه : (إياك نعبد، وإياك نستعين، اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)، ولم يقل سبحانه : (إياك أعبد، وإياك أستعين،

---

<sup>١</sup> والحديث بتمامه : عن أبي سعيد بن المعلّى، قال : (كنت أصلي، فدعاني النبي ﷺ فلم أجبه، قلت : يا رسول الله إني كنت أصلي، قال : ألم يقل الله : استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم ؟ ثم قال : ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج، قلت : يا رسول الله، إنك قلت : لأعلمنك أعظم سورة من القرآن، قال : الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته) .

## مَنْزُورٌ حَقٌّ . (رَدُّ) ..... (مَنْزُورٌ) ..... مَنْزُورٌ حَقٌّ . (رَدُّ)

اهدني الصراط المستقيم) . وبالتالي فالمصلي حين يقرأ الفاتحة يقرأها بصيغة الجمع، دلالة على أن العبادة الحقّة والإستعانة الحقيقية والهداية التامة .

كل ذلك لا يتم على الوجه المطلوب إلا إذا قام بها الجماعة كلهم سواء، وفي ذلك رباط قوي ووثيق وأكد فيما بين المسلمين، لأن المسلم المصلي حين يقرأ تلك الألفاظ بصيغة الجمع، فهو حينها في حقيقة أمره يقرأها لنفسه ويقرأها لكل مسلم من بعده .

وبهذا ارتبط كل مسلم بغيره من المسلمين، ممن حضر وممن غاب في شرق الأرض وغربها، كل مسلم يُشرك إخوانه معه في الدعاء حال قراءتها .

ويلاحظ أيضاً أنه ورد في هذه السورة ذكر أنواع التوحيد الثلاثة في أول آيتين منها، فذكر توحيد الربوبية والألوهية سواء في قوله جل جلاله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فهو الرب، وهو الإله جل شأنه . وذكر توحيد الأسماء والصفات في قوله سبحانه : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ . صفتين لله جل ربنا في علاه .

كما يلاحظ أنه ورد فيها ذكر أركان العبادة الثلاثة، وكل ركن ذكر بحيشته التي بها يكون ضمان تحققه . وهي :

- ١- المحبة لله تعالى، وحشية ذلك أنه رب العالمين، الخالق المنعم المتفضل .
  - ٢- الرجاء فيه سبحانه، وحشية ذلك أنه رحمن رحيم، بخلقه وعباده .
  - ٣- الخوف منه عز وجل، وحشية ذلك أنه مالك يوم الدين، يوم الحساب والجزاء .
- ويلاحظ أيضاً أنه ورد فيها جماع ما بين العابد والمعبود من علاقات وروابط وأمور، تعتبر مقومات وأساس الدين الحق . وهي :

- ١- العبادة الحقّة لمن يستحقها، بقوله تعالى : (إياك نعبد) . وقدم الضمير في الآية ليفيد قصر العبادة الحقّة وحصرها عليه سبحانه .

## مَنُزِّلُ حَمَانٍ . أَمْرٌ . . . . . أَمْرٌ . . . . . مَنُزِّلُ حَمَانٍ . أَمْرٌ

- ٢- الاستعانة به على ذلك، بقوله جلت قدرته : (إياك نستعين) .
  - ٣- طلب الهداية منه، بقوله عز وجل : (اهدنا الصراط المستقيم) .  
وأيضاً يلاحظ أنه ورد فيها كل احتمالات قبول الدين الحق من عدم ذلك،  
حيث ذكر في السورة ثلاثة أصناف من الناس، هم :  
١- من عرف طريق الصراط المستقيم وسار فيه، وهم الذين آمنوا .  
٢- من عرفه وحاد عنه وانحرف، فكان مغضوباً عليه .  
٣- من ضل عنه ولم يعرفه، فكان من الضالين .
- ثم تأتي بعد تمام الفاتحة كلمة (آمين) والتي تعني : (اللهم استجب)، يقولها المصلون معاً؛ محاولين التوافق فيما بينهم ومع الإمام، بل والتوافق مع الملائكة الكرام عليهم السلام، وفي ذلك دليل على صلاة الملائكة عليهم السلام مع المصلين من البشر، وأنهم يؤمنون كما نؤمن مع الإمام .
- يبين ذلك ما جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (إذا أمّن الإمام فأمنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة، غفر له ما تقدم من ذنبه، قال ابن شهاب : كان رسول الله ﷺ يقول : آمين) [متفق عليه] .
- ويستحب رفع الصوت، قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : (كان رسول الله ﷺ إذا قال : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ، قال : آمين حتى يسمعها أهل الصف الأول، فيرتج بها المسجد) [ابن ماجه والشافعي وغيرهما] .
- سورة هذا هو فضلها من حيث الجملة، في كل مرة تقرأ في الصلاة، فكيف إذا كانت تقرأ في اليوم على الأقل (١٧) مرة بعدد ركعات الفروض الخمسة، هذا فضلاً عن السنن الرواتب والنوافل .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . أُرْدَرُ ..... أَلْمُزَّقُ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . أُرْدَرُ

وعلى هذا فللمسلم في كل يوم فرصاً؛ للاستعانة بالله تعالى على شؤون دينه ودينياه<sup>١</sup>، ولطلب الهداية منه عز وجل لما يستقبل من أمور حياتية، بحسب اجتهاده في الصلاة وبعدد الركعات التي يصلّيها في اليوم؛ من الفروض والنوافل سواء . والمسلم ولا شك يحتاج لذلك وأكثر، بقدر ما يواجه في يومه من مواقف وأحداث تتطلب منه الاستعانة بالله تعالى، وطلب الهداية منه عز وجل، والاعتصام به سبحانه في كل أحواله وحالاته، إذ لا غنى للعبد عن ربه جلا شأنه أبداً . وله بكل لقاء مع ربه تبارك وتعالى عطاء جديد وفضل أكيد .

وهذا يعني أن الفاتحة فرصة متاحة للمسلم متى أراد الاستعانة وطلب الهداية من الله جلّت عظمته فما عليه سوى الوقوف بين يدي ربه جلّت عظمته ويصلي، ليحصل على ذلك العطاء والفضل العظيم .

ولهذا كان كل من امتنع عن الصلاة قد أجرم في حق نفسه جرماً عظيماً استوجب به الكفر، لأنه يكون حينها قد حرم نفسه من الوقوف بين يدي الله عز وجل، وحرّمها من الاستعانة به تعالى، وحرّمها من طلب الهداية والاعتصام به سبحانه، وأورد نفسه موارد الهلاك .

لذا جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) [مسلم] . والمعنى أن من ترك الصلاة فقد كفر، وحينها ليس بينه وبين الشرك حائل يحول بينهما، ومانع يمنع من الوقوع فيه .

والصلاة تقام في كل وقت وحين مهما كان حال المسلم، يؤدي الصلاة على الحالة التي يستطيعها، المهم أن يؤديها؛ لا يتركها أبداً، قال ﷺ : (صل قائماً، فإن

---

<sup>١</sup> للإمام ابن القيم الجوزية كتاب جميل مفيد في ذلك اسمه : (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين) .

## مَنُزِّلُ حَمَانِهِ . مُرَرَرٌ ..... (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُزِّلُ حَمَانِهِ . مُرَرَرٌ

لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب) [البخاري] . وبهذا ينال المصلي فضل وعطاء الصلاة بوجه عام، وينال فضل وعطاء قراءة الفاتحة بوجه خاص، وأقل ما في الأمر الوقوف بين يديه تعالى ومحاورته جل جلاله حال القراءة .

ولهذا كانت سورة الفاتحة ركن الصلاة الأكبر، الذي قال فيه ﷺ : ( لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب) [متفق عليه]<sup>١</sup> .

أضف إلى ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد جعل لسورة الفاتحة سر عجيب وأثر قوي ملحوظ، حين جعلها رقية نافعة لها بركة حاصلة، ففي الحديث النبوي الشريف عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : (أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في سفر، فمروا بجي من أحياء العرب، فاستضافوهم فلم يضيفوهم، فقالوا لهم : هل فيكم راق ؟ فإن سيد الحي لديغ أو مصاب، فقال رجل منهم : نعم، فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب، فبرأ الرجل، فأعطي قطيعاً من غنم، فأبى أن يقبلها، وقال : حتى أذكر ذلك للنبي ﷺ، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال : يا رسول الله والله ما رقيت إلا بفاتحة الكتاب فتبسم وقال : وما أدراك أنها رقية ؟ ثم قال : خذوا منهم، واضربوا لي بسهم معكم) [متفق عليه] .

---

<sup>١</sup> ولهذا كانت الصلاة علامة على الإيمان الصحيح، أو النفاق الصريح، ولا سيما صلاة الجمعة، وفي الحديث النبوي الشريف الموقوف على ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قوله : (من سره أن يلقي الله غداً مسلماً، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد، إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف) [مسلم] .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

بل وأكثر من ذلك وهو أن لهذه السورة كنز ثمين لكل حرف من حروفها لا يعلمه إلا الله جلت عظمته، ففي الحديث النبوي الشريف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه، فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته [مسلم . والنقيض صوت الباب إذا فُتِحَ] . فما هو يا ترى العطاء المنوط بكل حرف منهما ؟ الله سبحانه أعلم بحقيقة ذلك .

إذن سورة الفاتحة سورة عظيمة بكل معاني الكلمة، استفتح بها جل ربنا في علاه القرآن الكريم لتعطي الانطباع العام له، حيث بينت أركان العبادة الصحيحة، وبينت العلاقات بين الخالق المعبود والمخلوق العابد، وبينت أصناف الناس في مدى قبول الحق من عدم ذلك، وكانت رقية نافعة، ولحروفها سر مكنون وغيب مجهول . فكانت مفتاحاً لكتاب الله تعالى بحق . اللهم يا فاتح لما أغلق ويا معلم لما أبهم علمنا وفهمنا وافتح لنا يا الله .



مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (مُرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (مُرَارٌ)

## ٨- مقام الركوع

ثاني منازل الصلاة الأربع هي منزلة الركوع، فيه يعلن المصلي خضوعه لله عز وجل بالانحناء بين يديه سبحانه .

ويعد الركوع أعلى من منزلة القنوت لأنه أبلغ في الانحناء والخضوع، بل هو أول مقامات الخضوع لله جلّت قدرته بعد الوقوف بين يديه سبحانه قائناً متذللاً، وفيه يكون تسبيح الرب جل جلاله بقول العبد : (سبحان ربي العظيم وبحمده) . وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل) [مسلم]<sup>١</sup> .

لذا قال سبحانه في كتابه العزيز حين ذكر موقف الكفار فقال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات] . لأنهم بعدم ركوعهم لله جل ربنا في علاه رفضوا خضوعهم للخالق العظيم المستحق للعبادة والطاعة . والركوع هو الموقف الوحيد في كل الصلاة الذي لا تكبير بعد الفراغ منه، وذلك حال الرفع منه واستواء المصلي بنصب صلبه، حينها يقول : (سمع الله لمن حمده) . ثم يرد على نفسه أو على إمامه قائلاً : (ربنا ولك الحمد) . ولماذا كان الموقف الوحيد من عموم أفعال الصلاة الذي لا تكبير بعده ؟

---

<sup>١</sup> والحديث بتمامه : عن ابن عباس، قال : كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر، فقال : أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها المسلم، أو ترى له، ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم) . وَقَمِّنْ أَيَّ حَرِّي أَنْ يَسْتَجَابَ لَكُمْ فِيهِ .

## مَنُزَرٌ مَّخَانَةٌ . مُرَرٌ ..... (الْمُزَوَّبُ) ..... مَنُزَرٌ مَّخَانَةٌ . مُرَرٌ

لأن المصلي حال خضوعه لله تعالى راکعاً، ثم استوائه بنصب قامته، تلك الحالة تستحق بالفعل حمد الله تعالى، الذي وفق للركوع له جل جلاله دون سواه، والذي مكن العبد للرفع منه، وما ذاك إلا بقدرة الله العظيم الرحمن الرحيم . ولماذا كان ذلك في الركوع دون السجود ؟

حتى مقام السجود يستوجب حمد الله تعالى حال الاعتدال منه بالجلوس، غير أن حال المصلي في سجوده الانخفاض بجسمه والانكباب بوجهه على الأرض والانكسار والانطراح بين يدي ربه سبحانه، أما حال الرفع من الركوع فيقيم الإنسان صلبه ويستوي قائماً شامخاً بناصيته بعد الانحناء والانكسار، فاستوجب حمد الله تعالى على ذلك .

وأمر آخر وهو أن الركوع يراد به أحياناً السجود، متى ذكر منفرداً عنه وفي محكم الكتاب المجيد قوله سبحانه : ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۝٤٤ ﴾ [ص] . قال البغوي في تفسيره : "أي ساجداً، عبّر بالركوع عن السجود، لأن كل واحد فيه انحناء"<sup>١</sup>. والركوع والسجود فيهما كمال الخضوع لله تعالى في كل النبوات والرسالات السابقة، قال سبحانه في محكم التنزيل حكاية عن مريم عليها السلام : ﴿ يَمْرُؤُا أَقْنِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ۝١٣ ﴾ [آل عمران]<sup>٢</sup>. نلاحظ في هذه الآية

<sup>١</sup> تفسير البغوي . ج ٧، ص ٨٤ .

<sup>٢</sup> قال ابن القيم في تفسيره القيم . ص ٢١٦ : "هذا مما قدم بالفضل، لأن السجود أفضل، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد . فإن قيل : فالركوع قبله بالطبع والزمان والعادة، لأنه انتقال من علو إلى انخفاض . والعلو بالطبع قبل الانخفاض، فهلا قدم الركوع ؟. الجواب أن يقال : انتبه لمعنى الآية، من قوله (ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ) ولم يقل : (اسجدي مع الساجدين)، وإنما عبّر بالسجود عن الصلاة، وأراد صلاتها في بيتها . لأن صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها مع قومها . ثم قال لها «ارْكَعِي مَعَ

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

ذكر ثلاثة مقامات في الصلاة، وهي : (مقام القنوت، ومقام الركوع، ومقام السجود) .

وفي مقام الركوع يسن للعبد أن يدعو الله تعالى بعدة أدعية، منها قوله ﷺ :  
(سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي) [متفق عليه] . وقوله ﷺ :  
(سبح قدوس، رب الملائكة والروح) [مسلم] . وقوله ﷺ : (اللهم لك ركعت،  
وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي، وبصري، ومخي، وعظمي،  
وعصبي) [مسلم] . وقوله ﷺ : (سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء  
والعظمة) [أبو داود والنسائي وصححه الألباني]<sup>١</sup> .

والمحصلة هي أن الركوع مقام من مقامات الصلاة فيها يعلن المصلي ولاءه لله تعالى لا سواه حين ينحني لرب الأرض والسماء مسبحاً بحمد ربه جل في علاه .  
اللهم يا الله ركعنا لك معلنين الانقياد لمرادك واتباع شرعك فوفقنا لكل ما تحبه وترضاه يا رحمن .



---

الرَّاكِعِينَ» أي صلى مع المصلين في بيت المقدس، ولم يرد أيضاً الركوع وحده، دون أجزاء الصلاة، ولكنه عبر بالركوع عن الصلاة، كما تقول : ركعت ركعتين وأربع ركعات، تريد الصلاة، لا الركوع بمجرده . فصارت الآية متضمنة لصلاتين : صلاتها وحدها، عبر عنها بالسجود . لأن السجود أفضل حالات العبد . وكذلك صلاة المرأة في بيتها أفضل لها ثم صلاتها في المسجد عبر عنها بالركوع . لأنه في الفضل دون السجود . وكذلك صلاتها مع المصلين، دون صلاتها في بيتها وحدها في محرابها" .

<sup>١</sup> وفي رواية أخرى عند النسائي : (الله أكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة) .

مَنُورٌ مِّنْأَنُورٍ . (رُورٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مِّنْأَنُورٍ . (رُورٌ)

## ٩- مقام الخضوع الكامل (منزلة السجود)

ثالث منازل الصلاة هي منزلة السجود، وهي أعلى المنازل وال مراتب فهي وإن كانت أخفض تلك الأفعال إلى إنها أعلاها رتبة وأرفعها منزلة، لأن فيها غاية الانحناء والخضوع لله رب العالمين، قال سبحانه وتعالى فيها : ﴿ فَاسْجُدْ وَاعْبُدْ ﴾ [النجم] .

والسجود بين يدي الله تعالى، يعني أن يضع المسلم وجهه وهو أشرف شيء عليه في جسده ويمرغه في التراب، ويلصق أنفه رمز أنفته وعزته بالأرض ليرضي ربه عز وجل، ويعلن دوام الولاء والذل والخضوع والعبودية لله تعالى والانقياد له سبحانه في كل شأن المسلم . وفي السجود يكون السبيح بقول : (سبحان ربي الأعلى ومحمده) .

والغريب في الأمر والحسن في نفس الوقت أن السجود فرصة هي بيد المسلم متى شاء أتاحها لنفسه ومتى شاء تركها وضيعها، فيا سبحانه الله العظيم فرصة عظيمة متاحة للمسلم في كل زمان وفي كل مكان، بل هي بيده متى شاء اغتنمها . والسجود أصله والمقصد منه التقرب إلى الله تعالى وذلك لا يتحقق أبداً إلا بالخضوع له سبحانه، وأعظم الخضوع هو وضع الوجه والجبهة على الأرض والتقرب إلى الله تعالى .

ومن حكمة الله سبحانه أنه عز وجل علّم خلقه التواضع وجعله بداية ومفتاح التقرب إليه، ولم يقرّبهم إليه سبحانه حتى خضعوا له ووضعوا وجوههم وجباههم وأنوفهم على التراب حال السجود، فحينها تحقق خضوعهم له جل شأنه، والتراب هو أصل خلقتهم ولن يأبى ويتأبى ويأنف من السجود عليه أحد إلا من تكبر

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . أَمْرٌ دَر . (الزُّمَرُ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . أَمْرٌ دَر

وتعالى على ذلك، فظلم نفسه ظلماً كبيراً بكفره وكبره، وهذا الفعل لن يصدر إلا ممن جهل قدر ربه عز وجل وصدق سبحانه القائل : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر] ١٧ . فلو علم الإنسان عظم شأن ربه عز وجل وقدره حق قدره لما عَبَدَ سواه، ولما سجد ولما خضع ولما أناب إلا له جلت عظمتة وتعالى وتقدس في علاه .

ولذلك ولأن السجود يرمز للذل والخضوع لله تعالى نهانا ﷺ في الحديث أن نقرأ فيه أبداً وذلك لأن القرآن الكريم رفيع، عال المنزلة فهو من كلام الله تعالى، فلا يجوز امتهانه بقراءته في السجود، وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : ( ... ألا وإنني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً... ) [مسلم] .

وكل من لم يسجد لله تعالى فلعله سيسجد لغيره، وهنا يتحقق الظلم العظيم الكبير فكيف يُترك من يستحق ذلك وأمر به الخلق ومن ثم يُسجد لمن لا يستحق ذلك ولم يأمر به قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴾ [الأحقاف] ٥ .

والمعنى أن أضلّ الناس الذين تركوا عبادة الله عز وجل الحي القيوم الذي أرسل الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وأمر الخلق بعبادته وحده لا شريك له، ونهاهم عن عبادة ما سواه، ثم راحوا يعبدون ويركعون ويسجدون لمن لا يشعر بهم، ولا يعلم ولا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم شيئاً، ولم يأمرهم بشيء من ذلك، ولا رضي به ولا أراد، وإنما عبدوهم من حيث لا يدرون، وسيأتي يومٌ عند الله تعالى سيتبرأ من كل من عبده، في وقت هم أحوج ما يكونون بحاجة إليهم فيه .

## مَنُورٌ جَنَانٌ . أُرُورٌ ..... أُنُزُّوبٌ ..... مَنُورٌ جَنَانٌ . أُرُورٌ

والسجود جزاؤه عظيم، وللمسلم بكل سجدة يسجدها لله تعالى أجر عظيم لو كان يعلم حقيقة ذلك مصداقاً لقوله ﷺ : (عليك بكثرة السجود لله فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة) [الجماعة إلا البخاري] أي يرفعه بها درجة ويحط عنه بها خطيئة، وذلك بحسب إخلاص المسلم ومدى إقباله على الله سبحانه وتعالى .

وبموجب هذا الحديث فالمسلم يصلي لله تعالى في اليوم الواحد (١٧) ركعة في الفروض فيها (٣٤) سجدة، ولو أنه صلى السنن الرواتب (١٢) ركعة، فله فيها (٢٤) سجدة، فيكون المجموع (٥٨) سجدة في اليوم، وهذا يعني أن باستطاعة المسلم أن يحصل على (٥٨) درجة عند الله تعالى كل يوم، وأن يكفر الله سبحانه عنه (٥٨) خطيئة كل يوم، هذا على الأقل، ومن زاد فله عند الله عز وجل المزيد ولا ريب، فهو الكريم المتفضل سبحانه .

والخطيئة ليست هي السيئة كما يعتقد البعض، وإنما الخطيئة هي الذنب، وقد يحتوي على آلاف السيئات وهذا يعني أن الله تعالى يكفر عن العبد بكل سجدة يسجدها له عز وجل خطيئة وذنباً عظيماً .

فإذا كان الله سبحانه وتعالى سيرفع العبد المسلم كل يوم عدة درجات بحسب عدد سجدياته ! وفي نفس الوقت يكفر عنه هذا القدر من الخطايا !

فماذا بقي عليه من ذنوب وآثام يا ترى ؟ هذا فضلاً عما كان يحافظ على السنن النوافل كسنة العصر وما قبل المغرب والعشاء، وكذلك من يحافظ على السنن المؤكدة كسنة الضحى وقيام الليل والوتر، وكذلك من يحافظ على السنن المطلقة كصلاة ما بين المغرب والعشاء أو ما سواها ؟

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُنَزَّرٌ) حَمْدُهُ . (رَدُّر)

إذن السجود كنز ثمين لأن فيه الخضوع التام لله جلّت عظمته والانقياد له والتسليم وإعلان ذلك، فكان الجزاء هو أيضاً عظيم بقدر عظم ذلك الفعل . والمسلم متى كان ساجداً فهو حينها أقرب ما يكون من ربه تعالى مصداقاً لقوله ﷺ : (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثرُوا الدعاء) [مسلم] .

لذا عليه حينها اغتنام موضع قربه من ربه تعالى، ومن ثم سؤاله عز وجل من واسع فضله وعظيم رحمته ليهبه ويعطيه سبحانه بكرمه ومَنّه ما سأل وطلب . والمسلم كلما أطال السجود كلما كان مع ربه وبين يديه مدة أطول، فيعطيه الله تعالى عطاءً ومنحاً ونوراً وإشراقاً بقدر ذلك الوقت وتلك المدة، التي قضاها معه وبين يديه عز وجل .

ولا يُرى الشيطان الرجيم في موقف هو فيه أضعف ولا أذل ولا أغيب ولا أحقر له من السجود، والمؤمن عندما يسجد يبكي الشيطان ويتحسر على حاله، كما بيّن ذلك ﷺ في الحديث النبوي الشريف بقوله ﷺ : (إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول : يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار) [مسلم] .

لأن السجود دليل على الانقياد والطاعة، وعدم السجود دليل على العصيان والتأبّي والتمرد والخروج عن مراد الله سبحانه وتعالى .

ولذلك لم يقتصر السجود على الصلاة وحدها بل هناك سجود التلاوة وسجود الشكر وهي فرص متاحة للمسلم أن يخضع لربه فيها ويعلم ولائه له عز وجل وشكره له في أي زمان ومكان، وعلى أي حال كان .

وفي السجود هناك أدعية كثيرة يقولها العبد يعظم فيها خالقه العظيم، منها قوله ﷺ : (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي) [متفق عليه] . وقوله

مُنَزَّلٌ مِّنَ رَبِّكَ . مُرَرَّرٌ ..... مُنَزَّلٌ مِّنَ رَبِّكَ . مُرَرَّرٌ

ﷺ : (اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه، وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين) [مسلم] <sup>١</sup> . وقوله ﷺ : (سبح قدوس، رب الملائكة والروح) [مسلم] . وقوله ﷺ : (اللهم اكتب لي بها عندك أجراً، وضع عني بها وزراً، واجعلها لي عندك ذخراً، تقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود) [الترمذي وابن ماجه] .

إذن السجود منزلة عليا كلما سجدت وخضعت يا ابن آدم كلما اقتربت من الله سبحانه فيرفعك درجات، ويحط عنك من سيئاتك، ويحبك ويدنيك منه جلت عظمته . فالحمد لله تعالى الذي شرفنا بالسجود له لا لغيره، والحمد لله عز وجل الذي أعزنا بالانحناء له لا لسواه، والحمد لله سبحانه الذي فضلنا بعبادته فرفعنا، والحمد لله الذي أمتن علينا بطاعته فأعزنا، والحمد لله الذي عصمنا وحكمنا بشرعه فحفظنا . اللهم اجعل خضوعنا لك قرينة منك يا الله .



---

<sup>١</sup> وفي رواية عند أصحاب السنن : زيادة (بحوله وقوته) .

## ١٠ - مقام التشهد

آخر مقام في الصلاة هو مقام التشهد الأخير، الذي فيه ينطق المصلي بصيغة تبجيل الله سبحانه، ومن ثم يختمه بالدعاء . ولهذا المقام أربع محطات :

- المحطة الأولى . تسمى التشهد الأول يقول فيها المصلي ما ورد عنه ﷺ :

(التحيات المباركات، الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله) [متفق عليه، واللفظ لمسلم . وليس في رواية البخاري لفظ (المباركات)]<sup>١</sup>.

وفي رواية عند الإمام مالك قوله ﷺ : (التحيات الطيبات، الصلوات الزاكيات لله)<sup>٢</sup>.

في هذه المحطة يعلن فيها المصلي ويتلفظ بكل أنواع التحايا لله تعالى الملك الجليل، وذلك قبيل السلام وإنهاء الصلاة .

---

<sup>١</sup> وفي شرح صحيح مسلم للنووي : (التحيات) جمع تحية وهي : الملك والبقاء وقيل العظمة وقيل الحياة وإنما قيل التحيات بالجمع لأن ملوك العرب كان كل واحد منهم تحييه أصحابه بتحية مخصوصة فقيل لجميع تحياتهم لله تعالى وهو المستحق لذلك حقيقة . (والصلوات) هي الصلوات المعروفة، وقيل الدعوات والتضرع، وقيل الرحمة أي الله المتفضل بها . (والطيبات) أي الكلمات الطيبات . (المباركات) البركة كثرة الخير، وقيل النماء تقديره والمباركات . ومعنى الحديث أن التحيات وما بعدها مستحقة لله تعالى ولا تصلح حقيقتها لغيره .

قال الشارح : (والصلوات والطيبات حذفت الواو اختصاراً وهو جائز معروف في اللغة) . ويجوز التقديم والتأخير بين هذه الألفاظ لاختلاف الروايات الواردة وكثرتها في ذلك .

<sup>٢</sup> وقال السيوطي في تنوير الحوالك شرح موطأ مالك : (الزواكيات) صالح الأعمال .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (لُزْزَب) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

والمعروف بين البشر أن التحية تكون عند اللقاء، والوداع عند الفراق، لكن تحية الصلاة تكون عند الوداع، لماذا ؟ ليبقى قلب المؤمن معلقاً بربه سبحانه الذي حيّاه أبلغ التحايا قبل أن يفتل من الصلاة وينصرف من أمامه سبحانه .

ونلاحظ في هذه الصيغة من التشهد أمور كثيرة مهمة تضمنتها . من أهمها :

١- إجمال التحايا لله سبحانه وتعالى رب العالمين .

٢- إسناد كل شيء طيب له جل في علاه .

٣- إلقاء صيغة السلام كاملة على النبي المصطفى ﷺ .

٤- تسليم المصلي على نفسه بعد السلام على النبي ﷺ .

٥- شمول السلام على جميع عباد الله تعالى الصالحين .

٦- حال تسليم المصلي على نفسه يتلفظ بصيغة الجمع قائلاً : (السلام علينا) .

وليس : (السلام عليّ) .

٧- النطق بشهادة التوحيد بشقيها كاملة .

وأهم هذه الأمور في هذا المقام هو الأمر السادس . وهو تسليم المصلي على نفسه بصيغة الجمع، بقوله : (السلام علينا) . ليشمل سلامه ذلك كل مسلم موحد لله سبحانه وتعالى من إنس وجن وملائكة كرام، وفي ذلك رباط وثيق لا ينفك عنه أي مسلم .

ولهذا جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (إن الله هو السلام، فإذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل : التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإذا قالها أصابت كل عبد لله صالح في السماء والأرض) [متفق عليه] . فلزم المسلم السلام على جميع إخوانه في الله تعالى .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُنَزَّهٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

وهذا يعني أن لكل مسلم في كل فرض يؤديه سلام يقع عليه من عموم المسلمين، وفي نفس الوقت سلام يصدر منه لكل موحد مسلم، وهذا الأمر يحصل منه خمس مرات في اليوم على الأقل، وبهذا يكون له أجور كل الموحدين ممن سبق ومن سيلحق، لأن كل مسلم سيأتي من بعده ملزم بالسلام عليه، وذلك إلى يوم القيامة . كما أن حقيقة الأمر تعني أن المسلم متى امتنع عن أداء الصلاة، فقد فرط في حق إخوانه في الدين بسلامه عليهم، وفي نفس الوقت حرم نفسه من تلقي سلامهم عليه، لأنه حين ترك الصلاة لم يعد من الصالحين .

- المحطة الثانية . تسمى التشهد الثاني أو الأخير، ويكون بالتلفظ بالتشهد الأول، ثم الزيادة عليه بما بينه ﷺ بقوله : (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد)[الجماعة واللفظ للترمذي] . نلاحظ في هذه الصيغة أيضاً من التشهد أمور كثيرة تضمنتها، من أهمها :

- ١- الصلاة على النبي محمد ﷺ بالاسم الصريح .
- ٢- الصلاة على آل محمد ﷺ بالتخصيص .
- ٣- الصلاة على أبينا إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .
- ٤- الصلاة على آل إبراهيم عليه الصلاة والسلام .
- ٥- شمولية الصلاة على إبراهيم عليه الصلاة والسلام لمحمد ﷺ وأمته .
- ٦- تحقق الدعاء بالبركات مثل الصلوات تماماً، على محمد ﷺ وأمته، مرتين من طريقين اثنين، من طريقه ﷺ ومن طريق أبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

## مَنُورٌ جَنَانٌ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ جَنَانٌ . (رَدُّر)

وكل ذلك مهم ولا ريب، غير أن الأمر الأكثر أهمية هو الصلاة على الآل .  
فمن هم الآل ؟ يقصد بالآل هنا : كل من يؤول إلى دين محمد ﷺ من صدقه  
وآمن به واتبعه، استحق بذلك الصلوات والبركات، لذا كانت أمة محمد ﷺ أمة  
مرحومة .

ولهذا جاء في الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا  
مَعَهُ﴾ (٨) [التحریم] . نلاحظ أن الآية نفت الخزي عن النبي الأكرم ﷺ وعن أمته  
معه، تكرامة له ﷺ .

- المحطة الثالثة . نهاية التشهد الأخير وهو وقت الدعاء، الذي قال فيه ﷺ : (ثم  
يتخير من المسألة ما شاء) [متفق عليه] . هنا للمصلي أن يدعو الله تعالى بما أراد  
من أمور دينه ودنياه سواء .

وقد علمنا ﷺ بعضاً مما يستحب الدعاء به في ذلك الموضع، فعن أبي هريرة  
رضي الله تعالى عنه قال : (كان رسول الله ﷺ يدعو ويقول : اللهم إني أعوذ بك  
من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة  
المسيح الدجال) [البخاري] .

وعن علي رضي الله تعالى عنه قال : (... ثم يكون آخر ما يقول بين التشهد  
والسلام : اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما  
أنت أعلم به مني، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت) [أبو داود  
والترمذي وصححه الألباني] . وغير ذلك من الأدعية النافعة التي يتخيرها المصلي  
لنفسه .

والدعاء هو آخر وقفة بين العبد وربّه، جعله سبحانه وتعالى فرصة للمسلم بل  
محطة يقف عندها ليسأله جل في علاه بما فتح عليه جل جلاله .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدْرَدٌ) ..... (مُنَزَّهٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدْرَدٌ)

- المحطة الرابعة . وهي السلام عن يمين وشمال بلفظ : (السلام عليكم ورحمة الله) . نلاحظ لفظة (عليكم) . يعني أن المسلم حين يسلم جهة اليمين يصيب بسلامه كل من كان عن يمينه إلى ما شاء الله تعالى، وكذلك عن شماله، فكم يا ترى سيكسب من أجور لسلامه الذي ألقاه ! وكم يا ترى سيقع عليه من سلام إخوانه في الدين عليه ! وهذا الأمر يتكرر مرات عديدة كل يوم .

وإجمالاً . فمقام التشهد مقام كبير ومهم في الصلاة، فيه يرتبط المسلمون ببعضهم بعضاً، والله سبحانه كل الحمد والمِنَّة . اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام .



مَنْزُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَادٌ) ..... (مُزَوَّبٌ) ..... مَنْزُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَادٌ)

## ١١ - الزكاة (طهر ونقاء)

أمر الله سبحانه وتعالى بأداء الزكاة لمستحقيها من المحتاجين، تحقيقاً لقوله تعالى في المحكم المنزل في آيات كثيرة : ﴿وَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ . والقصد من ذلك عون الفقير والمساكين على حركة الحياة، هذا هو حد علم الكثير من الناس بها، لكن الزكاة لها معان كثيرة وأهداف نبيلة تفوق هذا المفهوم وهو :

أنها نقاء وطهر يبذل المسلم نفسه وماله ليحقق ذلك وليشعر بقوة الرباط مع إخوانه المسلمين وبقربه من الله عز وجل . فالبذل يعني التخلي عن الأطماع الشخصية والأنانية ومد حبال المحبة والعطاء .

وإذا كان هذا هو حال المسلم وصادر عنه بكل قناعة ورضا، فهو ولا شك قد عرض نفسه لمرضاة الله تعالى، وحينها يزيه عز وجل بحق، ويزكي ماله، وينقي قلبه، ويطهر نفسه، ويبارك فيه، وفيما آتاه، ويخلف له بخير ويرضيه في الدارين، بأكثر مما بذل وأعطى . الزكاة نقاء للقلب وتزكية للنفس وقرب من الله تعالى ومن البشر أيضاً، فهي بحق زكاة للمال وللروح وللجسد .

لنتأمل قوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (٩) ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (١٠) [الشمس] ولنتدبر قوله سبحانه : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١٤) [الأعلى] وقوله جلّت عظمتة : ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزَكَّى﴾ (١٨) [النازعات] .

مضمون الآيات والمراد بالزكاة هنا طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة، يأتي في مقدمة ذلك طهارة النفس من الشرك وعموم الذنوب والآثام، وزكاة المال إنما سميت زكاة لأنها تطهره من الحرام وتكون سبباً لزيادته وبركته وكثرة نفعه وتوفيقاً إلى استعماله في الطاعات وعصمته من أن ينفق في المحرمات .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَارٌ)

والمسلم متى أَلِفَ البذل والعطاء، واستطاع أن يملك ماله فيبذله، ولم يصبح عبداً مملوكاً للمال فيكنزه، بذلك يكون قد بلغ أعلى درجات الطهر والنقاء والصفاء والعطاء .

لذا جاء في الحديث قوله ﷺ : (خمسٌ من جاء بهنَّ مع إيمان دخل الجنة : من حافظ على الصلوات الخمس؛ على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن، وصام رمضان، وحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً، وأعطى الزكاة طيبةً بها نفسه، وأدَّى الأمانة) [أبو داود وحسنه الألباني والطبراني في الصغير والهيثمي] . والمعنى أنه ﷺ اشترط في أداء الزكاة وجوب طيب النفس لتؤتي الزكاة ثمارها بحق . ولذلك نلاحظ أن الله تعالى في كل الآيات التي أمر بها العباد بالزكاة قال فيها : (وإيتاء الزكاة) ولم يقل : (إعطاء الزكاة) . والابتاء ليس هو الإعطاء، فالإبتاء يكون من طيب النفس بلا ممانعة منها ولا منازعة، بخلاف الإعطاء والذي قد يكون والنفس كارهة أو غير طيبة بها حال العطاء . وعليه فالزكاة لن تؤتي ثمرتها الحقيقية إلا إذا بذلت من نفس طيبة غير كارهة للبذل والإنفاق .

وإيتاء الزكاة بهذه الصورة لا يصدر إلا ممن استطاع أن يقود نفسه للخيرات والبذل والعطاء بحق، بدلاً من أن تقوده نفسه للبخل والشح والمنكرات مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر] .

وفي معنى هذه الآية يُذكر أن أحد السلف ظل يطوف حول الكعبة سبعة أشواط وهو يدعو بدعوة واحدة فقط يقول فيها : (اللهم قني شح نفسي)، فلما سُئل عن ذلك أجاب بهذه الآية، أي أن من حقق ذلك فكفاه الله سبحانه شح نفسه فقد أفلح، وصدق في ذلك، وصدق الله تعالى في قوله عز وجل .

## مَنُورٌ مَخَانَةٌ . أُرْدَرُ ..... أَلْمُزَكَّيْنِ ..... مَنُورٌ مَخَانَةٌ . أُرْدَرُ

والمحصلة ! أن للزكاة معانٍ عظيمة منها إرادة الطهر، والتخلص من شح النفس، وحب الذات، والأنانية والاستحواذ، والتملك والحياسة، وبالتالي التمسك الحقيقي بمبدأ الأخوة في الله تعالى والترابط فيما بين أبناء المجتمع المسلم ولا يتأتى ذلك إلا ممن استطاع بكل صدق أن يكبح جماح نفسه، فيقودها للطهر والعفاف بدلاً من أن تقوده هي للحرص والشقاء . اللهم إنا نسألك زكاة أخلاقنا واستقامة جوارحنا وسلامة أبداننا .



مَنْزُورٌ حَقٌّ . (مَنْزُورٌ) ..... (مَنْزُورٌ) حَقٌّ . (مَنْزُورٌ)

## ١٢ - الصدقة (صلة بالناس وبرب الناس)

ورد في القرآن الكريم ذكر مقطعين من الآيات، كلاهما تتحدث عن صفات المؤمنين الخاشعين، وعن مسألة الإنفاق بوجه عام . غير أنه جاء في المقطع الأول قوله جل جلاله : ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (١٩) [الذاريات] . وجاء في الثاني قول الله سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ (٢٤) [النساء] . [المعارج] . وهناك فرق بين مدلول كلا الآيتين ولا شك .

ففي إحدى هاتين الآيتين جاء فيها لفظ : (معلوم) وفي الأخرى لم تحتو على هذه الكلمة، وعليه فأفادت أنه حق غير معلوم، هذا الحق غير المعلوم هو الصدقة التي هي بكل حال ليست محددة العطاء، فمن شاء فليستكثر منها ومن شاء فليستقلل، أما ذاك الحق المعلوم فهو الزكاة التي نص عليها الشارع الحكيم، وبينه بنصابها المعلوم بحسب نوع المال المركب منها .

هذه الصدقة ! أراد الله جلّت عظمته أن تشيع بين أفراد المسلمين فيذكر الغني منا الفقير فلا ينساه أبداً، وبهذا يتكافل المجتمع المسلم فيما بينه بنظام تأمينات إسلامية يأمن من خلالها الغني على نفسه، ويعلم أنه متى افتقر فإن له إخوة في الدين سيقفون بجانبه ولن ينسوه . وقبل ذلك يجد الفقير فيه ما يسد جوعه ورمقه، من إخوة صدق يقفون معه حال فقره وحاجته . لذا جاء عطاء الصدقة مفتوح النطاق لا حد لأقله ولا لأكثره .

ومما يروى في ذلك أن أبا حنيفة رحمه الله تعالى كان كثير العطاء ينفق بلا حدود، فأرسل له مرة عبدالرحمن بن أبي ليلى<sup>١</sup>، أرسل إليه يقول له : (أما علمت

<sup>١</sup> وكلاهما من صالحى التابعين . وكان على خلاف معه، مما يكون أحياناً بين الأقران .

## مَنُورٌ حَمَانٌ . (رَدُّ رَدِّ) ..... (مَنْزُورٌ حَمَانٌ) . (رَدُّ رَدِّ)

أنه لا خير في الإسراف) . فرد عليه أبو حنيفة برد عجيب، قائلاً : (قد علمت أنه لا خير في الإسراف، فهل علمت أنه لا إسراف في الخير) .

والمعنى أنك يا مسلم مهما أنفقت في دنيائك فهو خير لك ترصده عند ربك ليوم فقرك وحاجتك، وفي الحديث قوله ﷺ : (كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين العباد) [أحمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والبيهقي في الكبرى والصغير وصححه الألباني من حديث المشكاة] .

والصدقة كلما كانت عن فقر وحاجة كانت أفضل، ولذا قيل : (الإنفاق من الغني حسن، وهو من الفقير أحسن)، لأن الذي يجد وهو في سعة ليس حاله كمن لا يجد وهو في ضيق من أمره ! وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (سبق درهم مائة ألف درهم، قالوا : وكيف، قال : كان لرجل درهمان تصدق بأحدهما، وانطلق رجل إلى عرض ماله فأخذ منه مائة ألف درهم فتصدق بها) [النسائي واللفظ له وصححه الألباني وأحمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم] .

ولذا كانت الصدقة إحدى سبل دخول الجنة بكل سهولة ويسر قال ﷺ في ذلك : (يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام) [الترمذي وابن ماجه وأحمد والدارمي والحاكم] .

نلاحظ هنا قوله ﷺ : (أطعموا الطعام) خص من الصدقة إطعام الطعام، لأن أفضل وأولى الصدقات بل وأوجبها ما يسد به المسلم جوع أخيه، والجزاء دخول الجنة بسلام .

كما أن الصدقة من أهم الأمور التي تستجلب رضا الله سبحانه وتُذهب غضبه عز وجل وتدفع عن المسلم سوء العاقبة قال ﷺ في ذلك : (إن الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء) [الترمذي وابن حبان والبيهقي في

## مَنُورٌ جَمَانٌ . دُرُورٌ ..... لُزْزَقٌ ..... مَنُورٌ جَمَانٌ . دُرُورٌ

الشعب] . وعليه فالمسلم مطالب بكثرة بذل الصدقة لأنه لا يعلم أي الصدقة يعود نفعها عليه فتقبل منه، وأيها يرد عليه ؟

ومما يروى في ذلك أن قاطع طريق ظل سنين طويلة على فجوره، وفي يوم من الأيام وبينما هو يسير إذ وجد امرأة في الطريق وغلामها معها يبكي فسألها عن سبب ذلك فقالت له : لم ندفع للمعلم الأجر فأخرج ولدي من المسجد، فذهب إليه وأعطاه أجر سنة كاملة عن ذلك الغلام وانصرف، فكتب الله تعالى له الهداية بتلك الصدقة التي ما كان يرجو أن تصل به إلى ذلك الحد .

وقصة مشابهة عن أحد السلف ممن كان مشهوراً بقطع الطريق والسطو وهو (الفضيل ابن عياض) لما تاب الله تعالى عليه، سُئِلَ عن سبب توبته فقال : كنت يوماً أمشي في الطريق وليس معي سوى درهم واحد مما بقي من السطو وقطع الطريق، فوجدت ورقة من المصحف الشريف ملقاة على الطريق يدوس عليها المارة، فرفعتها من الأرض واشترت بالدرهم المتبقي طيباً فطيبتها به ودسستها في جحر عالٍ من جدار، فسمعت حينها منادياً يقول : والله لأبيضنَّ اسمك كما بيضت اسمي . فياله من درهم رفع صاحبه ونقله من ديوان الأتقياء ليكون ويكتب في ديوان الأتقياء السعداء .

وأفضل الصدقة صدقة السر التي تكون بين العبد وربه جل جلاله لا يعلم بها أحد من خلق الله تعالى . لذا قال ﷺ في حديث السبعة الذين يظلمهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله : (ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله) [مسلم] .

وفي كتب السير أن بعض أهل المدينة قال : ما فقدنا صدقة السر إلا بعد موت زين العابدين، وقال محمد بن إسحاق : كان ناس من أهل المدينة يعيشون،

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . أُرْدَرُ ..... أُنْزَقُ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . أُرْدَرُ

لا يدرون من أين معاشهم ومآكلهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلاً إلى منازلهم، رحمه الله تعالى ورحم آبائه وأجداده .  
والخلاصة ! أن الصدقة صلة حقيقية بين العبد وربه سبحانه لا يعلم المسلم ماذا سيكتب الله تعالى له بها من أجر عظيم ! أو ماذا سيدفع الله جل شأنه عنه بها من بلاء وخيم ؟ اللهم اجعلنا ممن أنفقت يمينه فلم تعلم شماله .



مَنْزُورٌ حَقٌّ . (مَنْزُورٌ) ..... (مَنْزُورٌ) حَقٌّ . (مَنْزُورٌ)

### ١٣ - المال (أحد النجاتين)

قال أحد السلف : (عجبت لمن يهلك ومعه النجatan، قيل : وما هما، قال : الاستغفار والمال) وهذا صحيح، أما الاستغفار فقد تكلمت عنه في الباب الأول وأما المال فهو بحق أكبر طرق وأساليب وفرص النجاة، لأن العبد يستطيع أن يبذله في أوجه الخير ومصارف البر فيرضي ربه سبحانه وتعالى بذلك مصداقاً لقوله ﷺ : (الصدقة تطفي الخطيئة كما يطفى الماء النار) [الترمذي وابن ماجه وأحمد وابن حبان والحاكم وصححه الألباني] .

والمعنى أن المسلم يستطيع بماله أن يرضي ربه عز وجل من خلاله بكثرة البذل والإنفاق منه على المحتاجين والفقراء والمساكين والأرامل والأيتام وفي كل وجوه الخير والبر والحق .

هذا بالإضافة إلى أن المال خير ما يعين المسلم على قضاء حوائجه، وعلى العفاف في الدنيا، لأنه يكفيه مؤونة كل شيء ما دام يحسن التصرف فيه ويرضي الله تعالى به مصداقاً لقوله ﷺ في المال : (نعم المال الصالح للرجل الصالح) [مسلم] .

والمعنى أن المال خير نعمة عند من عرف كيف يستعمله في مرضاة الله تعالى وأوجه الخير والبر، أما من أمسكه ومنع إنفاقه فسيشغله ويطغيه ويلهييه في الدنيا، ثم إنه سيكون عليه وبال وشقاء في الآخرة .

والمال هو النعمة الوحيدة في الدنيا التي يُسأل عنها المسلم من ناحيتين : في كيفية جمعه، وعن كيفية إنفاقه وصرفه، مصداقاً لقوله ﷺ : (لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس - وذكر منها- وعن ماله من أين اكتسبه

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... الْمُرُورُ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

وفيما أنفقته [الترمذي وحسنه الألباني والبيهقي في الشعب]<sup>١</sup> . والناس في أوجه الإنفاق أربعة أصناف والله سبحانه وتعالى في خلقه شؤون وحكم :  
أ- منهم من جمعه من حل وأنفقته في حل، واتقى الله تعالى فيه، فأنفقته في كل ما يرضي الله سبحانه وتعالى، ولم يكنزه ويمنعه عن المحتاجين، بل بذله في أوجه الخير والبر وأعطى حق الله تعالى فيه .

ب- ومنهم من جمعه من حل وأنفقته في غير حل، فيمنعه من الإنفاق على المحتاجين، وراح يصرفه في الملاهي والمحرمات والملذات ولا يبالي .  
ج- ومنهم من جمعه من حرام وأنفقته في حرام، وبالتالي فهو لا يتورع من أن ينفقه في كل وجوه الشر والباطل واللهو والعبث والفساد والمنكرات، مع سوء الإمساك وعدم الإنفاق على المحتاجين .

د- ومنهم من جمعه من حرام ثم خلط عمله الفاسد بإنفاق صالح، فهو يسعى ليظهره وإنفاقه في كل أوجه الخير والبر، علّ الله تعالى أن يقبل منه ويعفو عنه .  
المال نعمة كبرى . لذا ففي أول ثلاث آيات من أول سورة في القرآن الكريم بعد فاتحة الكتاب وهي سورة البقرة استفتح ربنا جل في علاه السورة الكريمة بثلاث صفات للمؤمنين بقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة]  
فذكر الإنفاق بعد الإيمان والصلاة ليبين سبحانه لعموم خلقه أن المال ومنه الإنفاق يمثل عصب الحياة، وعليه تدور حركة العباد ككل .

والمال كما يقول رسولنا الكريم ﷺ مالان، مالٌ تنفقه فهو لك ومالاً تحرسه فهو لورثتك، اسمع قوله ﷺ لصحابته الكرام : (أيكم مال وارثه أحب إليه من

---

<sup>١</sup> وتكملة الحديث قوله ﷺ : (عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن علمه ماذا عمل به) .

## مَنُورٌ جَنَانُهُ . (مُرَدَّرٌ) ..... (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ جَنَانُهُ . (مُرَدَّرٌ)

ماله، قالوا : يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه، قال :  
اعلموا أنه ليس منكم أحد إلا مال وارثه أحب إليه من ماله مالك من مالك  
إلا ما قدمت وما لوارثك إلا ما أخرت [البخاري] . والمعنى أن كل مال أنفقته  
في حياتك فقد كُتِبَ لك خيرُه وشره، وكل مال تركته خلفك ومُتَّ دونه فهو  
لوارثك وعليك وزره .

فأنفقه في حياتك حتى يُكتب لك ولا تتركه بعدك حتى لا يُكتب عليك،  
لأنك ستحاسب عنه مع أنك تركته في دنياك ولم تستفد منه .  
وهذا هو ما يسمى بشئوم المال ألا وهو : (أن يتحمل المرء غُرمه في الآخرة،  
وهو لم يستفد من غنمه في الدنيا) . فاحذر ذلك ولا تكن كالحامل لغيره لا  
يستفيد بشيء مما حمل، ومما قد أجهد نفسه فيه .

ثم إن المال هو هبة الله تعالى لعموم خلقه وهو ليس مالك حقيقة بل هو مال  
الله سبحانه أعارك أياه، يخوّله عز وجل من شاء، فيخلف على المنفق، ويمحق  
ويتلف الممسك، وليس شرطاً أن يكون ذلك الخلف والتلف بالزيادة أو بالنقصان  
كما يظن كثيراً من الناس ! بل ربما كان ذلك بالبركة والرشاد في صرفه، وفي  
الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان  
ينزلان من السماء يقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم  
أعط ممسكاً تلفاً) [مسلم] . والناس نوعان :

١- منهم من خوله الله تعالى المال فأحسن في ذلك، فكان تخويل الله عز وجل له  
عطاء خير ورحمة ومنحة وهبة، فأنفقه في كل وجوه الخير والبر فبارك الله تعالى له  
فيه، وكلما زاد ماله كان خيراً على خير يقربه من الله جلّت في علاه بالعمل الصالح  
ويقربه من الناس بالعطاء والبذل .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّ . (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَدُّ)

٢- ومنهم من خوله الله تعالى المال فأساء التحويل، فكان المال عليه شقاءً ووبالاً وتعباً وسهرًا فقطع به الأرحام والصلات وجافى القريب والبعيد خوفاً على ماله فكان ذلك المال عليه شراً أشغل نفسه وأطاعها فأمسكه ومنعه عن مستحقه من محتاجين، وكلما زاد ماله كان شراً على شر لأنه يزيده بخلاً وشحاً وإمساكاً وإساءة معاملة للناس؛ ولا سيما لمن حوله من أقارب وذوي رحم، بل وربما منع الخير حتى عن نفسه أيضاً .

قال أحد السلف : (عجبت للمال نجاة للفقير، مهلكة للعن) أي الأحمق، وهذا صحيح لأن من أحسن الإنفاق فقد عمّر آخرته بما في يده من مالٍ فإن سيموت عنه ويتركه وسيبقى أثره له في الآخرة، وأما من أساء الإنفاق فأمسكه فقد عمّر دنياه الفانية بالمال الفاني، وخرّب آخرته الباقية بالإمساك وعدم الإنفاق، فلا هو حافظ عليه وتمتع به في دنياه، ولا هو أدرك النعيم الباقي في الآخرة بإحراز الأجور .

ولذا فطالب المال لا يقنع منه أبداً إلا من رحم الله تعالى، ووقفه لذلك، ومع ذلك فالقليل جداً من يوفق للفهم فيه والوعي، والكثير من ذوي الأموال كلما زاد ماله كلما قل إنفاقه وكأنه يقابل خير الله تعالى وهبته وعطاءه بالإمساك والإساءة في التصرف، وكأنه سيُدخل ماله معه قبره، وهذه مشكله كبرى يغفل عنها كل ذي مال حتى يفجأه الموت إلا من رحم الله سبحانه .

والغريب أن الإنسان ليس له من ماله إلا ثلاثة أمور بينها ﷺ بقوله : (يقول العبد مالي مالي، إنما له من ماله ثلاث ما أكل فأفنى، ولبس فأبلى، وأعطى فاقتنى "فأفنى"، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس) [مسلم . وأقتنى أي ادّخر، وأقتنى أي أرضى] . والمعنى أنه ليس له من ماله إلا ما استهلكه وصرفه في

## منزلة حنيفة . (رررر) ..... (لنررر) ..... (لنررر) حنيفة . (رررر)

حياته، وما سواه فهو ميت وتاركه للناس، وحقيقة أمره أنه كان كالحارس عليه ليوصله للورثة من بعده فهو الذي شقي وهو الذي جمع وهو الذي تعب وهو الذي منع نفسه ولم يتمتع بماله الذي أضنى نفسه من أجله، ثم هو الذي مات عنه وتركه وخلاه لمن بعده لينعم به ويتمتع، فياخرانك يا مسكين لو كنت تدري ! ثم هل هو سلم من الحساب عليه ؟ كلا . بل إنه سيحاسب عليه فيكون قد خسر من جهتين ! مات عنه ولم يتمتع به وسوف يحاسب عليه، فلا منه استفاد وبه تمتع، ولا منه سلم ولم يحاسب .

والمال أخي المسلم ليس هو كل شيء في الحياة وذلك لأنه رزق غير مباشر فهو يأتي ويروح، والمعنى لو أن عند الإنسان جبل من ذهب وفضة ثم جاع وعطش وليس عنده ما يأكله ويشربه حينها فبماذا سينفعه كل ذلك المال وقتها ؟ لن ينفعه بشيء، لأنه رزق غير مباشر . ولذا فالمال وكل رزق غير مباشر يجيئك ويذهب منك وقد يذهب عنك ولا يرجع وحينها لن تجد لك مسعفاً لأنك لم ترصد به شيئاً يبقى معك في الدنيا والآخرة ولذلك قيل : (ثلاثة لا أمان لها وذكرها منها المال)<sup>١</sup> . وكم من غني افتقر ومن موسر تعسر والدهر مليء بذلك ممن اغتر بماله وركن عليه وكأنه ضامن لبقائه في يده .

ومما يروى في ذلك أنه بعدما تولى الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور الخلافة اجتمع لديه المهنتون في دار الخلافة وبينما هم كذلك إذ استأذن عليه أحد التابعين الأخيار فقال المنصور أتاكم مقاتل بن سليمان ليفسد عليكم مجلسكم ويعكر صفوه، والمعنى : (أنه قد عُرف عنه الزهد والتقشف في الدنيا) . لذا فهو سيدخل وسيعظكم وبالتالي وسيضيع فرحة مجلسكم، ثم قال المنصور : ولكني سأبادره

---

<sup>١</sup> وتام القول : (ثلاثة لا أمان لهم : المال وإن كثر، والسلطان وإن دنا، والمرأة وإن طالت عشتها) .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَرٌ

الكلام حتى إذا تجاوز الحد يكون ذلك بسؤالي له . فلما دخل مقاتل قال له المنصور : عظنا، فقال : يا أمير المؤمنين بما رأيت أم بما سمعت، والمعنى : (أن الإنسان يرى أقل مما يسمع، فهو يسمع بنفسه ويسمع من غيره من مرائي الآخرين، وليس السماع كالعيان) .

فقال المنصور له : بل بما رأيت . فقال مقاتل : يا أمير المؤمنين مات الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز وله (١٢) ولداً وخلف بعده تركة (١٨) ديناراً فقط، كفن منها ب (٥) واشتري له قبر ب (٤) . والمجموع (٩) والباقي كذلك (٩) فوزعت على الورثة فكان نصيب الواحد منهم ثلاثة أرباع الدينار .

ومات الخليفة هشام بن عبد الملك وله أربع زوجات كان نصيب الواحدة منهن (٨٠) ألف دينار، غير الدور والضياع (هذا للزوجة الواحدة، والزوجات الأربع يشتركن في ثمن التركة فيكون مجموع الثمن هو (٣٢٠) ألف دينار غير الدور والضياع والخدم والعييد والجواري والحللي) وهذا كله في الثمن والباقي سبعة أثمان وزعت على الأولاد .

ثم قال مقاتل : والله يا أمير المؤمنين لقد رأيت أحد أبناء عمر بن عبد العزيز صاحب ثلاثة أرباع الدينار يحمل على مائة فرس كلها يجاهد في سبيل الله تعالى، والله يا أمير المؤمنين لقد رأيت أحد أبناء هشام بن عبد الملك في المدينة يتكفف الناس يسأل . فسبحان الله العظيم .

فانظر أخي وتفكر ! وأعلم أنه لا أمان في الدنيا ولا في مستقبل الإنسان على شيء لأن كل شيء بيد الله تعالى، فالعاقل من وثق بالله عز وجل وبما عنده سبحانه، وما عليك إلا أن تدعوه تعالى دوماً أن يخلفك من بعدك في أبنائك بخير خلف وهو خير حافظاً وهو سبحانه أرحم الراحمين .

## مَنُورٌ جَنَانٌ . (رَدِّ رَدِّ) ..... (مَنُورٌ جَنَانٌ) . (رَدِّ رَدِّ)

ومن فتنة المال أنه يأسر قلب الإنسان حتى من تحقيق طموحاته فبعض الناس هو الذي يحرس المال وليس المال هو الذي يحرسه ويربِّه، حتى إذا مرض ورأى الموت قد اقترب تذكر حقوق الناس وتذكر الإنفاق والصدقة وذلك هو الغرر الحقيقي .

قال ﷺ في ذلك لما سئل أي الصدقة خير فقال ﷺ : (أن تصدَّق وأنت صحيح صحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تهمل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان) [متفق عليه] والمقصود أن تتصدق يا مسلم وأنت في تمام صحتك حريص على مالك تخاف من الفقر وتأمل أن تصبح غنياً لا أن تتصدق حال المرض والضعف والخوف من الموت .

ثم دقق الملاحظة في قوله ﷺ : (السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخیل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار ولجاهل سخي أحب إلى الله عز وجل من عابد بخیل) [الترمذي واللفظ له والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب وابن حبان في روضة العقلاء] .

والمعنى أن السخي قريب من الله تعالى لإنفاقه من ماله كما أمر عز وجل، قريب من الناس بإعطائهم ما يستحقون، قريب من الجنة لما فعله من خير بعيد من نار لتنفيذه مراد ربه منه، والبخیل بعكس ذلك فهو بعيد من الله تعالى لعدم إنفاقه كما أمر عز وجل مما خوله إياه من مال، بعيد من الناس لتقصيره في إعطائهم ما يستحقونه من ماله، بعيد من الجنة لإمساكه، قريب من النار لعدم تنفيذه مراد ربه تعالى منه، وسبحان الله، ففي الحديث غاية البيان لحال الاثنين فعلاً في الدارين سواء . اللهم إنا نسألك خير ما في أيدينا ونعوذ بك من شر ما في أيدينا .



مَنزُورٌ مَحْنَانٌ . (مُرَارٌ) ..... (مُنَزَّهٌ) ..... مَنزُورٌ مَحْنَانٌ . (مُرَارٌ)

#### ١٤ - الصوم (صحة واتزان)

الصوم هو الركن الثالث من أركان الإسلام الفعلية، وكل مسلم يعرف أنه عبادة بدنية فحسب، ولكنه في حقيقة أمره عبادة بدنية حسية، وبالتالي فهو رياضة للروح وللجسد سواء ومع ذلك فالقلة من المسلمين من يعرف ذلك ويستشعره، لذا فالصوم يعني : أن يصوم المسلم نفسه ويمنعها عن الحلال قبل الحرام كل ذلك ليرضي الله تعالى عليه، والمسلم متى ما فعل ذلك فهو ولا شك يكون قد كسر شهوة نفسه وحدة رغباته، واستسلم لله تعالى، ولأوامره عز وجل .

الصوم في حقيقته زكاة للبدن، والمسلم كلما حَرَمَ نفسه ومنعها من الحلال في ذات الله تعالى عَوَّضَهُ سبحانه صفاء ونقاء ورضاً يجدر حلاوته في قلبه وبركته في جسده . فكما منعت نفسك عن الحلال المتاح لك امتثالاً لأمر الله تعالى وطاعة له، وكل ذلك على قدرك وجهدك سيجزيك الله سبحانه بما يفوق ذلك من عطاء وبركة ومنح في سمو روحك واستقامة جوارحك واتزان جسديك على قدره عز وجل من عموم فضله، لذا قال جل في علاه في الحديث القدسي : (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به) [متفق عليه] .

في الحديث لفظة عجيبة ! فقله تبارك وتعالى : (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم)، ليس له مدلول بحسب ظاهر الكلام، لأننا لو نظرنا للفاعل للأعمال لوجدنا أن كل عمل يعمل المسلم هو له، حتى الصوم .

وكذلك قوله تعالى : (فإنه لي وأنا أجزي به)، فلو نظرنا للذي يجزي على العمل الصالح لوجدنا أن الله تعالى هو الذي يجزي على كل الأعمال الصوم وغيره، إذن ما معنى الحديث ؟ هنا يبرز لنا معنى زائداً ولفظة نظر تحتاج لفهم، وهي أن

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدُّ رَدِّ) ..... (مُنَورٌ مَحَنَانٌ) . (رَدُّ رَدِّ)

جزاء الصوم يكون بقدر الجِد والاجتهاد والصبر والاحتساب والإخلاص والإقبال على الله تعالى وهذا الأمر يتفاوت فيه العباد، وبالتالي فالجزاء متفاوت بقدر ذلك فيما بينهم .

ومن معاني الصوم الفياضة أن فيه الشعور بالآخرين ممن لا يجدون، وبالتالي تذكر نعمة الله تعالى على العبد مما حوَّله الله تعالى إياه، ومن ثم بذله لإخوانه الذين لا يجدون، وفيه أيضاً تذكُّر أن الله سبحانه أعطاك وحرم غيرك، فكنْتَ أنت المتصدق، فكيف لو حرمك وأعطى غيرك، فكنْتَ أنت المحتاج .

الصوم في مفهومه العام يقود إلى التقوى ويعلم الصبر والترك، بل هو مدرسة الصبر الأولى، حين يصبر المسلم عن الحلال حتى يفطر ويترك الحرام فلا يعود إليه حتى يعتاد ذلك ويألفه، فكانت التقوى هي ثمرته الأولى كما قال سبحانه وتعالى في محكم التنزيل : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٨٣) [البقرة] .

والمسلم إن لم يتعلم من صومه التقوى وتترى نفسه على ذلك من خصال الخير والبر، كان في صومه خلل ولا ريب فليراجع نفسه وليصلح مواطن الخطأ منها . هذا بالإضافة إلى أن الصوم خير ما يعين الجسم على المحافظة على توازنه من الناحية الصحية البدنية، فيستصح به الجسم بوجه عام كما تستصح به الروح وتصفو وتسمو . وفي الأثر عنه ﷺ : (صوموا تصحوا) [الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية] .

وعليه فالصوم يهذب شهوات النفس، ويقوم السلوك، ويعلم الانضباط، ويغيِّر ما اعتاده المسلم في حياته، من الناحيتين البدنية الحسية والروحية المعنوية، وبالتالي يجعله أيضاً يترك الجشع والنهم والشره والبطنة والشرّة، فينبذ الشر ويتركه ويُقبل على

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

الخير ويعشقه فتألفه نفسه ويداوم عليه . وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ :  
(يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج، فمن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء) [متفق عليه . وجاء أي وقاية] . وفي ذلك دليل على أن الصوم يحجز المسلم عن الشهوات والمنكرات ويقطع شرة النفس وغوايتها .

كما أن الصوم فيه ربط للنفس على التحمل ومنعها من تناول الملذات المباحة أمام الإنسان، وبالتالي من باب أولى البعد عن المحرمات، والمسلم كلما ابتعد عن الحلال المباح طاعة لله تعالى وقربة إليه سبحانه متّعه جلّت عظمتُهُ باستقامة جوارحه والبركة فيها . لذا كان الجزاء عظيماً بقدر ذلك، ففي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (من صام يوماً في سبيل الله، باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً) [متفق عليه] .

والحصول ! أن الصوم في مجمله يسمو بالنفس إلى حيث الطهر والطمأنينة والصفاء والنقاء وحب الخير بوجه عام . لذا كان الصوم إحدى وصاياه ﷺ لأُمته من بعده، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : (أوصاني خليلي ﷺ بثلاث : صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام) [متفق عليه] . اللهم اجعلنا ممن صام لك فقبلته ووهبته من صومه التقوى فذاق حلاوة ذلك ووجد ثمرته في أخلاقه .



مَنُورٌ مَحَنَانٌ . أُرْدَارٌ ..... (الْمُزَوَّبُ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . أُرْدَارٌ

## ١٥- الحج (ليك اللهم ليك)

شرع الله سبحانه وتعالى لنا الحج مرة في العمر، وهو عبادة بدنية شاقة يسعى فيها المسلم ليقف على عرصات المشاعر، فيعبد الله تعالى بصفة معلومة في أيام معلومة، تحقيقاً لقوله سبحانه وتعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران) . الحج في حقيقته أنه رحلة إيمانية بجته من أوله إلى آخره، من حين مفارقة الأوطان إلى حين التلاقي، كله يذكر بالآخرة ورحلة الإنسان الشاقة في هذه الدنيا .

فمفارقة الحاج لوطنه يذكره بمفارقتة الدنيا، وتجرده من المحيط حال الإحرام يذكره بتجرده يوم يموت، وطوافه بالبيت يذكره بضرورة التزامه شرع الله تعالى وتمسكه به والسعي بين الصفا والمروة يذكره بتعبه في الحياة وضرورة سعيه فيها وكدحه لمعاشه، ووقوفه بعرفة يذكره يوم العرض في أرض المحشر، والنفرة من المزدلفة يذكره بالبعث كالجراد المبعوث، ورمي الجمار وشدة الازدحام عليها تذكره بالعرق وشدة الحر في يوم شديد حره، طويل وقوفه، وكذا سائر أفعال الحج تذكر الإنسان برحلته في دنياه ثم بآخرته .

لذا كانت كل أعمال الحج في حقيقتها تذكرة وعبرة وموعظة يستدرك منها المسلم حياته، ثم بعد أن يعود إلى أهله وموطنه يكون قد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) [مسلم] . وقوله ﷺ : (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) [متفق عليه] .

## مَنُورٌ جَنَانٌ . أُرُورٌ ..... أُنُورٌ جَنَانٌ . أُرُورٌ

وبالتالي فعلى المسلم حينها ومن المفترض عليه بعد أن خرج من ذنوبه، أن يُخرج الدنيا من قلبه ثم يخرج هو من ركضه خلفها، ولهوه وعبثه فيها، وطلبه للذتها وزينتها وبهرجها، وكل ما يشغله عن لقاء ربه سبحانه وتعالى .

وتعتبر التلبية : (لبيك اللهم لبيك) هي شعار الحج الأكبر يرددّها الملايين من المسلمين ويهتفون بها ومع ذلك فالقليل جداً منهم من يعرف حقيقة معناها ومضمونها، فهي كلمة تعني :

جئناك يا رب يا من آمنا به رباً، وإلهاً وخالقاً وموجداً ورازقاً ومدبراً ومنعماً وحافظاً وهادياً، جئناك يا رب نختف باسمك، ونسعى إليك، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك، ونأمل مغفرتك، ونحقق عبوديتك، ونقيم شرعك، ونحفظ عهدك، ونقف على عتبات المشاعر المقدسة، نعبدك ونذكرك ونشكرك ونسبحك ونقدسك ونعظمك ونستغفرك وندعوك ونسألك كل عمل يرضيك عنا .

يا الله أسلمنا أنفسنا لك، وقلوبنا إليك، وعقولنا فيك، وأجسادنا عندك، ولك سعيها، ومنك وإليك وفيك لا عليك، أطعنا أمرك وهجرنا نهيك أحببنا ما أحببت وأبغضنا وقلينا ما أبغضت، وقليت يا الله انقادت لك جوارحنا وأسلمت لك نفوسنا وذلت لك رقابنا وانصاع لك أمرنا ...

اعترفنا بربوبيتك وألوهيتك لا إله غيرك ولا رب لنا سواك، ولا منعم ولا متفضل ولا واهب ولا حافظ إلا أنت، جئناك نحقق ما طلبت من صريح التوحيد، وصحيح الاتباع، فاقبلنا عندك، واغفر الذنب والزلة، وأقل الهفوة والعثرة، واستر العيب، وفرج الكرب، وامح الخطيئة، يا رب اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت وبارك لنا فيما أعطيت وقنا واصرف عنا شر ما قضيت فإنك تقضي ولا يقضى عليك إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت

## مَنُورٌ جَنَانُهُ . أُرْدَرُ ..... أَلْمُزَّجُ ..... مَنُورٌ جَنَانُهُ . أُرْدَرُ

ربنا وتعاليت . جئنك يا الله محرمين ملبين تاركين خلفنا الأهل والمال، جئنك رجلاً وركبناً مؤمنين ضامرين مخبتين منقادين منيبين طالبين العفو والعافية وراحين التوبة والرحمة سائلين رضاك في الدنيا ونعيم الآخرة، مستعيزين من نصب الدنيا وعذاب الآخرة، لا إله غيرك فنرجوه، ولا رب لنا سواك فنطلبه، ولا منجى ولا ملجأ منك إلا إليك يا رحمن يا رحيم فارحمنا واقبل منا سبحانك سبحانك يا عظيم .

جئنك فلا تردنا خائبين، ولا عن بابك مطرودين، ولا عن جنابك مبعدين يا الله، هذا هو حالنا وإليك هو مآلنا فارحم ضعفنا، وقوّ عزائمنا، وردنا إليك رداً جميلاً، واقبلنا فيمن قبلت يا الله، لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . نعم لا شريك لك لبيك .

هذه هي حقيقة التلبية . لذا جاء في الحديث النبوي الشريف لما سئل أي الحج أفضل فقال ﷺ : (أفضل الحج، العجّ والشجّ) [الترمذي وابن ماجه والدارمي والدراقطني والطبراني في الأوسط والبيهقي في الكبرى والشعب . والعج هو رفع الصوب التلبية، والشجّ الذبح وإراقة الدماء] . ذلك هو المطلوب الضراعة إلى الله تعالى .

فمن هتف بهذه الكلمات من صميم قلبه، وجماع نفسه، وكامل وعيه، وراجع عقله، فقد فاز وتحقق له ما أراد وما سعى إليه من رب العباد في الدنيا بالتوفيق وفي الآخرة بالأمن يوم المعاد . اللهم اجعل حجنا مبروراً وسعينا مشكوراً وذنبنا مغفوراً وعملنا صالحاً متقبلاً مبروراً واجعله تجارة لن تبور يا عالم ما في الصدور .



## الباب الثالث : مقامات ومنازل القلوب

- ١ - منزلة المحبة
- ٢ - منزلة الخوف
- ٣ - منزلة الرجاء
- ٤ - ميزان التقوى
- ٥ - منزلة الولاية الحقة ومجال السباق
- ٦ - منزلي الأبرار والمقربين
- ٧ - منزلة الصديقية
- ٨ - منزلة الصالحين
- ٩ - مقام الإخلاص
- ١٠ - مقام التواضع
- ١١ - مقام الرضا
- ١٢ - كمال الإيمان (التصديق بالقدر)
- ١٣ - منزلة الإيثار

مَنُورٌ مَحَنَانٌ . مُرَرٌ ..... مُزَوَّبٌ ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . مُرَرٌ

## ١ - منزلة المحبة

للعباداة ثلاثة أركان هي : (المحبة والخوف والرجاء) وقد ذكرها سبحانه وتعالى في أعظم وأول سورة في القرآن الكريم بأول ثلاث آيات منه ليبين لنا عز وجل عظم العباداة وأهمية تحقق أركانها .

فكانت هذه الأركان أول ما بُدئ به القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣﴾ ﴾ [الفاتحة] .

فالآية الأولى حققت المحبة المبذولة والموجهة من العبد لربه سبحانه وتعالى لعموم نعمه وآلائه عليه، والآية الثانية حققت الرجاء فالله تعالى هو الرحمن الرحيم يرحم عباده دوماً، والآية الثالثة حققت الخوف منه عز وجل بالتخويف بيوم الدين وبما فيه من أهوال وحساب وعقاب .

وعلى ذلك فلا عباداة صحيحة إلا بتحقيق هذه الأركان الثلاثة فمحبة الله سبحانه تستوجب طاعته عز وجل، والخوف من الله تعالى يستوجب عدم معصيته جل شأنه، والرجاء وهو منزلة بين منزلتي المحبة والخوف يجعل المسلم دائم التعلق بربه جلّت عظمته .

أما حقيقة منزلة المحبة ! فهي علاقة تربط المخلوق بخالقه سبحانه من خلال روابط كثيرة، لا يمكن انفكاكها أبداً، فالخالق هو الذي خلق وأوجد من عدم وهذا في حد ذاته نعمة كبرى عليهم .

ثم إن النعمة التي تلي نعمة الإيجاد هي نعمة الإمداد بالنعمة . فإذا كان هو الخالق من العدم وجب أن يمد خلقه بعموم النعم لأنه هو الذي استدعى للوجود، وإلا كان خلقه مجرد عبث لا طائل وراءه؛ وسبحانه وتعالى عن ذلك أبداً .

## مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَدُّر)

إذن مجرد الإيجاد من عدم نعمة كبرى، وكونه سبحانه يمد عباده بالنعمة نعمة أخرى أيضاً، وهذا الإمداد له صور شتى كبيرة وكثيرة تتخلل كل جوانب حياة المخلوق بحسب احتياجه للأشياء من حوله .

لذا كان لازماً على كل مخلوق أن يرتبط بخالقه من خلال تحقيقه المحبة من باب وجوب بذل الشكر والحمد لله تعالى دوماً على ما أمد وأعطى وعلى ما يمد ويعطي بعد شكره وحمده سبحانه على نعمة الخلق والإيجاد، وصدق جل شأنه القائل : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ . نلاحظ أن الامتنان منه جل جلاله هنا كان بالربوبية التي شملت الجميع فكان العطاء لمن يستحق ولمن لا يستحق .

لذا قال سبحانه في الآية : ( الحمد لله رب العالمين ) . ولم يكن الامتنان منه بالالوهية التي لا يستحقها إلا هو سبحانه إذ لم يقل : ( الحمد لله إله العالمين ) لأنه عز وجل يعلم مدى تفريط خلقه في عبادته وطاعته .

فكان استحقاقه للحمد بأنه هو عز وجل ربهم الخالق الرازق المنعم المتفضل الواهب المعطي المربي على الخير ولا رب للخلق سواه .

إذن فمحبة الله تعالى ليست شيئاً مجرداً من التبعات ! كلا . بل هو أمر يلزم المخلوق دوام التوجه لخالقه ورازقه بالشكر والحمد هذا بالدرجة الأولى، ثم عليه أن يبذل كل ما في وسعه لطاعة ذلك الخالق العظيم وألا يعصيه أبداً إذ كيف يقابل النعم بالنكران والعصيان .

وبالتالي فمحبة الله تعالى تستوجب الطاعة المطلقة له والامتثال لما أمر، قال أحد السلف : ( كفى بنعم الدنيا جزاء على طاعة الله تعالى، وكل نعيم الجنة فضل محض ) . وقال آخر : ( وجبت طاعة الله تعالى لا خوفاً من عذابه ولا طلباً لجنته بل لأنه يستحق ذلك بما خلق وبما رزق ) .

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . مُرَارٌ ..... الْمُرُورُ ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . مُرَارٌ

ومع ذلك فالله تعالى يجزي بالجنة فوق نعم الدنيا ونعيمها . والمحصلة هنا أنه لزم العباد محبة الله تعالى لخمسة أمور :

١- لأنه خلق وأوجد من عدم ولا خالق غيره، فكيف لا يُحب ولا يُعبد من خلق ورزق، ثم يُعبد ويُحب من ليس له من الأمر أدنى شيء .

٢- لأنه أمد خلقه بعموم النعم ولا رازق سواه ولا واهب غيره، ثم هو سبحانه لم يرتب العطاء أو المنع للنعم لعبادته على مدى الطاعة أبداً، وإلا لهلك الناس جراء كفرهم ومعاصيهم .

٣- لأنه دفع عنهم الكثير من البلايا والنقم، ولم يتليهم بقدر تفريطهم في العبادة والطاعة له وإلا لهلكوا جميعاً .

٤- لأنه سيجزيهم فوق نعم الدنيا بنعيم الجنة الخالد، وذلك الجزاء لا يدركونه بأعمالهم حقيقة ولا يستحقونه أبداً مهما عملوا صالحاً وإنما هو تفضل من الله جلّت عظمتهم عليهم، فلا عملهم ذاك ينفع الله تعالى أو يضره بشيء أبداً، ولا الجزاء المعد لهم في الجنة يدركونه بأعمالهم أبداً، وإنما هي رحمة منه جلّت عظمتهم ومزيد فضل منه .

٥- لأنه سيحل عليهم رضوانه وسيرضيهم رحمة منه ومنّة، ولن ينقطع عنهم ذلك النعيم لأنه نعيم مقيم أبدي تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ خَلِّدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [البينة] .

ولهذا كله وجبت محبة الله تعالى ووجبت طاعته سبحانه دوماً، وكل من حقق ذلك فعبد الله تعالى وأطاعه بحق، وأكثر من الطاعات والقربات والأعمال الصالحات، وأحب الرسول ﷺ الذي دلنا على كيفية عبادة ربنا سبحانه، حينها سيقربه الله تعالى منه وسيجعل له منزلة غاليا رفيعة يجد عندها حلاوة الإيمان ولذة

## مَنُورٌ جَنَانُهُ . أُرْدَارٌ ..... أَلْمُزَّوْبُ ..... مَنُورٌ جَنَانُهُ . أُرْدَارٌ

الطاعة وطعم العبادة مصداقاً لقوله ﷺ : (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار)[البخاري]<sup>١</sup>.

وعندئذ يبلغ المؤمن درجة المحبة الحقيقية لله تعالى حين يبذل نفسه وروحه وجسده وماله وحياته ككل لله سبحانه تحقيقاً لقوله عز وجل : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (البقرة) . لأنهم عرفوا الله جل في علاه بصفاته سبحانه وبآثاره عز وجل، وقدروه حق قدره . قال الشاعر :

تعصي الإله وأنت تزعم حبه      هذا لعمرى في القياس شنيع  
لو كان حبك صادقاً لأطعته      إن المحب لمن يحب مطيع

والخلاصة ! فإذا لم يُحِب من خلق وأوجد، ثم بالنعمة أمدّ وزوّد، فمن يا ترى سيحب من دون الله عز وجل ؟ وكيف استحق ذلك ؟ اللهم اجعلنا ممن عرفك حق المعرفة وقدرك حق قدرك وعظمتك حق التعظيم يا الله وأرزقنا حبك الحقيقي حتى نجد برد ذلك في قلوبنا وعلى صدورنا واجعل حبنا فيك ولك سبيلنا إليك وشفيعنا لديك ومقربنا منك يا الله .



<sup>١</sup> يبين هذا الحديث أنه لا يكمل حب الله تعالى في قلب المؤمن على الوجه الصحيح إلا بمحبة رسوله ﷺ . وسيأتي الحديث عن ذلك .

## ٢- منزلة الخوف

أما حقيقة منزلة الخوف ! فكل إنسان في حياته تعثره حالات خوف يشعر فيها بأنه يخشى شيئاً معيناً، وهو حينها إذا خاف الشيء هرب منه وفزع إلى من هو أقوى منه، لينجيه ويؤمنه مما أخافه .

غير أن الإنسان في حياته لو خاف أي شيء من مخلوقات الله تعالى هان عليه الأمر لأنه سيهرب إلى ربه القوي لينجيه ويؤمنه، لأن كل ما في الكون مخلوق لله تعالى، والله سبحانه رب الجميع والقادر على الجميع، وبالتالي سيدفع ضرر من شاء كيفما شاء متى شاء، ويذهب خوف من شاء بما شاء متى شاء عز وجل .

ثم إن الخوف من مخلوق خوف محدود بحسب قدرة ذلك المخلوق على الإضرار وهو ولا ريب ليس مسلطاً على أحد من عباد الله تعالى، لأن الله سبحانه لم يجعل لمخلوق سلطة مستمرة على أحد أبداً .

ولم يبق إلا الخوف من الله تعالى، وهو عز وجل ليس كالمخلوقين بل هو خالق الجميع، فكان الخوف منه ليس كالخوف من غيره أبداً في كل الأحوال، لأنه لا مهرب منه عز وجل إلا إليه، ولا أمان منه تعالى إلا عنده ومنه .

كما أن قدرة الله تعالى وقدره يفوقان كل وصف فكان انتقامه كذلك جل في علاه . وصدق سبحانه القائل : ﴿ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ ﴾ [الذاريات] . نلاحظ دلالة الآية الفرار إلى الله تعالى وليس منه .

وإذا علم العبد ذلك لزمه عبادة ربه تعالى وطاعته واجتناب عصيانه، والبعد عن مخالفة أمره سبحانه، وهذا يعني اتباع شرعه القويم . ولذلك أمر عز وجل عباده في آيات كثيرة من آيات الذكر الحكيم بالتقوى وخوفهم سبحانه من عذابه الذي

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدِّدْ) ..... (لُزِّقْ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدِّدْ)

وصفه بعدة أوصاف بأنه عذاب : (أليم مهين عظيم مقيم شديد) فكان التخويف والتهديد والترهيب والتهويل هنا، ليحذّر ربنا جل في علاه عباده ويخوفهم من أن يقعوا في دائرة غضبه وانتقامه وشديد بطشه، فلا يتجاوزوا حدوده ويقتربوا المعاصي والآثام، وفي ذلك غاية الرحمة لهم وبهم، لأن من خوّف وهدد وعظّم العذاب وأرهب به، إنما أراد حجز العباد عن العصيان والتمادي وتعدي الحدود .

ولذلك قال ﷺ : (رأس الحكمة مخافة الله عز وجل) [البيهقي في الشعب والقضاعي في الشهاب والديلمي في الفردوس والسيوطي في الجامع، وابن أبي شيبه بلفظ : (رأس الحكمة خشية الرب)] . وقول ربنا سبحانه أعلى وأجل : ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة] . فرغم أن الله جلّت عظمته هو مالك كل الزمان وكل المكان يوم الدين وغير يوم الدين، غير أن العباد قد يغتروا بما ملّكهم الله تعالى إياه في دنياهم، فكانت شبهة للعقول الضعيفة، والقلوب المريضة بأن هناك مالكا غير الله تعالى في الدنيا .

أما يوم الدين فلا شبهة، ولا ملك لأحد، ولا منازع ولا متصرف فيه إلا الله تعالى فخافوا ذلك اليوم واحذروه، وهذا معنى قوله سبحانه في الآية الأخرى في هول ذلك اليوم : ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر] .

أي لا تصرف فيه لأحد إلا الله جل في علاه، ولذلك كان التخويف باليوم الآخر كثير الورد في القرآن الكريم للفت نظر الخلق بيوم سيقفون فيه بين يدي أحكم الحاكمين ولا حول لهم ولا قوة، وسيحاسب فيه كلّ بعمله فاتقوا ذلك اليوم واعدوا له واستعدوا .

والمسلم كلما ترقى في العبادة والطاعات والأعمال الصالحات لحقه خوف من الله تعالى وخشية يجدها في قلبه فتستقيم بذلك سلوكه وتنقاد جوارحه، لأنه يكون

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... الْمُرُورُ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

قد عظم الله تعالى حق التعظيم وعرفه حق المعرفة مصداقاً لقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ يَأْتِيَتْ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ (٦٠) أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَافِقُونَ ﴾ (٦١) [المؤمنون] . فرغم إيمانهم بالله تعالى وعبادتهم له عز وجل وطاعتهم إياه ومسارعتهم في الخيرات ومسابقتهم في الباقيات الصالحات يخشون الله سبحانه ويخافون ألا يقبل منهم عملهم خوفاً وخضوعاً وتسليماً وانقياداً له عز وجل، وتلك هي حقيقة مخافة الله تعالى على الوجه الصحيح وخشيته حق الخشية .

لذا جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ لما سألته عائشة رضي الله تعالى عنها فقالت : (قلت : يا رسول الله ﷺ) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ ﴾ (٦٠) . أهو الذي يزني، ويسرق، ويشرب الخمر ؟ قال : لا، يا بنت أبي بكر أو يا بنت الصديق، ولكنه الرجل يصوم، ويتصدق، ويصلي، وهو يخاف أن لا يتقبل منه) [ابن ماجة وأحمد وحسنه الألباني] .

وكذلك هو شأن العلم ! فالمسلم كلما ازداد علماً ومعرفة ورأى من أعاجيب صنع الله تعالى وبديع خلقه في الكون كلما ازداد إيماناً وخوفاً وخشية من الله تعالى مصداقاً لقوله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٢٨) [فاطر] . لأن العلماء وقفوا على ما لم يقف عليه غيرهم، ورأوا من عجائب القدرة الإلهية ما لم يره سواهم، فكلما اكتشفوا شيئاً كلما ظهرت وتجلت لهم قدرة الله تعالى وعظمته سبحانه . ولهذا كله كان الخوف ركن ركين في العبادة الحقة، لأنه يجعل المسلم يعظم الله تعالى حق التعظيم، ومتى عظمه خافه على قدر ذلك التعظيم وتلك القدرة، قاده ذلك إلى ترك المعاصي بعمومها خشية انتقام الجبار منه .

## مَنُورٌ جَنَانٌ . أُرْدَرُ ..... أُنْزَقُ ..... مَنُورٌ جَنَانٌ . أُرْدَرُ

لأن من استحضر رقابة الله سبحانه عليه ونظره عز وجل له وعلم أنه تعالى مطلع على كل عمله وسيجزيه به، خاف واستحي وترك العصيان .

وفي محكم الكتاب العزيز المجيد قوله جلت قدرته : ﴿ ذَلِكْ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [١٤] . وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ [٤٦] . وقوله جل جلاله : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [النازعات] . نلاحظ هنا أن الخوف من مقام الله تعالى، قبل الخوف منه سبحانه، قال الضحاك في ذلك، والمعنى : أي من راقب الله في السر والعلانية بعلمه ما عرض له من محرم تركه من خشية الله وما عمل من خير أفضى به إلى الله لا يجب أن يطلع عليه أحد .

والخلاصة ! فمخافة الله تعالى تستوجب الحياء منه، وهذه مرتبة متى بلغها العبد يكون قد بلغ المنتهى في المخافة ألا وهي مرتبة استحضار رقابة الله تعالى دوماً وأنه مطلع على عباده لا يخفى عليه من أمرهم شيء أبداً .

لذا كان الإحسان أعلى مراتب الدين حين سئل ﷺ عنه : ( أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ) [متفق عليه] . اللهم اجعلنا ممن خافك بحق واستحضر خشيتك في السر والعلن بصدق فعصمته بخشيته منك عن عصيانه لك وأبعدته عن مخالفتك باتباع شرعك والتمسك بمنهجك يا الله .



### ٣- منزلة الرجاء

حقيقة منزلة الرجاء ! أنها حلقة وصل بين الركنين السابقين، والمعنى أن المحبة باعثة الطاعة والخوف باعث لعدم المعصية، ورغم ذلك فهذان الباعثان لا يكفیان لبلوغ رضا الله سبحانه .

لأن المسلم قد يقصر في الطاعة فلا يؤديها أو لا يقوم بها كما ينبغي، أو قد يؤديها على الوجه المطلوب بالفعل لكن الله تعالى لم يقبلها منه، بل ربما ردها عليه لأنه لم يتعلق بربه عز وجل حين أداء العبادة، وبالتالي لم يؤديها بعشق وحب، وإنما أداها لينفلت منها وينفك عنها ويخطئها عن عاتقه .

كما أن المسلم قد يقصر في تجنبه المعاصي فيرتكب الذنوب ويقترب الآثام ويتجاوز حدود الله تعالى ويعصيه ولا يخاف مقامه سبحانه . فكان ولا بد حينها من الرجاء .

المسلم هنا متى استحضر العقاب على المعصية، واستحضر الجزاء على الطاعة، أقبل على الله تعالى يرجوه ولا يقنط منه أبداً . فمن قصر في الطاعة تعلق بالرجاء ليتجاوز الله تعالى عنه ذلك التقصير، ومن تجاوز وعصى تعلق بالرجاء ليعفو الله تعالى عنه ويغفر له، ولولا الرجاء لحرار من قصر في الطاعة، ولضاع من غاص في المعاصي، لأنه في كلا الحالتين يكون قد وقع في الخطأ والزلل والتفريط والتقصير .

حقيقة الرجاء أن الله سبحانه يجبر به تفريط وتقصير العبد سواء كان ذلك بتفريطه في جانب الطاعة، أو بتفريطه في مسألة تجنب المعاصي ولذا

قال ﷺ : ( لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى ) [مسلم] . والمعنى أن من قصر في طاعة أو تجاوز حداً وعصا فلا يقنط من رحمة الله تعالى لأنه عز وجل يقبل التوبة ويقلل العثرة سبحانه ومحمده، فلا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (الْمُزَوِّج) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

الظن بالله تعالى وأنه سبحانه غفور رحيم لعباده رؤوف بهم . وفي الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال له : (كيف تجدك، قال : والله يا رسول الله إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ : لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف) [الترمذي والنسائي وابن ماجة وصححه الألباني وأحمد] .

ويشبه ذلك ما روى عن أحد السلف لما حضرته الوفاة ف قيل له كيف أصبحت قال : أصبحت للدنيا مفارقاً، وعلى الله مقبلاً، ولذنوبي خائفاً، والله سبحانه وتعالى راجياً، ف قيل له : أبشر ما اجتمعن في قلب مسلم إلا أدخله الله عز وجل الجنة .

والله جل شأنه مد حبال الرجاء لعموم عباده أبداً وأمرهم أن يتعلقوا بها مهما كان حال العبد، ولنا في القرآن الكريم عظات وعبر فهذا فرعون لما أرسل الله سبحانه إليه موسى وهارون عليهما السلام قال لهما جلّت قدرته : ﴿ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ ۖ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤﴾ [طه] لم يقل سبحانه لهما : (اذهبا إلى هذا الطاغية الفاجر فخوفاه بي وبقوتي وسطوتي) بل قال : (قولاً له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى) فإذا كان هذا هو شأن فرعون لعنه الله تعالى يوصي الله سبحانه به نبيّه ورسوله أن يتحننا له في القول لعله يتأثر، فكيف بباقي الخلق الضعاف .

وكل ذلك ليعلم العبد أن حبل الرجاء ممدود دائماً وأبداً، فليتعلق به العبد ليصل إلى رحمة ربه ورضاه عز وجل وإلى أحضان ربه وعفو مولاه الكريم الرحمن الرحيم .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مَرارٌ ..... الْمَرْوَبُ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مَرارٌ

وفي الذكر الحكيم قوله تعالى : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠) [الكهف] . نلاحظ هنا أن الرجاء قد علق على أمرين اثنين معاً، هما :

- ١- عمل صالح، بفعل الطاعات وترك المنكرات، يتقرب بها العبد إلى الله تعالى .
- ٢- خلوص من الشرك مع الله سبحانه وتعالى، مهما قلّ . بذلك يتحقق الرجاء الصادق .

والخلاصة ! لزم المسلم أن يتعلق بالرجاء دوماً فيرجو ربه سبحانه أن يعفو عنه جراء غفلاته وغدراته وتقصيره في الطاعة ليتجاوز عنه تعديه ومعصيته فتكمل بذلك في قلبه أركان العبادة الثلاثة فتصح حينها عبادته لربه سبحانه على بصيرة من أمره . اللهم اجعلنا ممن رجاءه فيك مع محبته لك وخوفه منك يا الله .



#### ٤ - ميزان التقوى

تعني كلمة التقوى اتقاء كل ما يوقع المسلم في غضب الله تعالى، بأن يجعل بينه وبين الله سبحانه وقاية .

وقد ورد في القرآن الكريم عدة آيات في شأن التقوى غير أن هناك آيتين بينتا حدود وميزان التقوى بالضبط وهما : قول الله تعالى في الآية الأولى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ (آل عمران) . وقوله عز وجل في الآية الثانية : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن) .

ولبيان ذلك فقد اختلف العلماء في هاتين الآيتين فبعضهم اعتبر أن الآية الأولى منسوخة بالآية الثانية، فنسخ حد التقوى من تقوى الله تعالى حق تقاته إلى التقوى بحسب استطاعة المسلم .

بينما اعتبر الآخرون أن النسخ لا يقع في آيات الخبر بحال وإنما في آيات الأحكام، وبالتالي فدلالة كل آية قائمة بذاتها كما هي، غير أن معنى ذلك؛ أنه وجب على المسلم أن يتقي الله تعالى قدر استطاعته من الأداء وبحسب وسعه، لأنه متى حقق ذلك يكون قد اتقى الله تعالى حق تقاته، وبالتالي معنى تقوى الله حق تقاته، يعني تحقق ثلاثة أمور :

١ - أن يُطاع الله تعالى فلا يعصى أبداً، بالامتثال لما أمر سبحانه خلقه به من عموم الأوامر والنواهي .

٢ - أن يُذكر الله عز وجل فلا ينسى لأنه الأحق بذلك، فهو الذي خلق وهو الذي رزق وهو الذي آثاره في الكون وهو الذي له مطلق التصرف في كل شيء ولا مدبر ولا مصرف ولا متصرف ولا فاعل سواه تعالى وتقدس .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَارٌ ..... الْمُرُورُ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَارٌ

٣- أن يُشكر سبحانه فلا يكفر والقيام بحق شكره عز وجل، لعموم ما أنعم به على عباده وبما ينعم عليهم به أيضاً، فهو سبحانه المنعم المتفضل على الخلق جميعاً رغم تفريطهم في عبادته وطاعته، فكيف ينسى صاحب النعم ونعمه متوالية لا تغيب عن الخلق أبداً .

إذن فحقيقة التقوى هي بذل غاية الوسع بحسب استطاعة العبد وعدم التهاون في ذلك أبداً، تحقيقاً لمَدلول الآية الأولى، وتلك هي منزلة التقوى الحقيقية والمطلوبة بنص الآية الثانية .

أما معنى التقوى بوجه عام فهو أن يجعل المسلم بينه وبين عذاب الله تعالى وقاية، وذلك يكون بتحقيق أمرين لا ثالث لهما :

١- طاعته عز وجل في كل ما أمر .

٢- عدم معصيته سبحانه، واجتناب كل ما نهى عنه وزجر، ومنه حذر .

والمسلم ولا شك متى فعل ذلك يكون قد حقق كمال مطلوبات الشرع المطهر وأتى على كل مقاصد الدين، فكانت التقوى جماع الدين جملة وتفصيلاً، وهي الوصية الأولى من الله تعالى لعموم خلقه تحقيقاً لقوله جل في علاه : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ ﴾ [النساء] .

وبالتالي فالتقوى بمعناها الحقيقي تعني أن المسلم قد قام بما توجب عليه، ونفدَّ مراد الله سبحانه وتعالى منه، فالمسلم كلما كان تقياً كان لربه طائعاً ولدينه محققاً ومنه عز وجل قريباً .

ويروى عن علي رضي الله تعالى عنه قولاً فصلاً حين سئل عن التقوى فأجاب بقوله : (هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل) .

مَنُورٌ مِثْلَانِ . أُرْدَرُ ..... أَلْمَزَّوْبُ ..... مَنُورٌ مِثْلَانِ . أُرْدَرُ

قال الشاعر :

حلّ الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى

واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

والخلاصة ! أن المفهوم العام للتقوى هو فعل الطاعات وترك المعاصي  
والمنكرات، فمن حقق ذلك فقد أقام دينه الحق تماماً، ومن ضيّع ذلك فقد ضيّع  
دينه . اللهم اجعلنا ممن اتقاك حق التقوى وراقبك في السر والنجوى واستحضر  
نظرك إليه دوماً فممنك استحي وامتنع عن العصيان فكان من أولي النهى .



مَنْزُورٌ حَمْدًا . (رَدَّ) ..... (مَنْزُورٌ) حَمْدًا . (رَدَّ)

## ٥- منزلة الولاية الحققة ومجال السباق

الولاية ! هي منزلة القرب من الله عز وجل ليصبح العبد من السابقين والأولياء المقربين، والكل من الناس يطلبها قولاً، والقلّة منهم من طلبها فعلاً، والأهم من ذلك كله أن المصطفين من خلق الله تعالى هم فقط من تحققت فيهم توفيقاً، بعد صدق إيمان وثبات راسخ وعمل صالح دؤوب لينالها بحق .

يقول فيها سبحانه في الحديث القدسي : (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته) [البخاري]<sup>١</sup>.

يستفاد من هذا الحديث العظيم أمور كثيرة غير أنها تدور حول قضية جوهرية واحدة وهي محبة الله تعالى للعبد ومعرفة كيفية نطاق ذلك .

ومن المعاني الفياضة لهذا الحديث والتي بينها ﷺ لنا أن طاعة الله تعالى والاستقامة على ذلك بأداء الفرائض التي افترضها سبحانه على العباد هو أساس المحبة، بحيث يأتي العبد بالفرائض ثم يتواصل سيّال محبته عز وجل على عبده متى تقرب إليه بالنوافل والمستحبات، لكن ذلك يتأتى بعد أداء الفرائض الواجبة أولاً .

---

<sup>١</sup> قال ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري في معنى قول ربنا جل في علاه في الحديث : (وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن) : فيه كناية عن اللطف والشفقة وعدم الإسراع بقبض روحه .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُنَزَّهٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

نلاحظ هنا أن الله جل جلاله قد علّق سيّال المحبة وتواصلها على فعل النوافل وليس على فعل الفرائض، لماذا ؟ لأن الفرائض يؤديها كل مسلم ويقوم بها، وبالتالي فهي ليست مجالاً للتفاضل والتمايز بينهم، بخلاف النوافل التي تعتبر هي مجال المسابقة والمفاضلة بين المسلمين وبها يتمايز الصالحون عن غيرهم .

والعبد كلما أكثر من النوافل كلما كان أحب إلى الله تعالى ومنه أقرب، وإلا فما الفرق بين الرجل الصالح وغيره من الناس إلا بكثرة الطاعات والقربات، من جنس ما شرع الله جل جلاله .

إذن بفعل الطاعات وعمل القربات الصالحات يتقرب العبد من الله عز وجل فيحبه سبحانه، وإذا أحب الله تعالى العبد أفاض على قلبه بالرضا والانقياد، وألزم جوارحه الاستقامة والاعتدال، فلم يعص الله عز وجل بها، بل يصير حينها في معية الله سبحانه، وعندئذ توظّف كل أفعاله وأقواله في مرضات الله جل في علاه .

ومتى بلغ المسلم ذلك خرجت جوارحه من حيز نطاقها الضيق إلى سعة نطاق رب العزة والجلال فيعطي الله تعالى العبد على قدر إقباله عليه فيرى كما يقال لما هو خلف المنظور، وهذا معنى قول الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي : (فإذا أحببتك كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها) . أي أنه لن يستعمل جوارحه إلا في مرضاة الله سبحانه، والله عز وجل سينور جوارحه ويمده بنور من عنده تعالى، فيزداد المؤمن الولي بصيرة ورجاحة ونباهة وحذاقة في الدين والدنيا .

ومتى تمت للعبد الولاية بحق مع الله تعالى تحققت له المعية مع الله سبحانه دوماً، وحينها يرتبط العبد بربه رباط المولى والنصير، فيعطي الله جلّت عظمته عبده كل ما يريد، وهذا معنى قول الله جلّت عظمته في الحديث : (ولئن سألتني

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (لُزْزَب) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

لأعطينه ولنن استعاذني لأعيذنه) . إذن الولاية وإن كانت منزلة عليا إلا أن بلوغها سهل، وأي مسلم يسعه أن يتقرب إلى الله تعالى بالفرائض، ومن ثم بأنواع القربات والصالحات، غير أن الصعب في الأمر أن الله تعالى هو الذي يختار من عباده من هو أهل لذلك، فيوفقه له ويجعله من أوليائه الصالحين وأحبائه المقربين .

كما أن الولاية لها مراتب ودرجات ومنازل ومعالي رفيعة عند الله تعالى، كلها يبنى على الإكثار من فعل الطاعات والصالحات وسائر القربات والمسابقة إلى ذلك الأمر الذي يستجلب رضا الله تعالى على عبده، مصداقاً لقوله سبحانه :

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران] . وفي الآية الأخرى قوله تعالى : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد] . والمسارعة تقتضي تقصير الزمن<sup>١</sup>؛ والسباق يقتضي التنافس والمسارعة في فعل الخيرات والأعمال الصالحات للفوز بأعلى الدرجات .

الولاية الحققة أن ينشغل المسلم بربه سبحانه وتعالى بقلبه وفكره وإن كان جسده وبدنه مع الناس وفي الأثر قوله ﷺ : (أحب العمل إلى الله عز وجل سبحة الحديث، وأبغض الأعمال إلى الله التحديف، قلنا يا رسول الله، وما سبحة الحديث ؟ قال : القوم يتحدثون والرجل يسبح، قلنا : يا رسول الله،

<sup>١</sup> المسارعة والعجلة معناهما قريب من بعض . فكلاهما القصد منه انجاز الفعل في أقصر زمن محتمل، لكن المسارعة يأتي عكسها التباطؤ، والمسارعة محمودة والتباطؤ مذموم، في حين أن العجلة تأتي عكسها الأناة، والعجلة مذمومة والأناة محمودة . وبذا كان حكم كل فعل منهما خلاف حكم ضده .

مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَرَر) ..... (لُزُز) ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَرَر)

وما التحديف ؟ قال : القوم يكونون بخير فيسألهم الجار والصاحب فيقولون : نحن بشر يشكون) [ابن أبي شيبة والطبراني في الكبير] <sup>١</sup> .

وفي الأثر عنه ﷺ : (أخفى الله تعالى ثلاثاً في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحتقرن من الطاعة شيئاً، وغضبه في معصيته فلا تحتقرن من المعصية شيئاً، وأخفى وليّه في خلقه فلا تحتقرن منهم أحداً) [نزهة المجالس] .

هذه المنازل والمراتب تتفاوت بحسب اجتهاد المرء ومسابقتها في الخيرات، وبحسب إقباله على الله سبحانه، وبحسب تلذذه بالعبادة وتذوقه حلاوة الطاعة، حين يقضي جل أوقاته مع ربه جل شأنه قلباً وقالباً حينها يحبه الله تعالى ويُحب خلقه فيه مصداقاً لقوله ﷺ : (إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال : إني أحب فلاناً فأحبه، قال : فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء، فيقول : إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء، قال : ثم يوضع له القبول في الأرض . وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول : إني أبغض فلاناً فأبغضه، قال : فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال : فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض) [متفق عليه] . إذن كلما سابق المؤمن وسارع إلى ربه سبحانه كلما أحبه الله تعالى، وقربه منه، وأعلى درجته، ووضع له القبول في الأرض، وحَبَّبَ عموم الخلق فيه، وسخر له الأشياء، وقاد له النفوس، وفتح له القلوب، ويسّر له كل عسير، ودفع عنه كل شر .

الولاية الحقيقية مقام كبير لا يصل إليه على وجه الحقيقة من طلبه لأجله، وإنما يدركه من طلب الله تعالى لمرضاته، وتفطن لما يغضبه تعالى فاجتنب ذلك وابتعد

---

<sup>١</sup> هذا الأثر رواه الطبراني مرفوعاً إلى النبي ﷺ . ورواه ابن أبي شيبة مرسل، عن كعب الأحبار رحمه الله تعالى وهو أحد التابعين، وهذا هو الصحيح .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدِّدْ) ..... (أُذْكَرْ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدِّدْ)

عنه من كل وجه، لا يلتبس عليه وارد الرحمن بخاطر الشيطان أبداً . ومما يروى في كتب الرقاق عن عبدالقادر الجيلاني أنه كان يصلي ليلة فسمع صوتاً حسناً من أحسن الأصوات يناديه : (يا عبدالقادر قد قربناك) . قال : (فكدت أطيّر من الفرج) . ثم سمعه ثانية يقول : (يا عبدالقادر قد أحبيناك) . قال : (فكدت أذوب كما يذوب الملح في الماء) . ثم سمعه الثالثة يقول : (يا عبدالقادر قد أحللتنا لك الحرام) . فقال : (اذهب يا لعين) . عرف أنه شيطان مفسد، فتنبه لذلك ولم ينغر . ثم سمعه ينادي بأقبح صوته وأنكره يقول : (يا عبدالقادر أخرجت بها سبعين عابداً من ديوان الولاية) . ثم قال : (علمك نجاك يا عبدالقادر) . هذه هي الولاية الحقّة، وليّ يعرف ما يقود إلى الله تعالى بحق .

الولاية الأكيدة آثارها ظاهرة ومتحققة في الدنيا والآخرة مصداقاً لقوله ﷺ :

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٧﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكَلِمَةٍ هُوَ أَقْوَرُّ الْعَظِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [يونس] .

وفي مجال المسابقة إلى الله تعالى يروى أن نفرّاً من الصحابة الكرام استأذنوا بالدخول على أبي بكر رضي الله تعالى عنه وهو خليفة، هم : عمار وبلال وسلمان وصهيب، وأبو سفيان وأسياد من قريش رضي الله تعالى عن الجميع، فأذن للضعفاء بالدخول وأخّر الأسياد، ف قيل له في ذلك : أتدخل هؤلاء من المستضعفين وتؤخر أسياد قريش وأشرافها، فقال في ذلك : (سبقوهم إلى الإسلام، وسبقوهم إلى الهجرة، وسيسبقوهم إلى الجنة) . إذن السبق إلى الخيرات وفي الخيرات له منازل ودرجات، وهذا مثل بسيط بسبق الدنيا فكيف بسبق الآخرة عند الله تعالى . اللهم اجعلنا ممن سابق في الخيرات فسبق يا رحمن .

مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّ رَدِّ) ..... (مُنْزَلٌ حَمْدُهُ) . (رَدُّ رَدِّ)

## ٦- منزلتا الأبرار والمقربين

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : (كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تنفطر رجلاه، فقالت له رضي الله عنها : يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال ﷺ : يا عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً) [مسلم] . هذا الحديث يبين لنا عدة أمور، والذي يهمننا منها ثلاثة هي :

١- مدى اجتهاده ﷺ في العبادة والطاعة وحرصه على الإكثار منها وأنسه بربه عز وجل دوماً .

٢- إكثاره ﷺ من الطاعات والقربات رغم أنه قد غفر له كل ذنبه ﷺ ما تقدم منه وما تأخر .

٣- في الحديث تساؤل مهم وهو هل لرسول الله ﷺ ذنب ؟ وإذا كان ليس له ذنب فما هو المغفور له إذن في قوله تعالى : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُنْزِلْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح] . للعلماء هنا قولان اثنان :

الأول- أن عموم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام الخطأ منهم والنسيان في شأنهم يعتبر ذنب، لأنهم ليسوا كسائر البشر في ذلك فهم المصطفين الأخيار من خلق الله تعالى، مؤيدين من السماء وهم في حضرة الله عز وجل ومعيته دوماً، والوحي بين الله تعالى وبينهم موصول، وشرعه سبحانه نزل عليهم وجاء على ألسنتهم، هذه أمور مقتضياتها تجعلهم مستحضرين عظمة الله تعالى دوماً .

إذن فالخطأ منهم والنسيان كذلك يعتبر ذنباً في حقهم، ولذلك قال ﷺ في هذا المجال : (إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تكلم أو تعمل) [متفق عليه] .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَرٌ

لذا جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) [ابن ماجة وأحمد والطبراني في الكبير] .  
لاحظ قوله ﷺ : (تجاوز لي عن أمتي، وتجاوز عن أمتي) ولم يقل : (تجاوز لي "ذني"، أو تجاوز عني) .

وكأن الخطأ والنسيان في حقه ﷺ ذنب لأنه دوماً في معية الله تعالى، وهذا معنى قوله ﷺ : (لو اتخذت خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخي وصاحبي في الغار) [متفق عليه] . وفي لفظ عند مسلم : (لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت ابن أبي قحافة خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله) . ومن كان في معية الله سبحانه وتعالى فكيف ينسى ويخطئ .

الثاني - أن حسنات الأبرار سيئات المقربين، أي أن الرجل الصالح الذي يعمل الصالحات مرة ويتركها مرة، وإن كان هذا في حد ذاته عمل صالح ولا شك بحسب اجتهاده، لكن هذا التفاوت والتذبذب بين العمل والترك، والفعل وعدمه يعتبر ذنباً في حق المقرب، والذي كان يجب عليه المداومة على الصالحات لقربه من ربه، فليس شأن المقرب كشأن عامة الصالحين، لأن المقرب يأنس بربه ويتلذذ بالعبادة، وبالتالي عليه تبعات ليست هي على غيره من عموم الصالحين .

وفي محكم التنزيل قوله سبحانه : ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ ٨٨ . ثم قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ ٩٠ [الواقعة] . فهاتان الآيتان بينتا أن أصحاب الجنة قسمان : قسم أعلى وأفضل وهم المقربون، وقسم أقل منهم شأناً وهم أصحاب اليمين، وعليه فالرجل الصالح من أهل اليمين إن أخطأ فأمره أسهل لأنه متأرجح بين الاجتهاد والتكاسل والغفلة والذكر، ولأن منزلته دون المقرب عند الله تعالى، والذي متى أخطأ فخطؤه بالغ، لأن المؤمن كلما كان من الله سبحانه أقرب

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (لُزْزَب) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

وجب عليه أن يكون لله سبحانه وتعالى أخشى، ولعظمته أحضر ومن المخالفة أخوف ومن الذنب أبعد<sup>١</sup>.

والمعنى أن الله تعالى قد ألزم عموم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام بفعل أمور هي في حقهم واجبة وإن كانت في شأن غيرهم من البشر سنة مستحبة كوجوب قيام الليل عليهم، ووجوب ذكر الله تعالى دوماً لأنهم خيرة الخلق وكاجتنابهم أكل الثوم والبصل وغيرها من البقول ذات الروائح المستكرهة لأنهم يناجون من لا يناجي سواهم من البشر، وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (كُلْ فَإِنِّي أَنَا جِي مِنْ لَا تَنَاجِي) [متفق عليه]<sup>٢</sup>.

وهذا الأمر هو حاصل ومعمول به حتى عند البشر أنفسهم، فمثلاً لو أن إنساناً مرض وقعد في بيته ينتظر العَوَاد فغاب عنه أناس ممن يعرف، وكان بعضهم من جملة معارفه الكُثُر وكان بعضهم مقرب منه، فهل هما سواء ! كلا ولا شك، فمن كان من جملة المعارف لو غاب عنه ولم يَعُدْه لما وَجَدَ عليه في نفسه، أما من كان مقرب منه فهو ولا شك سيعتب عليه لتفريطه في زيارته ولتقصيره . فكذلك هو شأن الصالحين عند الله تعالى والمقربين منه تقديس اسمه، والله جلت عظمته المثل الأعلى .

إذن فمنزلة المقرب هي لله أحب ومنه أقرب، وهو عز وجل على أصحابها في التفريط أعتب، لأن من كان في حضرة الله تعالى وفي معيته في كل شأنه ووقته وفي

---

<sup>١</sup> كما يقال في الأمثال الدارجة : (غلطة الشاطر بعشرة) .

<sup>٢</sup> والحديث بتمامه : (من أكل ثوماً أو بصلاً، فليعتزلنا أو ليعتزل مسجدنا، وليقعد في بيته، وإنه أتى بقدر فيه خضرات من بقول، فوجد لها ريحاً، فسأل فأخبر بما فيها من البقول، فقال : قربوها، إلى بعض أصحابه، فلما رآه كره أكلها، قال : كُلْ فَإِنِّي أَنَا جِي مِنْ لَا تَنَاجِي) .

مَنُوزٌ حَمَائِقُهُ . أُرْدَارٌ ..... أَلْمُزَكَّيْنِ ..... مَنُوزٌ حَمَائِقُهُ . أُرْدَارٌ

كل خطراته وسكناته فكان أنسه بربه عز وجل طوال وقته وساعاته ليس حاله  
كمن هو بين القرب مرة والبعد مرة، والذكر مرة والغفلة مرة، والاجتهاد مرة  
والكسل مرة . اللهم بصرنا في أمورنا وقرنا منك لأنس بك ونكون في معيتك  
وحضرتك في كل وقت وحين يا الله .



## ٧- منزلة الصديقية

قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز : ﴿ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء] . هذه الآية بين فيها سبحانه وتعالى أن أعلى منازل الجنة على الإطلاق إنما هي لهؤلاء الأصناف الأربعة من البشر .

ولن أتكلم عن منزلة النبوة فهي منزلة عليا للمصطفين الأخيار من عباد الله تعالى وهي منزلة قد ختمت بمحمد ﷺ إذ لا نبي بعده صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين .

ولن أتكلم أيضاً عن منزلة الشهداء لأنها إنما تُنال بالجهاد في سبيل الله تعالى وهي متاحة لمن باع نفسه لمرضاة ربه وغشي الوغى واستشهد، ولا يتأتى ذلك إلا في ساحات القتال ومجالد العدو .

وبقيت منزلتان هما أساس تعامل المؤمن مع نفسه ومع غيره في هذه الحياة، لينال أعلى المنازل وأرفع الدرجات في قلوب الناس في الدنيا؛ وعند الله تعالى في الآخرة، فأعلاهما هي منزلة الصديقية وهي أعلى من منزلة الشهداء رغم رفعة منزلة الشهيد عند الله تعالى، إلا أن الصديقية أرفع منها وأجل .

وهذه المنزلة لا يفوز بها إلا من عانق الصدق وعانقه الصدق فلم ينفكا عن بعضهما بعضاً أبداً، كما كان حال أبي بكر رضي الله تعالى عنه والذي كان لا يكذب مازحاً أو جاداً مختاراً أو مكرهاً، فحاز بحق تلك المنزلة العليا وسمي بالصديق . والصدق درجة رفيعة عند كل الناس لأنه قائد المروءة والأخلاق الحسنة، بل هو عمدة الأخلاق والمكارم والدليل والقائد إلى الفوز والفلاح والصلاح، لأنه يهدي

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (لُزْزَب) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

إلى عموم أعمال الخير والبر والهدى والنور والرشد والصلاح مصداقاً لقوله ﷺ :  
(عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ولا  
يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم  
والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال  
الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً) [متفق عليه] .  
والمقصد أن الصدق ينجي وإن ظن ظان أنه سيهلكه والكذب يهلك وإن ظن ظان  
أنه سينجيه لأن الصدق له طريق واحد يهدي إليه وهو اتباع الحق الذي يقود بدوره  
إلى سبل الصلاح والفلاح والنجاة، أما الكذب فله طرق شتى كلها يوصل إلى  
حيث الهلاك والوبال والضياع وسبل الزيغ والضلال الكثيرة والمتشعبة .

ومما يروى في ذلك أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال له : يا رسول الله إني أريد  
أن أسلم ولكني لا أستطيع أن أترك ثلاث خصال من أمور الجاهلية، فقال الرجل :  
يا رسول الله لا أستطيع أن أترك الزنا، فسكت النبي ﷺ ولم يجبه، فقال الرجل : يا  
رسول الله لا أستطيع أن أترك الخمر، فسكت النبي ﷺ ولم يجبه، فقال الرجل : يا  
رسول الله لا أستطيع أن أترك الكذب، فقال له النبي ﷺ : لا، لا تكذب، فعاهده  
الرجل على ذلك وانصرف، فصار الرجل يقول إن زنت أو شربت الخمر فقابلي  
النبي ﷺ وسألني، فيماذا سأجيبه، فإن صدقته أقام عليّ الحد، وإن كذبت عليه فقد  
عاهدته على عدم الكذب، فترك الزنا والخمر لأنه ترك الكذب .

ولذلك كان المؤمن لا يكذب لأنه ليس بحاجة له أبداً، ففي الأثر عنه ﷺ لما  
سُئِلَ عن المؤمن أيسرق ويزني ويشرب الخمر أجاب ﷺ بنعم، وهو يقصد أن المؤمن  
قد يقع في الخطأ حال ضعف من إيمانه أو غفلة من دينه من باب النقص البشري،  
ولكنه لما سُئِلَ ﷺ عن المؤمن أيكذب قال : لا، وذلك لأن الكذب مبناه على

## مَنُورٌ جَنَانٌ . دُرَرٌ ..... لُزْزٌ مَنُورٌ جَنَانٌ . دُرَرٌ

إخفاء الحق وإظهار الباطل وهو قائد إلى الفجور، وبالتالي فهو سلوك غير المسلمين؛ الذين أسلموا وجوههم وقلوبهم لله تعالى .

لذا قال جل جلاله في محكم التنزيل : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة] . لأن الصدق يحقق التقوى .

نلاحظ في الآية قوله تعالى : (وكونوا مع الصادقين) لم يقل سبحانه : (من الصادقين) . في الآية دلالة على أن الواجب على المسلم على الأقل إن لم يكن صادقاً، كان مع الصادقين، مجاناً الكذب في كل أحواله .

إذن الصدق منزلة عليا ودرجة رفيعة لا يبلغها إلا من صدق الله تعالى، وصدق معه، وصدق مع نفسه، وصدق مع الناس، فكان باطنه خيراً من ظاهره أولئك هم الصديقون، ولذلك قال ﷺ : (أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه) [أبو داود والترمذي والنسائي وأحمد . والمرء هو الجدل، وربض الجنة حولها وفي أطرافها] . فدلالة الحديث أن من ترك الكذب فجزأؤه بيت في وسط الجنة، وهذا ولا شك جزاء عظيم .

ومما يروى في عاقبة الصدق الحسنة أن أحد السلف<sup>١</sup>، لما كان صغيراً أرسلته أمه كي يتعلم في بلدة أخرى فخرج من بلده الذي هو فيه مع قافلة تطلب وجهتها، وفي الطريق سطا قطع الطريق على القافلة واستوقفوهم، وأخذوا يفتشونهم، فكانوا كلما سألوا أحداً من المسافرين كم معك من النقود ثم فتشوه وجدوا معه غير الذي قال، رجاء الاحتفاظ ببعض ماله واستنقاذ ما استطاع منه،

---

<sup>١</sup> أظنه الإمام عبد القادر الجيلاني، والنسيان مني ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

## مَنُورٌ حَمَانٌ . (رَرَر) ..... (مَزَّوَب) ..... مَنُورٌ حَمَانٌ . (رَرَر)

حتى جاء دور الغلام فسأله كم معك ؟ فقال : (معي ٣٠ ديناراً) ففتشوه فوجدوا معه مثل ما قال .

فأحضروه لكبير اللصوص وقالوا له : أن هذا الغلام هو الوحيد من القافلة الذي لم يكذب وقال مثل ما وجدنا معه من النقود بالفعل ، فسأله كبيرهم : (يا غلام لم قلت الصدق ولم تحاول أن تخبئ شيئاً؟) . فأجاب الغلام : (إن أُمِّي أرسلتني كي أدرس وأتعلّم وعاهدتني ألا أكذب لأن ذلك هو أول العلم فعاهدتها على ذلك) فقال له كبير اللصوص لما رأى صدقه : (وأنا الآن أعاهد الله أمامك أن أتوب من قطع الطريق) . فتاب وتاب معه كل اللصوص وردوا سلائب القافلة وما أخذوه منها ، فبسبب صدق الغلام نجت القافلة وبسبب صدقه تاب اللصوص بفضل الله تعالى أولاً ثم بفضل الصدق وعاقبته الحسنة .

وفي الأثر : (الصدق منجاة وإن ظننت أنه يهلكك ، والكذب مهلكة وإن ظننت أنه ينجيك) .

فهل يمكن أن يكون هناك خُلُقٌ أعلى من الصدق يهدي ويدل ويرشد ويوصل إلى الخير والبر والفلاح والنجاح . اللهم اجعل الصدق هدينا ودأبنا وسمتنا وخلقنا وقائدنا إليك وأميز صفاتنا عندك يا الله .



## ٨- منزلة الصالحين

منزلة الصالحين ! هي المنزلة الرابعة من تلك المنازل المذكورة في الآية الكريمة الأنفة الذكر، وهي منزلة عليا أيضاً يبلغها كل مسلم استقام على شرع ربه سبحانه وتعالى فأطاعه في السر والعلن، ولم يظهر من الأقوال والأفعال إلا الحسن، فاستحق بذلك أن يكون من الصالحين .

وهي أقل منازل الطائعين أن يكون الرجل صالحاً حقق الإيمان بربه سبحانه، ثم حقق الاستقامة في سلوكه وتعامله فحفظ جوارحه عن الحرام من كل وجه، فصلح في نفسه واستقام، وصلح مع غيره فكان في الناس سوياً نزيهاً عفيفاً .

فالصالح يكون بصلاح العقيدة الخالصة لله تعالى، وسلامة النية والمقصد له عز وجل، ثم يكون بصلاح الأعمال مع النفس والصدق مع الله تعالى، ثم يكون بصلاح التعامل مع الناس بما يرضي الله سبحانه .

والصلاح منزلة وإن كانت هي الأقل فهي عليا ودرجة رفيعة ولا ريب فالله تعالى وصف عموم الأنبياء عليهم السلام بالصالحين كقوله تعالى لما ذكر عدداً من الأنبياء ثم قال في خاتمة الآية : ﴿كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٨٥) [الأنعام] .

وغيرها من الآيات بهذا الشأن . وعموماً فدلالة تلك الآيات المذكورة وغيرها؛ تبين أن الصلاح منزلة عليا بل هي أول منازل الأنبياء عليهم السلام، يقتدي بهم غيرهم فيها ليدركوها .

غير أن هذه المنزلة ليست حكراً على الأنبياء عليهم السلام فقط فمن عامة البشر من يستطيع أن يبلغها فيكون من عموم الصالحين . إذن هي منزلة تُدرك بالعمل الصالح والطاعة والقربة إلى الله تعالى .

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . أَمْرٌ دَر . . . . . أَمْرٌ دَر . . . . . مَنُورٌ مَحَنَانٌ . أَمْرٌ دَر

والصلاح بمعناه العام أن يكون الإنسان صالحاً لتلقي شرع الله تعالى، قد قبله من حيث المبدأ لأنه من عند الله عز وجل، فيكون صالحاً لخلافة الأرض ولعمارتها، بحيث لا يفسد بل يصلح الفاسد ويزيد الصالح صلاحاً، ثم يكون مطبقاً له في ذات الوقت على نفسه من حيث المنتهى لأن فيه منفعته، ولذلك فلا يكون الصلاح حقيقي إلا بتحقيق ثلاثة أمور :

- ١- صلاح النية وسلامة العقيدة لله سبحانه، وهذا يقتضي الإيمان به تعالى والاستسلام له والانقياد .
- ٢- صلاح العمل في النفس والبدن، وهذا يقتضي الرضا بمنهج الله سبحانه وتطبيقه في الدنيا دائماً وأبداً .
- ٣- صلاح التعامل مع الآخرين، وهذا يقتضي تحكيم شرع الله عز وجل لا بديل لذلك مطلقاً .

إذن الصلاح بعموميته هو الانقياد والتسليم لله تعالى بالدرجة الأولى، ثم السير على المنهج القويم بالدرجة الثانية تحقيقاً لقوله ﷺ لما جاءه رجل فقال : يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك فقال ﷺ : ( قل آمنت بالله ثم استقم ) [مسلم] . أمره ﷺ بأمرين لا ثالث لهما فيهما جماع أمر المسلم حقيقة، الأول الإيمان بالله تعالى، والثاني استقامة جوارحه وسلوكياته بوجه عام .

ومنزلة الصلاح لها مراتب : أولها الاستقامة على العمل الصالح وأعلىها المداومة عليه مع الإكثار منه حسب درجة الاجتهاد لأن الرجل كلما أكثر من العبادة والقربات والنوافل كلما زاد صلاحه وتقدم في الدرجة والرتبة .

ولذلك فأهم ما يميز الصالحين عن غيرهم هو ثباتهم على العمل مع الزيادة فيه، والحذر كل الحذر من التقاعس والتفريط في العمل الصالح وتقليله والزهد فيه،

## مَنْزَرٌ مَحْمُودٌ . (رَدُّ رَدِّ) ..... (مَنْزَرٌ مَحْمُودٌ) . (رَدُّ رَدِّ)

وبالأخص ممن تقدم في المنزلة والرتبة . ولذلك قال ﷺ : (أَكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تَطِيقُونَ فَإِنْ خَيْرَ الْعَمَلِ أَدُومُهُ وَإِنْ قَلَّ) [متفق عليه] . ومعنى أكلفوا أي لا تكلفوا أنفسكم فوق طاقتكم من العبادة، وقليل مع مداومة خير من كثير منقطع ومتروك .

وفي الحديث الآخر قوله ﷺ : (خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تَطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالُ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ) [متفق عليه] . والمعنى ليحذر أحدكم من ترك العمل بعد لزومه زهداً فيه لأن حاله عندئذ وكأنه يقول : (يا رب جربنا القرب منك فلم نجده شيئاً) .

فهو حينها كأنه زهد في القرب من ربه سبحانه وتعالى، وكأن الصلاح ومنزلته ودرجاته حينها لم تؤثر فيه حقاً، وإلا لما ترك ما كان عليه من عمل ولما قلل منه بل كان يجب عليه الاجتهاد أكثر وأكثر لينال وينال من فيوضات القرب وعطاءات الدنو فيرقى في درجات ومنازل الصلاح والصالحين .

ولذلك كان السلف يقولون : (من كان يومه أقل من أمسه "أي في العمل الصالح" فهو من الخاسرين ومن كان يومه أكثر من أمسه فهو من الفائزين) . والمعنى أن منزلة الصلاح من دخلها فيجب عليه حينها أن يستمر وإلا كان قد نكص على عقبيه نعوذ بالله تعالى من ذلك .

فالمسلم كلما زاد صلاحاً كلما قضى جُل وقته مع ربه عز وجل يأنس به ومعه لا يريد عن ذلك بديلاً، فكيف يترك ذلك ويذهب فيه من وصل إلى شيء من القرب من الله سبحانه وذاق حلاوة الأنس به ولذة ذلك ثم عاد يفرط فيه . وأيضاً كلما زاد صلاحاً في سريره نفع الله تعالى به الناس ونفعه بالناس .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّ ..... الْمَرْوَبُ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّ

وفي الأثر : (من عمل لآخرته كفاه الله دنياه، ومن أصلح سريره أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس) [ابن أبي شيبه وأبو نعيم في الحلية] .

إذن منزلة الصلاح منزلة عُليا يكفي أن معاشر الأنبياء هم أول الصالحين بل هم خير وأفضل الصالحين صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين وجعلنا ممن سار على منهج الصلاح والصالحين . اللهم اجعلنا ممن آمن بقلبه واستقام بجوارحه فصلح لنفسه ولغيره وأصلح الله على يديه .



## ٩- مقام الإخلاص

الإخلاص منزلة من منازل السر ! لذا فهو من أعمال القلوب التي لا يعلمها إلا الله سبحانه، وهو تعالى الذي يجزي عليه بحسب صدق العبد في عمله، ويمدّ إقباله عليه عز وجل، وقربه منه تبارك وتعالى . وفي الأثر عن ربنا جل في علاه في حديث قدسي قوله تعالى : (الإخلاص سر من أسراري أودعه قلب من رضيت من خلقي لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده) [ابن حجر في الفتح والعيني في العمدة والزرقاني في شرح الموطأ] .

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (سألت جبريل عن الإخلاص ما هو، فقال : سألت رب العزة عن الإخلاص ما هو، قال : سر من سري استودعته قلب من أحببته من عبادي) [الديلمى في الفردوس وابن الجوزي في المسلسلات والكلاعي في المسلسلات والعراقي في المغني] .

وقال الجنيد : (الإخلاص سر بين العبد وبين الله لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله)<sup>١</sup> . وقال روم : (الإخلاص من العمل هو ألا يريد صاحبه عليه عوضاً في الدارين ولا حظاً من الملكين)<sup>٢</sup> . وقال مرة : (الإخلاص ارتفاع رؤيتك عن فعلك)<sup>٣</sup> .

---

<sup>١</sup> الجنيد بن محمد الجنيد، توفي سنة ٢٩٨ هـ . وروم بن أحمد بن روم الشيباني، توفي سنة ٣٠٣ هـ . وكلاهما من كبار متصوفة السلف الصالح . التصوف الحقيقي قبل أن تدخله البدع والخرافات والأباطيل، وليس التصوف المزعوم .

<sup>٢</sup> ذكر هذين الأثرين : القرطبي في تفسيره للآية (١٣٩) من سورة البقرة . والشرييني في تفسيره للآية (٨٣) من سورة الحجر .

<sup>٣</sup> صفة الصفوة . ابن الجوزي . ج ١، ص ٥٣٢ .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّ . (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَدُّ)

إذن الإخلاص مرتبة عليا ومنزلة رفيعة ومقام مقدم به يتفاوت العباد وتعلو منازلهم على بعض، وبه يقذف الله تعالى القبول في قلوب الناس عند الموعظة، وبه يخبت القلب ويرق ويقشعر من خشية الله تعالى، وبه تثبت الأقدام على الحق، وبه يقترب العبد من ربه عز وجل فيفيض عليه سبحانه من رضوانه وبركاته وأنواره ورحماته وفيوضه وعلمه، وبه يشعر المؤمن حلاوة الإيمان ولذة الطاعة وطعم العبادة وصدق المناجاة وبرد قربه من الله جل ربنا في علاه .

الإخلاص لا يستطيع أحد أن يدعيه، أو أن يتظاهر به، لأنه شعور قلبي لا ينبع إلا من قلب امتلأ صدقاً وإخباتاً وانقياداً وخشوعاً وخضوعاً وقنوتاً... والله سبحانه وتعالى دوماً يريد من عبده المسلم أن يقوم بين يديه بمقام الإخلاص والإقبال عليه، واللجوء إليه، فلا يخشى سواه ولا يرجو غيره ولا يطلب إلا هو، وبالتالي لا يعبد إلا الله تعالى، ولا ينصاع إلا لله سبحانه، ولا يفكر إلا في الله عز وجل، فيجعل كل عمل يعمل له لربه جلت قدرته لا يشرك به أحداً ولا يلتفت إلى غيره حباً أو خشيةً أو رجاءً، ذاك هو صميم الإخلاص .

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (أمرني ربي بتسع "وذكر منها" الإخلاص في السر والعلن)[الحكيم الترمذي في النوادر والخطيب في المشكاة وابن الأثير في الجامع والسيوطي في الفتح والجامع الصغير]<sup>١</sup> .

وفي الحديث النبوي الشريف الآخر قوله ﷺ : (ثلاث من أوتيهن فقد أوتي مثل ما أوتي آل داود، قال : فقلنا ما هن، فقال : العدل في الرضا والغضب والقصد في الفقر والغنى وخشية الله في السر والعلانية)[الحكيم الترمذي في

---

<sup>١</sup> وتام الحديث : (والعدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر وأن أصل من قطعني وأعطي من حرمي وأعفو عمن ظلمني وأن يكون نطقي ذكراً وصمتي فكراً ونظري عبراً) .

## مَنُورٌ جَمَانَةٌ . دُرَرٌ ..... (الْمَرْقَبُ) ..... مَنُورٌ جَمَانَةٌ . دُرَرٌ

النوادر والعراقي في المغني والسيوطي في الفتح الكبير والجامع الصغير] . صدق ﷺ  
فالإخلاص متى استحوذ على القلب جعل المؤمن كل عمله لله عز وجل، حباً  
وانقياداً قبل أن يكون مقصده الأجر والثواب . وفي الذكر الحكيم قوله سبحانه :  
﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ١٤٦﴾  
وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ [النساء] .

فلا يعامل الناس بل يعامل رب الناس، وعندئذ يبذل الخير والبر لمن استحق  
ولمن لا يستحق، لأنه إنما عامل الله تعالى وابتغى الأجر منه، ولم ينظر للناس ولا  
لمنازلهم في الدنيا، ولا لمدى استحقاقهم للخير من عدم ذلك، وكل تلك الأمور  
ستوجب له الجنة بمشيئة الله تعالى .

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (من فارق الدنيا على الإخلاص لله  
وحده وعبادته لا شريك له، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة مات والله عنه  
راضي) [ابن ماجة والحاكم والبخاري وأبو يعلى والبيهقي في الشعب] .

الإخلاص متى تملك القلب جعل المؤمن ينظر للدنيا نظرة هوان واحتقار وصار  
ينظر لما هو خلف المنظور والمحسوس فيها، ويصبح لا يعبأ بأفعال الناس معه، لأنه  
إنما حسب حساب الغائب مما هو عند الله تعالى من رغائب، وكلما أمعن النظر  
وأطال الفكر في الإخلاص تكشف له معاني عظيمة ورتب ومنازل عُلِّيا يتفاوت  
العباد فيها، وحينها يصبح العبد من المؤمنين الصادقين الأولياء الصالحين المقربين  
المحبتين وحينئذ يصدق فيه قول الله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ  
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١٢٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٢٧﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
وَفِي الْآخِرَةِ ﴿١٢٨﴾ [يونس] .

## مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَدِّدْ) ..... (مُزَكِّبٌ) ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَدِّدْ)

وفي بعض كتب السير والرقاق . أن شجرة كانت تُعبد من دون الله تعالى فجاء رجل مؤمن يريد أن يقطعها فتبدَّى له الشيطان وعرض له في طريقه وقال له : أين تريد ؟ قال : أريد قطع هذه الشجرة التي عُبدت من دون الله تعالى، فقال له الشيطان : لا سبيل لذلك إلا إذا صرعتني، فإن صرعتني قطعتها وإن صرعتك تركتها ! قال : نعم، فاصطرها فصرع الرجل المؤمن ذاك الشيطان، فقال الشيطان حينها لذلك الرجل : هل لك أن تترك الشجرة وأعطيك كل يوم ديناراً ؟ قال الرجل : نعم، فمكث الرجل ثلاثة أيام يأتيه الشيطان بالدينار، وفي اليوم الرابع لم يأتيه بشيء فعمد الرجل إلى الشجرة مرة أخرى ليقطعها فعرض له الشيطان مرة أخرى وقال له : لن تقطعها حتى تصرعتني وإلا فلا، قال الرجل : نعم فاصطرها مرة أخرى فصرع الشيطان ذاك الرجل، فقال حينها : عجباً قبيل أيام صرعتك والآن تصرعني، فقال الشيطان : نعم ما كنت لأصرعك وأنت مؤمن مخلص لما أردت قطع الشجرة لوجه الله تعالى، فلما ذهب إخلاصك وتغير مقصده وأردت قطع الشجرة لحرصك على الدينار لم تستطع، فسبحان الله العظيم . اللهم أودع قلوبنا الإخلاص وارزقنا أعلى مراتبه وأذقنا حلاوة منتهاه وثبتنا على الحق حتى نلقاك يا الله .



مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَدِّدْ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَدِّدْ)

## ١٠ - مقام التواضع

ورد في السنة النبوية الشريفة قوله ﷺ : (من تواضع لله رفعه) [متفق عليه] .  
لهذا الحديث دلالة واضحة، وهي أن الرفعة حقيقة تكمن في التواضع، فمن أراد  
الرفعة الحققة فليتواضع لخلق الله تعالى، ليرفعه الله سبحانه عليهم مقاماً علياً .  
إذن ليست الرفعة في أيدي البشر بل هي في يد الله تعالى، فمن علم ذلك  
فليتواضع للناس ليرفعه رب الناس على الناس، والرفعة ههنا ليست رفعة كبر وزهو  
وإنما رفعة مقام ومكانة ومنزلة وحب واحترام، يقذفها سبحانه في قلوب الخلق  
فيحبون المتواضع .

والعبد كلما زاد في التواضع كلما زاده الله تعالى رفعة، لأن الأمر بيده سبحانه،  
وعلى ذلك فلا يمكن أن يتظاهر أحد بالتواضع لأنه لا يصدر إلا من قلب سليم  
مخبت قانت لله عز وجل .

والتواضع هو خفض الجناح والرفق بالآخرين وعدم التعالي على أحد مهما  
كان، وهو دليل على حُسن الطوية وكريم الخلق وحميد الخصال، وهو دليل على  
طهارة النفس والرجاحة والهداية والرزانة وسعة البال . وهذا كله يبين لنا أن التواضع  
يعتبر من أعمال القلوب والسرائر .

وفي الحديث النبوي الشريف عن أبي مسعود رضي الله تعالى عنه قال : أتى  
النبي ﷺ رجل، فكلمه، فجعل ترعد فرائصه، فقال له : هَوْنٌ عليك، فإنني لست  
بملك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد) [ابن ماجه وصححه الألباني والحاكم  
والطبراني في الأوسط . والقديد اللحم المملح المجفف في الشمس] . صورة واقعية  
بالفعل عن تواضعه ﷺ وهو سيد البشر أجمعين في الدنيا والآخرة .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّ . (الْمُرُورُ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (الْمُرَدُّ)

ولذا فهو منزلة عُليا من منازل القلب ورُتبة عظيمة لا يُؤتاه أي أحد، وإنما يُؤتاه من عرف حقيقة الدنيا وحقارتها بحق ومن ثم عَظَّمَ الله سبحانه وتعالى في قلبه حق التعظيم .

والعبد كلما عَظَّمَ الله تعالى في قلبه كلما احتقر نفسه وهانت عليه وتقال في عين ذاته فيتواضع حينها، ولا يتكبر على الناس إلا من غفل عن عظمة الله تعالى وكبريائه فزها بنفسه وتعاضم بها، وهي في حقيقة أمرها نفس حقيرة فقيرة لولا الله تعالى الذي أوجدها من عدم، وأعطاهها عموم النعم، وأمدّها بالقدرات، ووهبها الإمكانيات، وأولاهها المكتسبات، ومكَّنّها من جميع المنافع والمصالح، وشحذها بالميول والنزعات والرغبات، لولا كل ذلك لما كانت النفس شيئا يذكر، فهي في جميع حالاتها مصرفة مدبّرة مسيرة مسخرة خاضعة لمن خلق وذرا وبرء وأوجد وأعطى وأنعم وتفضل وأمد ومكّن سبحانه وتعالى عما يصفون .

ومما يروى في ذلك أن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه وهو أحد أغنياء الصحابة الكرام ومن أكبر موسري المدينة كان يخرج مع عبيده وغلمانهم ومائة يمشون معه، فلا تعرفه من بينهم تواضعا منه يُلبسهم كما يلبس .

هذه هي حقيقة التواضع، ألا ينظر الإنسان لنفسه نظرة كمال أبداً، وإلا يكون قد أساء الأدب مع ربه عز وجل، لأن الله جلّت عظمته خلقنا على نقص وجعل نفوسنا محتاجة له ولنعمه تعالى دوماً، سواء كانت مقومات حسية للجسم، أو مقومات معنوية للروح، وهي المنهج الحق .

والمرء متى علم ذلك عن نفسه وعن حقيقة تكوينه، علم أنه في حقيقة أمره لولا الله سبحانه وتعالى ولولا نعمه المتوالية على البشر جلّت عظمته، لما كان الإنسان في الدنيا شيئاً يذكر .

## مَنُورٌ جَمَانٌ . أُرْدَرُ ..... أَلُزَّوْبُ ..... مَنُورٌ جَمَانٌ . أُرْدَرُ

ولذلك فالتواضع إنما علم حقيقة خلقه وتكوينه، وحقيقة وضعه في الدنيا، وحقيقة بقاءه ونهايته .

فحقيقة خلقه التراب والماء، وحقيقة تكوينه من طين لازب لزج، وحقيقة وضعه في الدنيا أنه يحمل بين جنبيه الخبث من بول وغائط، وحقيقة بقاءه أياماً معدودة في الدنيا، وحقيقة نهايته تراب متعفن ومن ثم إما إلى نعيم مقيم وإما إلى نار وجحيم، فمن علم ذلك على وجه الحقيقة علم أن التواضع واجب في حقه لأنه لا شيء لولا الله تعالى ونعمه وصدق ربنا سبحانه القائل : ﴿ هَذَا أَنَّى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١٠﴾ [الإنسان] .

ومن علم ذلك عن نفسه فليس هو أهل لأن يتكبر أبداً، وإلا كان في غرور وغفلة لن يستيقظ منها إلا بالمولوت وهو النهاية المحتومة، التي سيكتشف كل غافل حين يذوقه أنه كان في غرر حقيقي، ولكنه حينها لن يستطيع التدارك لأن الأوان قد فات والعمر قد انتهى بعد أن مات .

المحصلة أن التواضع يعني معرفة حقيقة النفس وحقيقة الدنيا وأنها حقيرتان زائلتان فعلام التكبر . اللهم اجعلنا ممن تواضع لك فرفعته واعتصم بك فحفظته واستعان بك فوفقته يا ذا الجلال والإكرام .



مَنُورٌ جَنَانُهُ . (رَدَّ رَدَّ) ..... (مُنَزَّهٌ) ..... مَنُورٌ جَنَانُهُ . (رَدَّ رَدَّ)

## ١١ - مقام الرضا

عُرف من دعاء الصالحين قولهم : (اللهم إني أسألك الرضا فارض عني) .  
وخير من ذلك قول رسولنا الكريم ﷺ : (من قال إذا أصبح وإذا أمسى :  
رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً كان حقاً على الله أن  
يرضيه "يوم القيامة") [أبو داود والترمذي والنسائي في الكبرى واللفظ له] .

وقول ربنا جل في علاه في كتابه العزيز أعلى وأجل : ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾  
[البينة] . والمعنى رضي الله تعالى عنهم لا تباعهم المنهج الحق والشرع الصدق  
وطاعتهم له عز وجل، وهم رضوا عنه بما أعطاهم في دنياهم من تكليف نافع لهم،  
وبما وعدهم إياه في الآخرة من نعيم مقيم لا يحول ولا يزول .

إذن ليس الرضا قولاً باللسان وحسب، بل هو منزلة غُليا في قلب المؤمن، وما  
يجد من حلاوة في قلبه، وطمأنينة في نفسه، وارتياح في عقله، واستقامة في جوارحه،  
كل ذلك يجعله في مقام عليّ يقومه بين الله تعالى .

الرضا الحقيقي لا يبلغه إلا من علم يقيناً أن الدنيا دار زوال وغرر، وأن من  
أوتيتها ومن حُرّمها سواء، وليس كل عطاء فيها علامة على الرضا، وليس كل  
حرمان منها علامة على عدم الرضا . فكم من صاحب نعمة مُنع الرضا وحُرّمه،  
وكم من فاقد للنعمة أوتي الرضا وزيادة .

الرضا الحقيقي هو أن تقنع وتزهد وتتورع وتترك ما يشغل من أمور الدنيا وتقبل  
على ما لا يشغل منها مما لا بد لك منه، ومما هو موصلك إلى الآخرة ونعيمها .  
وعليه فليس الرضا ترك الواجب والزهد في المطلوب بل الرضا القناعة بالقسم ولو  
كان قليلاً، لأن قليل الدنيا وكثيرها سواء، لأنك يا ابن آدم ميت وتاركه فما فائدة

## مَنُورٌ جَنَانُهُ . أَمْرٌ دَر . . . . . (الْمَرْقُوبُ) . . . . . مَنُورٌ جَنَانُهُ . (أَمْرٌ دَر

الكثرة، وما الفرق بينها وبين القلة إن كنت ستترك هذا وذاك، من فهم ذلك وعقله أدرك ببصيرته منتهى الغفلة، التي وقع فيها كثير من الناس .

الرضا لا يبلغه إلا من علم أن عالم الدنيا حقيقة لا قلة فيه ولا كثرة إلا وهو خول مُعار يُحوّله المرء لفترة ثم هو مسلوب منه وراجع لمن وهب، والعلة والحكمة من تحويله سبحانه لعباده الابتلاء والنظر في حُسن العمل من سوءه مصداقاً لقوله عز وجل : ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملِك] وتحقيقاً لقوله سبحانه وتعالى : ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥﴾ [الأنبياء] .

الرضا هو قرارة العين وسكون النفس واطمئنان القلب وعدم التطلع لما عند الآخرين، وعدم ازدراء النعمة في الدنيا مهما قلت وأياً كانت، كل ذلك طلباً لما هو أعلى وأهم وأوثق وأثبت مما هو عند الله تعالى من نعيم مقيم دائم وغير منقطع . حقيقة الرضا هي معرفة الدنيا على حقيقتها وأنها لا تساوي شيئاً مهما بلغ فيها المرء، وبالتالي عدم الركون والرضا بنعيمها الفاني مهما كان وعظُم لأنه منتهى ومحدود، ومن ثم السعي والتطلع لما عند الله تعالى من نعيم باق في أعلى الجنان . ومما يروى في ذلك أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى كان يقول : (إن لي نفساً تَوَافَقَ، تمنيت الإمارة فلما بلغتُها، كان في نفسي شيء من الخلافِ، فلما بلغتُها تافقت نفسي للجنة) .

أي أن نفسه كانت دوماً تتوق للمعالي، تمنى الإمارة فلما أتته طلب أعلى منها وهي الخلافِ، فلما بلغها تافق إلى الجنة، وهي أعلى المنازل، فحمله ذلك على الزهد والورع في نفسه فترك الدنيا وزينتها وحمله ذلك على العدل والإنصاف بين الرعية فكانت سيرته من خير السير التي تضمنت الكثير من العبر .

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (مَرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (مَرَارٌ)

الرضا يجعل الإنسان يصبح ويمسي وذكر الله تعالى وشكره وحمده على لسانه دوماً فيسير على مبادئ وخطى ثابتة تجعله قانع القلب مسلم لربه لا يتقلب من حال إلى حال وكأنه تائه مصرف، الرضا لا يمكن تحقيقه إذا لم يكن القلب قانعاً لله تعالى منقاداً مخبتاً له ولمواده سبحانه، مهما بلغ الإنسان من عطاء الدنيا ونعيمها ومكانتها .

الرضا هو عدم الرضا بالدون والقلّة من النعيم الدنيوي الفاني، والسعي للمعالي لإدراك أعلى الدرجات والمنازل والرتب في دار الكرامة والعزة بجوار الرحمن سبحانه وتعالى . الرضا الحقيقي هو معرفة خمسة أشياء على حقيقتها :

١- معرفة الله سبحانه وتعالى، وأنه يستحق أن يعبد جل شأنه، وهذا يقتضي طاعته عز وجل وعدم عصيانه سبحانه أبداً، حباً له، وخوفاً منه، ورجاءً فيه، واشتياًفاً لرؤيته في الجنة دار السلام .

٢- معرفة النفس وحقارتها، وأنها مليئة بالعيوب والنقائص وأن كل حُسنٍ فيها ليس منها ذاتاً وإنما هو مكتسب وموهوب من الله تعالى، وهذا كله يقتضي عدم التعالى على الآخرين والتشوّف عليهم .

٣- معرفة الدنيا وزوالها، وأن نعيمها مؤقت زائل، وهذا يقتضي عدم الركون إليها والافتتان بها لأنها لن تدوم، وبالتالي الرضا بما قسم الله تعالى له منها مهما قل، فالدنيا كلها قليل، وصدق سبحانه القائل : ﴿ قُلْ مَنَعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ [النساء] .

٤- معرفة الجنة ونعيمها العظيم الأبدي، وهذا يقتضي عدم الزهد فيها وإنما طلبها بكل سبب ووسيلة توصل إليها .

٥- معرفة النار وجحيمها العظيم الأبدي، وهذا يقتضي الخوف منها والهرب بالطاعات والأعمال الصالحات .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُنَزَّهٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

وإذا تحقق الرضا في الدنيا قاد ذلك للرضا الحقيقي في الآخرة، الرضا الذي قال فيه ﷺ في الحديث النبوي الشريف : (إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى ؟ يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يا رب وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً) [متفق عليه] .

وإجمالاً ! الرضا يعني معرفة المقصد الحقيقي والأصيل من إيجاد الله تعالى لعباده في هذه الدنيا وعدم الانشغال بما سوى ذلك وبالتالي السعي إليه . اللهم اجعلنا ممن رضييت عنهم ورضوا عنك يا رحمن واجعلنا الجنة دار السلام .



مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَدُّ رَدِّ) ..... (مُنْزَعٌ) ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَدُّ رَدِّ)

## ١٢ - كمال الإيمان (التصديق بالقدر)

الإيمان هو التصديق المطلق بالله سبحانه وتعالى وبكل أمور الدين من كتب سماوية وأنبياء ورسل عليهم الصلاة والسلام ويوم آخر وملائكة بررة وَقَدَرٌ يجري على الإنسان بخيره وشره . والمؤمن الحق متى صدق بتلك الأمور فقد بلغ درجة اليقين المطلق، لكننا لو دققنا النظر لوجدنا أن لكل ركن من تلك الأركان الستة، له من الإيمان به مقتضىٍ ليقضيه :

- الإيمان بالله تعالى يقتضي التصديق بأنه هو الرب الخالق، وهو الإله المكلف، وهو المعبود، وهو الرزاق، وهو القيوم على خلقه وعباده، وهذا الأمر يكون لمرة واحدة في حياة المسلم، فبمجرد تصديقه يكون حينها قد آمن بالله تعالى .
- والإيمان بالملائكة عليهم السلام يقتضي التصديق بوجودهم وبما علمنا من أوصافهم وأخبارهم، وهذا الأمر كسابقه يكون لمرة واحدة .
- والإيمان بالكتب السماوية يقتضي التصديق بها وبما صح ووصل من أخبارها، وهذا الأمر أيضاً يكون لمرة واحدة .
- والإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يقتضي التصديق بهم وبما أخبروا به، حتى هذا الأمر أيضاً يكون لمرة واحدة .
- والإيمان باليوم الآخر وأنه آتٍ لا محالة وبما فيه من أهوال ومن حساب وعقاب، وهذا الأمر كذلك يكون لمرة واحدة .
- أما الإيمان بالقدر خيره وشره وأنه من عند الله تعالى تقديرًا وقضاءً واختيارًا ووقوعًا، هذا الأمر هو الذي يؤكد في النفس مدى صحة الإيمان وقوة اليقين بصفة مستمرة، لأنه يحتاج لدوام تصديق ومداومة على ذلك . وليس لمرة واحدة فقط في حياة المسلم .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مَرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مَرَارٌ)

والمعنى أن المؤمن في حياته يؤمن بالله تعالى ويؤمن بالملائكة عليهم السلام ويؤمن بالكتب السماوية ويؤمن بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ويؤمن باليوم الآخر وبما فيه، كل ذلك يحتاج منه أن يصدق به لمرة واحدة فقط في حياته لينعقد الإيمان في قلبه على الوجه المطلوب . أما الإيمان بالقدر خيره وشره فهو يحتاج لأن يتواصل تصديق المسلم به دوماً، لأن القدر الذي يجري على الإنسان منه ما هو خير، ومنه ما هو شر<sup>١</sup>، وليس كل الناس على نفس الدرجة من الرضا بذلك، وبالأخص متى قُدِّرَ على الإنسان الشر تجده يضجر وربما كَذَّبَ أو اعترض أو شكك في الأمر فيكون حينها قد خرق إيمانه وضعف يقينه .

وكل ذلك يحصل متى غفل العبد عن مراد الله تعالى منه وجهل حكمة الله عز وجل البالغة في القدر . وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : ( ... ) إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ثم يسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ثم يسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها) [متفق عليه]<sup>٢</sup>.

---

<sup>١</sup> هذا في الظاهر، وإلا فكل قدر الله تعالى خير على خير، سواء ظهرت الحكمة منه أم لم تظهر .

<sup>٢</sup> والحديث بتمامه : (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . أَمْرٌ دَر . (الْمَرْوَبُ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . أَمْرٌ دَر

وفي ذلك تخويف كبير للخلق وحافز لهم ودافع قوي ليثبتوا إيمانهم، باليقين وبحسن الظن بالله تعالى، وبالتصديق الدائم وبالرضا بالقضاء والقدر، حتى يختم لهم بخير إن شاء الله سبحانه وتعالى .

وخير ما يبين لنا حقيقة القدر في حياة المسلم هو قوله ﷺ : (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير إن أصابته سراء فشكر كان خيراً وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً) [مسلم] . فمما يستفاد من هذا الحديث :

أ- أن المؤمن مقدّر عليه في هذه الدنيا أقدار كثيرة لا محالة منها ولا مفر من ذلك، وهي كلها في مجملها خير له لو علم حقيقة الأمر .

ب- دلالة الحديث أن فيه أربعة أمور . أمران هما من القدر الإلهي على المسلم لا دخل له فيهما وهما : (السراء والضراء) . يجريان عليه كقدر كوني، وأمران هما من فعله وله فيهما دخل وهما : (الصبر والشكر) . يصدران منه كعمل صالح .

ج- أن السراء والضراء هما من أقدار الله تعالى على عباده جميعاً، وكلاهما خير للمسلم لو كان يعلم حقيقة ذلك .

د- أن الصبر والشكر هما نصف الإيمان المكملان لبعضهما، فالإيمان نصفه شكر على النعم والخير، ونصفه صبر على البلاء والشر، وكل أفعال العبد هما إما خير وإما شر، فبالتالي هما يقعان ضمن أحد نصفي الإيمان .

هـ- أن الخير قد يكون للخير وقد يكون للشر، وكذلك الشر قد يكون للشر وقد يكون للخير . والمعنى أن الخير الظاهر قد يحتوي على شر باطن فيكون شراً بما ظاهره الخير، وكذلك الشر الظاهر قد يحتوي على خير باطن فيكون خيراً بما ظاهره الشر .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَرٌ)

إذن هي أقدار لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى، وكل أقدار الله سبحانه خير للمسلم علم ذلك أم لم يعلم، ولا شر مطلق بقصد الإضرار في قدر الله عز وجل أبداً، وإن كان شراً بما ظهر للعباد فهو خير قابع خلف شر بادٍ .

وإذن فبوابة الإيمان بالقدر خيره وشره من أهم أركان الإيمان، لأن الناس فيه يتأرجحون بين الرضا والتسليم والانقياد، وبين الإعراض والاعتراض والتشكيك، مما يحتم على المسلم دوماً الرضا بالقضاء والقدر ليكمل إيمانه، وعليه في جميع الأحوال أن يتسلح بالصبر والشكر معاً، في كل تقلبات الدنيا وأحوالها التي لا تخلو من السراء والضراء .

وفي الحديث النبوي الشريف عن نافع، قال : كان لابن عمر صديق من أهل الشام يكاثبه فكتب إليه عبد الله بن عمر : إنه بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر، فإياك أن تكتب إلي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إنه سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر) [أبو داود وحسنه الألباني وأحمد وغيرهم] . اللهم إنا نسألك تمام الطمأنينة والرضا والتسليم للقضاء والقدر يا قيوم .



مَنْزُورٌ حَقٌّ . دُرَرٌ ..... الْمَرْبُورُ ..... مَنْزُورٌ حَقٌّ . دُرَرٌ

### ١٣ - منزلة الإيثار

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل : ﴿ وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۝١ ﴾ [الحشر] هذه هي حقيقة الإيثار .

أما معناه فهو تفضيل الغير على النفس في الخير وتقديمه دونها، وهذه منزلة عليا لا يبلغها ولا تتأتى إلا بعد حب الخير للغير كحبه للنفس، ثم تجاوز ذلك إلى منزلة أعلى، وهي تقديم الغير على النفس، ذلك هو الإيثار .

ومدلول الآية أن الإيثار الحقيقي كما قال الله سبحانه وتعالى لا يكون إلا عن خصاصة، وهي تفضيل الغير على النفس مع الحاجة للشيء، وتأتي الخصاصة بمعنى الإنفاق مع الفقر الشديد والحاجة للشيء، إذن ليس الإيثار الإنفاق أو العطاء عن زائد وفائض كما يظن البعض .

لذا قال سبحانه في الآية الأخرى من كتابه العزيز : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۝١٢ ﴾ [آل عمران] .

الإيثار منزلة عليا لا يبلغها إلا من استطاع بحق أن يتغلب على نفسه وأن يقهرها، وأن يتخلص من تبعات حب الذات والأنانية وغوائل النفس وشروها وبوائقها، إلى أن يصل إلى مرتبة السماحة والصفاء والطمأنينة والرضا والقناعة والصفح عن الجميع، وما إلى ذلك من فضائل وصفات الخير والبر والكرم والجود اللا منتهى واللا محدود .

ومما يروى في ذلك أنه اجتمع فتية من قريش عند الكعبة يتذكرون من أجود الناس فقال الأول : عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وقال الآخر : بل قيس بن سعد بن عبادة، وقال الثالث : بل عرابة الأوسي، وكل الثلاثة يعد من الصحابة

## مَنُورٌ حَمَانٌ . (رَدَّ) ..... (مَنُورٌ حَمَانٌ) . (رَدَّ)

الأخيار رضي الله تعالى عنهم . فقالوا لنرسل لكلٍ منهم سائلاً، ونرى مدى عطاؤه له، فجاء الأول لعبد الله ابن جعفر وقد وضع رجله في ركاب الدابة فصاح به وقال : (يا عبد الله ابن جعفر عابر سبيل وطالب حاجة) . فنزع عبد الله رجله من الركاب وقال له : (خذ الدابة بما عليها وخذ هذا الكيس به أربعة آلاف دينار وخذ هذا سيف لعلي بن أبي طالب أحرص عليه ولا تفرط فيه) . فأخذها الرجل وأنصرف لحال سبيله .

ثم جاء الآخر لقيس بن سعد بن عبادة فطرق عليه الباب ففتحت له الجارية وقالت : (ماذا تريد) فقال : (أريد قيساً) قالت له : (وما حاجتك) فقال الرجل : (عابر سبيل وطالب حاجة) فقالت له الجارية : (حاجتك أهون عليه من أن أوقظه من نومه) ثم قالت له : (خذ هذا كيس به سبعمائة دينار ما في بيت سعد اليوم غيرها وأذهب إلى معاطن الإبل وخذ منها ما شئت من راحلة ثم خذ لها من العبيد من يسوقها لك) فانصرف الرجل، فلما قام قيس من نومه أخبرته الجارية بما حصل فقال لها : (أوقد فعلت) قالت : (نعم) فقال لها : (لو لم تفعل لي كان كذا وكذا) "أي لو لم تفعل ذلك لوبخها على تقصيرها" ثم قال لها : (اذهي فأنت حرة) .

ثم جاء الثالث لعرابة الأوسي وقد شاخ وكبر وعمى وهو يتعكز على عبيدين له عن يمينه وشماله واضعاً كل يد على كتف أحدهما، وهو ذاهب إلى المسجد، فقال الرجل : (يا عرابة) قال له : (من) قال الرجل : (عابر سبيل وطالب حاجة) فصاح عرابة وقال : (يا ويح عرابة ذهب عنه ماله وما يجد) . ثم دفع بيديه العبيدين عن يمين وشمال وقال : (خذهما) فقال الرجل : (أو آخذ عنك عُكَّازيك) فقال عرابة : (إن لم تأخذهما فهما حُرَّين لوجه الله تعالى) فأخذهما الرجل وانصرف وذهب عرابة يتحسس الحيطان بلا قائد يقوده . إيثار حقيقي يفعل بصاحبه هكذا وأكثر .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

وقصة أخرى عن عائشة رضي الله تعالى عنها لما جاءتها صلة من معاوية رضي الله تعالى عنه زمن خلافته (مائة ألف درهم) وهي صائمة ذلك اليوم، فخرجت من فورها مع جاريتها فوزعتها على الفقراء والمحتاجين، فلما دخلت المنزل قالت لها الجارية : (يا أم المؤمنين أما كنت استبقيت لنا درهماً واحداً نشترى به ما تُفطرين عليه) . فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها : (لو ذكرتني لفعلت) . الله أكبر نسيت أن تستبقي ما يسد جوع بطنها مع أنها صائمة ولكنه الإيثار متى تغلغل في النفس حجب شرورها وبوائقها وغوائلها، وذلك لا يكون كما قلت إلا من رَوَّض نفسه بحق، وقادها إلى كل خير وحق وبر ونور وهدى ورشاد وصلاح وفضيلة وسمو أخلاق وحميد خصال ورفعة مكانة وصفاء ونقاء وعطاء وبذل .

إذن حقيقة الإيثار إنما هو حب النفس بالدرجة الأولى الحب الحقيقي فهو الأنانية الكاملة بعينها ولكنه الأنانية الحققة، كيف ذلك لأن المنفق والمعطي والمؤثر غيره على نفسه يضحي بالفاني من نعيم الدنيا القليل والزائل ليفوز بنعيم الجنة العظيم الخالد .

ولذلك كان يروى عن علي رضي الله تعالى عنه قوله : (ما عملت خيراً لأحد قط) . فقل له كيف ذلك وقد كنت تعطي وتعطي وتؤثر على نفسك وتهب لسواك فقال : (إنما عملت ذلك لنفسي وليس للناس، فكنت أبذل الفاني لأرصد الباقي) . والمعنى أنني إنما كنت أرصد الخير والأجر لنفسي مما سيبقى لي في الجنة، فكنت أبذل الفاني للناس لآخذ الباقي عند الله تعالى، فحقيقة الأمر أنني عملت لنفسي وليس للناس، وصدق في قوله ذلك، فيا له من فهم عميق ووعي دقيق في إدراك الحقائق . اللهم اجعلنا ممن صدق إيمانه بك فأيثار قلبه وأحب لغيره كما يحب لنفسه .



## الباب الرابع : الاختيارات والابتلاءات

- ١ - أمانة الاختيار (مسير أم مخير)
- ٢ - المحطات الثلاث (العقل والنفس والقلب)
- ٣ - همّ المعاد وهموم الدنيا
- ٤ - المصائب والمدلهمات
- ٥ - عجائب أقدار الله تعالى (الاستدراج)
- ٦ - الدنيا دار بلاء عام
- ٧ - المفسدات الأربع
- ٨ - عيوب النفس وعيوب الناس
- ٩ - شؤم البدع (الخذلان)
- ١٠ - مدخل البدع (الاستحسان)
- ١١ - دروس من مواقف الشيطان
- ١٢ - معية الرحمن وسلطان الشيطان
- ١٣ - حقيقة الدنيا (دار ممر)

مَنُورٌ مَّخَانَةٌ . (مُرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَّخَانَةٌ . (مُرَارٌ)

## ١ - أمانة الاختيار (مسير أم مخير)

كل الناس يعلمون أن الله عز وجل خلق الإنسان في الدنيا وجعله مختاراً فيها، وذلك هو مضمون ومعنى قوله سبحانه في محكم التنزيل : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب] . هذه الأمانة هي حرية الاختيار .

غير أن كثيراً من البشر لا يعلمون حقيقة صنعة الله تعالى كما ينبغي، فهل الإنسان مسير في حياته أم مخير، ولهذا الأمر مضمون ومعنى وهو : أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان، وسلحه بأربع قوى، قوتان ماديتان وقوتان معنويتان، وجعل لكل قوة عقلاها من جنسها، دلالة على الحق المطلق الموجود في كل نفس بشرية . وتلك القوى هي : (الجسد المادي، وعقاله القلب المادي)، و(الروح المعنوية، وعقالها العقل المعنوي) .

وعليه فالإنسان مركب من مركبتين هما : (روح وجسد)<sup>١</sup> . ولكل واحدة منهما وجود وتأثر ونزوعات واحتياجات .

فالجسد المادي له نزوعات ورغبات واحتياجات لا حدود لها، فعقله الله تعالى بأن أوجد فيه القلب كالضابط والمحرك له، وهو متعلق بالله تعالى كالدلالة على أنه خاضع ومنقاد لخالق عظيم أوجده ووضع فيه القيم، وجعله كالميزان بين الحق

---

<sup>١</sup> حقيقة خلق الإنسان من جزء مادي مشاهد في عالم الملك وهو الجسد، وجزء معنوي محسوس في عالم الملكوت وهو الروح، وبذلك يكون قد اجتمع فيه عالم الملك وعالم الملكوت، فكان سيد عالم الملك بما فيه من سر عالم الملكوت، وسيد الملكوت بما فيه من سر عالم الملك . فسبحان الله العلي العظيم .

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (مُرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (مُرَارٌ)

والباطل والخير والشر، وكل إنسان يجد ذلك في قلبه ولا ريب فكان القلب ضابط الجسد والمتحكم فيه، ولذا كان سيد الأعضاء كما قال ﷺ في الحديث النبوي الشريف : (الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) [متفق عليه] .

أما الروح المعنوية فهي أيضاً لها نزوعات واحتياجات من نوع آخر معنوي لا حدود لها، فعقلها الله تعالى بأن أوجد لها العقل، يضبطها ويتحكم فيها ويحركها، كالدلالة على الخير والشر والحق والباطل والهدى والضلال، فهو ميزان الأعمال والتصرفات البشرية، وكل خطابات القرآن الكريم خاطبت العقل، بعدة صيغ : لعلكم (تذكرون، تذكرون، تفكرون، تتفكرون، تعقلون، تفقهون ...) وهكذا .

وبالتالي فلا بد من أن يعرف الإنسان أن الله تعالى قد قسّم حياته بين كونه مسيرٍ ومخيرٍ سواء، ولكنه عز وجل من حكمته ورحمته بنا جعلنا مسيرين فيما يضمن لنا الخير، وأيضاً جعلنا مخيرين فيما يضمن لنا الخير إن تمسكنا بشرعه .

والمعنى أن الله تعالى جعلنا مسيرين فيما يختص بالقوتين الأصليتين دون ضابطيهما، وهما من خلقه سبحانه وتعالى، فكانت أجسادنا وأرواحنا مسيرة من لدن حكيم خبير مخلوقة بكيفية وماهية لا يعلمها إلا الله سبحانه، وله عز وجل مطلق التصرف فيها .

أما العقالين والذين هما القلب والعقل فجعلنا سبحانه وتعالى فيهما مخيرين بحيث يختار الإنسان بهما البدائل والرغبات بحسب ما يريد .

## مَنُورٌ مَحْنَانٌ . أُرْدَرُ ..... أُنْزَقُ ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . أُرْدَرُ

فكان الإنسان بذلك مسير الحركة ومخير العمل في حياته . فالإنسان مثلاً لا يختار شكله ولا منظره ولا أوصافه، ولا صحته ومرضه، ولا حياته وموته، ولا عدد دقات قلبه، ولا تتابع زفرات أنفاسه، ولا كم عدد بنيه، ولا هم ذكور أم إناث، وما إلى ذلك مما يجري على الإنسان وليس له فيه أدنى اختيار .

ونلاحظ هنا أن كل ذلك يخضع من جهة الجسد المادي، لكن الإنسان يختار عمله من قول أو فعل وسائر تصرفات معنوية، وبالتالي فهو هنا مسير بالنسبة للماديات والمعنويات سواء فيما يخص القوتان الأصيلتان .

ونطاق الماديات هو الجسد وعقاله هو القلب، فالجسد مسير والقلب مخير ونطاق المعنويات هو الروح وعقالها العقل، فالروح مسيرة والعقل مخير .

إذن هو مخير بالنسبة للماديات والمعنويات فيما يختص بذاتك العقالين . فتفكر أخي في هذا التفصيل الرباني البديع والحكمة الإلهية البالغة .

وعلى هذا الأساس لا يسع إنسان أبداً أن يدعي أنه مجبور في أفعاله، لأن عقله وقلبه خاضعان بالتأكيد للخيار المطلق الذي لا مربة فيه، وإن كان مسيراً في حركة حياته العامة مما يجري عليه، فهذا لا علاقة له في مدى اختيار عمله صالحاً خيراً حقاً كان، أم طالحاً شراً باطلاً !

ولذا فكون الإنسان مسير في حركة حياته هو رحمة من الله تعالى، وإلا لما استطاع أن يختار لنفسه من البدائل الكونية ما يحقق له الخير والسعادة في الدنيا، بحسب فكره، لقصوره عن إدراك الحقائق بوجه تام وفعلي .

فالقصور لا يمكن أن يتخلل خَلْقَةُ الله تعالى أبداً، ومع ذلك فهذا لا يخصه ولا ينبغي له أن يشغل نفسه فيه ولا به، بل الواجب عليه هو أن يهتم باختيار عمله الذي كلف به وأمر به وعليه سيحاسب .

## مَنُورٌ مَحْنَانٌ . أُرْدَرُ ..... أُنْزَرُ مَحْنَانٌ . أُرْدَرُ

فلماذا الكثير من البشر يقدم المعاذير فيما يخص كونه مسيراً يجري عليه أمر الله سبحانه وتعالى ؟

وفي نفس الوقت يتقاعس ولا يقوم بواجبه كما ينبغي من حيث كونه مخير العمل وحر التصرف بين بدائل الخير والشر والحق والباطل ؟ هذا هو مربط الفرس، وأهم ما في الموضوع . والله تعالى خلق الإنسان وأحسن خلقه ثم تكفل برزقه، وصرف شؤون حياته، وشرع له الدين وضمن له عز وجل كل مقومات الحياة السعيدة بحق، بل والتي تدله وتقوده إلى الحق والبر والخير، ثم ترك له حرية الاختيار دون قهر وتركه يعمل كما يشاء، في دار كلها عمل ولو بخلاف ما أراد الله عز وجل، لأنها دار بلاء وفتنة، ثم سيرجع العبد إلى ربه سبحانه في دار جزاء ولا عمل فيها، وقتئذ سيجازيه سبحانه وتعالى بما عمل خيراً كان أم شراً، وبالتالي فكان ولا بد من وجود طريقي نقيض في الموضوع : (حلاوة إيمان وإغراء معصية) .

لتظهر لنا حكمة مبدأ الجزاء والعقاب وإلا لما كان هناك حكمة من الخلق، فالإيمان والطاعة به يثبت صدق اختيار المسلم للخير والحق، وبالكفر والعصيان يتبين ويميز الفائز من الخاسر ومدى الملتزم بالشرع من عدمه .

وعليه ! فاعلم أخي أن الله تعالى سلّحك بجوارح وأعضاء وسخرها لك ولمرادك لتعمل بها ما شئت ولو كان مرادك في معصية الله تعالى، إلا أن الله سبحانه مَلَك زمامها ومكّنك منها لئيتليك ماذا ستفعل بها، وفي محكم التنزيل قوله عز وجل : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ <sup>ط</sup> وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ [الشورى] . والمعنى أن الله تعالى يعين العبد على اختياره الذي سعى إليه، سواء طلب الدنيا أو طلب الآخرة .

## مَنُورٌ جَنَانُهُ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ جَنَانُهُ . (رَدُّر)

إذن اختيار العمل يكون من العبد من حيث البدء، أما الاختيار العام فهو لله تعالى، حين يسير العبد على ما اختاره لنفسه من عمل، وفي هذا قال ﷺ في الحديث النبوي الشريف : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة) [متفق عليه واللفظ للبخاري] .

ولذا فكم من فاعل شر وطالب باطل وجوارحه وأعضاؤه تلعبه لأنه خالف مراد الله سبحانه منه، وهي مخلوقة لله تعالى ولا ترضى المعصية ولكنها منقادة لك بتحويل الله تعالى حين أمرها أن تُطيعك في هذه الدار .

ثم سيأتي يوم تُردّ فيه إلى الله عز وجل وحينها يسلب سبحانه قدرتك عليها فتشهد عليك في يوم لا قدرة لك عليها وأنت بين يدي أحكم الحاكمين مصداقاً لقوله عز وجل : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكْمَلُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [يس] . في يوم لا خيار لك ولا سلطة فيه على جوارحك أبداً . اللهم أبعدنا وأبعد عنا كل شر وسوء وبلاء ومعصية ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك .



مَنُورٌ جَمَانٌ . أُرْدَرُ ..... أُنْزَقُ ..... مَنُورٌ جَمَانٌ . أُرْدَرُ

## ٢- المحطات الثلاث (العقل والنفس والقلب)

للإنسان في حياته الدنيا ومراحله العمرية سيرة ومعيشة وأحداث، وهو في كل جوانبها يحتاج لأن يقف مع ذاته في مواقف مهمة، ليتخذ فيها قرارات يقرر فيها منفعته ومصلحته من عدم ذلك، وهذا ولا شك يتطلب منه بحث تلك الأمور بداخله قبل أن يتخذ قراراً، ليحقق لنفسه السعادة المرجوة .

وقد وهب الله تعالى الإنسان وسلّحه بثلاث محطات في جسده تمر عليها كل الأفكار التي تدور بداخله وتخطر بباله، وهي محطات وأجهزة مجهزة من الله سبحانه يبحث فيها مدى النفع والمصلحة من الضرر والمفسدة . وهي :

أ- العقل، وهو أول محطات الخواطر والأفكار والسوانح<sup>١</sup>؛ التي تمر ببال الإنسان، فيبدأ يقلبها ويستعرضها في عقله ويميز بين الحسن والقبيح والنافع والضار والخير والشر، ويراهها من كل وجه حتى تبدأ الفكرة تستقر في العقل، ومن ثم تتحول إلى هدف يسعى إليه المرء، فتنتقل حينها الفكرة إلى المحطة الثانية .

ب- النفس، بعدما تنضج الفكرة في عقل الإنسان ويبدأ بتحقيقها تنتقل إلى النفس، لتبحث هي بدورها مدى ميول المرء لهذا الشيء ومدى استعداد له من عدم ذلك، فيأتي دور النفس هنا إما لتدعم موقف العقل وترجحه فيمضي الإنسان لتحقيق فكرته تلك، وإما لتثبط ذلك وتستثقل الفكرة وترفضها، والنفس عادة تميل لل رغبات والنزعات والهوى واللهو والعبث والراحة وعدم التعب، ثم تنتقل الفكرة بعد ذلك إلى المحطة الثالثة .

---

<sup>١</sup> أية فكرة تمر على الإنسان تأخذ ثلاث حالات حتى تنضج الفكرة . وهي إدراك للشيء، فاهتمام به، فنزوع نحوه وله .

## مَنُورٌ حَمَائِقُ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمَائِقُ . (رَدُّر)

ج- القلب، يأتي دور القلب بعد ذلك ليأخذ الإنسان قراره في الأفكار والخواطر عادة بوجه نهائي أو شبه نهائي، لأن القلب هو وعاء الترجيح والتصميم والإرادة واتخاذ القرار، والقلب منبع الشعور والأحاسيس فمتى صلح واستقام رَشَد الإنسان ومتى زاغ وفسد ضل الإنسان، لأنه هو الذي يضخ الدم إلى سائر أعضاء الجسم فمتى ضَخَّ دماً صالحاً صلحت الأعضاء به، ومتى فسد وضَخَّ دماً فاسداً فسدت الأعضاء، ولذلك قال ﷺ فيه : (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) [متفق عليه] .

وسمي القلب قلباً لكثرة تقلبه بين الأمور، وعدم استقراره على حال، عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت : (كان أكثر دعائه ﷺ يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، فقلت : يا رسول الله ما أكثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قال : يا أم سلمة إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ) [الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني وأحمد] . ويحيط بالقلب الفؤاد وهو الغشاء الذي حوله، وهذا الفؤاد كلما كان رقيقاً نفذت إلى القلب المواعظ، وكلما غلظ حال بين دخولها إليه .

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة وألين قلوباً، الإيمان يمان والحكمة يمانية، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم) [متفق عليه] . فَرَقَةُ الفؤاد تلين القلب، وغلظة الفؤاد تقسيه .

وللقلب كما قيل ست حالات هي : (موت وحياة ونوم ويقظة وصحة ومرض) فموت القلب الكفر وحياته بالإسلام، ونومه الغفلة ويقظته بالذكر، ومرضه العلاقة وصحته بالصفاء .

## تنوير حقائقه . أروار ..... التنزيل ..... تنوير حقائقه . أروار

فمن تعلق بشيء من أمور الدنيا أصابه الوهن وهام به لأن أساس مرض القلوب، إنما هو التعلق بغير الله تعالى وبالتالي ضعف الإيمان وقلة اليقين .  
والقلب في القرآن الكريم ذكر (١٣٢) مرة، بمشتقات الكلمة ومرادفاتها، وفي كل أحواله، وما ذلك إلا لأهميته . ومن ذلك :

١- أنه محل الإيمان . وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ ﴾ [الحجرات] .

٢- أنه مكان الهداية . وفي محكم التنزيل قول الله جل شأنه : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾ [التغابن] . وهداية البدن هي بكل حال تابعة لهداية القلب المتحكم فيه .

٣- أنه محل الطمأنينة . وفي المحكم الوجيز قوله عز وجل : ﴿ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّ لَيُطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ ﴾ [البقرة] . فالقلب متى اطمأن تغشت الطمأنينة كل البدن .

٤- أنه محل نظر الله تعالى . وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) [مسلم] . وفي رواية : (إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم . وأشار بأصابعه إلى صدره) [مسلم] .

٥- أنه سيد الأعضاء . وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) [متفق عليه] .

٦- أنه مستقر الأعمال . وفي الكتاب العزيز قوله جل جلاله : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ ﴾ [المطففين] . وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نقطة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر

## مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (مُرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (مُرَارٌ)

وتاب صُقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله، ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤) [الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني وأحمد والحاكم والبيهقي في الشعب . وصقل أي صفى من المعصية] .

٧- أنه مكان التقوى . وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (التقوى ههنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات) [مسلم]¹ . قصد بذلك ﷺ أن القلب مكان التقوى التي في الصدر .

٨- أن به تكون الذكرى . وفي الكتاب المجيد قوله جل في علاه : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ (٢٧) [ق] .

٩- أن به يحصل التدبر . وفي القرآن الكريم قول ربنا سبحانه ﷻ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢٤) [محمد] . أي قلب ذاكر يتأثر بالمواعظ والعبر .

١٠- أنه محل العقلانية والفهم . وفي الكتاب الكريم قوله جلّت عظمتة : ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ (١٧١) [الأعراف] .

١١- أنه محل الاعتقاد ومنبع الأفكار . وفي الكتاب المبين قوله جلّت قدرته : ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (٧) [الحجرات] .

١٢- أنه مستقر السكينة . وفي محكم التنزيل قول ربنا سبحانه ﷻ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤) [الفتح] . ولهذه الأمور ولغيرها ذكر القلب في القرآن

الكريم في آيات كثيرة ومتعددة .

¹ والحديث بتمامه : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا) . ويشير إلى صدره ثلاث مرات " بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه) .

## مَنُورٌ حَمَانٌ . أُرُورٌ ..... أُنُورٌ حَمَانٌ . أُرُورٌ

هذه هي محطات الفكر واتخاذ القرار، ولا بد لكل فكرة خطرت على بال الإنسان أن تمر بها، ومن ثم تقف عند أحدها .

وأمر آخر وهو أن بعض هذه المحطات يطغى على بعض، وهذا ما جعل الناس يختلفون في شخصياتهم، فالعقل محطة العقلانية والمنطقية والرجاحة، والقلب محطة الشعور والأحاسيس والعواطف، والنفس محطة الميول والرغبات .

وبالتالي فمن استخدم عقله بصفة أكبر من غيره في قياس وتقدير الأمور يسمى عقلاني أو منطقي، ومن استخدم قلبه في قياس الأمور يسمى عاطفي، ومن استخدم نفسه في قياس الأمور يسمى شهواني وهكذا .

فمن الناس من يتعامل مع الآخرين برجاحة عقله ووعيه بوجه أكبر، ومنهم من يتعامل معهم بعاطفة قلبه وشعوره نحوهم بوجه أكبر، ومنهم من يتعامل معهم بميول نفسه ورغباته ومصالحه بوجه أكبر .

وهذا ما جعل الناس يختلفون في تصوراتهم لاختلافهم في تلك الأمور وبالتالي كانوا سيختلفون في تصرفاتهم مع من حولهم .

وهذا ولا شك يجعلهم أيضاً يختلفون في تقدير الأمور وقياسها بحسب اعتمادهم على أيٍّ من تلك المحطات الثلاث . فاللهم خذ بعقولنا وقلوبنا ونفوسنا وجوارحنا إلى كل ما تحبه وترضاه وأصلح ما فسد منها يا عليم يا خبير .



مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَدِّ رَدِّ) ..... (مَنُورٌ مَحْنَانٌ) . (رَدِّ رَدِّ)

### ٣- همّ المعاد وهموم الدنيا

بمجرد أن يكبر الإنسان ويعي الحياة ويبدأ يتحمل المسؤوليات فيها تنتابه الهموم بأنواعها، لأنه لا يعلم عن مستقبل حياته شيء، ولا كيف سيكون؟ كما يحب أم غير ذلك؟ وهذه الهموم هي عبارة عن طموح يود الإنسان تحقيقه، غير أن الدنيا لا تأتي للفرد بكل ما يريد وبحسب ما يفكر ويؤمل .

والناس ليسوا سواء فمنهم الواعي ومنهم الغافل ومنهم القوي الصلب الذي يتحمل ويقاوم ومنهم الضعيف المنهزم، غير أن على المسلم معرفة أن الحياة أمدّها قصير، ونعيمها زوال، وهو محاسب على كل ما عمل فيها، وأن وراء ذلك يوم ثقيل يجب أن يحسب حسابه، وألا ينشغل عنه بأي همّ آخر حتى لا يتشتت ويضيع في خضمّ الدنيا وبحور همومها المتلاطمة .

وهذا ما بيّنه سبحانه لعباده وحثهم عليه عز وجل ليستفيقوا ويفهموا حقيقة الدنيا بقوله تعالى في الحديث القدسي : (يا بن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك) [الترمذي وابن ماجه وأحمد والحاكم] .

وهذا ما بينه الرسول الأكرم ﷺ أيضاً في الحديث النبوي الشريف بقوله ﷺ : (من جعل الهموم همّاً واحداً همّ المعاد كفاه الله همّ دنياه ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديته هلك) [ابن ماجه وحسنه الألباني والحاكم وابن أبي شيبة] . والمعنى المستفاد من الحديثين أن المسلم يشغله في حياته الدنيا أمور كثيرة منها ما هو من هموم الدنيا، ومنها ما هو من هموم الآخرة، وهموم الدنيا هذه نوعان هما :

## مَنُورٌ جَنَانٌ . أُرْدَرٌ ..... أُنْزَرٌ مَنُورٌ جَنَانٌ . أُرْدَرٌ

أ- همومٌ مما قدر الله تعالى على عموم عبادِهِ، كتحصيل المعاش والقوت والسعي على ذلك مما هو من متطلبات الحياة وضرورياتها . وهذا أمر مشروع غير أن على المسلم أن يعتصم بالله سبحانه وتعالى ويلجأ إليه دوماً ليعينه على الحياة ومتطلباتها وكدحها المتواصل .

ب- همومٌ لا داعي حقيقي لها ولا مطلب شرعي فيها، وكلها يأتي من باب طلب الدنيا والاستكثار منها والحرص على زخرفها . وهذا هو المنبذ خُلُقاً والمذموم شرعاً والذي حذّر منه سبحانه وتعالى وحذّر منه نبيه الكريم ﷺ .

أما هم الآخرة فهو هم واحد لا سواه وهو بغية النجاة من النار والفوز بالنعيم المقيم في الجنة، وهذا يعني طلب رضا الله تعالى دوماً في الدنيا، والمسلم متى حرص على ذلك كفاه الله تعالى سائر الهموم الأخرى .

ومما يفهم من الحديثين ! أن الله تعالى يريد منا أن نحمل هم الآخرة فقط وهو سبحانه تكفل أن يتولى ويحمل عنا هموم الدنيا المتشعبة، فنكون حققنا مراد الله تعالى منا، وكأن الله تعالى يقول لعباده انشغلوا بهم واحد لأكفيكم كل الهموم ومن لم يفعل ذلك منكم أشغلته بهموم شتى، فلا هو عندئذ حقق مراد الله تعالى من حمل الهم الواحد وسعى للآخرة، ولا هو حصل الراحة وأفلح وارتاح من الهموم التي تكالبت عليه .

ونلاحظ في الحديث أيضاً قوله تبارك وتعالى : (تفرغ لعبادتي) . فبعض الناس يظن أن عليه ترك الدنيا مما أحل الله تعالى وأباح له ومن ثم الخلوة بربه سبحانه بعيداً عن حركة الحياة، وهذا خطأ فالله تعالى لم يأمر بالرهبانية في دينه، أي لم يأمر بالتفرغ للعبادة فقط بعيداً عما شرع لعباده مما أباح لهم في هذه الدنيا، ليس ذلك هو المعنى المطلوب ! إنما المعنى المطلوب هو أن على المسلم دوماً أن يوظف كل

## مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَدِّدْ) ..... (لُزِّقْ) ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَدِّدْ)

أفعاله وأقواله في رضا الله سبحانه وتعالى من خلال حركته المتواصلة في الدنيا، بما يرضيه جلّت عظمته عنه وبالالتزام بشرعه في كل جوانب حياته وميادينها .  
والمعنى العام أن يباشر حياته بوجه طبيعي معتاد تماماً على وفق ما أراد الله تعالى وشرع، فتصير كل حياته عبادة لله سبحانه وحينها تنقلب كل العادات في حقه إلى عبادات، أكله عبادة وشربه عبادة ونومه عبادة وعمله عبادة وفكره عبادة وقوله عبادة وفعله عبادة، لأنه حينها قد وظف حركة حياته ككل لتكون في مرضاة الله تعالى على الوجه المطلوب رغم كدحه المتواصل في حياته .  
والمحصلة أخي المسلم ! احملهما واحداً لتُكفى كل الهموم الكثيرة المشعبة، واعلم أن ذلك خير لك وإلا تفعل فأنت الخاسر في الصفتين وأنت الضائع في الدارين . اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا فنفتن بها ونركن إليها يا عليم .



#### ٤- المصائب والمدلهمات

قال ﷺ في حديث نبوي شريف عظيم النفع : (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها) [البخاري]<sup>١</sup> . وقال أيضاً ﷺ : (ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة أو حط عنه بها خطيئة) [مسلم] . والمعنى المستفاد من الحديثين هو أن الهموم والمصائب كفارات للذنوب والمعاصي، بل هي من أكبر فرص تكفير الذنوب وزيادة الأجور، إذ البلاء في حقيقتها عطايا تزيد الأجر وتمحو الذنب كما بين ذلك سبحانه في كتابه العزيز بقوله : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى] . والمعنى أن ما أصابكم يا عباد الله هو كفارات، وجزاء لبعض ما عملتم وما كسبت أيديكم وليس كله، فاحمدوا الله تعالى على ما أصابكم ولطف بكم، واحمدوه ثانية على ما عفا عنكم سبحانه وهو كثير وكثير، فمن واسع رحمته عز وجل أنه لا يجزي بكل معصية وذنوب اكتسبها الإنسان وإلا لهلك الجميع مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنْ ذَنْبٍ ﴾ [فاطر] .

<sup>١</sup> والنصب هو التعب، والوصب هو المرض، والهم ما ينتاب النفس من ضيق نتيجة الخوف من المستقبل، والحزن ما ينتابها من ضيق نتيجة الأسف على الماضي، والغم ما ينتابها من ضيق من غير أن يكون له سبب ولو توفرت للإنسان كل أسباب السعادة، والأذى ما يلحقه من كرب .

والخطايا جمع خطيئة وهي المعاصي التي تقع من غير عمد، والذنوب هي المعاصي التي تكون بعمد، وكلاهما تكون في شأن المسلم نفسه كشرب الخمر، والآثام هي المعاصي التي تتعدى المسلم لغيره كظلم الآخرين والزنا . وكل هذه الكلمات متى أطلقت يراد بها عموم السيئات، ويدل بعضها على بعض .

## مَنُورٌ حَمَائِقُ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمَائِقُ . (رَدُّر)

وعليه فالمسلم متى رضي وصبر فقد دخل في مقام الرضا والتسليم فيكون جزاؤه عظيم وأجره كبير، وذلك لا يكون إلا لمن أحب الله تعالى .

والعبد قد يصاب بمصيبة فيصبر عليها فيجازيه الله تعالى الجنة، أو يرفع درجته ومنزلته فيها، أو يدفع عنه من الشر والبلاء الشيء الكثير، أو يكتب له النجاة من النار وكل ذلك كفارة لذنوبه، وزيادة في ثوابه إن صبر واحتسب، وهذا كله في حد ذاته خير كبير وكثير وهو أمر مهم ومرغوب فيه ولا شك .

غير أن أهم ما يؤخذ من الحديث مما لا يعلمه كثير من الناس هو أن عموم الهموم التي تصيب المسلم، هي رباط قوي ووثيق بين الله سبحانه وبين العباد، فالمسلم متى وقع في ضائقة أو حصل له بلاء وكرب، أو أحس بالهم، أو انتابه غم لجأ إلى الله تعالى ليفرج ذلك عنه، ويعينه عليه لأنه يعلم أنه لن يكشف السوء ويفرج الكرب ويذهب البلاء إلا الله عز وجل، فيلجأ إليه في الشدائد ليطلب معونته؛ ليعينه على قضاء حوائجه .

وبهذا اتضح لنا أن لهذه المصائب والبلايا حكم جلييلة عند الله عز وجل، فهو سبحانه متى رأى العبد قد استغرق في الذنوب سلط عليه مصيبة ما لتذكره بربه تعالى، ليستفيق العبد من غفلته تلك، وليكفر عنه بعضاً من ذنوبه، فيتحقق بذلك كما يقال : (بعض الخن منح) .

وهنا تجد أن العبد ينيب لربه سبحانه ويشكو له تلك المصيبة، حتى يفرجها عنه جل جلاله، ثم لعل العبد يعود مرة أخرى للمعصية، فيقدر الله تعالى عليه بليّة أخرى، فيعود العبد لربه ويشكوه ليرفع ما به من ضرر .

وهكذا كلما غفل العبد وعصا ربه فتح الله جل شأنه عليه باباً من الشدائد لترده إلى أحضان مولاه، وبهذا تظل المصائب والبلايا مسيطرة على العبد، وهي في

## مَنُورٌ حَمَائِقُ . (رَدِّ رَدِّ) ..... (مَنُورٌ حَمَائِقُ) . (رَدِّ رَدِّ)

الحقيقة لصالحه لو كان يعلم ذلك، تذكره بربه سبحانه دوماً من جهة، وتكفر عنه من سيئاته من جهة أخرى .

وبهذا كان القصد من الشدائد تذكير العبد بربه عز وجل، ليستعينه ويعتصم به ويتوكل عليه ويصدق في توجهه نحوه، فيلتزم بشرع ربه جلت عظمته ويقوي إيمانه به، متى غاب وغفل عن دينه وشرعه أو ضعف وازع الإيمان من قلبه .

وعندئذ تصبح الشدائد كالضربة القوية التي تنبه من الغفلة وتذكر المسلم بربه سبحانه وتعالى متى غفل عنه أو انشغل بغيره أو اعتمد على سواه، وكل ذلك فرص من الله عز وجل يُعَرِّضُ عباده من خلالها لواسع رحمته سبحانه ليرحمهم ويغفر لهم وينبهم ويذكرهم بأنه ربهم وحبيبهم وطيبهم والمتفضل عليهم دوماً بعموم النعم، وأن كل محنة هي في حقيقتها منحة للعبد لأنها تجعله يستفيق ويتنبه ويتيقظ لما هو فيه من غفلة وتوهان .

والبلاء والمصائب هي من المؤمن أقرب منها للفاسق والفاجر والله سبحانه وتعالى يزيد بلاءه لمن أحب من عباده ليظهره دوماً من ذنوبه وآثامه ومعاصيه وليقربه منه ويبقيه في معيته عز وجل مصداقاً لقوله ﷺ : (إِنْ عَظُمَ الْجَزَاءُ مَعَ عَظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنْ اللَّهُ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخَطَ فَلَهُ السَّخَطُ) [الترمذي وابن ماجه وابن حبان والألباني في الصحيحة] .

ومصداقاً لقوله ﷺ أيضاً في الحديث النبوي الشريف الآخر : (أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ) [الترمذي والنسائي وابن ماجه] .

والهموم مقدرة بأمر الله تعالى وبالتالي فلا قادر على أن يكشفها إلا هو سبحانه وهذا دليل على أنه لا قدرة لأحد في هذه الدنيا إلا الله تعالى القادر والمتصرف والمدير والفاعل فيها وأن كل ما في أيدي البشر إنما هو تمكين مؤقت متى

## مَنُورٌ جَمَانٌ . (رَرَر) ..... (مَزَّوَج) ..... مَنُورٌ جَمَانٌ . (رَرَر)

شاء سبْحانه وتعالى سلبه عمن شاء متى شاء بما شاء وكيفما شاء، لحكم كثيرة ظاهرة وأخرى خفيه .

والمحصلة ! أن هذه الهموم دليل على عدم بقاء الدنيا وأنها متغيرة ومليئة بالمتغيرات وبالتالي فهي زائلة لأنها دار أغيار، وهذا دافع قوي لأن يعمل الإنسان لدار لا تغير فيها عند ملك مقتدر فالدنيا يوم فرح ويوم ترح ويوم خير ويوم شر يوم صحة ويوم مرض يوم حياة ويوم موت وهكذا حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها . اللهم اجعلنا عند البلاء من الصابرين وعند النعماء من الشاكرين وبين هذا وذلك لك دوماً من الذاكرين المحبتين المنيبين التوايين .



مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (لُزْزُور) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

## ٥- عجائب أقدار الله تعالى (الاستدراج)

في الأثر عن ربنا جل في علاه في حديث قدسي قوله سبحانه : (وعزتي وجلالي لا أخرج عبداً من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه حتى أستوفي منه كل خطيئة عملها إما بسقم في جسمه وإما بضيق في رزقه وإما بخوف في دنياه فإن بقيت عليه بقية شددت عليه عند الموت، وعزتي وجلالي لا أخرج عبداً من الدنيا وأنا أريد أن أعذبه حتى أوفيه كل حسنة عملها إما بسعة في رزقه وإما بصحة في جسمه وإما بأمن في دنياه فإن بقيت عليه بقية هونت عليه بها الموت) [المنذري في الترغيب والترهيب وابن الأثير في جامع الأصول والتبريزي في مشكاة المصابيح مختصراً، والسمرقندي في تنبيه الغافلين] .

وفي رواية يقول الله تبارك وتعالى : (وعزتي لا أخرج عبداً لي من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه ، حتى أوفيه كل خطيئة عملها بسقم في جسمه أو ضر في معيشته أو افتقار في رزقه أو خوف في دنياه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر، فإن بقي عليه منها شيء شددت عليه الموت حتى يفضي إليّ كما ولدته أمه، وعزتي لا أخرج عبداً من الدنيا وأنا أريد أن أعذبه حتى أوفيه كل حسنة عملها بصحة في جسده ورغد في معيشته وسعة في رزقه وأمن في دنياه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر، فإن بقي له منها شيء هونت عليه الموت حتى يفضي إليّ ليست له حسنة يُتَقَى بها النار) [الخلعي في الفوائد المنتقاة الحسان والذهبي في ميزان الاعتدال] .

يتبين لنا من خلال هذا الحديث أن من عجائب الدنيا التي لا تنتهي أقدار الله تعالى، وما يجري على الإنسان في هذه الحياة من مصائب وبلايا وفتن وأحداث،

## مَنُورٌ جَنَانٌ . دُرُورٌ ..... (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ جَنَانٌ . دُرُورٌ

وكل ذلك ولا شك بأمر وإرادة الله سبحانه وبحكمته ورحمته وتقديره الحكيم، حتى الأنبياء عليهم السلام سُلط عليهم البلاء بل كانوا أشد الناس فيه .  
غير أن الناس يجهلون حقيقة ذلك مما هم معرضين عنه، فلا هم يعلمون أن كل بلاء هو خير لهم، ولا هم يعلمون كيف هو سيكون؛ رغم أنه خير !  
إذن لا ينجو من البلاء أحد أبداً بل كلما كان المؤمن في دينه صلباً شدد عليه البلاء كما قال ﷺ لما سُئل أي الناس أشد بلاءً فقال ﷺ : (الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل) يتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة) [الترمذي وابن ماجه وأحمد والحاكم] . والمعنى أن البلاء إنما يكون على قدر صدق إيمان المؤمن، وقوة اليقين في قلبه، ومدى الثبات عليه .

والمهم في الموضوع أن كل قدر يجري على الإنسان من بلاء أو مصيبة وحدث يقع عليه، هو خيراً له علم ذلك أم لم يعلم، تبدت له حكمة ذلك وظهرت أم لم تظهر ! ولو أن الإنسان فعلاً بحث عن كل ما يقع عليه من تلك الأحداث وتفكر فيها لربما استطاع أن يتبين بعضاً من تلك الحكم وذلك الخير الواقع به وفيه، ولظهرت له بعض المنافع والمصالح الحاصلة مصداقاً لقوله سبحانه في كتابه العزيز : ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ۖ (٥١) ﴾ [التوبة] .

نلاحظ هنا قوله سبحانه في الآية : (إلا ما كتب الله لنا) ولم يقل : (علينا) والمعنى أن ما أصابك يا مسلم من بلاء ومصيبة هو خير لك، لأنها كلها كفارات ورفعة ودرجات تحسب لك لا عليك بكل حال . وعلى هذا الأساس يجب على المسلم أن يرضى ويسلم لكل ما يجري عليه، لأن له فيه خير، بالإضافة إلى أنه

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَرَر) ..... (لُزَز) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَرَر)

يُؤَجَّرُ عَلَيْهِ لَوْ صَبَرَ وَاحْتَسَبَ، مُصَدِّقاً لِقَوْلِهِ ﷺ : (عَجَباً لِلْمُؤْمَنِ لَا يَقْضِي اللَّهُ لَهُ قَضَاءَ إِلَّا كَانَ خَيْراً لَهُ إِنْ أَصَابَتْهُ ضُرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ سُرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمَنِ) [متفق عليه] .

نَرْجِعُ لِلْحَدِيثِ الْأَوَّلِ ! وَلِمَعْنَى قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ، وَكَيْفَ أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَحَبَّ الْعَبْدَ لَمْ يَتَوَفَّاهُ حَتَّى يَطْهَرَهُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَيَذِيقَهُ مَرَارَتَهَا فِي الدُّنْيَا لِمَا ذَاقَهُ مِنْ حَلَاوَتِهَا حِينَ ارْتَكَبَهَا، فَإِنْ وَفَّى وَقْضَى مَا عَلَيْهِ وَإِلَّا شَدَّدَ عَلَيْهِ نَزْعَ الرُّوحِ وَجَعَلَهَا سَبْحَانَهُ كِفَارَةً لَهُ، فَيَلْقَاهُ تَعَالَى حِينَهَا وَهُوَ رَاضٍ عَنْهُ .

وَفِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ بِهَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ ﷺ : (مَنْ يَرِدُ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يَصُبُّ مِنْهُ) [البخاري] . أَيْ يَسْلُطُ عَلَيْهِ الْبَلَاءُ حَتَّى يَنْقِيَهُ مِنَ الذُّنُوبِ . إِذَنْ لَيْسَ كُلُّ بَلَاءٍ وَمُصِيبَةٍ فِي الدُّنْيَا وَشِدَّةٌ مَوْتٍ عَلَامَةً عَلَى غَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ، بَلْ رُبَّمَا كَانَتْ رِضاً مِنْهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى عَبْدِهِ لِيَطْهَرَهُ مِمَّا اقْتَرَفَ مِنْ ذُنُوبٍ وَأَثَامٍ وَسَيِّئَاتٍ وَمَنْكَرَاتٍ . وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ إِذَا غَضِبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ مَدَّ لَهُ حَبَالَ النِّعَمِ، وَمَنْعَ عَنْهُ الْبَلَاءَ وَالنِّقَمَ حَتَّى يُوفِيَهُ جِزَاءَ عَمَلِهِ الصَّالِحِ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَكْفُرَ عَنْهُ مِنْ سَيِّئَاتِهِ شَيْءٌ فَهُوَ غَايَةُ الاسْتِدْرَاجِ نَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ، فَإِنْ وَفَّى مَا عَلَيْهِ وَإِلَّا سَهَّلَ عَلَيْهِ نَزْعَ الرُّوحِ حَالِ مَوْتِهِ حَتَّى لَا يَكْفُرَ عَنْهُ مِنْ سَيِّئَاتِهِ شَيْءٌ، فَيَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى حِينَهَا وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ، لِأَنَّهُ عَاشَ فِي نِعَمٍ وَسَعَةٍ وَوَفْرَةٍ، فَقَابَلَ ذَلِكَ بِالْمَعَاصِي وَالْأَثَامِ وَالذُّنُوبِ نَسَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى بِكَرَمِهِ وَمَنْنَةِ السَّلَامَةِ وَالْعَافِيَةِ .

وَبِهَذَا يَكُونُ قَدْ وَفَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عَمَلِهِ الطَّيِّبِ فِي دُنْيَاهُ؛ الْجِزَاءَ الْحَسَنَ فِيهَا وَلَمْ يَبْقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ شَيْءٌ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ قَوْلُهُ ﷺ عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَوْلُهُ : (عَمِلْتَ لِيُقَالَ، وَقَدْ قِيلَ) [مسلم] .

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدِّ رَدِّ) ..... (مَنُورٌ مَحَنَانٌ) . (رَدِّ رَدِّ)

إذن لأقدار الله تعالى أعاجيب في هذه الدنيا أخفاها سبحانه ليبتلي بها العباد فيرى عملهم فيها ومدى صبرهم وتمسكهم بربهم عز وجل، وفي نفس الوقت ليستدرج بها الكافر والعاصي من عباده من حيث لا يدري، وأشد أنواع الاستدراج وأخفاها ولا ريب هو طول العمر مع فساد العمل مصداقاً لقوله ﷺ لما سُئِلَ عن خير الناس وشرهم فقال ﷺ : (خير الناس من طال عمره وحسن عمله وشر الناس من طال عمره وساء عمله) [الترمذي وصححه الألباني وأحمد والطيالسي وابن أبي شيبة] . والمعنى أن الله تعالى إذا أراد بعبده خيراً أطال عمره ووفقه لعملٍ حسن، وإذا أراد به شراً أطال عمره وسيره لعملٍ سيء .

وإذن ارض أخِي بأقدار الله تعالى عليك، واحذر الاستدراج ولا يغرك ما أنت فيه من صحة وعافية ومال وغنى وسعة رزق ورغد عيش، فربما كان ذلك استدراجاً لك سيعود وبالأعلى عليك نعوذ بالله العلي العظيم من ذلك ؟

فكم من عاصٍ ظل يعصي الله تعالى دهوراً طويلة والله سبحانه يستر عليه، بل ويمتعه بالصحة والعافية وأنواع النعم، ومع ذلك لم يتنبه لما هو فيه من غفلة وضياع، بل ربما كلما زادت عليه النعم ازداد عصيانياً وقابلها بمزيد من الشقاء والنكران والجحود والعياذ بالله تعالى، فتجده يعصي الله تعالى بما آتاه من نعم .

وصدق السلف الصالح حين قالوا : (والله ما يُعصى الله تعالى إلا بنعمه) وهذا قول صحيح فكل عاصٍ في حقيقة أمره ما عصى الله تعالى إلا من خلال ما أمده الله تعالى به من نعم وجوارح وقوة وصحة وعافية، ولو أنه سبحانه سلب شيئاً منها لما استطاع أن يعصي ربه وهو مسلوب النعم . اللهم عافنا وألهمنا الصبر والسلوان عند البلاء والمصيبة والأحزان .



## ٦- الدنيا دار بلاء عام

يظن كثيراً من الناس أن الله تعالى حين فضل الأنبياء عليهم السلام عصمهم من البلاء في الدنيا وهذا خطأ، والصحيح أنه على العكس من ذلك تماماً فالأنبياء والرسول عليهم الصلاة والسلام هم أشد الناس بلاءً، وأكثرهم تعرضاً له سواء في سبيل دعوتهم، أو حتى في سبيل معيشتهم الدنيوية الخاصة .

يوضح ذلك بالضبط قوله ﷺ في الحديث النبوي الشريف : (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل) [الترمذي والنسائي وابن ماجه] . والحديث واضح الدلالة .

ولو أننا أخذنا صوراً واقعية وحية من حياتهم ومعيشتهم صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين لوجدنا ذلك ولعلمناه بحق .

فمثلاً هذا أبونا آدم عليه السلام أبو البشر أجمعين ابتلي فأخرج من الجنة وأنزل الأرض وسعى وكدح فيها، بعد أن كان منعماً في الجنة يأكل هو وزوجته أمناً حواء عليها السلام حيث يشاء، ثم ابتلي بقتل أحد أولاده لأخيه .

وهذا سيدنا نوح عليه السلام أبو البشر الثاني عاش مع قومه الفجرة قرابة (١٠٠٠) عام عادوه خالها كل العدا، بكل صوره حتى قيل إنهم كانوا يضربونه حتى يغمى عليه، ويقولون عنه إنه مجنون، وابتلي بزوجة خائنة له، وابتلي بولد كافر غرق في الطوفان .

وهذا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام ابتلي بأب كافر بل كان صانع الأصنام وبائعها الأول، وابتلي بأن ألقاه قومه في النار، وابتلي بإخراج قومه له، وابتلي بأن تعرضت زوجته للفتنة على يد الظالم حاكم مصر، وابتلي فلم يولد له ولد إلا بعد

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (أُرْزُقْ) ..... (أُزْقِرْ) مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (أُرْزُقْ)

كبر سن، وابتلي بترك وإبعاد زوجته الثانية عنه أَمْنَا السيدة هاجر في وادٍ غير ذي زرع ولم يرها حتى ماتت، وابتلي بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام .  
وهذا لوط عليه السلام كذبه قومه وتوعدوه بالقتل والطرْد ومنعوا عنه الزَّوَارَ، وابتلي بزوجة خائنة كافرة فاجرة كانت تدل قومها الفجرة على ضيفانه ليفعلوا بهم الفاحشة .

وهذا يوسف عليه السلام رماه إخوته في جب البئر وهو أحبهم إلى أبيهم فعاش بعيداً عن والديه سنين طويلة، وابتلي بفتنة النساء، وابتلي بالسجن بضع سنين، وابتلي بالمنصب، وابتلي بإخوته مرة أخرى .  
وهذا يونس عليه السلام كذبه قومه فخرج منهم غاضباً وركب الفلك الممتلئ ثم قُذِفَ منه في البحر في ظلمة الليل بعد القرعة وهو نبي فالتقمه الحوت فلبث في بطنه ما شاء الله تعالى ثم لفظه على الساحل وهو هزيل ضعيف حتى عادت له قوته وعافيته .

وهذا موسى عليه السلام ابتلي في قومه بأن قتل من قوم فرعون رجلاً فخاف القتل وهرب وعمل لدى شعيب عليه السلام عشر سنين أجيراً، وابتلي بفتنة فرعون سنين طويلة رغم عتوه وتجبره، وابتلي بقومه الكفرة الفجرة قتلة الأنبياء حتى مات وهم لم ينفذوا مراد الله تعالى منهم .

وهذا أيوب عليه السلام ابتلي بسقم في بدنه سنين طويلة، وابتلي بسلب زوجاته وأبنائه، وابتلي بذهاب ماله وما يملك .  
وهذا زكريا وابنه يحيى عليهما السلام أما زكريا فقتله قومه فشقوه بالمنشار شقاً، وأما يحيى فذبحوه ذبحاً وهم أنبياء عليهم السلام .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّ . (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّ

وهذا دانيال<sup>١</sup>؛ عليه السلام أُلقي في جب ومنع من الطعام والشراب أياماً، وابتلي بأن سلط عليه أسدان جائعان ليأكلانه بعدما كُذِّب فنجاه الله جلّت عظمته من كل ذلك .

وهذا عيسى عليه السلام فتن في ميلاده وادعوا على أمه زوراً بأنها زنت به، ثم حاولوا قتله مرات، ثم قالوا فيه قولاً باطلاً بأنه ابن الله وطائفة قالت هو الله نفسه، ثم تأمروا على قتله وصلبه وفعلوا ذلك فعلاً ولكن ذلك حصل على الشبيه، ونجاه الله تعالى من قومه الكفرة ورفعهم إليه .

وعموم الأنبياء في بني إسرائيل قتلوا وهم أنبياء بررة عليهم السلام كما أخبر بذلك الله تعالى في عدة آيات من محكم الذكر عن بني إسرائيل قوله سبحانه : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۖ ﴾ [البقرة] . وقوله عز وجل : ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ ۖ ﴾ [البقرة] . وقوله جلّت عظمته : ﴿ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ۖ ﴾ [آل عمران] .

وهذا محمد ﷺ طرد من بلده مكة المكرمة، وكذبه قومه، وآذوه في نفسه، وطرده أهل الطائف ورموه بالحجارة حتى أدموا قدمه، وفي غزوة أحد سقط في حفرة، وشج رأسه وسال الدم منه، وكسرت ربايعته ﷺ، وقذفوا أحب نسائه إليه بالزنا عائشة رضي الله تعالى عنها وحاول اليهود قتله ﷺ مرات وكرات بعد أن كذبوه وألبوا وتظاهروا عليه .

وإجمالاً ! هذه هي حياة عموم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام عاشوا حياة الفقر والجوع والفاقة لأنهم قدوات لأقوامهم ولا سيما الضعفاء منهم .

---

<sup>١</sup> دانيال من أنبياء بني إسرائيل كان في الفترة ما بين موسى وعيسى، عليهم السلام جميعاً .

## مَنُورٌ جَنَانٌ . أُرُورٌ ..... أُنُورٌ جَنَانٌ . أُرُورٌ

فهذا سيد البشر وخاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ عاش حياة الفقراء كان يربط على بطنه الحجر والحجرين وكان نساؤه تسعة؛ تمر عليهم الأيام والأشهر فلا توقد النار في بيوتهم جميعاً من قلة الطعام ولو شاء ﷺ لعاش ملكاً وهو سيد البشر ﷺ . فإذا كان هذا هو شأن البلاء مع عموم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام سُلط عليهم المرض والخوف<sup>١</sup>؛ والجوع والفقر والفراق والأسر والسجن والضرب والخنق والقتل والصلب والمنع والاعتداء بشتى صورته، وقُوبلوا بالتكذيب وهم أصدق خلق الله تعالى، وبالإعراض عن دعوتهم، وهم أرأف الناس بالناس، وتعرضوا لفتنة المال وفتنة المنصب، وفتنة الملك، وفتنة الزوجات وفتنة الأولاد، وابتلوا بزوجات كافرات وبأبناء كفرية وبآباء كفرية وبأقارب من ألد الأعداء لهم ولدعوتهم وكل ذلك وهم خيرة خلق الله سبحانه وأحبهم إليه عز وجل فكيف بمن سواهم يا ترى ! هل سيسلم من البلاء أحد من خلق الله عز وجل ؟ كلا .

والمحصلة ! فمتى علم المسلم ذلك وجب عليه أن يتخذ من حياة الأنبياء والرسل وسيرهم صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين منهجاً له وأن يعتبر بما تعرضوا له من صنوف البلاء الذي مروا به وليعتبر وليتعض بذلك، ومن ثم فليصبر على ما ابتلاه الله تعالى به مهما كان وليوطن نفسه على ذلك، مقتدياً بعموم الأنبياء عليهم السلام تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام] .

وكل ذلك لماذا ؟ لأن هذه الدنيا دار بلاء وابتلاء . اللهم بصرنا في أمور الدنيا والدين واجعلنا من الراشدين .



<sup>١</sup> خوف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على أقوامهم وعلى مصير دعوتهم، وليس على نفوسهم .

مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَرٌ

## ٧- المفسدات الأربع

من روائع البيان وبديع البلاغة النبوية قوله ﷺ في الحديث النبوي الشريف :  
(اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ومن دعاء لا يسمع ومن نفس لا تشيع ومن علم لا ينفع أعوذ بك من هؤلاء الأربع) [مسلم واللفظ لأصحاب السنن مختصراً]<sup>١</sup>.

هذا الحديث بين لنا فيه ﷺ أخطر المفسدات في حياة الإنسان بوجه عام، وهي أربع . ولو أننا أمعنا النظر فيها وفي مضمونها لوجدنا التالي :

١- قوله ﷺ : (اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع) . لأن القلب لا يصل إلى تلك الدرجة الخطيرة إلا بعدما يقسو ويعلوه الران كما قال تعالى : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين] . فيصبح عندها لا يعرف الخير من الشر، والحق من الباطل، بل ربما رأى العكس هو الصواب، فيفقد حينها وظيفته الأساس ألا وهي الإحساس بالأمور والخشوع لله تعالى . وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأى قلب أشربها، نكت فيه نكتة سوداء، وأى قلب أنكرها، نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز، مجخياً لا يعرف معروفًا، ولا ينكر

---

<sup>١</sup> ولفظ مسلم مطولاً : (اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والبخل، والههم، وعذاب، القبر اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشيع، ومن دعوة لا يستجاب لها) .

## مَنُورٌ حَمَائِقُهُ . (رَدُّ رَدِّ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمَائِقُهُ . (رَدُّ رَدِّ)

منكراً، إلا ما أشرب من هواه) [مسلم . والصفاء الحجر الملس، والمرباد المخلوط سواده بحمرة، والمجنخي أي المقلوب] .

والمرء متى قسا قلبه فقد الخشوع وهي علامة على الضياع، لتدبر قول الله تعالى في محكم التنزيل : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً ﴾ [البقرة] . في هذه الآية دلالة على أن الحجر الصلب الأصم ربما خشع وتحرك من مكانه من الخشية، أما القلب فمتى قسا فقد ضل صاحبه، وكل من حصل له ذلك فقد أضاع ما أمر به وضعه . ولنتذكر حالات القلب الست التي ذكرت في مقالة (المحطات الثلاث) .

٢- قوله ﷺ : (اللهم إني أعوذ بك من دعاء لا يسمع) . لأن قبول الدعاء علامة على الرضا، والرضا علامة على بقاء حبل الصلة ممدود بين العبد وربّه سبحانه وتعالى، وأن أسباب الطاعة قائمة مبذولة من العابد للمعبود . ومنع استجابة الدعاء عادة له أسباب منها الدعاء بمعصية، ومنها عدم اليقين التام بأن الله تعالى يستجيب لعبده، غير أن أخطر تلك الأسباب المانعة لاستجابة الدعاء على الإطلاق هو أكل الحرام مصداقاً لقوله ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه لما قال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة فقال له ﷺ : (يا سعد أطلب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذي نفسي محمد بيده إن العبد ليقدف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوماً وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به) [الطبراني في الأوسط والمنذري في الترغيب والهيثمي في المجمع وابن حجر في التلخيص . وسحت أي حرام لا يحل كسبه] .

فإذا كانت لقمة واحدة من الحرام هذا هو جزاؤها فكيف بمن كان كل مأكله حرام، وهذا الأمر من أكل الحرام يجزّ بدوره إلى فساد البدن لأنه ينبت من حرام

## مَنُورٌ حَمَانِيٌّ . (رَدُّ رَدِّ) ..... (مُنْزَعٌ حَمَانِيٌّ) . (رَدُّ رَدِّ)

والحرام لا بركة فيه ولا له . وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأني يستجاب لذلك؟) [مسلم]<sup>١</sup> . إذن عدم استجابة الدعاء من هذا الوجه فيه دلالة على أن حبل الصلة بين العبد وربّه تعالى مقطوع، وهذا أمر خطير لأن المسلم لا غنى له عن رحمة ربه سبحانه وتعالى ولا عن بركته ورضاه .

وبما أن أساس الدعاء هو الاستجابة، فمتى مُنِعَ من ذلك، فهي علامة على ضياع تلك الصلة، وبالتالي مُنِعَ إدراك كل خير وبركة، وهذا ولا شك خسران كبير . والدعاء نوعان دعاء بخير وبر، ودعاء بشر وباطل نعوذ بالله تعالى من ذلك .

٣- قوله ﷺ : (اللهم إني أعوذ بك من نفس لا تشبع) . فالنفس البشرية إذا لم تقف عند حد وإذا لم يكن هناك ما يوقف رغباتها وشرتها طلبت الكثير مما لها ومما ليس لها، وبالتالي ربما اجتازت على الحرام بل ربما سعت إليه ما دام ليس في داخلها مفهوم الوقوف على حد معلوم .

وفي ذلك دليل على أن شخصاً هذا هو حاله هو ضعيف أمام نفسه، تحكمه وتسيره، ولا يستطيع أن يحكمها وأن يضبط رغباتها ويحد من شهواتها، وقدبما قال السلف : (النفس إن لم تشغلها بالطاعة أشغلتك بالمعصية) . وقالوا شعراً :

---

<sup>١</sup> والحديث بتمامه : (أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ٥١) وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ٧٦) . ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأني يستجاب لذلك ؟) .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

والنفس كالطفل إن تهمله شب على      حب الرضاع وإن تطفمه ينفطم  
فاصرف هواها وحاذر أن توليه      إن الهوى ما تولى يُصم أو يَصم  
وراعها وهي في الأعمال سائمة      وإن هي استحلت المرعى فلا تسم  
كم حسنت لذة للمرء قاتلة      من حيث لم يدر أن السم في الدسم  
قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد      وينكر الفم طعم الماء من سقم  
وخالف النفس والشيطان واعصهما      وإن هما محضاك النصيح فاتهم  
ولا تطع منهما خصماً ولا حكماً      فأنت تعرف كيف الخصم والحكم

ولذلك كان من دعائه ﷺ : (اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها) [مسلم]<sup>١</sup>.

إذن على المسلم أن يقوم نفسه، وأن يعالجها دائماً وأبداً، وأن يلجمها بلجام التقوى عن الحرام، وإلا غلبته وأشغلته بالسوء مصداقاً لقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ [يوسف] . وللنفس ثلاثة أحوال نفس مطمئنة، ونفس لوامة، ونفس أمارة بالسوء .

٤- قوله ﷺ : (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع) . لأن الأصل في العلم أنه ينفع صاحبه، فإذا فقد المرء فائدته صار حجة عليه بدلاً من أن يكون حجة له ورفعة، والعلم الذي لا ينفع صاحبه هو أحد علمين، إما علم شر يضر صاحبه ولا ينفعه بشيء، والآخر علم خير غير أن صاحبه لم يعمل به، فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً . ولذلك فاعلم أخي أن للعلم ثلاث مراتب :

<sup>١</sup> والحديث بتمامه : (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والههم وعذاب القبر اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها) .

## مَنُورٌ جَنَانُهُ . أُرْدَارٌ ..... أُنْزُقُ . مَنُورٌ جَنَانُهُ . أُرْدَارٌ

الأولى . أن يتعلم المرء ما ينفعه وأن يتعد عن كل ما يضره .  
الثانية . أن يعمل بما تعلم، وهذه هي الحكمة من العلم، أن يعمل به وإلا فما الفائدة من التعلم والتحصيل .

الثالثة . أن يُعلِّم غيره من الناس بعدما تعلم وعمل . هذه هي مراتب العلم .  
ثم انظر أخي في خاتمة الحديث قوله ﷺ : (أعوذ بك من هؤلاء الأربع) . ليس في هذه العبارة تكرار لما سبق ولكن فيها تنبيه ومزيد إيضاح ودلالات أخرى زائدة عن مضمون ما ذكر .

ومن ذلك أن عدم خشوع القلب يعني فسادَه وفسوته، وعدم استجابة الدعاء يعني قطع الصلة بين العبد وربه تعالى، وعدم شبع النفس يعني الخراطها في غيرها، وعدم نفع العلم يعني ضياع جوهره والهدف المرجو منه .

وهذه الأمور مجتمعة تعني أن المسلم قد فرط في أمور دينه ودنياه فأفسد روحه وجسده فأضاع الدنيا والآخرة نعوذ بالله تعالى من ذلك فكانت بحق مفسدات أربع . اللهم إنا نسألك قلباً خاشعاً وعلماً نافعاً ودعاءً مسموعاً ونفساً سويةً وجوارح مستقيمة لمراكك منقادة .



مَنْزُورٌ حَقٌّ . (رَدُّ رَدِّ) ..... (مَنْزُورٌ حَقٌّ) . (رَدُّ رَدِّ)

## ٨- عيوب النفس وعيوب الناس

قال ﷺ في حديث نبوي شريف عظيم النفع : (لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسوا قلوبكم فإن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد فإنما الناس مبتلى ومعافى فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية) [مالك والترمذي] .

نلاحظ في هذا الحديث النبوي الشريف عدة توجيهات نبوية كلها مهمة، غير أن الأهم منها تنبيهه ﷺ لعموم المسلمين من انتقاد الناس وانتقاص قدرهم، والنظر إلى ذنوبهم وعيوبهم باستهزاء وسخرية، وكأنهم خارجون عن رحمة الله تعالى مطرودين منها، في حين تغافل المسلم عن ذنوبه وعيوبه وكأنه منزّه منها بعيد عنها كل البعد، هذا فهم سقيم .

وهذا أمر خطير بحق ولذلك حذر ﷺ من عاقبته الوحيدة السيئة بقوله ﷺ في الحديث الآخر : (لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك) [الترمذي والبيهقي في الشعب وأبو نعيم في الحلية] .

وإظهار الشماتة هي أن يعيب المرء على أخيه ما هو فيه من نقص وعيب، وهذا خطأ لأن المرء لا يسلم من أن يبتلى بما ابتلي به غيره، والمعنى أن من عاب على أخيه المسلم فعلاً ابتلاه الله تعالى به .

وإذا علم المسلم ذلك فليعلم أيضاً أنه ليس معصوماً أبداً من الذنوب والوقوع فيها فكم من عائب على الناس تصرفاتهم وهو واقع فيها، وكم من متقوّل على غيره يبتليه الله عز وجل بما قال وبما رمى الناس به .

## مَنُورٌ جَنَانٌ . رَرَر ..... لُزْزٌ ..... مَنُورٌ جَنَانٌ . رَرَر

ولذلك أمرنا ﷺ في مثل هذه المواطن أن نحمد الله تعالى على العافية كما علمنا ﷺ بقوله ﷺ : (فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية) .

وكل البشر ذو نقص وعيوب وأئنا يسلم منها، وإذا علم المسلم ذلك وجب عليه أن يراقب نفسه وفعاله وأن ينشغل بإصلاح ذلك منه، لا أن ينشغل بعيوب الآخرين ونقدها وبإصلاحها وهو لم يصلح نفسه أولاً، وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس) [البزار والبيهقي في الشعب وأبو نعيم في الحلية والهيثمي والسيوطي في الجامع] .

قال الشافعي :

لسانك لا تذكر به عورة امرئ فكلك عورات وللناس ألسن

وبهذا المعنى أيضاً حذر ﷺ أشد التحذير من تتبع عورات الناس بقصد الإفساد والانتقاص والتشنيع عليهم بقوله ﷺ : (يا معشر من آمن بلسانه ولا يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في بيته) [أبو داود والترمذي والنسائي وأحمد] .

والمعنى واضح وصريح فمن تتبع العورات على ما هو عليه من ضعف وعيوب تتبع الله تعالى عيوبه وعورته بعلمه وقدرته سبحانه، حتى يفضحه عز وجل وهو في بيته أي في آمن مكان يمكن أن يستتر ويتوارى فيه عن أعين الناس، فهو بذلك الخاسر ولا شك لأنه جعل الله جل في علاه خصمه وخصيمه والمتتبع لعوراته تعالى شأنه، فليحذر المسلم من ذلك لأن الله تعالى حينها هو الذي سيتولى فضحه وليس الناس .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

كما أن على المسلم أن يكف لسانه عن عيوب الناس، وأن ينشغل عن ذلك بعيوب نفسه وليحاول إصلاحها وما فسد منها قبل أن يقع في عيوب الناس ومعائبهم وأعراضهم وذنوبهم، لأنه مكلف ومسؤول عن نفسه ومأمور بإصلاح ما فسد منها وليس مسؤولاً عن الآخرين أبداً .

وأيضاً فإن المرء متى عوّد نفسه انتقاص الآخرين أَلِف ذلك وصار عادة سيئة عنده في كل مجلس يجلس فيه، يتفكّه بذكر نقائص وعيوب الغير حتى يصبح طبعاً فيه متطبعاً عليه نعوذ بالله تعالى من ذلك .

وأمر فوق ذلك أيضاً وهو أن المرء متى تعرض لذكر مساوئ الآخرين وعيوبهم فقد جعل نفسه غرضاً وعُرضة لهم ولتتبع عوراته من قبلهم، وحينها فهو الخاسر لتعريضه نفسه للكل حين يرمونه بما هو فيه وبما ليس فيه، فهو حينها كما لو أنه استعدى الجميع عليه فصاروا أعداء له، وهذا أمر يوصف به الأشقياء الغافلون نعوذ بالله تعالى من ذلك . اللهم اعصمنا من سوء الأخلاق ونقنا من خُبث الطباع وأبعدنا وأبعد عنا الشرور والمنكرات والقبائح والردائل والمستقذرات .



مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَرَر) ..... (لُزُز) ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَرَر)

## ٩- شؤم البدع (الخدلان)

أمر الله تعالى خلقه بأن يعبدوه ويطيعوه بما شرع لهم سبحانه من شرع قويم ودين حنيف، وحذرهم في الوقت نفسه من عاقبة الخروج عن مضمون ذلك وتجاوزه وتعديه من ثلاثة أوجه هي :

١- ألا يغيروا شيئاً مما شرع لهم، ومما هو من صميم دينه سبحانه .

٢- ألا يزيدوا فيه شيء .

٣- ألا ينقصوا منه شيء .

لأنه متى حصل شيء من هذه الأمور الثلاثة، فهذا يعني أن هناك خللاً في عبادة المسلم لربه سبحانه، بما لم يشرعه الله تعالى .

وهذا يعني بالضبط أن على المسلم أن يعبد الله عز وجل بما أراد جلت عظمته لا بما أراد المسلم؛ وبحسب فكره ورأيه واستحسانه لأن هذا سيجرّه إلى البدع التي حذر منها ﷺ أمته من بعد تحذير الله تعالى لخلقه .

وفي الحديث النبوي الشريف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بموعظة فقال : (يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ألا وإنه سيُجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يا رب أصحابي، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح : وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، قال : فيقال

## مَنْزِلٌ مَخْتَارٌ . (مَرْارٌ) ..... (مَنْزِلٌ مَخْتَارٌ) . (مَرْارٌ)

لي : إنهم لم يزالوا مدبرين مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم) [مسلم . وغرلاً أي غير محتونين]<sup>١</sup> .

فهذا الحديث عظيم النفع كثير الفوائد في طياته مضامين ومعاني كثيرة، غير أن الذي يلفت النظر فيه، لفترة مريعة ومهمة جداً ويجب أن نتنبه لها هي قوله ﷺ : (فأقول يا رب أصحابي)، فيقول الله تبارك وتعالى : (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) .

وقوله تعالى : (إنهم لم يزالوا مدبرين مرتدين على أعقابهم) . والمعنى المستفاد من هاتين النقطتين من الحديث مدى شؤم البدع وكيف أن الله تعالى سيستدرج أصحابها يوم القيامة، لأن الحوض يأتي بعد الصراط وبعد الميزان فبعد أن تكتب لأهل البدع النجاة بجواز الصراط ورححان الموازين يقتربون من ولوج الجنة ويشربون ويقتربون من الحوض يفاجأون بخيبة أمل كبرى، فيحرمون من الشرب منه ويؤخذون بذات الشمال ويألفها من فاجعة كبرى وهول عظيم حين يقترب الإنسان من النجاة ثم يحرمها فيكون حرمان بعد إطماع وهو أشد وأنكى فيما لو حرموا من أول الأمر .

---

<sup>١</sup> قال النووي في شرحه لصحيح مسلم : لا يقول ذلك في مذنب الأمة بل يشفع لهم ويهتم لأمرهم، قال وقيل : هؤلاء صنفان أحدهما عصاة مرتدون عن الاستقامة لا عن الإسلام وهؤلاء مبدلون للأعمال الصالحة بالسيئة، والثاني مرتدون إلى الكفر حقيقة ناكصون على أعقابهم . أقول : وأهل البدع ولا رب هم أول من بدل دين الله تعالى وأفسده بما أحدثوا فيه . وبهذا كان لفظ أصحابي هنا يشمل كل من جاء من بعده ﷺ من أمته، وليس قاصراً على الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم، بدلالة قوله ﷺ في الحديث : (سيجاء برجال من أمتي) لم يقل من (أصحابي) .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُنَزَّهٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

وهذا ولا شك جزاء وفاقاً لأن المبتدع إنما عبد الله تعالى بغير ما شرع سبحانه، وكأنه يعبد الله تعالى بحسب هواه وبما يحب لا بحسب ما أراد الله تعالى وبما يحب عز وجل، والعاقل يتبين له ضلال ذلك ولا ريب .

إذن للبدع شؤم عظيم ويا للعجب ! فالله تعالى حين يبين شيئاً إنما يحذر منه ويخوف به حتى لا يقع العباد في العنت والمشقة، ورغم ذلك فكثير من الناس من يتجاهل ذلك التحذير، ولا يلتفت إليه بل ويتجاوز مضامينه فيكون جزاؤه في الآخرة أنه يغرر به حتى النقطة الفاصلة حينها لا يلتفت إليه كما أنه لم يكن يلتفت إلى مطلب الشرع ومقاصده منه كما أراد سبحانه وتعالى في الدنيا .

وحقيقة حال أهل البدع هو أنهم يقدحون في منهج الشرع ومقصده، ويتجاهلون مطالبه كما لو كان ناقصاً يحتاج لإكمال؛ فأكملوه ببدعهم وبما استحسَنوه، فكان الابتداع بدلاً من الاتباع، وهذا من الغباء ومن الجرأة على الله تعالى وسوء الأدب معه سبحانه، بتجاوز حدوده والتعدي على تعاليم شرعه القويم والمتكامل نعوذ بالله تعالى من الخذلان .

والمحصلة ! يجب على المسلم الحذر من البدع ومن عاقبتها الوخيمة وعليه أن يستمسك بالشرع القويم كما بين ذلك سيد المرسلين ﷺ فإن فيه خير كثير وغنية للمسلم عما سواه، ويا ليت أن أهل البدع استكثروا وحرصوا على ما جاء به ﷺ ولو أنهم فعلوا ذلك لكان خيراً لهم، ولما بقي عندهم من الوقت والجهد شيء ليصرفوه فيما سواه من بدع . اللهم اجعلنا ممن أحيا السنة وبها تمسك ودعا إليها وأمات البدعة وابتعد عنها وحذر منها فكان من منارات الهدى .



مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

#### ١٠ - مدخل البدع (الاستحسان)

تبين لنا في المقالة السابقة شؤم البدع، ولذا فمن المفيد جداً الكلام عن مدخل البدع والنوافذ التي من خلالها نفذت؛ فعُبد الله تعالى من خلالها بأفعال كما لو كانت عبادات مقبولة وأفعال حسنة . يقول العلماء أن هناك منفذين اثنين للبدع من خلالها ولجت عموم البدع والضلالات .

أما الأول . فهو الجهل بالدين وهذا أقل خطراً، وأما الآخر وهو الأخطر ولا ريب لأنه في جميع حالاته مدخل يعتقد أهل البدع أنه خير فاعتروا به ولم يتنبهوا لما بعده، ولما وقعوا فيه من مخالفات شرعية خطيرة، هذا المدخل هو الاستحسان، والمعنى أن يستحسن العبد أمراً ما؛ فيفعله ويتعبد به لله تعالى، من غير أن يكون له أصل في الشرع، فيقع في المخطور، ولو أنه تنبه لما قاله العلماء في هذا المجال ولما حذر منه ﷺ من قبل وبين خطره لما وقع في ذلك .

والمسلم من هذا المنطلق ربما ظل سنين طويلة وهو يعبد الله تعالى، بأفعال لا أصل لها وهو يحسب أنه على خير وعلى عمل صالح وقرية من الله تعالى، وهي بدع صريحة .

أما أقواله ﷺ في مجال التحذير من البدع والضلالات فكثيرة حسبنا منها قوله ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) [متفق عليه] . أي في ديننا هذا فهو مردود عليه . وقوله ﷺ : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) [مسلم] . وقوله ﷺ : (... وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة) [مسلم] . وفي رواية عند غير مسلم : (وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) وغير ذلك من الأحاديث التي تبين خطر البدع .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... الْمُرُورُ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

وأما أقوال العلماء في هذا المجال فأوضحها وأشهرها ثلاث قواعد ذهبية تبين لنا أن البدع لا خير فيها، بل هي عامل من عوامل إقصاء السنة النبوية المطهرة وطمس معالمها، وهي :

١- الاتباع خير من الابتداع .

٢- من أحيا بدعة فقد أَمات سنة .

٣- اقتصاد في سنة خير من اجتهداد في بدعة .

فهذه الأحاديث النبوية الشريفة وأقوال العلماء المذكورة تبين لنا خطر البدع حقيقة، وأنه كان الأوجب البعد عنها لأن ما في السنة النبوية المطهرة كفاية وغنية تامة كان الأولى الاقتصار عليها، وذاك في حد ذاته خير كثير وكبير لو علم الناس . ولذلك فلسان حال أهل البدع يتجلى في ثلاثة أمور :

١- يبدعهم كأنهم يطعنون في أمانة رسول الله ﷺ وصحة وصدق ودقة بلاغه عن ربه عز وجل لهذا الدين، كما لو كان ﷺ مقصراً في شيء من أداء ذلك البلاغ فجاء هؤلاء ليكملوه، فهم هنا كأنهم يفتأون عليه ﷺ مما غفل عنه ﷺ وحاشاه عن ذلك تماماً .

٢- يبدعهم كأنهم يستحسنون هدياً هو أفضل من هديه ﷺ وكأن هديه ﷺ غير كافٍ، وعندئذ فمن هو صاحب الهدي الأشمل والأفضل والأكمل لناخذ عنه الدين يا ترى ؟ وهنا يتبين لنا أنه لا أحد مأمون على تبليغ دين الله تعالى أفضل من محمد ﷺ ومن اعتقد غير ذلك وأن هديه هو أفضل من هدي محمد ﷺ فقد نقض دينه بلسانه وكفر بكل جوارحه .

٣- كأن البدع هي خير وأفضل مما هو وارد وثابت في دين الله تعالى، فكان الانشغال بما استحسنته البعض بدلاً من الانشغال بما ورد وثبت عنه ﷺ وهو

## مَنُورٌ حَمَانٌ . (مُرَرٌ) ..... (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ حَمَانٌ . (مُرَرٌ)

الأولى، وهذا أمر خطير جداً يجب التنبه له، لأن العبادة إن لم تكن على بصيرة كانت على شفا جرف هارٍ، إذ لا يُعقل أن يُتقرب إلى الله تعالى بأفعال يعتقد ذويها أنها أفضل مما جاء به الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من عند ربهم سبحانه، أو على الأقل كيف يتقرب إلى الله تعالى بأفعال هي مجالاً للشك والريبة والأخذ والرد من حيث القبول .

والعجيب ! أن أهل البدع يفهمون من قول الرسول ﷺ ما يؤيد مبدأهم ذاك ويوظفون الألفاظ لما يخدم منهجهم، فهم يقولون : أن رسول الله ﷺ قال في حديث صحيح أورده الإمام مسلم ودلالته أنه يسع المسلم أن يسن ما شاء ما دام خيراً وهو قوله ﷺ : (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء) [مسلم] .

فهذا الحديث أولاً له مناسبة تبين أن الفعل الذي تم هو فعل من جنس ما شرع الله تعالى . وقبل النظر في الحديث .  
فلو أخذنا بقولهم ذلك لفتح باب البدع على مصراعيه ولما كان هناك ضابط في الأمر، لأن الكل سيستحسن وسيرى أموراً حسنة في نظره، وعندئذ فمن هو يا ترى هو الأجدر لأن يكون مقياساً لكل البشر في النظر الحسن والاستحسان في الأمور ؟

وعليه فإن الكثير حينها سيدعي العصمة والولاية في حق نفسه وأنه بلغ درجة تبيح له الاستحسان وعندئذ سيقع الناس في الفرقة والخلاف، كما هو الحال عند أهل البدع والضلالات .

## مَنْزُورٌ . حَمَائِلُ . أُرْوَارٌ ..... الْمُنْزَوْبُ ..... مَنْزُورٌ . حَمَائِلُ . أُرْوَارٌ

ولذلك فمن تدبر الحديث النبوي الشريف وجد أن الرد عليهم يستفاد ويستقى من مفردات الحديث وألفاظه فيكون ردهم على أنفسهم، فمن دلالات الحديث بهذا الخصوص :

\* قوله ﷺ : (من سن سنة) لاحظ قوله ﷺ : (من سن) . ولم يقل من أحدث أو ابتدع، فما معنى سن سنة ؟ أولاً ما معنى كلمة سنة ! حتى نعرف معنى سن بعدها ! لكلمة سنة ثلاثة معانٍ بحسب خصوصيتها من موقع الكلام في لغتنا العربية وفي ديننا الحنيف . وهي :

١- تعني في اصطلاح الفقهاء والأصوليين : (ما يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها) . وهذا المعنى لا ينسجم مع دلالة الحديث بالتأكيد، لأن كل سنة هنا هي من مأمورات الشرع وما ثبت به، وليس لأحد أن يفعل فعلاً ما من لدنه على أنه عبادة ثم يقول هذا حكمه سنة، لأن الأحكام تطلق على الأعمال الشرعية، التي تعتبر توقيفية على ما ورد عنه ﷺ فلا يسع أحداً مهما كان أن يتجاوز ذلك أو أن يفتات عليه ومن ثم يدعي من عنده أن هذا الفعل أو ذاك حكمه هو سنة .

٢- تعني في اصطلاح المحدثين : (ما ثبت عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو صفة أو تقرير أقر عليه ﷺ أحد الصحابة) . وبهذا المعنى أيضاً لا ينسجم المدلول مع الحديث وإلا كان من فعله ﷺ ولمّا قال ﷺ في الحديث : (من سن سنة) أي من فعل فعلاً سيكون من بعدي، ولم يفعل في حياتي .

٣- وتعني بالمفهوم اللغوي الطريقة والمسلك . وهذا هو المعنى الذي ينسجم مع مدلول الحديث، أي (من أظهر طريقاً) . ودلّ الناس عليه ويبيّنه لهم من جنس ما شرع الله تعالى لعباده .

## مَنُورٌ جَمَانٌ . (رَدُّ رَدِّ) ..... (مَنْزُورٌ جَمَانٌ) . (رَدُّ رَدِّ)

\* قوله ﷺ : (سنة حسنة) والمعنى أي دلّ الناس على طريق حسن وليس طريق سيء فاسد المقصد . والطريقة الحسنة ولا ريب هي ما توافرت فيها ثلاثة أمور وجب تحققها جميعاً :

١- كل ما كان له أصل يندرج تحته فهو من جنس ما شرع الله تعالى، كجمع عمر رضي الله تعالى عنه عموم الصحابة على صلاة التراويح، فهو رضي الله تعالى عنه جمعهم على أمر ثابت له أصل وليس شيئاً من لدنه كما لو كان أمراً محدثاً، فصلاة التراويح كانت موجودةً وهي من فعله ﷺ وفعل عمر إنما هو الجمع فقط . ولذا قال : (نعم البدعة هذه) [البخاري]<sup>١</sup> .

٢- ألا يكون فيه ما يخالف الشرع وإلا لكان طريقاً سيئاً كيف يُتبع به لله تعالى وهو على خلاف مراد الله سبحانه .

٣- أن يخلو ممن يلهي أو يشغل عما هو أولى منه .

\* قوله ﷺ : (سنة سيئة) فيه دليل على أن هناك دلالة حسنة ودلالة سيئة، دلالة على الخير ودلالة على الشر، ولكل دلالة ما يناسبها من جزاء عليها وعلى من اقتدى بها وعمل مثلها .

وبالتالي فليس المنع في الحديث هو ألا (يسن) المسلم ويدل غيره، بل المنع كل المنع من الحديث هو عدم الدلالة على الشر والباطل ومن ثم تُتخذ تلك الدلالة طريقة متبعة يسير عليها الناس بعد ذلك ويُتبع بها إلى الله تعالى كما لو كانت من الدين .

---

<sup>١</sup> قال ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري : نعم البدعة هذه، ليدل على فضلها، وأن من البدع ما هو مستحسن ومقبول، إن كان يندرج تحت مستحسن في الشرع . أقول : أي على عبادة مشروعة .

## مَنُورٌ حَمَانِيٌّ . (رَدُّ رَدِّ) ..... (مُنْزَعٌ حَمَانِيٌّ) . (رَدُّ رَدِّ)

إذن فدلالة الحديث ليس من أحدث أمراً وأوجده على غير أصل له ثم أراد أن يكون من الدين كما يعتقد أهل البدع، وإنما من بين طريقاً موجوداً فعرف به الجاهلين ونبه له الغافلين لعموم المسلمين العابدين .

والمحصلة ! فالمراد من الحديث من فعل خيراً دل الناس وحثهم عليه، كما هي مناسبة هذا الحديث الوارد، فعن المنذر بن جرير عن أبيه رضي الله تعالى عنهما قال : (كنا عند النبي ﷺ في صدر النهار، قال : فجاءه قوم حفاة عراة مجتايي النمار أو العباء متقلدي السيوف عامتهم من مُضِر بل كلهم من مُضِر فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ (١) الآية إلى قوله رقيباً، والآية التي في الحشر ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (١٨) تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره حتى قال : ولو بشق تمرة، قال : فجاء رجل من الأنصار بصُرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت، قال : ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله ﷺ : (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء) [مسلم . ومجتايي النمار أو العباء أي لابسي ثياب صوف مخططة، وتمعر أي تغير وجه رسول الله ﷺ لما رأى ذلك، وكأنه مذهبة أي أضاء فرحاً كلمعان الذهب] .

ففعل هذا الصحابي فيه دلالة على الخير، علم الناس ونبههم لأمر هو مشروع في دين الله تعالى، من باب الحث عليه مما جعل الناس يقتدون به وينفقون من بعده فله أجرهم لأنه كان قدوة لهم دلهم على الخير وبدأهم به، هذا هو المقصد من

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . أَمْرٌ رَر ..... أَلْمَزَقُوبُ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . أَمْرٌ رَر

الحديث الدلالة والإرشاد والبدء بالخير لأمر هو من صميم هذا الدين ألا وهو الصدقة والإنفاق وليس الابتداع بأي حال لطقوس تحسب على أنها عبادات وقربات لله تعالى، بل إنها تتخذ عند البعض أفضل من العبادات المشروعة المعلومة . اللهم اجعلنا بكتابك مستمسكين معتصمين وبهدي نبيك متبعين .



## ١١ - دروس من مواقف الشيطان

يقول الله سبحانه وتعالى في أصدق قلبه وخاتم تنزيله : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة] . ويقول عز وجل : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ [النور] . بينت لنا هاتان الآيتان عداوة الشيطان وأن له في إضلال العبيد خطوات وطرق .

وهذه العداوة سببها أن الشيطان يعتقد أن الإنسان هو سبب طرده من الجنة بعدم سجوده لأبينا آدم عليه السلام، فأضمر له ولذريته العداوة أبداً . وكل البشر يعلمون ولا ريب أن الشيطان هو عدو مبين لهم وعداوته ظاهرة، ولكن ومع ذلك ليسوا كلهم تنبه واستحضر تلك العداوة الظاهرة البينة وعصى نفسه والشيطان، بل إن الكثير من بني البشر انساق خلف ركب الشيطان كالبهيمة خلف راعيها يسحبه ويجره إلى حيث الهاوية والهلاك من غير أن يتنبه لذلك أو يحاسب نفسه ولو قليلاً، وهو يعلم علم اليقين أن الشيطان هو عدوه الأول ولا ريب .

والعجيب كيف أن الكثير منهم يدعي الفهم والمعرفة وهو في حقيقة أمره كالدمية في يد الشيطان يقلبها كيف يشاء وينقله من معصية إلى ذنب، ومن خطيئة إلى إثم، ومن ضياع إلى هلاك، يطيع عدوه طاعة عمياء تماماً، بل ربما بعض الناس لم يطع ربنا جل في علاه بمثل تلك الطاعة تماماً، وهو خالقه ورازقه والمنعم المتفضل عليه .

ولو نظر العاقل لموقف الشيطان الرجيم منا ومعنا لخرجنا من ذلك الموقف بثلاثة دروس مهمة جداً :

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . مُرَرٌ ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . مُرَرٌ

١- النشاط والمثابرة : فأنت أخي الحبيب تنام، والشيطان لا ينام عنك، تفتّر عن العبادة، وهو لا يفتّر عن الغواية، ترتاح من نصب الدنيا، وهو لا يهنأ حتى يخرجك منها إلى النار، والعياذ بالله تعالى .

خلفك خلفك دوماً لا يتركك أبداً، ربما هادنته فلا يهادنك، إن أطعته في معصية جرك إلى أخرى أبشع وأشنع وأفظع منها، وإن ذكرت الله تعالى خنس ثم عاد لا يأل جهداً ما عشت، وهو يغويك ويزين لك ويضللك ويفتنك ويستفزك ويشحذك ويستنفرك، ويربك الأمور على غير حقيقتها، ويصور لك الأشياء على عكس مرادها، لا يرتاح أبداً حتى تموت يا مسلم وأنت كافر أو عاصٍ لربك سبحانه وتعالى .

فهل استفدت أنت يا مسلم من ذلك وحرصت على أن تواجه عدوك المبين والظاهر بمثل ذلك النشاط وتلك المثابرة فتعصيه وتطيع ربك ! أم تغافلت عنه فكان قائدك إلى الهاوية !

نعوذ بالله تعالى من ذلك ونسأله سبحانه أن يمنحنا مثل ذلك النشاط وتلك المثابرة الدؤوبة والإنابة في الطاعة وأن يعصمنا من الشيطان الرجيم ومن تليسه وتزيينه ووسوسته : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ (١٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (١٨) [المؤمنون] .

٢- التصميم والإرادة : فالشيطان له إرادة وتصميم عجيبان، يأتيك عن يمينك فإن عصيته أذاك عن شمالك، فإن عصيته أذاك من أمامك، فإن عصيته أذاك من خلفك، لا يتركك أبداً حتى تطيعه وتستجيب لغوايته، يزين لك الشر والباطل والقيح ويقبح لك الحق والخير والبر حتى تستثقله وتزهّد فيه، يأتيك بكل وسيلة من خلالها يستطيع الوصول إليك، فرمما أمرك بالخير والبر ليسحبك إلى معصية من

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّ . (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَدُّ)

حيث لا تدري، له خُطط وخطوات وزلات وهفوات ونفخات وهمزات، يأتي المسلم وقت فتور وغفلة وبُعد عن الله تعالى، وهو في حال ضعف من إيمان أو في شغل مهم من أمور الدنيا، فينقضّ عليه ويلهيه، ويغويه، ويضلله، ويلبس عليه، ويحسن له القبيح حتى يراه حسناً، ويقبح له الحسن حتى يراه قبيحاً، لا يستسلم أبداً .  
فهل أنت يا مسلم واجهته بمثل ذلك التصميم وتلك الإرادة أم تقاعست عنه حتى يجرّك إلى الهاوية !

نعوذ بالله تعالى من ذلك ونسأله سبحانه أن يمنحنا مثل ذلك التصميم وتلك الإرادة الجامحة وأن يعصمنا من الشيطان الرجيم : ﴿وَمَا يَزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت] .

٣- الدلالة على الحق : لاحظ أخي الحبيب كيف أن الشيطان لا يأمرك إلا بالشرك والكفر والنفاق والبدع والسوء والشر والباطل والقبيح والرذيلة والنقيصة والإثم والمنكر والفحشاء والبغي والظلم إلى آخر ذلك الطريق المظلم والمشووم، وكان لا بد من أن يكون خلاف ذلك من الأمور هو من عند الله تعالى الحق الواضح الظاهر البين .

والمعنى أن الشيطان يريدك دائماً بعيداً عن الله تعالى كافراً به عاصياً له مجترأً على معاصيه متجاوزاً حدوده مرتكباً محارمه مقترفاً نواهيه مجتنباً أوامره فكان الشيطان في جانب والله تعالى في جانب، ولذلك قال سبحانه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة] . والمعنى أن من حاد الله عز وجل فجعل الله تعالى في حد أي في جانب، وكان هو في حد أي في جانب آخر، وبالتالي جعل بينه وبين الله تعالى حداً فاصلاً فهو في الأذلين الخاسرين الذين كتب عليهم الشقاء والذلة، وهو حينها من أولياء الشيطان وحزبه وفريقه الذين قال الله تعالى

## مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَرَر) ..... (لُزُز) ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَرَر)

فيهم : ﴿ أَسْتَحِذْ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المجادلة] .

فاحرص على أن تكون من حزب الله تعالى لا من حزب الشيطان وأحذر أن تجعل بينك وبين الله تعالى حداً فاصلاً لأن الله تعالى يريدك دوماً أن تكون في معيته سبحانه مستحضراً ربوبيته وألوهيته جل في علاه، فلا يغيب عنك ذلك أبداً حتى تكون في حفظه وكنفه ورعايته سبحانه وتعالى .

والمحصلة ! أننا استفدنا من موقف الشيطان معنا بني البشر دروس وعبر لو أعمل الإنسان عقله في ذلك وتدبر وتفكر . اللهم اعصمنا من عموم الشياطين وإضلالهم وغوايتهم وتلييسهم وتزيينهم ووسوستهم وهمزهم ولمزهم ونفخهم ونفشهم يا قوي يا متين .



## ١٢ - معية الرحمن وسلطان الشيطان

قال جلت عظمتة في محكم كتابه الهادي إلى الرشاد : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الحجر] . هذه الآية وغيرها من الآيات بيّن لنا سبحانه من خلالها مدى عداوة إبليس لبني آدم عليه السلام، وغاية حقه عليهم وتوعده لهم أن يضلهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً . وتبين شأن إبليس الرجيم حين طرد من الجنة فتوعد اللعين أن يغوي بني آدم عليه السلام، بأن يأتيهم من كل مكان من بين أيديهم، ومن خلفهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم، يوسوس لهم، ويزين لهم ليضلهم ويصرفهم عن الحق إلا ممن عصم الله تعالى .

ولو أننا نظرنا نظراً دقيقاً عميقاً في معنى الآية ومضامينها الكثيرة لوجدنا فيها عدة أمور منها :

- ١- إن الله تعالى لم يجعل للشيطان على بني آدم سلطاناً من حيث المبدأ .
  - ٢- إن سلطان الشيطان حاصل وواقع على من اتبعه من بني آدم الغاوين .
  - ٣- إن من اتبع الشيطان يكون قد أدخل نفسه ضمن نطاق سلطانه وغوايته، وهذا السلطان المذكور في الآية له صورتان :
- أ- سلطان قوة وقهر . وليس للشيطان هنا قدرة ولا سلطة على أحد من بني آدم عليه السلام بحال؛، لكن يرغم أحداً من خلق الله تعالى بقوته وقهره، لأن الله تعالى لم يملكه من ذلك أبداً .
- ب- سلطان حجة . وليس للشيطان هنا أيضاً حجة لإقناع أحدٍ من خلق الله تعالى بصدقه وبتكذيب ما جاء من عند الله جلت قدرته من دين حنيف وشرع قويم ومنهج متكامل .

## مَنُورٌ حَمَائِقُ . أُرُورٌ ..... (الْمُزَوَّبُ) ..... مَنُورٌ حَمَائِقُ . أُرُورٌ

وإذن فما ثمة إلا الغواية ! والتي هي في حقيقتها أنها دعوة موجهة من الشيطان لبني آدم عليه السلام، يزين من خلالها الباطل والشر والإثم والمنكر وعموم الرذائل، ويقبح فيها الحق والخير والبر وعموم الفضائل، فمن أنصت لدعوته تلك واستسلم لوسوسته وتبع خطواته وانقاد لتزيينه فإنه سيدخله في حيز ودائرة الغواية والضلال، أما من استحضر عداوته تلك واستيقن أن ذلك مجرد وساوس وحبائل وهمز ولمز ونفخ ونفث وتزيين في غير محله فقد عصمه الله تعالى من شروره وغوائله وثبته على الحق .

لكن لنستمع لهذا الحديث النبوي الشريف ولنحاول فهم معناه بدقة وهو قوله ﷺ : (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم) [متفق عليه] .

فالمعنى المستفاد من هذا الحديث أن الله عز وجل قد جعل للشيطان قدرة عجيبة، من خلالها يجري في عروقنا ومحاري الدماء منها . فكيف ذلك ؟ ولماذا جعل الله سبحانه له تلك القدرة ومكَّنه منا حتى أنه يتغلغل في أجسامنا ؟ وإذن فكان ولا بد من وجود حكمة جلية من ذلك وهي أن للشيطان معنا صراع مستمر لا ينتهي إلا بموت الإنسان، وهذا الصراع هو بين إنسان بشري مكوّن من لحم ودم، وشيطان ناري غير مرئي وله القدرة على التخفي والتشكل والدخول والخروج إلى جسم الإنسان، فأَيُّ الاثنين هنا يا ترى هو الأقدر على كسب هذا الصراع ؟

ولمعرفة ذلك ننظر للإنسان نفسه ومدى تعلقه بمنهج وشرع ربه عز وجل، لنعرف حينها هل سينتصر هو على شيطانه، أم سينتصر شيطانه عليه ؟ والمعنى أن الإنسان بمفرده هو الأضعف أمام الشيطان ولا قدرة له عليه، ولكنه مع ربه هو الأقوى أمام الشيطان لأنه سبحانه سينصره عليه .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَارٌ)

وهذا يعني أن الله جلّت قدرته وتعالّت عظمته أراد بذلك بالضبط أن يبقى الإنسان دوماً في معيته سبحانه أبداً ليحميه ويحفظه ويخلصه ويعصمه من شيطانه ومن شروره وغرره، وإلا فالشيطان غالب عليه لما قد مُكِّن منه ولما له من خاصية النفاذ والتخفي والتزيين والوسوسة .

وحينئذ ! فإن أراد الإنسان أن ينتصر على عدوه الذي سُلط عليه بالوسوسة والتزيين فليعتصم بربه عز وجل وليطبق منهجه وليتبع شرعه سبحانه لينجو منه ويُعصم، ومتى ضيع ذلك وأهل جانب الله تعالى فقد أضاع نفسه وأوردها المهالك، قال ﷺ في حديث طويل هذا جزء منه يقول فيه الله تبارك وتعالى : ( ... خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم ... ) [مسلم . واجتالتهم أي صرفتهم عن مراد الله تعالى] <sup>١</sup> . والمعنى استخفوهم فذهبوا بهم عما كانوا عليه من توحيد وعبادة وطاعة لله سبحانه .

---

<sup>١</sup> والحديث بتمامه : (ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال، وإنني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال : إنما بعثتك لأبتيك وأبتي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظان، وإن الله أمرني أن أحرق قريشاً، فقلت : رب إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة، قال : استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نغزك، وأنفق فسنفق عليك، وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك، قال : وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال، قال : وأهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زبر له، الذين هم فيكم تبعاً لا يبتغون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفى له طمع، وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصيح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك «وذكر» البخل أو

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . أَمْرٌ دَر . . . . . أَمْرٌ دَر . . . . . مَنُورٌ حَمْدُهُ . أَمْرٌ دَر

وأمر آخر وهو أن الشيطان لا يستطيع التسلط على بني آدم أبداً إلا بقدر معاصي الإنسان وإسرافه على نفسه مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ [آل عمران] .  
ولذا فالشيطان لا يستزل ولا يقوى على الغواية إلا من خلال خطأ الإنسان ومعصيته الصادرة من نفسه الأمانة بالسوء، ومن خلال هذه الهوة والغفلة يدخل الشيطان وينفذ إلى الجسم فينقض على القلب يوسوس ويتسلط على صاحبه، ومتى ذكر العبد ربه خنس وهرب، لذا سمي الشيطان بالخناس .

وفي محكم التنزيل قوله جل جلاله : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْغَيْثَةِ وَالنَّكَاثِ ⑥ ﴾ [الناس] .

والمحصلة ! فالله عز وجل خلقنا خنفاء على فطرة سوية، ولو ظل العباد على ذلك لسلم الجميع ونجا، ولكن الشياطين وسوسوا لهم وزينوا لهم فصرفوهم عن حقيقة الأمور فأروها على غير حقائقها إلا من اعتصم بالله جل شأنه، فعصمه الله جلّت قدرته، لذا وجب على الإنسان أن يبقى دوماً في معية الله تعالى وإلا تفرد به الشيطان .

وهنا تبين حقيقة الصراع، وهو أنه ليس صراع قائم بين الله تعالى وبين الشيطان، لأن الله سبحانه لا غالب له، ولكنه صراع كائن وقائم بين الشيطان من جهة وبين الإنسان من جهة أخرى . وكلاهما مخلوق لله تعالى .

---

الكذب والشنظير الفحاش) . ويثاغوا رأسي أي يشدخوه ويشجوه . ولا زير له أي عقل يمنعه من السفه . والشنظير هو سيء الخلق الفحاش .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . أُسْرَارٌ ..... الْمُنَاقِبُ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . أُسْرَارٌ

والإنسان في حقيقة هذا الصراع هو مجذوب لا محالة إلى أحد طرفين، إما أن يتمسك بمنهج ربه عز وجل فيكون إلى جانب ربه تعالى ومن جنده وحزبه، وإما أن يضل عن ذلك فيكون إلى جانب عدوه الشيطان الرجيم ومن جنده وحزبه . اللهم اجعلنا من جنودك المنصورين وحزبك الغالبين ومن أوليائك الصالحون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .



مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

### ١٣ - حقيقة الدنيا (دار ممر)

يجهل أكثر الناس حقيقة الدنيا وبالتالي لا يقدرها حق قدرها . فهو يظن أن الدنيا تستحق البذل والاهتمام بها والحرص عليها وأن العطاء والغنى فيها يعني الرضا والتوفيق وقائد السعادة للإنسان . وهذا خطأ كبير وفهم قاصر عن إدراك الحقائق . فلو أن للدنيا عند الله تعالى قدراً لما أعطاها ولا أعطى نعيمها وملذاتها إلا لمن أطاعه وتقرّب إليه بالعمل الصالح، لأن الذي يعمل يستحق الأخذ ومن لا فلا . لكن الحاصل والواقع خلاف ذلك تماماً، فالذي نجده أن أكثر أهل الدنيا سعادة فيها هم أهل الفساد والمعاصي واللهو واللعب من عموم المسرفين على أنفسهم، وكأن الله عز وجل يجازي أهل الدنيا بأن عاقبهم بها وبالمزيد من نعمها ونعيمها حتى تعميهم عن مراد الله تعالى وتلهيهم عن مطلبه عز وجل . فمن طلبها غرق فيها وأغرقتة فلا يرى سواها نعيم، ولا يرضى عنها بديل فتعطيه من باب وتأخذ منه من أبواب، وترفعه في شأن، وتخفضه في شؤون، وتعليه وتعزّه في أمور، وتذله وتسقّله في أخرى، فهو منها وبها في شقاء حتى يصير عبداً لها فتتخرط نفسه في غيها وباطلها وربما يظل على ذلك العمى حتى يركبه مرض أو تلحقه مصيبة لعله حينها أن يفيق قبل أن يفاجئه الأجل وإلا فالمنية مصرعه والسوء خاتمته .

وكل هذا يوضح لنا معنى قوله عز وجل في آيات كثيرة من كتابه العزيز حين تكلم عن ذلك الجزاء العاجل لمن طلب الدنيا وحرص عليها كقوله سبحانه : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ﴾ [النساء] . وقوله جلّت عظمتة : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء]

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . دُرُودٌ ..... (الْمَرْقُومُ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . دُرُودٌ

. وقوله عز وجل أيضاً : ﴿ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ۖ ﴾ [الشورى] .  
وغيرها من الآيات في هذا الشأن .

إذن لو كان للدنيا وزن وقدر حقاً لكان الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام، ولكان الصحابة الكرام والتابعون لهم بإحسان، والأولياء الصالحون وعامة أهل الإيمان والطاعة هم أهل الغنى والجاه والمكانة والسيادة ولما عاش عامتهم على الفقر والحاجة والفاقة . ولو كان للدنيا وزن لأوتيت لهؤلاء وأمثالهم وهم خيرة خلق الله تعالى، وأقربهم منه، ولكن الله تعالى لو كتبها لهم لما عصى الله عز وجل أحد ولكان كل العباد طائعين يطلبون الدين لا للدين، وإنما للدنيا ولتحصيل ثمرتها وزينتها العاجلة . وهذا محال !

ومن هنا حكم سبحانه وتعالى على خلقه وقسم لهم رزقه ولم يجعل لعطاء ونعيم الدنيا ميزة سوى أنه شغلٌ شاغل ومُلهٍ فاتنٌ، فمن أراد السلامة فليستقلّ منها أما من استكثر فقد حكم على نفسه بالشغل والانشغال، خلف نعيم زائل، وهو باطل، وملذات منقضية، وكل ذلك قد يفوت عليه تحصيل نعيم مقيم، وهو حق وملذات باقية تفوق ما نحن فيه في دنيانا . قال السلف : (الدنيا ساعة فاجعلها طاعة) . وقالوا أيضاً : (الدنيا أهم من أن تنسى ولكنها أتفه من أن تكون غاية) .  
غير أن أكثر الناس يجهل ذلك ويطلب من الله تعالى لدنياه أكثر مما يطلب من الله تعالى لدينه، مع أن كل نعيمها زائل، وقليل مهما كُثر بالمقارنة بنعيم الجنة الباقي والكثير، والذي يفوق الوصف والتصور ولذلك قال الله تعالى في الحديث القدسي : (يحزن عبدي إذا أقترت عليه الدنيا وذلك أقرب له مني ويفرح إذا بسطت له شيئاً من الدنيا وذلك أبعد له مني) [الديلمى في الفردوس وفي جامع الأحاديث القدسية برقم : (١١٤٧)] .

## مَنُورٌ جَنَانٌ . (رَدُّ) ..... (مَنُورٌ جَنَانٌ) . (رَدُّ)

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء أبداً) [الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني وأحمد والبخاري] . هذا هو وزن الدنيا حقيقة، وهذا هو قدرها عند الله تعالى . ولهذا كله لم يرض سبحانه أن يعطي الدنيا لمن أحب ومنه اقترب هذا في حكم الأغلب حتى لا يُشغل بها فتُلهيه وربما قد تفتنه وتُطغيه، وفي نفس الوقت حتى لا يضيع عليهم من نعيم الجنة بمقدار تحصيلهم منها .

ولذلك قال ﷺ : (إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ...) [أبو داود في الزهد وأحمد والحاكم وابن أبي شيبه والبيهقي في الشعب] . والمعنى واضح فليس إيتاء الدنيا دليل المحبة والرضا، أما الدين فدليل المحبة والرضا .

وخير قدوة لنا لمعرفة حقيقة الدنيا وعدم الركون إليها والاعتزاز والافتتان بها هو نبينا ورسولنا وحبيبنا محمد ﷺ الذي قال : (عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي عِزَّ وَجَلَّ لِيَجْعَلَ لِي بِطَحَاءِ مَكَّةَ ذَهَباً فَقُلْتُ : لَا يَا رَبَّ وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْماً وَأَجُوعُ يَوْماً "أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ (الشك من الراوي) " فإِذَا جُعْتُ تَضَرَعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ وَإِذَا شَبِعْتُ حَمَدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ) [الترمذي وأحمد والبيهقي في الشعب] .

هذا هو النبي ﷺ الذي كان يأتيه الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم واضعاً أحدهم على بطنه حجراً من شدة الجوع وكان ﷺ يضع على بطنه حجرين اثنين لأنه كان أشدهم جوعاً وأخواهم بطناً .

هذا هو النبي ﷺ الذي قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : كان يمر على أبيات النبي ﷺ الهلال ثم الهلال ثم الهلال "أي الشهر بعد الشهر" لا يوقد في بيته

## مَنُورٌ جَنَانٌ . (رَدِّ رَدِّ) ..... (مَنُورٌ جَنَانٌ) . (رَدِّ رَدِّ)

نار، أي لا طبخ فيها، قيل فما كان طعامكم قالت : (الأسودان التمر والماء) [متفق عليه] .

هذا هو النبي ﷺ الذي قال أنس رضي الله تعالى عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (والذي نفس محمد بيده ما أصبح عند آل محمد صاع حب ولا صاع تمر وإن له يومئذ تسع نسوة) [ابن ماجة وصححه الألباني وأحمد وأبو يعلى] . أي في أبياته التسعة ﷺ خلت كلها من الطعام .

هذا هو النبي ﷺ الذي نام في المسجد على حصير بال أثر في جنبه حتى بكى عمر رضي الله تعالى عنه لما رأى ذلك فقال له ﷺ : (ما يبكيك يا عمر، فقال : يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت صفوة الله من خلقه، فقال : أو في شك أنت يا بن الخطاب، أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا) [مسلم] . وفي رواية قال عمر رضي الله تعالى عنه : (فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت في البيت شيئاً يرد البصر إلا أهبّة مقامه فقلت : ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالساً، وقال : أفي شك أنت يا بن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا) [متفق عليه] . وفي رواية قال ﷺ في ذلك : (ألا ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة) [متفق عليه] .

فإذا عَرَفَ المسلم كل ذلك فليصبر ويتصبر لأن الفقر أقرب للمؤمن والصالح من الكافر، والفاجر كما ثبت ذلك في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ حين جاءه رجل فقال : يا رسول الله والله إني لأحبك قال ﷺ : (انظر ماذا تقول، قال : والله إني لأحبك، قال : انظر ماذا تقول، قال : والله إني لأحبك ثلاث مرات، قال ﷺ : إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافاً فإن الفقر أسرع إلى من يُحبني

## مَنُورٌ مِّنْأَنُورٍ . (مُرَرٌّ) ..... (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ مِّنْأَنُورٍ . (مُرَرٌّ)

من السيل إلى منتهاه) [الترمذي وأحمد والحاكم وأبو يعلى وابن حبان والبيهقي في الشعب] .

فمن أحب النبي ﷺ بحق فليرض بالقل والفقر والضعف لأن حياته تكون حينها أشبه بحياة حبيبه محمد ﷺ . هذا هو النبي ﷺ الذي أوصى أمته في بيان بديع وصف فيه حقيقة الدنيا وكيف أنها قنطرة إلى الآخرة ليس إلا، لا ينبغي الاغترار بها والركون إليها بقوله ﷺ : (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعُد نفسك من أهل القبور) [البخاري] . أي ترقب الموت في كل حين فإنما خلقت يا ابن آدم لتموت لا لتعيش أبداً في هذه الدار، فأنت كالغريب فيها أو عابر السبيل الذي لا يحرص في سفره إلا على ما يبلغه منتهاه وهو سالم غانم .

وغير ذلك كثير من الأحاديث والأحداث التي وصفت حال النبي ﷺ وكيفية معيشته، وكيف أنه ﷺ قدوة للجميع ولا سيما الفقراء من أمته لأنه عاش حياتهم ولم يعيش ﷺ منعماً ولا مرفهاً . ولذلك قال ﷺ مطمئناً للفقراء ومشوقاً لهم بالجنة وليرضوا بقل الدنيا وقترها مما قسم الله تعالى لهم في حديث عظيم بين فيه فضل فقر الدنيا بقوله ﷺ : (يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمس مائة عام) [الترمذي والنسائي وابن ماجة وصححه الألباني وأحمد وابن حبان] .

وهذا ولا شك خير كبير كثير فمهما كان الإنسان منعماً في الدنيا فإن نعيمها ذلك لا يبلغ نعيم الجنة لا في الوصف ولا في القدر ولا في المدة، فالفقير يدخل الجنة ويتنعم فيها بخمس مائة عام، والغني لا يزال هناك يحاسب على ما ملكه الله تعالى إياه في الدنيا مما فاته ومات وتركه، ولعله يوبقه .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

ولو قورن ذلك النعيم بما عاشه أغنى غني في الدنيا منعماً لما تساوى النعيمين  
أبدأ كيف وقد قال ﷺ : (إن أدنى أهل الجنة منزلة من يتمنى ويتمنى حتى إذا  
انقطعت به الأمانى قال الله تعالى : لك ذلك وعشرة أمثاله) [مسلم] .  
وقال أيضاً ﷺ : (إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة يرى  
أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وخدمه، وإن أفضلهم منزلة لينظر في  
وجه الله كل يوم مرتين) [الترمذي وأحمد والحاكم وأبو يعلى والطبراني في الكبير] .  
وقول الله تعالى أولى وأعلى في الحديث القدسي : (أعددت لعبادي  
الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) [متفق  
عليه] . فهنيئاً للفقراء بنعيم الجنة المدخر لهم السابقين إليه والفائزين به قبل الأغنياء  
بخمسمائة عام . ومما يروى من كلام السلف في هذا المجال : (ما فاتك من أمر  
الدنيا فلا تندم عليه، وما فاتك من أمر الدين فاندمل عليه) . وهذا قول حق،  
ففوات نعيم الدنيا مدرك بخير منه وفوات نعيم الجنة ليس بمدرك، وحسبنا ما ذكر  
في ذم الدنيا ومعرفة حقيقتها . اللهم اجعلنا ممن آثر الذي يبقى على الذي يفنى  
وارزقنا الصبر في الدنيا وعليها حتى نلقاك في مستقر رحمتك ودار كرامتك .



## الباب الخامس : أصول الدين الحق

١ - حقيقة الربوبية والألوهية

٢ - القرآن الكريم

٣ - من إعجاز القرآن الكريم وتحدياته

٤ - مدلول الكتاب والسنة

٥ - محمد ﷺ

٦ - رفعنا لك ذكرك

٧ - رحمة للعالمين

٨ - حياض النبي ﷺ

٩ - طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ

١٠ - اسمي (محمد وأحمد)

١١ - حقيقة انتشار هذا الدين

١٢ - مسألة (الهداية والضلال)

## ١ - حقيقة الربوبية والألوهية

لنعلم أن الله تعالى هو رب العالمين أي أنه رب كل شيء وخالقه لذا فهو المستحق للربوبية دون سواه لأنه سبحانه هو الذي استدعى للوجود وأوجد من عدم فهو رب كل شيء في الكون .

لذلك استحق توحيد الربوبية دون سواه لأنه لا خالق للكون إلا هو سبحانه، وكل معاني الربوبية تنضح وتفيض بالعطاء من الله تعالى لخالقه مصداقاً لقوله عز وجل : ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه] . والمعنى أن الله سبحانه هو رب الجميع، وخالق الجميع، ومدبر شؤون الجميع، ومصرف أحوال الجميع، فخير عطاؤه في هذه الدنيا كذلك للجميع من خلقه، مؤمنهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم، والفرق بين الربوبية والألوهية هو أن الربوبية عطاء وفيض للجميع، فكما أنه سبحانه وتعالى خالق الجميع فهو رب الجميع ومعطي الجميع والمتكفل بعطائهم ورزقهم وتصريف أحوالهم وتدير شؤونهم .

أما الألوهية فهي تكليف، والمعنى أن الإله يكلف ويُشرع الأحكام لمن آمن به، وأخذ منهجه، وقَبِلَ شرعه . الله سبحانه هو إله كل من آمن به وأقر بألوهيته، أما من كفر به ولم يعترف ويقر بالله تعالى إلهاً له فهو خارج عن نطاق الألوهية .

وعلى ذلك فالله عز وجل رب الجميع لأنه خالق الجميع وموجدهم ولا رب لهم سواه، ولكنه في واقع الحياة ليس هو إله الجميع لأن الكثير من الناس لم يتخذوه إلهاً، ولم يؤمنوا به عز وجل، بل اتخذوا من دونه آلهة أخرى، وهذا هو غاية الجحود والنكران . والله سبحانه وتعالى لما استفتح كتابه العزيز بأول سورة منه استفتحه بسورة تسمى الفاتحة، وكانت أول آية استفتح بها هذه السورة العظيمة

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . أُرْدَرُ ..... (الْمَرْوَبُ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . أُرْدَرُ

هي قوله تعالى : ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١﴾ . أي أنه امتن على خلقه بالربوبية وأنه رب كل شيء وموجده ومدبره ومصرفه والقائم على جميع خلقه، بما يصلح شؤونهم وبما ينفعهم في دنياهم فاستحق بذلك الحمد دوماً وأبداً وليس ذلك إلا لله سبحانه .

وأمر آخر وهو أن الله عز وجل ذكر في الآية استحقاقه للحمد والحمد غير الشكر، فالحمد يتوجه به العبد لله سبحانه دوماً، لكونه هو الرب والخالق والموجد والرازق والمدبر للأمور والمصرف للأحوال فاستحق بذلك الحمد لكماله تعالى ولقدرته ولتصرفه ولتدبيره للأمور .

لأن الحمد يصرف لكمال المحمود ولو من غير نعمة أنعم بها سوى أنه المستحق لذلك، وعليه فلا يحمد على وجه الحقيقة إلا الله عز وجل، سبحانه صاحب الملك والملكوت<sup>١</sup>؛ قد استوجب الحمد على ظهر وعلى ما خفي . أما الشكر فيكون لمقابل، وقد يصرف لله سبحانه وقد يصرف لغيره عز وجل ممن استحق الشكر على ما قدم .

وهذا هو الفرق الرئيس بين المعنيين فالحمد لله وحده ولا يقال لأحد : (لك الحمد) إلا الله تعالى، أما الشكر فقد يقال لغير الله سبحانه : (لك الشكر، وشكراً لك) جزاء ما قدم . وعلى ذلك فالشكر يكون لمقابل ويشكر صاحبه بقدر ما قدم، أما الحمد فلمقابل ولغير مقابل، لأنه لا يقال إلا لمن استحقه لكماله وجماله وجلاله ولعظمته ولعلو مكانه سبحانه وتعالى، ولنعمه التي لا تحصى ولا تعد من نعم ظاهرة وباطنة .

---

<sup>١</sup> الملك ما ظهر من خلق الله تعالى المرئي، والملكوت ما خفي منه، فسبحان الله العظيم وبحمده .

## مَنُورٌ جَنَانٌ . (رَدِّ ر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ جَنَانٌ . (رَدِّ ر)

ولذلك كانت وصيته ﷺ لمعاذ رضي الله تعالى عنه وللأمة من بعده حين أخذ بيده وقال له : (يا معاذ، والله إنني لأحبك، والله إنني لأحبك، فقال : أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول : اللهم أعني ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك) [أبو داود والنسائي وصححه الألباني] .

نلاحظ قوله ﷺ : (على شكرك) . ولم يقل : (على حمدك) . فأقل القليل أن يشكر العبد ربه سبحانه وتعالى على ما وفقه له من ذكر وشكر وعلى ما آتاه من نعم ظاهرة .

إذن هو حمدٌ متجدد يتنامى لا يقف عند حد بل هو حمدٌ حتى يرضى ربنا جل في علاه، لأن نعمه عز وجل متعددة مستمرة متجددة فله كل الحمد كما ينبغي لجلاله وجهه سبحانه ولعظيم سلطانه .

وأمر آخر أيضاً وهو أن نعم الله سبحانه وتعالى ظاهرة وباطنة، ونعمه الباطنة أكثر من نعمه الظاهرة بكثير، فله تعالى الحمد والمنة والثناء الحسن دائماً وأبداً على نعمة الظاهرة والباطنة .

ونلاحظ هنا أن من وافر معاني وفيوضات الربوبية العظمى أن الله جل شأنه لم يعلق عطاء النعم على مدى الإيمان والطاعة، وإلا لحرم كل كافر وفاجر جزاء كفره وفجوره تحقيقاً لقوله ﷺ : (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقى منها كافر شربة ماء) [الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني وأحمد والبخاري] .

لذا كان عطاء الربوبية ليس متعلقاً على الإقرار بالوحيته تعالى، لأنها عطاء، أما الألوهية فهي تكليف، والربوبية من الله لخلقه، والألوهية من الخلق لربهم . وعليه فاسم (الرب) له مدلول ومضامين واسم (الله) له مدلول ومضامين . فمدلول اسم الرب أي أنه الخالق الموجد المعطي المربي المتفضل المدبر المصرف .

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . مُرَرٌ ..... (الزُّمَرُ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . مُرَرٌ

أما مدلول اسم الله فيعني الذات التي حوت كل صفات ومعاني الكمال والجمال والجلال والتي أحاطت بكل شيء قدرة وعلماً، وبالتالي فهو صاحب القوة والقدرة والقهر والعلو والأمر، فهو بذلك صاحب المنهج والمكلف به والمشرّع والمقنن له لا سواه سبحانه .

اسم الرب يدخل تحته كل الخلق بلا استثناء لأن دلالاته عطاء من الله تعالى لخلقه، أما اسم الله فيدخل تحته كل من آمن به واتبع منهجه وهو مختار لذلك، وإلا ففي عالم الحقيقة أن الله جل شأنه هو إله الجميع رغم أنف من أعرض وأنكر وليس للخلق إله سواه مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْنِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ (١١) [فصلت] . دعاها عز وجل لطاعته فجاءتا طائعتين لما علمتا استحقيقه سبحانه للعبادة والطاعة والانصياع .

أما بني آدم فقد عصى الكثير منهم ربه جلّت عظمته، لجهلهم ولغفلتهم ولعدم إدراكهم قوة وقدر ربهم وعلو شأنه جل في علاه مصداقاً لقوله جل جلاله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرَهُ ﴾ (١٧) [الزمر] .

ولو علم الإنسان قدر ربه عز وجل وقَدَّر ذلك تماماً لعلم أنه لا يمكن أن يعبد إلا من خلق من عدم وأعطى من عُدْم ووضع لخلقه خير منهج يحقق مصلحتهم ونفعهم ليتبعوه، وهو تعالى وتقدس عن كل ذلك غني عنهم سواء آمنوا به وأطاعوه، أو كفروا به وعصوه، لأنه سبحانه وتعالى لا ينتفع بعبادتهم وطاعتهم ولا يتضرر بكفرهم ومعاصيهم .

فإن الله جل في علاه هو الغني المغني، غني عن العالمين أجمعين، وفي الحديث القدسي قول ربنا تبارك وتعالى : (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً،

مَنْزُورٌ حَقٌّ . (مَنْزُورٌ) ..... (مَنْزُورٌ) حَقٌّ . (مَنْزُورٌ)

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً [مسلم]¹.

ولو قدّر الإنسان قدر ربه تبارك وتعالى حقاً لعلم أنه لا معنى حقيقي للعبادة إلا لمن طلبها وهو يستحقها دون سواه، فالعبادة تعني طاعة العابد للمعبود، وهذا المعنى لا يتحقق إلا إذا صُرف لله تعالى، أما متى صُرف لغيره فلا معنى حقيقي له أبداً . فالذي عبد القمر مثلاً أو الحجر أو الشجر أو أي معبود آخر .

ماذا قال له ذلك المعبود، وماذا أعد لمن أطاعه، وماذا أعد لمن عصاه، وأين هو منهجه، ومن أين جاء عابده بذلك المنهج، وماذا حقق من مصالح لعابديه، وهل كل المصالح شملت كل العابدين له، أم أنها حققت مصالح من ادعى أنه الأحق بوضع المنهج على لسان ذلك المعبود، لما سيعود عليه من مصالح ومنافع، وقبل كل ذلك هذا المعبود متى أمرهم بعبادته، وهل طلب منهم ذلك وتطبيقه ؟

---

¹ والحديث بتمامه : (يا عبادي إنني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع، إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار، إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي، فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً، فليحمد الله ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه) .

## مَنُورٌ جَنَانُهُ . أُرْدَارٌ ..... أَلْمَزَّوْبُ ..... مَنُورٌ جَنَانُهُ . أُرْدَارٌ

كلا . كل ذلك لم يكن منه شيء . وهذا هو أضل الضلال مصداقاً لقوله جل في  
علاه في محكم التنزيل : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ  
الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴾ [الأحقاف] .

إذن فتقدير الإنسان لربه عز وجل حق التقدير فيه نفع الإنسان، لأن هذا  
الرب والإله سيعطيك نعمه ومنحه فأنت المستفيد المنتفع يا بن آدم في هذا الدنيا  
بالمناهج الحق الذي يحقق مصالحك ومصالح الجميع، ومن ثم بالجنة في الآخرة والتي  
هي عطاء عظيم فوق كل عطاءات الدنيا ونعيمها . اللهم اجعلنا أقر بربوبيتك  
واعترف بألوهيتك وآمن بدينك وحكم شرعك وقبل منهجك واستمسك بمجلك  
المتين وسار على نهج صراطك المستقيم .



نُزِّلَ مِنْ رُوحٍ مُبَارَكٍ . (الرعد) ..... نُزِّلَ مِنْ رُوحٍ مُبَارَكٍ . (الرعد)

## ٢- القرآن الكريم

يعد القرآن الكريم آخر كتاب سماوي نزل من عند الله سبحانه وتعالى، والعاقل البصير يعلم علم اليقين أن القرآن الكريم ليس باستطاعة البشر أن يأتوا بمثله أبداً، لما فيه من إعجاز يبهر العقول من جميع النواحي، بالإضافة لما حوى من أمور غيبية وإعجازية لم تفهم وتتضح إلا مستقبلاً، ولا سيما في القرن العشرين بداية عصر الاكتشافات والمخترعات، كل ذلك فيه دليل قوي على أنه من لدن عليم خبير، وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [الإسراء] . وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه) [البخاري في خلق أفعال العباد، وعبدالله بن أحمد في السنة، وأبو يعلى والبيهقي في الشعب وفي الأسماء] .

لذا كان أسلوب القرآن الكريم عالٍ جداً، رفيعاً حقاً، لا يستطيع أحد أن يحيط بكل معاني الكلمة فيه، والذي يقرأ القرآن الكريم يهزه هزاً، ويؤثر فيه، ويجعله يشعر بأن ما يقرأه أو يسمعه، هو حتماً ليس من كلام البشر، بل هو من كلام الله تعالى رب البشر !

ثم إن محمداً ﷺ معروف عنه أنه كان رجلاً أمياً لا يقرأ ولا يكتب فكيف استطاع أن يأتي بكلام لا طاقة للبشر به، حتى أنه أعجز أهل الكلام في زمانه مع أنهم أمة فصاحة وبلاغة، وتحداهم على أن يأتوا بمثله أو بسورة أو حتى بآية واحدة على نفس مستوى نسقه ونظمه وإعجازه وبلاغته وفصاحته وقوته، فلم يستطيعوا لأنه ليس من عند محمد ﷺ !

## نُزولُ حُثَاثِهِ . اُرْدادُ ..... اُنْزُوبُ ..... اُنْزُورُ حُثَاثَهُ . اُرْدادُ

ثم ولنفرض على سبيل الفرض أن محمداً ﷺ هو الذي ابتدع القرآن الكريم من عند نفسه، فهل باستطاعته أن يأتي بكلام يأسر القلوب ويخضع الجميع له فيستحسنوه ثم تعجز عقولهم عنه وتحار ؟

كيف استطاع صوغه وسبكه بهذه الطريقة العجيبة ؟ وكم من الوقت والجهد احتاج لذلك ؟ وأين كان قومه عنه وهم معارضون له أشد المعارضة ؟ ولم لم يأتوا بمثله إن كان فعلاً هو من عنده وهم أفصح منه وأبلغ قبل نزول القرآن الكريم وهم أهل علم، وهو ﷺ رجل أُمي لا يقرأ ولا يكتب ؟

وعلى فرض أن محمداً ﷺ هو الذي جاء بالقرآن الكريم من عنده فلماذا لم يأتوا هم أيضاً بمثله ؟ ومع ذلك فهو ﷺ جاء بالقرآن الكريم ابتداءً وفاجأهم به وقال لهم أنه كلام الله تعالى، أما كان بوسعهم أن يجيئوا بمثله أيضاً ؟ لكن حتى ولو جاءوا بمثله حينها فسيكون قولهم ذاك على نسق القرآن الكريم كالمضاهاة له وليس ابتداءً من عندهم كما فعل محمد ﷺ ؟ هذا على فرض أنه من عنده .

وأمر آخر غريب ! وهو أن العرب كانوا أمة كلام وبلاغة وفصاحة وبيان فكيف لم يستطيعوا أن يأتوا بمثل القرآن الكريم ! إذن في ذلك دليل على أنه ليس من كلام البشر وبالتالي فلن يأتوا بمثله أبداً !

وأمر آخر سمعنا على مر التاريخ بعباقة وفلاسفة ومشاهير ومتكلمين كثيرين بلغوا الذروة في الشهرة، لم يستطع أحد منهم أن يأتي بمثل ما أتى به محمد ﷺ . فعلى قدر شهرتهم وعبقريتهم وأفكارهم وكلامهم لم يستطيعوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن أبداً فلماذا لم يستطيعوا ؟ أما كان بوسع عبقرتهم وقدرتهم أن تأتي بمثل القرآن الكريم إن كان حقاً هو من قول البشر ؟

## مَنُورٌ مِثْلُ مَنُورٍ ..... مُنْزَلٌ مِثْلُ مُنْزَلٍ ..... مُرَدُّرٌ

وأمر آخر أيضاً لو قلنا أن محمداً ﷺ هو الذي جاء بالقرآن الكريم وأنه رجل عبقرى فعلاً لكان الأولى به حينها أن ينسب تلك العبقرية إلى نفسه، فيقول : أنا الذي قلت وابتكرت، لا أن يقول أن هذا القرآن هو من عند الله تعالى وينفي عن نفسه العبقرية ! ما سمعنا عن عبقرى أبداً على مر التاريخ ينفي عن نفسه العبقرية أبداً .

وأمر فوق ذلك هو أن في القرآن الكريم أمور غيبية كثيرة اكتشفت مؤخراً ومنها ما اكتشف الآن في عصر الاكتشافات فما الذي أدرى نبينا محمداً ﷺ بها قبل (١٤٠٠) سنة، في عصر لم تعرف فيه التكنولوجيا ولا المخترعات بعد ؟ وأيضاً نحن الآن في عصر العباقرة والفلاسفة والمتكلمين فهل باستطاعة أي عبقرى في زماننا هذا، أو حتى مجموعة من العباقرة أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم أو حتى ببعضه ؟

ثم لو فرضنا جدلاً أن مجموعة من العباقرة في زماننا هذا حاولوا أن يأتوا بمثل القرآن الكريم فكم سيحتاجون من الوقت والجهد ليأتوا بمثله ؟ وهل حينها سيكون ذلك الابتكار قادراً على الصمود ضد النقد والخطأ والتناقض على الإطلاق أو على الأقل مثل تلك الفترة التي مرت على القرآن الكريم ؟

إذن ! كل ذلك يثبت ولا شك أن القرآن الكريم الذي جاء به نبينا محمد ﷺ إنما هو من عند رب محمد ﷺ وليس بوسع محمد ﷺ ولا العالم أجمع، بل ولا الثقيلين من إنس وجن أن يأتوا بمثل القرآن الكريم أبداً أبداً أبداً !

وإذا علمنا كل ذلك ! وجب علينا حينها أن نتعامل مع القرآن الكريم على أنه من عند الله تعالى فيه دينه الحنيف وشرعه القويم وهو من عجائب الدنيا على الإطلاق وعجائبه باقية إلى قيام الساعة . وهذا هو أكبر دليل على قدرة الله تعالى

## مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَدُّر)

المطلقة، وعلى وحدانيته، وعلى ألوهيته، وعظيم حكمته، وواسع رحمته، وعظم شأنه جل في علاه فسبحان الله العظيم .

ومن أخص خصائص القرآن الكريم كونه معجزاً للعقول البشرية، فهو في حقيقته يتكون من كلمات ومُجَمَّل من صميم الكلام العربي، غير أنه كلام يعجز العرب والناس أجمعون، بل والثقلان كافة أن يأتوا بمثله أو أن يقفوا على حقيقة مضمونه ومنتهى معاني ألفاظه بوجه مطلق ونهائي . ولذا كان معجزة النبي ﷺ ومصداقاً لما جاء به، وباقياً إلى قيام الساعة، بل وسيبقى إعجازه بقاء الدنيا، وعلى مر الزمان تتكشف لنا، وتظهر من أسرار الغيبية والعلمية ما لا حصر له، والسر في ذلك لأنه من كلام الله تعالى وليس من كلام البشر .

والقرآن الكريم مع كونه معجزة للبشر كما قلت فهو عين منهج هذا الدين، إذن هو معجز للعقول ودليل على صدق هذا الدين، وفي نفس الوقت هو منهج لهذا الدين والشرع القويم الذي جاء به نبينا محمد ﷺ المنهج المتكامل الذي يستوعب ما يحتاجه كل زمان وكل مكان، ويحقق للجميع عموم المصالح والمنافع دوماً لمراعاته مقتضى متغيرات الأحوال، بخلاف الأمم السابقة التي كان نبيهم يجيء بمعجزة تختلف عن منهجه، فكانت معجزته شيء ومنهجه شيء آخر مغاير .

وأمر ثالث وهو أن القرآن الكريم مع كونه معجز للعقول كافة، وكونه منهج للناس أجمعين، فهو فوق ذلك يعد من أفضل العبادات التي يتقرب بها المسلمون إلى ربهم سبحانه وتعالى بتلاوته وقراءته وتدبره .

إذن تحقق في القرآن الكريم ثلاثة أشياء كونه معجز للعقول، وكونه منهج للناس، وكونه يتعبد به لله تعالى . وبهذه الأمور الثلاثة فَضَّل القرآن الكريم على سائر الكتب السماوية السابقة وكان مهيمناً عليها .

## نُزُولُ حَقَائِقِهِ . أُرَادَ . أُنْزِلَ ..... نُزُولُ حَقَائِقِهِ . أُرَادَ

والإعجاز في القرآن جاء في كل أنواع الآيات، فنجد مثلاً في آيات القصص يكشف لنا حجاب الزمن ويبين الكثير من الأحداث التي حصلت .

ونجد في آيات الأحكام يأتي بمعاني تحتمل أكثر من وجه بدقة وإبداع، فاللفظة الواحدة بل أحياناً الحرف الواحد يغير المعنى وربما الحكم .

ونجد في آيات الخبر ينبئنا عن أمور ستقع مستقبلاً ولا سيما في مجال الإعجاز العلمي، ففي القرآن الكريم كما قال العلماء نحو من (١٠٠٠) آية تكلمت عن العلوم الكونية والعلمية والمكتشفات .

ولذلك كله كان التصدي لمحاولة تفسير القرآن الكريم ومحاولة شرحه ليس بالأمر السهل ولا اليسير، بل ولا يتأتى إلا لمن بلغ في العلم المنتهى .

لكن لو تساءلنا من هو يا ترى أجدر الناس وأقدرهم على تفسير القرآن الكريم وإظهار مدى إعجازه وعجائبه ؟ في الحقيقة أن أجدر الناس وأقدرهم على ذلك هو نبينا محمد ﷺ ! لأنه نزل عليه وهو أعلم بأحكامه وبكل ما يتعلق به، وهو المؤيد بالوحي من السماء والمعلم من ربه سبحانه، وكونه ﷺ رجلاً أمياً شرف له ورفعته لأن الله سبحانه وتعالى منع أن يمتن عليه أحد من البشر بالعلم، فيلوث فكره بشيء، فحفظه وصانه من كل ذلك عز وجل ومن ثم كان العليم الخبير هو الذي تولى تعليمه وليس البشر . لذا حاز العلم كله، لأن الذي علم البشر بشراً، أما هو ﷺ فكان الذي علمه رب البشر .

لكن لماذا لم يفسر ﷺ لنا القرآن الكريم في حياته، السبب في ذلك يعود لثلاثة أمور أرادها الله جل جلاله وهي :

١ - لو كان ﷺ فسر لنا القرآن الكريم آنذاك لكان أمر إعجازه قد انتهى على ما وقف عليه تفسيره ﷺ . وبالتالي لكان القرآن الكريم قد فقد ما جعله الله تعالى فيه

## مَنُورٌ مَّخْفُوفٌ . أَسْرَارٌ ..... الْمُنْزَوِّجُ ..... مَنُورٌ مَّخْفُوفٌ . أَسْرَارٌ

من أسرار وإعجاز وعجائب وغيبات، التي مع الزمن تكشفت وعرفت، وهذا من أخص خصائص القرآن الكريم، ألا وهو كونه معجزة لعقول البشرية ككل، وبالتالي كانت عطاءاته لا تنتهي إلى قيام الساعة .

٢- لو كان ﷺ فسرنا لنا آنذاك لكان سيفسره بما يعلمه ربه عز وجل به حينها، وبما فيه من إعجاز وعجائب واكتشافات ومخترعات وأمور علمية وغيبية تبهر العقول، ولو حصل ذلك وقتها بالفعل لما فهمته تلك العقول آنذاك ممن عاصره ﷺ من عموم الصحابة الكرام، في عصر لم يعرف الاكتشافات العلمية والأسرار الغيبية التي جاءت عبر الزمن قبل ظهور المخترعات .

مما قد يولد الشك ويوقع التكذيب في القرآن الكريم، لأن تلك العقول لم تكن مهياًة آنذاك لتقبل أمور لم تكن قد عُلمت حينها وهي ليست في بالهم أبداً . والقرآن الكريم إنما جاء ليثبت الإيمان في القلوب لا ليوقع التكذيب والشك والريبة، ولذا كان من أسرار القرآن الكريم وإعجازه أن تفسره يتمشى مع الزمن بما تستسيغه العقول مواكباً لعجلة العلم ومكتشفاته الآنية، ومؤيداً لواقع الحياة والأحداث، ومثبتاً للاكتشافات والمخترعات العلمية، بحيث يتلاقى طريق القرآن الكريم وطريق العلم في تلاقٍ واحد فيكون حينها الإيمان بالله تعالى<sup>١</sup> .

٣- لو كان ﷺ فسرنا لنا آنذاك لانشغل الناس بالتفسير عن القرآن الكريم، وبالتالي كانوا سيهجون القرآن الكريم لاستغنائهم عنه ولاكتفاءهم بالتفسير النبوي . وهل جاء القرآن الكريم إلا ليبقى أثره وتأثيره وحلاوة التعبد به وتلاوته، مع كونه مصدر تشريع وإعجاز للعقول ومكمن للعجائب .

---

<sup>١</sup> عطاء القرآن الكريم لا ينتهي أبداً فهو معجزة قد نصبت للجميع لكل زمان ولكل مكان بما تطيقه وتفهمه وتستوعبه عقول كل عصر بحسب مستجدات العلم ومكتشفاته .

## كنوز حقائق . أسرار ..... المنزوح ..... كنوز حقائق . أسرار

ولهذه الأسباب أراد الله تعالى ألا يفسر نبينا محمد ﷺ القرآن الكريم بل تركه عز وجل بما فيه من إعجاز وعجائب وأسرار وعطاءات ليكتشفها العباد وليستخرجوا ما فيه من كنوز وأسرار على مر الزمن، فيكون آية وعلامة قوية على صدق نبوة محمد ﷺ وعلى صحة هذا الدين إلى قيام الساعة وقبل ذلك وبعده دليل على عظمة الله تعالى وقدرته عز وجل في كونه العجيب . اللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا .



نُزُولُ حَمَانَةٍ . (رُزْدَر) ..... (لُزْزَب) ..... نُزُولُ حَمَانَةٍ . (رُزْدَر)

### ٣- من إعجاز القرآن الكريم وتحدياته

قال تعالى في كتابه المحكم المفصل : ﴿الرَّكَنُ أَهْكَمَتْ أَيْنَهُ ثُمَّ فَصَلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود] . وصدق الله تعالى في قوله، فالقرآن الكريم نزل بلغة العرب، وهي أفصح اللغات وأفضلها وأوسعها وأوعبها للكلمات والألفاظ والمرادفات والمصطلحات وأكثرها استيعاباً، والقرآن الكريم كما سبق بيانه هو إعجاز من جميع النواحي، فمع أنه عربي إلا أنه تحد العرب الفصحاء البلغاء أهل البيان والبديع والمعاني، بلغتهم وفصاحتهم وبلاغتهم وبيانتهم الذي به يفخرون ويعتزون .

وكل ذلك بحروف وكلمات هي من صميم لغتهم العربية ومع ذلك عجزوا أن يأتوا بمثله، فالقرآن الكريم جاء يتحدى الجميع ولا سيما العرب الذين نزل بلغتهم، فرغم كونهم يسمعون ويفهمونه لكنهم لا يستطيعون المجيء بمثله أبداً .  
والغريب والعجيب والذي هو من ألسنة الحق التي أثبتت صدق القرآن الكريم وأعجازه أن الكفار أيام رسول الله ﷺ على كفرهم وعنادهم كان باستطاعة أحدهم أن يجمع كلاماً على وفق نسق القرآن الكريم مع تغيير بعض الألفاظ فيه ويدعي أنه من القرآن فما الذي منعهم من ذلك ؟

الذي منعهم من ذلك أنهم يعلمون أنه لا يمكن مضاهاة كلام الله عز وجل فهو وإن كان كلاماً عربياً حقيقة، فنسقه ونظمه والغيب الذي جاء به والإعجاز الذي فيه، من وضع الألفاظ والكلمات وربط الجمل والعبارات ومدلول المعاني والآيات وكونه حمال أوجه لغوية ولفظية ومعنوية وإعجازية وغيبية وعلمية هو الذي يدعو للغرابة ويظهر مدى إعجازه للعقول !

## مَنُورٌ حَمَانٌ . (مُرَدَّرٌ) ..... (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ حَمَانٌ . (مُرَدَّرٌ)

ثم لنعلم أن أرفع أنواع البيان عند العرب هو الشعر، وهو أرفع من النثر ومن القصة ومن الرواية، ورغم ذلك فالكفار حين ردوا القرآن الكريم ووصفوه لم يقولوا عنه أنه نثر أو قصة أو رواية، بل قالوا عنه أنه شعر، وقالوا عن سيدنا محمد ﷺ أنه شاعر، مع أن القرآن الكريم هو أقرب للنثر وللقصة وللرواية من الشعر من كل وجه وبكل حال .

فكيف قالوا عنه أنه شعر ! مع أن ذلك بعيد كل البعد عن الشعر، وهو للقصة والرواية والنثر أقرب ! قالوا عنه ذلك لأن الشعر كما قلت كان أرفع أنواع البيان في اللسان العربي ولم يجدوا وصفاً أرفع من ذلك ليصفوا به القرآن الكريم فقالوا عنه أنه شعر بحسب أرفع مستوى وأعلى المقاييس عندهم .

ثم إن آيات القرآن الكريم سرّاً حقيقياً فليس النطق بآية كالنطق بغيرها من سائر الكلام، ولعل السر يكمن في أن آيات القرآن الكريم تأييداً ربانياً يجده القارئ في قلبه، وعلى بدنه ولسانه حال القراءة، كما لو كانت تلك الكلمات من نوع خاص وضع الله تعالى فيها سر كتابه العزيز، ليكون النطق به ليس كالنطق بأي كلام آخر مصداقاً لقوله عز وجل : ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۖ﴾ [الزمر] .

ولذلك فالنطق بالقرآن الكريم ليس كالنطق بغيره من سائر الكلام، مهما كان الكلام منسقاً ومنظوماً وفصيحاً وبليغاً أبداً . وكان التحدي الأكبر في القرآن الكريم هو بدايات بعض السور بالأحرف المقطعة، والتي توقفت عندها العقول وحارت تماماً .

فالعرب ينطقون بمسمى الحرف ولا ينطقون باسم الحرف أبداً، فهم لا يقولون مثلاً عند إرادة الكلام (جيم ولا نون ولا ميم) وإنما ينطقون بمعنى الحرف في الكلمة

## نُزُولُ حَمَائِلِهِ . (رَدُّ رَدِّ) ..... (لُزْزُ) ..... نُزُولُ حَمَائِلِهِ . (رَدُّ رَدِّ)

فيقولون (جا نا ما) وهكذا، والمعنى أنهم لم يكونوا يتهجون الحروف ولكنهم ينطقون بها، فاسم الحرف لا يعرفه كل الناس إلا المتعلم، أما مسمى الحرف فالكل يعرفه حتى الجاهل الأمي، والذي لا يقرأ ولا يكتب ينطق بالحروف كما ينطق بها الجميع .

وكل هذه الأحرف المقطعة في القرآن الكريم ينطق بها باسم الحرف (كما لو كان القارئ يتهجى) .

لذا فهي تقرأ على السكون ولا توصل بما بعدها بل يقرأ كل اسم حرف كما هو مستقل عن الآخر فتقول مثلاً في : (ألم) وتقرأها (ألف لام ميم) ولا تقرأها (ألم) فهذا خطأ .

وفي القرآن الكريم (٢٩) سورة ابتدأت بأحرف مقطعة حارت فيها العقول ولا سيما العربية الفصيحة البليغة في إدراك معانيها ومعرفة حقيقة ذلك، والمقصد منها بالضبط .

والغريب في الأمر أن الكفار حين نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ آنذاك ورغم أنهم كانوا يعادونه لم يعترض منهم أحد على القرآن الكريم ، ويقول : يا محمد ما معنى (ألم) أو ما معنى (حم) أو ما معنى كذا أو كذا، وهذا يعني أنهم كانوا يعرفون أن الكلام العربي يقسم إلى قسمين : (كلام بناء وكلام استفهام) وحروفه كذلك تقسم إلى قسمين (حرف مبنى وحرف معنى) .

وأحرف البناء تبني منها الكلمة وإذا جاء أحدها منفرداً فلا معنى له إلا الدلالة على الصوت، وأما أحرف المعنى فهي تدل على مراد معين كحرف (من) يدل على الابتداء، و(في) يدل على الظرف، و(إلى) يدل على الانتهاء، و(على) يدل على الفوقية، وهكذا لكل منها معنى يدل عليه .

## مَنُورٌ . حَمَانٌ . رُورٌ ..... (مُنَزَّوْبٌ) ..... مَنُورٌ . حَمَانٌ . رُورٌ

والمعجز في الأمر وملفت النظر أن تلك السور استخدمت فيها حروف الهجاء بطريقة غاية في الدقة .

فالمعروف في لغتنا العربية أن حروف الهجاء هي (٢٨) حرفاً . والملاحظ هنا أن تلك السور التي ابتدأت بالحروف المقطعة قد ابتدأت بنصف حروف الهجاء أي بـ (١٤) حرفاً منها، وباقي الحروف لم تستفتح بها السور . وهذه الحروف الأربعة عشر من إجمالي حروف الهجاء التي ابتدأت بها السور تقع ضمن (٣) أقسام .

- الأول . التسعة الأحرف الأول . أخذ منه حرفان وترك سبعة .  
- الثاني . العشرة الأحرف الوسطى . أخذ منه خمسة وترك منها خمسة .  
- الثالث . التسعة الأحرف الأخيرة . أخذ منه سبعة وترك اثنان .  
فالقسم الأول . التسعة أحرف الأولى أُخذ منه حرفان الأول والسادس وتركَّت باقي الأحرف السبعة لم تستفتح بها السور فهي : (أ ب ت ث ج ح خ د ذ) فأخذ الأول (أ) والسادس (ح) وترك الباقي .  
والقسم الثاني . وهو العشرة الأحرف الوسطى أُخذ منها خمسة أحرف وترك منها خمسة، والذي أُخذ منه كل الأحرف التي ليس عليها نقط، وتركَّت كل الأحرف المنقوطة وهي : (ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ) أُخذ منها : (ر س ص ط ع) .

والقسم الثالث . التسعة أحرف الأخيرة أُخذ منه سبعة أحرف وترك منه حرفان بعكس القسم الأول فهي : (ف ق ك ل م ن هـ و ي) والذي ترك هما الأول (ف) والثامن (و) وأخذت السبعة أحرف الباقية .

## مَنُورٌ . مَنَاقِبٌ . مُرَارٌ ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ . مَنَاقِبٌ . مُرَارٌ

ومن الإعجاز في القرآن الكريم أيضاً أن الكلمة العربية تبنى على عدد معين من الأحرف أقصاه خمسة أحرف تكوّن الكلمة، فجاء ابتداء تلك السور التي ابتدأت بالأحرف المقطعة على وفق ذلك تماماً فابتدأت سور بحرف، وسور بحرفين، وسور بثلاثة أحرف، وسور بأربعة أحرف، وسور بخمسة أحرف، وهو أقصى عدد لبناء الكلمة في اللغة العربية .

وبداية السور كذلك تختلف فكل السور التي بدأت بحرف واحد جاء الحرف جزءاً من الآية ولم يأت في آية مستقلة، أما السور التي بدأت بحرفين فمنها ما كانت الأحرف آية مستقلة ومنها ما كان جزءاً من الآية، وكذلك ما بدئ منها بثلاثة أحرف وبأربعة أحرف وبخمسة أحرف جاءت الأحرف المقطعة جزءاً من الآية .

- وهناك ثلاث سور في القرآن الكريم ابتدأت بحرف واحد وهي : (ص ق ن) .  
- وهناك تسع سور في القرآن الكريم ابتدأت بحرفين وهي : (طس من سورة النمل، طه، يس، حم) . والسور التي بدأت بـ (حم) عددها سبع سور تسمى بالحواميم منها ست بدأت بحرفين وهي : (غافر وفصلت والزخرف والدخان والجناثية والأحقاف) . ويستثنى منها سورة الشورى لأن بدايتها تحسب بخمسة أحرف وليس بحرفين .

- وهناك ثلاث عشرة سورة ابتدأت بثلاثة أحرف، منها ست سور ابتدأت بـ (ألم) وهي : (البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة) . ومنها خمس سور ابتدأت بـ (ألر) وهي : (يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر) . وسورتان ابتدأتا بـ (طسم) وهما : (الشعراء والقصص) .

## مَنُورٌ . حَمْدَانٌ . أُرْدَارٌ ..... أَلْمُزَّجُ ..... مَنُورٌ . حَمْدَانٌ . أُرْدَارٌ

ونلاحظ أن كل السور الست التي بدأت بـ (ألم) حسبت آية مستقلة بخلاف كل السور التي بدأت بـ (الر) تجيء جزء من الآية .

- وهناك سورتان ابتدأتا بأربعة أحرف فقط وهي : (المص الأعراف، ألمر الرعد) .

- وهناك سورتان أيضاً ابتدأتا بخمسة أحرف وهي : (كهيعص مريم، حم عسق الشورى) . ف سبحانه الله العظيم تقسيم عجيب ودقيق ولا شك لأنه من وضع عليم خبير سبحانه وتعالى، وحتى يعلم الخلق أنه كلام معجز بحق وهو ليس كسائر كلام البشر .

ومن إعجاز القرآن الكريم أيضاً أنه : ( لا يَخْلُق من كثرة الرد) . والمعنى أنه لا يُمل من كثرة التكرار، بل هو متجدد رغم كثرة القراءة، وكأن قارئه حين القراءة يقرؤه لأول مرة، فلا يمل منه كما لو كان كلاماً سابقاً قد مر عليه، ومن العجيب أيضاً أن المتدبر في آيات القرآن الكريم ومعانيه في كل مرة ينظر فيه ويعاود النظر تتبدى له معاني وعطاءات ومفاهيم وأمور جديدة تتكشف له، وكأنه يقرؤه ويتدبره لأول مرة، وكلما أمعن فيه النظر وأعمل فيه الفكر كلما ظهر له شيء جديد منه وهكذا، وكأن الله تعالى يعطي المتأمل والمتدبر فيه في كل مرة عطاءً جديداً بحسب مدى إقبال العبد على القرآن الكريم وبقدر تدبره وتأمله لكلام ربنا سبحانه .

فما سر كل ذلك ! السر هو أنه ليس من كلام الناس، بل هو من كلام رب الناس، والفرق بينه وبين كلام الناس كالفرق بين الله تعالى وبين خلقه عز وجل حقيقة . اللهم نور بصائرنا بالقرآن الكريم واكشف لنا أسرارهِ وبين لنا إعجازه وعجائبه وحبب لنا قراءته يا كريم .



#### ٤ - مدلول الكتاب والسنة

القرآن الكريم هو كلام الله المعجز والموصوف بدلالته بقوله تعالى : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت] . والسنة النبوية المطهرة هي كلام رسول الله ﷺ الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم] .

ولو نظرنا لمدلول ومعاني آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية المطهرة بدقة وتمعن لوجدنا أن لها ثلاثة أوجه :

- الأول . وجه يخاطب مفهوم العقل ويدعو لمنطقه، وهي عامة آيات وأحاديث الأحكام والأخبار، يجب أن يُعمل الإنسان فيها منطق عقله، فلا يخرج عن حدود معقول الأحكام ومنقول الأخبار .

فمثلاً لا ننظر لآيات أو أحاديث الأحكام بمدلول القلب أو الفكر بل بمدلول مفهوم العقل لأن كل خطابات الأحكام موجهة للعقل، لأنه محل الفهم والاستنباط . كقوله تعالى مثلاً من آيات الأحكام : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيسَةُ ﴾ [المائدة] . وكقوله ﷺ من أحاديث الأحكام : ( كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ) [متفق عليه] . فهذه الآية وهذا الحديث واضحاً الدلالة والمضمون والمعنى، وبالتالي وجب العمل بمقتضاهما دون الحاجة لمزيد تفكير أو تشكيك فيهما .

- أما آيات وأحاديث الأخبار فهي كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة كالتي تتحدث عن تأريخ وأخبار السابقين، وعن كيفية هلاكهم، ونهايتهم وما إلى ذلك من صحيح المنقول ليس إلا .

## مَنُورٌ حَمَانِيٌّ . أُرُورٌ ..... (الْمُزَوَّبُ) ..... مَنُورٌ حَمَانِيٌّ . أُرُورٌ

- الثاني . وجه يخاطب اطمئنان القلب، ويدعو لليقين والإيمان والثبات، وهي عامة آيات وأحاديث العقيدة والآداب والفضائل، يجب أن يُعْمَلَ الإنسان فيها تصديق قلبه وإن كانت لا تستساغ عقلياً، بحيث يجب أن تستقبل بيقين تام لا بعقل يناقش ولا بفكر يجادل ويشكك بل بتصديق واتباع من قلب مؤمن بربه وبما عنده من نعيم مقيم وعذاب أليم . كقوله جل في علاه من آيات العقيدة : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ۖ﴾ [البقرة] .

وكحديث جبريل الطويل حين جاء يعلم الصحابة الكرام فجاء يسأل رسول الله ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان إلى آخر ذلك الحديث المشهور . أثبتت هذه الآية وهذا الحديث وجوب الإيمان بالغيب وإلا اختل ميزان الإيمان في القلب، كوجوب الإيمان بالملائكة الكرام والجنة والنار والصراط والحوض والميزان وأهوال القيامة وما إلى ذلك من أمور غيبية لو أعمل الإنسان فيها عقله لربما كَذَّبَ الكثير منها، وبالتالي وجب الاعتقاد السليم فيها، لأن العقيدة محلها القلب تُعقد فيه فلا تطفو للعقل لتناقش من جديد وإنما يسلم بها المؤمن تسليماً قطعياً .

- فمن آيات الفضائل قوله سبحانه وتعالى : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا ۖ﴾ [الأنعام] . وقوله ﷺ في أحاديث الفضائل : (من قال : سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة) [الترمذي والنسائي وصححه الألباني وابن حبان] . بينت هذه الآية وهذا الحديث فضل الله تعالى على عباده، وليس لمنطق العقل أو الفكر هنا فيها مكان للنقاش، بل على المسلم التسليم التام لذلك والإيمان به، فهذا فضل من الله تعالى يؤتيه من يشاء سبحانه فوجب أن نصدق به ونسلم له مباشرة .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... الْمُرُورُ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

- الثالث . وجه يخاطب سبح الفكر ويدعو للتفكر والتدبر والتأمل، وهي عموم آيات وأحاديث الإعجاز والغيب، يُعْمَلُ فيها الإنسان فكره وتدبره وتأمله ولا يحاول أن يقيسها على مدلول العقل أو القلب .

فلا يمكن النظر في آيات أو أحاديث الإعجاز والغيب بدلالة العقل والذي قد يحار في فهمها وربما كذبها، وإنما بدلالة الفكر وما يفهم من فحوى الآية أو الحديث؛ والذي قد يتناقض بعضها مع المفهوم العام الظاهر للمعقول؛ كالأيات والأحاديث الدالة على قدرة الله تعالى .

- كقوله سبحانه وتعالى من آيات الإعجاز : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات] . آية دلت على أن الكون في توسع مستمر كما أثبتت ذلك نظريات الفلك والعلم الحديث، وهذا الأمر ما فهم إلا الآن في العهد القريب في عصر التطور والتكنولوجيا والمخترعات والمكتشفات، والتي كانت سابقاً تعد آية من آيات الإعجاز الكوني .

أما من أحاديث الإعجاز فقوله ﷺ لأبي ذر رضي الله تعالى عنه : (أتدري أين تذهب هذه الشمس، قلت : الله ورسوله أعلم، قال : فإنها تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأذن ربها فيوشك أن يقال لها ارجعي من حيث جئت) [متفق عليه] . حديث أشار إلى أمر معجز لم نفهمه حتى الآن !

ومع ذلك فلا يجب أن نشكك فيه أو نكذبه بل نحاول فهمه قدر المستطاع، وهنا وبحسب مكتشفات العلم فقد ثبت دوران الأرض حول الشمس في الفضاء الكوني، لكن لم تسجل الرحلات الفضائية ولا الأقمار الصناعية في الفضاء عرش ربنا جل في علاه ولا شيئاً من ذلك . ورغم هذا فلا ينبغي أن نلغي مدلول الحديث ونجادل ونشكك فيه أو نكذب منطق العقل الصريح، بل نحاول فهم المعنى

## مَنُورٌ حَمَائِقُ . أُرُورٌ ..... أُنُزُّورٌ ..... مَنُورٌ حَمَائِقُ . أُرُورٌ

بما يتوافق بين العلم والإيمان ! وإن لم يكن ذلك متحققاً فالنقص وعدم الفهم يعتبر هو سيد الموقف حتى يفتح الله تعالى لنا بما شاء مستقبلاً ويكشف لنا من أسرار كونه وعجائب صنعه فيه، فنفهم حينها المقصد ونعي دلالة الحديث تماماً ونزداد إيماناً و يقيناً صادقاً فنقترب من الله جلّت قدرته .

- أما آيات الغيب كقوله تعالى : ﴿ سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت] . آية دلت على أن الغيب ملىء بما سيحدث في حياة البشر ومستقبل دنياهم من معجزات وبراهين كونية تدل على قدرة الله تعالى وعظم ذلك في جسم الإنسان وفي الكون الفسيح .

- ومن أحاديث الغيب ما أخبر عنه ﷺ في آخر الزمان من ظهور الدابة والدجال والدخان وخروج يأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام وسائر علامات وأهوال الساعة الكبرى .

والمحصلة فكل آية أو حديث لا بد له من وجه من تلك الأوجه الثلاثة، وبالتالي كان لكل آية أو حديث مدلول ومعنى بحسب وجهه ومعناه، ومتى حمل على غير ذلك الوجه فلن يستقيم المعنى ولا المدلول .  
وبالجملة فلو نظرنا لمدلول اللغة العربية وأقسام الكلام فيها لوجدنا أن له ثلاثة أنواع أيضاً، وهي :

١- علم البيان . وهو جزء من الكلام يفهم منه الخطاب بوجه مباشر لا يحتاج لمزيد بيان وإيضاح من إirاده .

٢- علم المعاني . وهو جزء من الكلام يحتاج فيه لفهم الخطاب، فهم فحواه ومعناه، وإلا ظل الكلام محتملاً لأكثر من معنى .

### مَنُورٌ جَنَانُهُ . أُرْدَارٌ ..... أَلْمُزَّوْبُ ..... مَنُورٌ جَنَانُهُ . أُرْدَارٌ

٣- علم البديع . وهو جزء من الكلام صيغ بطريقة مبدعة، فيها من المحسنات البلاغية الشيء الكثير .

وبذلك فكل خطابات ونصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تقع ضمن أحد هذه الأنواع الثلاثة . وبمعنى آخر فبعض الآيات والأحاديث تفهم من أول وهلة لأن الخطاب فيها يصنف ضمن علم البيان، وبعض الآيات والأحاديث تحتاج لمزيد إيضاح وبيان لأنها تصنف ضمن أحد علمي المعاني أو البديع، وبالتالي فالخطاب فيهما هنا له معانٍ غير ظاهرة من السياق بوجه مباشر . لذا فهي تحوي توجيهات ولفترات ونكات وأمور كثيرة يستنبطها العلماء وأهل الفهم .

وعلى ذلك ! فليس كل آية كريمة أو حديث نبوي شريف يفهم معناهما بحسب ما تبادر إلى الذهن ولكل شخص، هذا خطأ ولا ريب . ومن هنا كان لكل آية كريمة وحديث نبوي شريف مدلول ومعنى ومضمون، لا يمكن الوصول إلى المنتهى في المعنى لأنها كلها من عند الله تعالى، وحسبنا النظر فيها بحسب وجه الآية أو الحديث لنفهم معناه، فإن فهمنا فمن فتح الله تعالى لنا وإن لم نفهم فلننتظر حتى يعلمنا ربنا عز وجل شأنه . اللهم فهمنا وعلمنا وفقهنا وأرشدنا ووعّنا للتدبر والتفكير والتأمل .



مَنُورٌ مَحْنَانٌ . أُرْدَرُ ..... أُنَزَّرُ ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . أُرْدَرُ

## ٥ - محمد ﷺ

قال جل في علاه في كتابه الحق المبين : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ [الفتح] . فمن هو محمد المذكور في الآية ! هو محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي رجل من العرب عاش يتيماً في مكة المكرمة، ونشأ أُمياً لا يقرأ ولا يكتب، وعُرف قبل بعثته بحبه للخير والفضائل والمكارم، وببغضه للذائل والقبائح والنقائص والأمور المشينة، حتى لقبه قومه بالصادق الأمين، لكثرة ما عُرف به وعنه من صدق وأمانة واعتدال وحُسن خلق، وكريم سجايا، وحמיד خصال .

وكان طوال تلك الفترة ينبذ كل أمور الجاهلية، دائم التطلع والتفكر والتدبر والتأمل في الكون، يحب أن يتعرف على دين أبيه إبراهيم الصلاة والسلام، حتى أنه كان يختلي يتحنث في غار حراء بجبل النور في مكة المكرمة يتأمل ويتفكر في هذا الكون الفسيح . فكانت نشأته سليمة من المؤثرات التي حوله في مجتمع كان مملوءاً الفوضى آنذاك، ولما بلغ الأربعين من عمره وهو سن تمام العقل والرجاحة بعثه الله تعالى إلى كافة أهل الأرض نبياً ورسولاً ﷺ .

فتعجب قومه منه رجل ظل أربعين سنة لم يقرأ ولم يكتب ولم يسبق له أن خطب أو قال شعراً في قومه أهل الفصاحة والبيان والبلاغة، بل المعروف عنه أنه كان كثير الصمت والتدبر يحب الخلوة . فكيف بعد هذا العمر يأتي بكلام أعجز البشر، وأعجز قومه أهل البلاغة والفصاحة والبيان وكل ذلك في زمن وجيز وفترة لا تحسب، فلما رأى قومه ذلك عرضوا عليه كل مفاتن الدنيا من رئاسة القبيلة يولّونه عليهم، ومن مالٍ يجمعونه له فيكون أكثرهم مالاً، ومن ملكٍ يملكونه عليهم، ومن نساء يزوجونه بأجملهن، وبما سوى ذلك من أمور ومغريات .

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدُّ رَدِّ) ..... (مُنَزَّهٌ مَحَنَانٌ) . (رَدُّ رَدِّ)

ولتفكر قليلاً ! لماذا فعلت قريش ذلك وعرضت عليه كل تلك الأمور ﷺ ؟  
لأنهم يعلمون جيداً أن دعوته تلك ستغير وجه العالم، ومجرى التاريخ وستسلبهم  
السيادة والمكانة التي لهم، فكانت عروضهم فعلاً على مستوى الحدث .

ورغم ذلك فلما فرغوا من عرضهم ذاك ما كان منه ﷺ إلا أن قال لهم وبكل  
ثبات وثقة كلمة هزت قريش حينها بل والعالم كله فيما بعد : (والله لو وضعوا  
الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى  
يتمه الله أو أهلك دونه) [ابن إسحاق في المغازي وابن هشام في السيرة ودلائل  
النبوة والسلامي في الحكم الجديدة] .

لماذا قال ذلك ﷺ ؟ لأنه إنما جاء بالحق، وليقرر حقاً وهو يعلم علم اليقين أن  
الدنيا لا تساوي عند الله تعالى شيئاً، هذا هو شأن عامة الأنبياء عليهم الصلاة  
والسلام . وبالفعل ففي ظرف ثلاث وعشرين سنة فقط استطاع أن ينتشل العالم  
كله ويقبله من وضع إلى آخر، فكيف أثر فيهم ﷺ ؟ وكيف استطاع أن يحول  
العالم كله، ويقنع البشرية بما أراد ؟

ليس ذلك فحسب بل إن دعوته تلك استمرت إلى هذا اليوم عشرات بل  
مئات الملايين من الناس عبر السنين تبعوا دينه واهتدوا بهديه .

فيا للعجب لم يستطع أكبر عباقرة العالم أن يؤثر في قومه ومحبيه عبر مئات  
السنين، وفي ملايين البشر كما أثر محمد ﷺ فيمن تبعه، وكلهم يحبه أكثر مما يحب  
أباه وأمه وولده وزوجته بل ويحبه أكثر مما يحب نفسه، وهو لم يره، ولم يعرفه ولم  
يشاهده في حياته . فلماذا وكيف ؟

لماذا وكيف ؟ لأنها ليست عبقرية شخصية محمد ﷺ كما يظنها البعض،  
ولكنها معطيات النبوة والرسالة، وليس هو تأثير محمد ﷺ كما يعتقد الكثير، وإنما

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... مُزَوَّبٌ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

هو تأثير الله سبحانه وتعالى وهدايته، رب العالمين ورب محمد ﷺ الذي جمع الناس على الهدى وعلى كلمة الحق مصداقاً لقوله جل شأنه : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى ﴾ [الأنعام] . وتحقيقاً لقوله عز وجل : ﴿ وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال] . تَعَلَّمْ لماذا وكيف ؟

لأن الله تعالى هو الذي قذف محبة محمد ﷺ في قلوب المؤمنين والمسلمين، وجعل حبه عبادة وطاعة وقربة إليه جل جلاله .

وفي الحديث النبوي الشريف أن عمر رضي الله تعالى عنه قال : (يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ : لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال له عمر : فإنه الآن، والله، لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ : الآن يا عمر) [البخاري] .

وفي الحديث النبوي الشريف الآخر قوله ﷺ : (من أشد أمتي لي حباً، ناس يكونون بعدي، يود أ أحدهم لو رآني بأهله وماله) [مسلم] . لأن محبته ﷺ قبل أن تكون قربة إلى الله تعالى ونفل مستحب، فهي طاعة وعبادة له عز وجل، لا يتم؛ بل لا يصح الإيمان ولا ينقصد إلا بها .

وبما أن نبوة محمد ﷺ ورسالته كانت هي آخر الرسالات السماوية، فكان ولا بد من أن تكون موجهة للعالمين أجمعين دون تحديد . لذا جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار) [مسلم] .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

وعليه فكان ولا بد من وجود مبلِّغ عن الله تعالى منهجه الحق، وورثة يرثون الأنبياء عليهم السلام، فكان العلماء، الذين اختارهم الله تعالى للقيام بذلك بالدرجة الأولى . والذين أخذوا عنه ﷺ الدين والعلم، ليبلغوه للعالم أجمع، وإلى آخر الزمان، لأنه لن يأتي نبي من بعده ﷺ .

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً، ولا درهماً ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر) [أبو داود والترمذي وابن ماجه]<sup>١</sup> .

والعلماء هم ورثة الأنبياء في شيئين هما : العلم والدين، وقد أمروا بتبليغ دين الله تعالى للناس كافة، وبتعليمهم كافة أمور دينهم، فكان علماء هذه الأمة كما قيل بمنزلة الأنبياء في الأمم السابقة .

لذا وجب اتباعهم لأن في ذلك اتباع لرسول الله ﷺ وبالتالى هو طاعة لله عز وجل . اللهم إنا نسألك حبك وحب نبيك محمد ﷺ وحب كل عمل يقربنا إلى حبك يا حنان يا منان .



---

<sup>١</sup> والحديث تمامه : (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض، حتى الحيتان في الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر) .

مَنُورٌ. حِفَائِقُ. أُمُرَارٌ..... الْمَزَقُّجُ..... مَنُورٌ. حِفَائِقُ. أُمُرَارٌ

## ٦- طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ

لو تأملنا آيات القرآن الكريم التي أمر الله تعالى من خلالها بطاعته وطاعة رسوله الكريم ﷺ لوجدناها على أربعة أوجه هي :

أ- قوله تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ﴾ [التغابن] . فهذه الآية أمر فيها عز وجل بوجوب طاعته سبحانه وطاعة رسوله ﷺ . ونلاحظ هنا أنه سبحانه كرر في الآية الأمر بالطاعة، ومعنى ذلك وجوب طاعة الله تعالى في الامتثال للحكم العام، ووجوب طاعة الرسول ﷺ في الاتباع والتفصيل والبيان عن ربه سبحانه، فهما طاعتان طاعة لله تعالى في الرضا بالحكم العام والانقياد والتسليم له سبحانه، وطاعة للرسول ﷺ في البيان والتفصيل .

ب- قوله تعالى : ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال] . وقوله عز وجل في آية أخرى : ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران] . في هذه الآيات أمر عز وجل عباده بطاعته وطاعة رسوله ﷺ . لكن نلاحظ هنا في هذه الآيات أن الأمر بالطاعة لم يتكرر، فكانت طاعة واحدة لله سبحانه ولرسوله ﷺ، ومعنى ذلك أن الشيء المأمور به قد ورد ذكر حكمه في كتاب الله عز وجل ثم جاءت السنة النبوية المطهرة فأكدته، فهي طاعة واحدة في التزام بالحكم والتسليم له بوجه عام .

ج- قوله تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النور] . في هذه الآية أمر سبحانه وتعالى عباده بطاعة الرسول ﷺ ولم يذكر فيها هنا سبحانه الأمر بطاعته تعالى، وإنما أفرد طاعة الرسول ﷺ فقط . والمعنى أطيعوا الرسول ﷺ فيما بيّن لكم من أمور دينكم لأن الله تعالى فوّضه في أن يشرّع ويبين لأمرته الأحكام، ولا سيما التي سكت عنها القرآن الكريم تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . أَمْرٌ دَر . . . . . أَمْرٌ دَر . . . . . مَنُورٌ مَحَنَانٌ . أَمْرٌ دَر

﴿٧﴾ [الحشر] . لأنه ﷺ إنما جاء بالأحكام من عند ربه تعالى وليس من عند نفسه، فهو بكل حال لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

د- قوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء] . في هذه الآية أمر فيها سبحانه بطاعته وطاعة رسوله ﷺ ثم عطف على ذلك طاعة أولي الأمر، فبينت الآية طاعة الله وحده وطاعة للرسول وحده وطاعة لأولي الأمر لكنها ليست طاعة مستقلة بذاتها، بل هي من باطن طاعة الله سبحانه وتعالى وطاعة رسوله ﷺ . والمعنى العام من كل تلك الآيات أنه وجبت طاعة الله تعالى إجمالاً في كل الأمور من باب الامتثال والرضا والتسليم والانقياد لدينه وحكمه وشرعه عز وجل طاعة مطلقة، ثم وجبت طاعة الرسول ﷺ في اتباع البيان والتفصيل فيما لزم إيضاحه لأمره ﷺ ككيفية أداء العبادات التي لم يرد في القرآن الكريم تفصيلها، ثم وجبت طاعة أولي الأمر الذين يحكمون بشرع الله تعالى، لأن طاعتهم من باطن طاعة الله سبحانه وطاعة رسوله ﷺ وهذا أمر يعد من مأمورات الدين والشرع القويم .

إذن يجب أن نعلم أن طاعة الرسول ﷺ واجبة لأنها من صميم هذا الدين وهي ليست نفلاً مستحباً، أو مجرد عمل صالح ليس إلا كما يعتقد البعض! كلا . وعليه ! فوجه وجوب تلك الطاعة يتمثل في كونه ﷺ هو الدليل والمعلم الأول لأمره منهج الشرع المطهر وتعاليم الدين القويم ولا سبيل للخلق لمعرفة دينهم وشرع ربهم إلا من خلاله ﷺ .

لذا كان شرط الشهادة الثاني وهي قول المسلم : (أشهد أن محمداً رسول الله) شرط في صحة الإيمان، وركن من أركان شهادة التوحيد، لا يقوم إيمان العبد إلا به، بيقين تام لا زعزعة فيه ولا ريبة ولا ممانعة .

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدُّر)

ولذا كانت طاعته ﷺ من طاعة الله سبحانه ولا ريب تحقيقاً لقوله جلّت قدرته في كتابه العزيز : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء] .

وفي الأثر عن الإمام علي رضي الله تعالى عنه أنه سُئِلَ : (يا إمام أعرفت ربك بمحمد ؟ أم عرفت محمداً بربك ؟) .

والمعنى هل عرفت ربك بما قاله لك محمد ﷺ عن ربك ؟ أم عرفت محمداً ﷺ لأن الله تعالى أعلمك به ؟ فانظر للجواب الحكيم البليغ الذي ينم عن فهم ووعي كاملين .

قال رضي الله تعالى عنه : (عرفت ربي بربي وجاء محمد فدلني على ربي) . والمعنى عرفت ربي سبحانه وتعالى بمخلوقاته وآثاره في الكون الدالة على وجود رباً خالقاً وإلهاً عظيماً هو المصرف والمدير والمسخر لهذا الكون، لكن لم أعرف كيف أعبد سبحانه حتى جاء محمد ﷺ من عند ربي فعلمني كيف أعبد، فكان محمد ﷺ هو الدليل والمرشد والمعلم الأول ﷺ . اللهم اجعلنا ممن حقق طاعتك بالامتثال والتسليم والانقياد وممن حقق طاعة نبيك محمد ﷺ بالاتباع والتأسي والاقتفاء والاقتداء .



مَنُورٌ مِّنْأَنُورٍ . أُرُورٌ ..... أُنُورٌ مِّنْأَنُورٍ . أُرُورٌ

## ٧- حياض النبي ﷺ

قال الله تبارك وتعالى في محكمه الحق : ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ [الأحزاب] . مدلول هاتين الآيتين يحتم علينا معرفة واجبنا تجاه نبينا الأكرم ﷺ الذي جاء من عند الله تعالى داعياً إليه عز وجل، داعياً ومبشراً ومنذراً وسراجاً منيراً وشاهداً على الخلق بما بعثه الله تعالى به .

وكل ذلك يعني أن مهمته ﷺ إنما جاءت لنفع ولمصلحة البشرية جمعاء، ليعلم الجميع شرع ربهم جل في علاه .

ولولا أن الله تعالى بعثه لنا لما عرفنا ديننا ولا تعاليم شرع ربنا سبحانه ! فهو ﷺ المبلغ الذي بلغ عن ربنا عز وجل دينه، وهو ﷺ المعلم الذي علمنا تعاليم شرع ربنا تعالى، وهو ﷺ الدليل الذي دلنا على كل خير وبر، وهو ﷺ مرشدنا إلى ما فيه نفعنا، وهو ﷺ قائدنا إلى جنات النعيم إن شاء الله تعالى، وهو ﷺ شفيعنا عند ربنا سبحانه إن شاء الله تعالى، وهو ﷺ صاحب المقام المحمود، وهو ﷺ صاحب الحوض المورود قبل دخول الجنة من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً، وهو ﷺ أول من يحرك جلق باب الجنة وأول من يدخلها، وهو ﷺ حبيب ربنا جل شأنه، وهو ﷺ سيد البشر وخاتم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وأفضلهم وخير خلق الله تعالى أجمعين .

ومن أبرز صفاته ﷺ أنه رحمة للعالمين فهو الرحمة المهداة والنعمة المسداة لعموم الخلق صلوات ربي وأفضل سلامه وأزكى بركاته عليه<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> سأتكلم عن هذه النقطة في المقالة التالية إن شاء الله تعالى .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... الْمُرُورُ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

كل ذلك يفرض علينا معاشر المسلمين أموراً كثيرة نحوه ﷺ كيف وهو ﷺ لم يدخر عن أمته خيراً إلا دلهم إليه وحثهم عليه ! ولم يترك شراً أو سوءاً أو فتنة إلا نهاهم عنها وحذرهم منها ! ومن أحص تلك الواجبات التي توجب علينا معرفتها والقيام بها نحوه ﷺ ثلاثة أمور :

١- واجب علينا محبته ﷺ لأن ذلك من محبة الله تعالى بل ومن صميم عبادته سبحانه .

٢- واجب علينا طاعته الطاعة المطلقة لأنها من طاعة الله عز وجل، لأنه هو الدليل لمعرفة دين الله تعالى، ولا يمكن التعبد لله جلّت عظمته إلا من خلاله ﷺ وبما جاء به من عند ربه سبحانه، وإلا فكيف سيعرف المسلم دينه وتعاليم شرع ربه جل في علاه ؟ ولذلك كان من نواقض الإسلام العشرة : (من اعتقد أن شرعه وهديه أفضل من شرع وهدي محمد ﷺ الذي جاء به) .

٣- واجب علينا الذب عن حياضه ﷺ بدحض الشبه والأباطيل والافتراءات المزعومة عليه . والله سبحانه وتعالى هو أول من ذب عن حياض نبيه محمد ﷺ في كل جوانب حياته، حتى من محبيه وأتباعه ممن انتقص قدره، أو استهان بأمره أو تجاوز أقواله ولو كان ذلك من غير قصد منه، أو بسوء تقدير منه حتى، إذ الواجب اتباعه ﷺ الاتباع التام والمطلق دون افتئات عليه ﷺ بأدنى شيء أبداً .

ومن أبرز الأحداث التي تبين لنا ذلك، ما كان في يوم غزوة أحد من درس رباني مهمّ تعلمه الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم ومن جاء من بعدهم من عموم المسلمين، لن ينساه أحد أبداً .

حين قال ﷺ للرماة : لا تبرحوا الجبل (تل الرماة) سواء انتصرنا أو انهزمنا، وفي رواية قال ﷺ : (الزموا مكانكم لا تبرحوا منه، وإن رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل

## مَنُورٌ جَنَانٌ . (رَدُّ رَدِّ) ..... (مُنْزَعٌ) مَنُورٌ جَنَانٌ . (رَدُّ رَدِّ)

عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم، وإن رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدافعوا عنا) [البيهقي في الدلائل بنحوه والواقدي في المغازي والمقريزي في الإمتاع والصالح في السبل وابن برهان في السيرة] . فلما دارت رحى الحرب وبدت بوادر النصر فرح الرماة بذلك ونزلوا مباشرة يجمعون الغنائم، فالتف خالد بن الوليد من وراء التل وحصل ما حصل وتحول النصر إلى هزيمة مع أن النبي ﷺ كان معهم وفيهم بل ووسطهم . فكيف ذلك ولماذا ؟ حكمة جليلة أرادها الله تعالى وهي أنه عز وجل حمى حياض نبيه الكريم ﷺ من أن يُمتَهن أمره أو يستخف بقوله، فانهزم المسلمون لمخالفتهم أمره ﷺ تأديباً لهم، ولو أنهم خالفوه وانتصروا لهان عليهم حينها أمر رسول الله ﷺ وقالوا خالفناه وانتصرنا، ولذا أراد الله تعالى تعليمهم ذلك بحق، فانهزموا لمخالفتهم أمر قائدهم ونبيهم ﷺ فكانت الهزيمة بسبب المخالفة حتى يعظم أمر النبي ﷺ فيهم فيطيعوه حق الطاعة، وحتى يتعلم العامة عدم مخالفة أمر القائد، وهذا أمر في غاية الأهمية يجب أن نتعلمه جيداً سنة الله تعالى في خلقه، وصدق سبحانه القائل : ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ (١٣) [فاطر] .

فكانت الهزيمة ليست على محمد ﷺ ولمن معه في الحقيقة، بل كانت لأجل محمد ﷺ خاصة لتعليم المسلمين احترام مكانته ﷺ وعدم تجاوز أقواله ووجوب اتباع أوامره، وبالتالي عدم مخالفته ﷺ في أي شيء أبداً، وهي أيضاً لأجل المسلمين عامة من بعد، حتى يتعلموا وخامة عدم الطاعة وسوء وشؤم المخالفة لدين الله تعالى ومنهج رسوله الكريم ﷺ .

وأمر آخر وهو أن الله سبحانه هو الحق، وقد خلق السموات والأرض بالحق، وله السنن الكونية بالحق، فلما خالف الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم منهجه الحق، كان بد من التأديب على المخالفة، فيكون سبحانه قد عاملهم

## مَنُورٌ مَحْنَانٌ . أُرْدَرُ ..... أُلْزَقُ ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . أُرْدَرُ

بالحق، لأنها سنن حق لا تتغير . وهذا يعني أن نصرة الدين ومنهجه الحق يبقى حقاً ثابتاً لا يتغير، فلا بد من الهزيمة حال المخالفة لأن ذلك هو الحق .

وبالجملة ! فإذا كانت مخالفة واحدة صدرت من بعض الجيش وليس منه كله، والنبي ﷺ فيهم ومعهم والتأييد معه من رب العالمين والملائكة الكرام من حوله يحفظونه بأمر الله تعالى، ومع ذلك كله تحول النصر إلى هزيمة ولحق بالنبي ﷺ ما لحق من كرب وأذى وجراح ؟

فكيف في زماننا هذا والذي كثرت فيه المخالفات للشرع القويم ولدين رب العالمين ! ولا نبي فينا ولا معنا وهي صادرة من أكثر المسلمين حتى تفشت فيهم الشراكيات والمنكرات والبدع والمعاصي والأباطيل بأنواعها ! فهل سنتنصر بعد كل ذلك ونحن أنفسنا لم نَحْمِ حياض نبينا محمد ﷺ باتباعه ؟ ولم نقم شرع ربنا سبحانه بطاعته وتحقيق عبادته ؟

وهذا ما جرّ الأعداء علينا وعلى نبينا محمد ﷺ فلا أقول أساءوا إليه ﷺ فهو في مقعد صدق عند مليك مقتدر عند حبيبه وربه سبحانه وتعالى، بل أقول أساءوا لأنفسهم لو كانوا يعلمون، وأظهروا دين الله تعالى للكثير من الغافلين في مجتمعاتهم فأفشوا أمر الإسلام وأذاعوا به (فرب ضارة نافعة) لو كانوا يفقهون .

وكان الواجب عليهم النظر في منهجه الذي بعث به ﷺ وحينها سيعلمون أنه منهج حق وصدق وخير ونفع للإنسانية جمعاء لو كانوا يعقلون .

إذن ليست محبة النبي ﷺ قولاً مجرداً من الفعل، أو حمية بلا اتباع، أو نصرة خالية من الطاعة، فكل ذلك زعم باطل، لأن الأولى بمن كان محباً له ﷺ الطاعة والاتباع، ثم النصرة والدفاع، هذا هو المنهج الحق عند إله العدل والصدق سبحانه مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران] .

## مَنُورٌ جَنَانٌ . دُرُورٌ ..... لُزُورٌ مَنُورٌ . دُرُورٌ

فانظر كيف أنه سبحانه علّق المحبة على الطاعة والاتباع للنبي ﷺ لأن طاعته من طاعة الله عز وجل وهي ليست طاعة مستقلة بذاتها أبداً ولذلك قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ۖ ﴾ [الأحزاب] . والمعنى عليكم باتباع نبيكم ﷺ في كل أمور حياتكم لأنه أسوة لكم ماثلة أمامكم وهديه ونهجه القويم معروف ومعلوم عندكم وهو ﷺ لم يدخر من وسعه شيء إلا وأجهد نفسه فيه ليعلمكم إياه .

ولا قدوة حقيقية سوى الأنبياء عليهم السلام الذين قال الله سبحانه وتعالى فيهم : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمُ اقْتَدِهْ ۖ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنِّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام] . هؤلاء فقط الذين نقتدي بأقوالهم وأفعالهم وسيرهم، أما من سواهم من الناس، فنقتدي بأقواله فقط، ومتى وافقت الوحيين : (القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة) . وما سوى ذلك فمردود على صاحبه .

كما يجب أن نعلم هنا أن الأسوة هي غير القدوة، فالقدوة هي أن يكون الفرد مقدماً على من سواه في بعض شؤون حياته، فنقتدي به فيما برز به وتقدم على غيره فيه، أما الأسوة فهي كون الإنسان مقدم في كل أمور حياته ولذلك فلا أسوة حقيقية صادقة في الدنيا إلا الأنبياء عليهم السلام المعصومين من الخطأ المؤيدين بوحي السماء، أما باقي البشر فهم قدوات فيما أحسنوا فيه وبرزوا وهم غير معصومين عن الخطأ ولا مؤيدين، وخير قدوة وأفضل أسوة لنا وللعالم أجمع هو خير البشر محمد ﷺ . اللهم اجعلنا ممن أطاع واقتدى واتبع وتأسى ونصر ودافع وعن حياضه ﷺ حمى ودفع يا علام الغيوب .



مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (مُرَادٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (مُرَادٌ)

## ٨- رحمة للعالمين

يقول الله تبارك وتعالى في الذكر الحكيم : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٧٧) [الأنبياء] فمفاد هذه الآية أنه ﷺ قد بُعث رحمة للعالمين، وهنا لفتة مهمة، لأن على المسلم عندما يتعامل مع مدلول معاني آيات القرآن الكريم أن يتعامل معها على أنها إعجاز من جميع النواحي، فالآية الواحدة عبارة عن مخزن للمعاني، ومنبع للحكم البالغة، ومنهل لجوامع الكلم لأنه كلام ربنا جلت عظمته .

وعليه فلو أمعنا النظر في مدلول هذه الآية فنقول أولاً، هل رسول الله ﷺ هو رحمة للعالمين أم للمسلمين ؟ هو رحمة للمسلمين بالمعنى الظاهر وفي نفس الوقت هو لعنة على الكافرين المعاندين، لأنه فضح كذبهم وبَيَّن تحريفهم للكتب السماوية وقتلهم الأنبياء عليهم السلام .

وبمجيئه وبمبعثه ﷺ أوقف دينهم وأبطل شريعتهم والعمل بها فكيف يكون رحمة للعالمين ؟ ولكن وبما أن الله تعالى هو المتكلم ! فيجب أن نعلم أن كلامه عز وجل فصل الخطاب يتضمن بالفعل معنى الآية، فهم ذلك من فهم وجهل ذلك من جهل .

إذن ففي الآية الكريمة إشارة خفية تدل على أن دين الإسلام سينتشر وسيأتي يوم سيظهر على العالم كله، وبالتالي سيكون عندها مبعث محمد ﷺ بحق رحمة للعالمين .

وبمعنى آخر سيأتي زمان على العالم كله سيواجه فيه أزمات ونكبات وإرهاقات وعقبات معيشية حياتيه ليس لها حل إلا بالرجوع إلى تعاليم دين الإسلام، وما قرره الشرع القويم الذي فيه سعادة البشرية ككل .

## مَنُورٌ مَحْنَانٌ . أُرُورٌ ..... أُنُزُّوبٌ ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . أُرُورٌ

وعند ذلك سيضطر العالم كله إلى تحكيم شرع الله تعالى ولو لم يكن مسلماً معتقاً لدينه، ولكنه لن يجد الحل في الأفكار والنظريات والأطروحات والآراء الإنسانية القاصرة، ولن يجد السعادة في أنظمة وقوانين أرضية هي من وضع الإنسان، لن يجد الحل إلا في شريعة الإسلام التي حققت بالفعل نفع الإنسان في كل زمان ومكان، كما هو حاصل اليوم في الكثير من المجتمعات الغربية التي رجعت وأقرت ما قرره الشرع القويم، في الكثير من القضايا الحياتية التي لم يجدوا لها حلاً إلا في شرع ومنهج الإسلام، وحينئذ سيظهر معنى قول الله تعالى هذا واضحاً جلياً ويعلم الجميع وقتها أن مبعثه ﷺ هو بحق رحمة ليس للمسلمين فقط، بل للعالمين أجمعين لأنه جاء بخير شرع لهم !

وملاحظ آخر في الآية هو أن دين الله تعالى المتمثل والمتحقق نفعه وخيره بالتشريع الإسلامي، ليس حكراً على المسلمين فقط بل هو شامل حتى لغير المسلمين لو فطنوا لذلك وتمعنوا فيه، لأنه منهج يحقق السعادة للبشرية جمعاء، حتى الكافر لن يجد منهجاً متكاملًا يحقق له عموم المنافع والمصالح كشرعية الإسلام ولو لم يكن مسلماً فيما لو طبق ذلك بحق، إذن صدق الله سبحانه وتعالى القائل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١٧) [الأنبياء] .

أضف إلى ذلك أن الكفار حتى ولو لم يكونوا مسلمين، فهم في رحمة كبرى لما هم فيه من فرص الإهمال في الدنيا قبل مجيء العذاب وغشيانه إياهم .

ونقطة أخرى هي أن شرع الله تعالى هو أفضل شرع وأيسره وأسهله، لأنه يحقق مصلحة الجميع بنفس القدر، فكان الجميع أمامه سواء وكلهم ينتفع به بنفس الدرجة لا فرق بينهم أبداً، وهذا هو الفرق بين شرع الله تعالى ومنهجه وبين أنظمة البشر وقوانينهم . إذن فمبعث محمد ﷺ لم يكن ليهدم الأديان كما يظن الكثير

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... الْمُرُورُ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

وما جاء بذلك أبداً، وإنما جاء ليكمل الله سبحانه وتعالى به منهج الأديان، وكذلك شريعته السمحة ليست ناقضة للشرائع السابقة وإنما هي خير شريعة للعالمين أجمعين لو فهم العباد ذلك حقاً .

لأن الشرائع السابقة كانت مؤقتة لقوم معينين ولزمن معين، فكان نفعها كذلك مؤقت بما يناسبهم، أما شريعة الإسلام فلما أرادها سبحانه أن تكون هي الباقية جعل فيها ما يناسب لبقائها، وبالتالي جعل لها القدرة على مسايرة المتغيرات، وهذا يعني أنها ليست جامدة كما كان حال الشرائع السابقة لها .

وأمر فوق ذلك فرسول الله ﷺ لأنه كان رحمة للعالمين تحقق له إيمانان وليس إيمان واحد كسائر البشر كما بين ذلك القرآن الكريم في قول الله عز وجل : ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١) [التوبة] . فكان ﷺ له إيمان خاص به وهو الإيمان بالله تعالى كعموم الخلق، وإيمان آخر شمل أمته ﷺ رحمة لهم وهو تصديقهم، لأنه ﷺ قد أدى مؤدى يكفي ويشمل أمته أجمعين ﷺ في كل شيء، ومن ذلك أنه ﷺ لما ضحى في حجة الوداع ضحى عن نفسه وعن أمته .

قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : (أن رسول الله ﷺ كان إذا ضحى اشترى كبشين عظيمين سمينين أقرنين أملحين موجوءين فإذا خطب وصلى ذبح أحدهما ثم يقول : اللهم هذا عن أمتي جميعاً من شهد لك بالتوحيد ولي بالبلاغ، ثم أتى بالآخر فذبحه وقال : اللهم هذا عن محمد وآل محمد) [ابن ماجه وصححه الألباني وأحمد والحاكم والبزار وأبو يعلى والطبراني في الكبير . وموجوءين أي خصيين] . وما سوى ذلك كثير من جملة عبادته ﷺ وطاعته لربه سبحانه، بما يبين لنا مدى رحمته ورأفته بأمته وغاية حرصه ﷺ على صلاحهم وهدايتهم . هذا هو مؤداه ﷺ في الدنيا .

## مَنُزِّلُ حَمَانٍ . (رَرَر) ..... (لُزْزَب) ..... مَنُزِّلُ حَمَانٍ . (رَرَر)

أما مؤداه في الآخرة فيظهر لنا ذلك حين يكون همه الأكبر نجاة أمته من النار،  
فإبراهيم عليه الصلاة والسلام أبو الأنبياء وهو من هو في المكانة والقرب يقول لربه  
سبحانه يوم القيامة داعياً إياه : ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ [الشعراء] . يسأل ربه  
جل شأنه ألا يخزيه في ذلك اليوم العصيب، أما نبينا محمد ﷺ فيقول الله تعالى له :  
﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾ [التحریم] . حتى في ذلك الموقف لا  
ينسى أمته ﷺ . فهل بعد هذا من مؤد !

ثم ليس ذلك فحسب، فلفظ (رحمة للعالمين) يشمل كل العوالم حقاً حتى عالم  
الجن والحيوان والنبات، وكيف ذلك، ففي دين الإسلام عموماً آيات قرآنية  
وأحاديث نبوية شريفة عديدة صدرت عنه ﷺ بين من خلالها وجوب عدم إيذاء  
الجن ووجوب الرفق بالحيوان ووجوب الاهتمام بالنبات وعدم إفساده . أما تحقق  
كونه ﷺ رحمة للجن فذلك لأن مبعثه ﷺ كان للثقلين سواء . لذا فلما أتاه داع  
الجن وسأله الزاد قال لهم ﷺ : (لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في  
أيديكم أوفر ما يكون لحماً، وكل بعرة علف لدوابكم، ثم قال ﷺ : فلا  
تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم) [مسلم] .

أما تحقق كونه ﷺ رحمة للحيوان فمنها قوله ﷺ : (بينما رجل يمشي بطريق  
اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث  
يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل  
الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملاً خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقي،  
فسقى الكلب فشكر الله له، فغفر له، قالوا : يا رسول الله وإن لنا في هذه  
البهائم لأجراً فقال : في كل كبد رطبة أجر) [متفق عليه] . وفي الحديث الآخر  
قوله ﷺ : (عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي

## مَنُورٌ حَمَانٌ . (رَرَر) ..... (لُزُز) ..... مَنُورٌ حَمَانٌ . (رَرَر)

أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض) [متفق عليه . وخشاش أي دوابها وحشراتهما وهوامها] . فانظر أخي كيف أنه ﷺ جعل سقي كلبٍ من العطش أوجب مغفرة الذنوب، وكيف أن منع إطعام هرة أوجب النار، سبحان الله العظيم . ليس ذلك فحسب، بل حتى حال الذبح أمر ﷺ بالرحمة والإحسان والرفق بالحيوان بقوله ﷺ : (إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحداكم شفرته وليرح ذبيحته) [مسلم] .

بل وأكثر من ذلك فإن البهائم كانت تشكو لرسول الله ﷺ ما تجد من سوء معاملة، ومن ذلك أنه ﷺ دخل حائطاً لرجل من الأنصار فإذا جمل فلما رأى النبي ﷺ حنَّ وذرفت عيناه فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه فسكت فقال : (من رب هذا الجمل لمن هذا الجمل، فجاء فتى من الأنصار فقال : لي يا رسول الله، فقال : أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه) [أبو داود وصححه الألباني وأحمد والحاكم والطبراني في الكبير . وذفراه مؤخرة رأسه، وتدئبه أي تتعبه بكثرة العمل الدؤوب ولا تطعمه كفايته] .  
وأما تحقق كونه ﷺ رحمة للنبات ففي كتاب ربنا سبحانه قوله جل جلاله : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ [البقرة] .

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة فليغرسها) [أحمد والبخاري في الأدب المفرد والبخاري . وفسيلة أي النخلة الصغيرة] . ففي هذا الحديث حثه ﷺ المحافظة على النبات، والحرص على ذلك بأبلغ القول وإن قامت الساعة .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... مُزَوَّبٌ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

إذن تحقق لنا أن مبعثه ﷺ كان بحق رحمة لكل الخلق من إنس وحن ونبات وحيوان، بل وحتى الجماد وما في البر والبحر أولم يقل سبحانه وتعالى في محكم التنزيل : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [٤١] [الروم] . ومبعث محمد ﷺ إنما جاء ليمنع الله تعالى بشرعه القويم ذاك؛ فساد الناس، فتحقق بالفعل كونه ﷺ رحمة للعالمين .

ولهذا قال ﷺ في الحديث النبوي الشريف : (النجوم أمانة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمانة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) [مسلم] . والأمانة من الأمان والضمان من عدم شمولية العذاب في زمانه مادام ﷺ موجوداً في الأرض، فلما ألتحق ﷺ بالرفيق الأعلى كان الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم أمان للأمة في زمانهم .

أمة مرحومة من كل وجه، وفي حديث التسبيح قوله ﷺ : (لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال : يا محمد أقرئ أمتك مني السلام) [الترمذي وصححه الألباني وأحمد والبخاري والطبراني في الثلاثة وابن الأثير في الجامع]<sup>١</sup> . نلاحظ هنا أن خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ثاني أفضل البشر يوصي خير البشر على الإطلاق رسول الهدى ﷺ بأن يبلغ لأمته السلام، ليقع السلام منه على كل واحد من أمة محمد ﷺ، تكرمة لها ووجاهة وكرامة من ربها سبحانه<sup>٢</sup> .

<sup>١</sup> سبق الحديث بتمامه .

<sup>٢</sup> كان هذا السلام من أئينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء والمعراج أي في حادثة فرض الصلاة من فوق سبع سموات، فكانت مكافأة الله تعالى بأن فرض على أمة محمد ﷺ الصلاة والسلام على أئينا إبراهيم حال التشهد في كل صلاة ترفع لله عز وجل من فرض أو سنة أو نفل .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّ . (مُنَزَّلٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَدُّ)

طبعاً هذا كله يحقق أن مبعثه ﷺ رحمة للعالمين في الدنيا، أما في الآخرة فهو أيضاً رحمة للعالمين حين يفرع العباد لمن سيخلصهم من طول الموقف العظيم، فيذهبون إلى أبيهم آدم عليه السلام ثم إلى الأنبياء عليهم السلام من بعده حتى ينتهي بهم الأمر إلى سيد البشر محمد ﷺ فيذهب إلى عرش الرحمن ويسجد عنده طويلاً حتى يؤذن له في الشفاعة فيشفع فيتحقق حينها أنه ﷺ رحمة للعالمين، لأنه أنقذ الناس من طول الوقوف وهم حفاة عراة والشمس فوق رؤوسهم والعرق قد بلغ منهم مبلغاً .

وحسبنا أن نتذكر دوماً قوله ﷺ حين تلا قول الله تعالى في إبراهيم : ﴿فَنَ تَعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣٦) . وقول عيسى : ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ (١١٨) . فرفع ﷺ يديه وقال : (اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله تعالى لجبريل : اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك فأتى جبريل النبي ﷺ فسأله فأخبره، فقال الله تعالى لجبريل : اذهب إلى محمد فقل له إن الله يقول لك : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك) [مسلم] . رحمة فياضة مسترسلة غامرة لا حدود لها من أرحم البشر وأرأفهم وأفضلهم وخير البرية وأزكى البشرية على الإطلاق عليه من ربي ذي الجلال والإكرام الملك القدوس السلام أفضل الصلوات والتبريكات وأتم السلام إلى يوم القيام . اللهم شفع فينا نبيك وحبيبك محمد ﷺ وأظننا تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك يا رحمن .

---

كما نلاحظ أن الصلاة والسلام من الله تعالى على أمة محمد ﷺ يقع عليها من ناحيتين فقول المصلي : (اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد) . فالصلاة والسلام على آل إبراهيم يشمل الصلاة والسلام على أمة محمد ﷺ أيضاً . فالحمد لله رب العالمين سبحانه وتعالى الذين فضلنا على العالمين .

٩- (رفعنا لك ذكرك)

وبهذا اتضح أن عوائد الصلاة على النبي ﷺ عائدة على المسلم نفسه، هو المستفيد منها، فلا يعتقد معتقد أن الصلاة والسلام عليه ﷺ عوائد نفعها راجع على النبي ﷺ فهو في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وهو سيد البشر رضي من رضي وسخط من سخط، ولكن عوائد نفعيتها حقيقة عائدة على قائلها، وكلما أكثر المسلم منها كلما عاد النفع عليه بوجه أكبر وأكثر في الدنيا والآخرة .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

فهو ﷺ كما سبق ذكره قد أدى مؤدى يسع أمته جميعاً، وقد بينت معنى ذلك، وهو ﷺ بُعث رحمة للعالمين، وهو ﷺ حمل هم نجاة أمته دوماً، وهو ﷺ المبلغ عن ربه سبحانه وتعالى دينه ومنهجه وشرعه، وهو ﷺ أول شفيع وشفاع يوم الحشر عند رب العزة والجلال، وهو ﷺ صاحب المقام المحمود وغير ذلك من العلامات الكثيرة الوافرة، وهذا كله للمسلم، ولنفع المسلم لو كان يعلم .

لذا كان ولا بد من الصلاة والسلام عليه ﷺ عند ذكر اسمه على الأقل من باب رد الدين والوفاء بالجميل له ﷺ الذي أتعب نفسه ﷺ من أجل أمته ونفعهم ونجاتهم .

ولو أخذنا موقفاً واحداً من مواقف كثيرة له في ذلك ﷺ لتعرف على مدى حرصه على هداية أمته ﷺ ونجاتها لتبين لنا من خلاله ذلك ولظهر واضحاً جلياً، فمما ورد في بعض كتب التفسير عند بيان معنى قول الله تعالى : ﴿ إِذَا رَأَوْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّطًا وَزَفِيرًا ۚ ﴾ [الفرقان] . ما ورد في الأثر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : (زفرت زفرة لا يبقى معها ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا صديق منتخب ولا شهيد مما هنالك إلا خَرَّ جاثياً على ركبتيه، ثم تزفر الثانية زفرة فلا يبقى قطرة من الدموع إلا بدرت فلو كان لكل آدمي يومئذ عمل اثنين وسبعين نبياً لظن أنه سيواقعها، ثم تزفر الثالثة زفرة فتتنقطع القلوب من أماكنها فتصير بين اللهوات والحناجر ويعلو سواد العيون بياضها ينادي كل آدمي يومئذ يا رب نفسي نفسي لا أسألك غيرها ونبیکم ﷺ يقول : يا رب أمتي أمتي، لا همّة له غيركم) [السيوطي في الدر المنثور] . فهل هناك حرص وخوف على أمته ﷺ يفوق هذا، الناس كلاً منهم يرجو نجاة نفسه حتى الأنبياء عليهم السلام، وهو ﷺ يرجو ويطلب نجاة أمته معه ﷺ .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... مُزَوَّبٌ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

د- رفع شأنه حين أنزل عليه خير الكتب السماوية وهو القرآن المجيد، الكتاب الرباني الوحيد الباقي إلى قيام الساعة، والذي نفعه لجميع الخلق، فكان كتابه خير الكتب وكانت شريعته خير الشرائع، وكانت قبلته هي الجامعة لكل العالمين سواء، بل وللتقلين معاً .

هـ- رفع شأنه بأن جعل مبعثه ﷺ رحمة للعالمين وجعل شريعته سمحة سهلة .  
و- رفع شأنه بأن ختم به الأديان ومناهج الشرائع الربانية، فكان ﷺ أفضل الأنبياء وسيد المرسلين عليهم الصلاة والسلام .

ز- رفع شأنه بأن جعل له مقام الشفاعة العظمى لفصل القضاء بين الناس يوم الحشر، وهو المقام المحمود عنده عز وجل، حين يذهب ﷺ عند العرش ويسجد، حين يقول كل نبي : (نفسي نفسي إن الله غضب اليوم غضباً لم يغضب مثله قط ولن يغضب بعده لست لها اذهبوا إلى ... ) [متفق عليه] . ورسول الله ﷺ يقول حينها : (أنا لها) . وفي الحديث الآخر قوله ﷺ : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر) [الترمذي وابن ماجه وأحمد وابن خزيمة وابن حبان] .

مقام الشفاعة الذي قال فيه ﷺ : (إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثّاً، كل أمة تتبع نبيها يقولون : يا فلان اشفع يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود) [البخاري] . وجثاً أي على ركبهم من هول المطلع وفزعهم] .

ح- رفع شأنه بأن وهبه سبحانه وتعالى منزلة الوسيلة، فلا طريق يطلب إلى ذي العزة والجلال إلا من طريق محمد ﷺ الدال على دين ربه عز وجل، وشرعه القويم ومن ابتغى غير ذلك ومن غير طريقه ﷺ فقد ضل وأضل، وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ فإنه

## مُنْزَلٌ حَمْدُهُ . (رَدُّ) ..... (مُنْزَلٌ حَمْدُهُ) . (رَدُّ)

من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة) [مسلم]<sup>١</sup>.

ط- رفع ذكره بأن أعطاه عز وجل منزلة الفضيلة وهي منزلة في الجنة زائدة على سائر الخلق خُصَّ بها ﷺ .

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة) [البخاري]<sup>٢</sup>.

ك- رفع شأنه بأن جعله أول من يحرك حلق باب الجنة وأول من يلجها . قال ﷺ في الحديث النبوي الشريف : (... وأنا أول من يحرك حلق الجنة ...) [الترمذي والدارمي والبغوي في شرح السنة]<sup>٣</sup>.

وفي الحديث الآخر قوله ﷺ : (... وأنا أول من يدخل الجنة) [البيهقي والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب وابن خزيمة في التوحيد]<sup>٤</sup>. وفي محكم

---

<sup>١</sup> قال النووي في شرحه لصحيح مسلم : الوسيلة : قد فسرها ﷺ بأنها منزلة في الجنة، قال أهل اللغة الوسيلة المنزلة عند الملك .

<sup>٢</sup> قال ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري : الفضيلة : المرتبة الزائدة على سائر الخلائق، والمراد هنا منزلة في الجنة لا تكن إلا لعبد واحد من عباد الله عز وجل .

<sup>٣</sup> والحديث بتمامه : (قد سمعت كلامكم وعجبكم أن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعني فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر) .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّرٌ ..... (لُزْزَبٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَدُّرٌ)

التنزيل قوله جلّت عظمتة : ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ (٨) ﴿[التحریم]

. هذا خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام يسأل الله تعالى لنفسه ألا يخزيه في ذلك اليوم العصيب . أما محمد ﷺ فقد امتن الله تعالى عليه وعلى أمته معه بعدم الخزي ذلك اليوم العصيب، قال تعالى : ﴿وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ (٨٧) ﴿[الشعراء]

. وما ذاك إلا من رفع الذكر له ﷺ ولأمته من بعده .

وهذا كله يوضح لنا أن رفعة شأنه ﷺ هو رفعة ونفع لكل من تبعه ولكل من صلى وسلم عليه ﷺ مصداقاً لقوله ﷺ : (من صل علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً) [متفق عليه] . هذا في الدنيا .

أما في الآخرة فنفع الصلاة عليه ﷺ يعرض المسلم للشفاعاة والقرب منه ﷺ وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة) [الترمذي وابن أبي شيبه وأبو يعلى وابن حبان وصححه الألباني من حديث الترغيب والترهيب] . فللمسلم عند ربه تبارك وتعالى أضعاف ما يبدل متى صلى على نبيه الكريم ﷺ . فصل يا رب وسلم وبارك وزد وأنعم واتمم وتفضل وتكرم على أفضل الخلق وسيد البشر أجمعين صلاة وسلاماً وبركات لا تنتهي دائمة بدوام عزك يا الله سبحانه ربنا وبمحمدك .



---

<sup>١</sup> والحديث بتمامه : (إني أول الناس تنشق الأرض عن مجمعي يوم القيامة ولا فخر، وأعطى لواء الحمد ولا فخر، وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة ولا فخر) .

## مَنُورٌ جَنَانُهُ . رُدر . رُدر ..... رُزَقٌ جَنَانُهُ . رُدر

### ١٠ - اسما (محمد وأحمد)

ورد في القرآن المجيد لنبينا الكريم ﷺ اسمان اثنان هما : (محمد وأحمد) أما اسم (محمد) فقد ورد فيه (٤) مرات في سور : (آل عمران والأحزاب ومحمد والفتح) . وأما اسم (أحمد) فقد ورد مرة واحدة فقط في سورة الصف .

وهذا الأمر أشكل على الكثير من الناس حصوله، وهو ولا ريب مدخل لأعداء الدين في إيقاع الشك والتكذيب والتناقض في القرآن الكريم بحسب زعمهم، ولا سيما اليهود أعداء الملل والأديان، حين قالوا أن الاسم المذكور في كتبنا هو أحمد، وهذا النبي الذي جاء اسمه محمد، إذن ليس هو النبي المنتظر الذي نجد وصفه في كتبنا .

فأولاً . المعروف أن كل اسم يدل على معنى بعينه، كاسم سعيد يدل على السعادة، واسم حسن يدل على الحُسن وهكذا، غير أن الاسم متى أطلق على مسمى بعينه انفك الاسم عن المعنى، وصار دلالة يدل على المسمى بعينه ولو كان خلاف دلالة الاسم، فقد يسمى رجل سعيد وهو شقي وقد يسمى آخر شجاع وهو جبان وهكذا .

ثانياً . لو نظرنا في اشتقاق المسميين في اللغة العربية لوجدنا أنهما اشتقاقان لفعل واحد وهو (الحمد) .

فاسم (محمد) مشتق من كثرة (الحمد الواقع عليه) . فهو دوماً محمد، ولفظ محمد أصلاً هو صيغة مبالغة من محمود . والمعنى أن الرجل إن فعل ما يستوجب الحمد عليه سمي محموداً، ومتى تكررت منه تلك الفعال سمي عندها محمداً، لكثرة ما يحمد عليه، أي أن الحمد له، يقع عليه كثيراً من غيره من الناس .

## مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَرَر) ..... (لُزَز) ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَرَر)

أما اسم (أحمد) فهو مشتق من كثرة (الحمد الحاصل منه) . فهو أحمد، ولفظ أحمد صيغة مبالغة من حامد .

والمعنى أن الرجل متى حمد ربه سبحانه وشكره سمي حامداً، ومتى تكرر منه ذلك الحمد والشكر وحصل منه كثيراً سمي أحمداً، لكثرة الحمد الصادر عنه، أي أن الحمد يحصل منه كثيراً .

وإذن فمحمد وأحمد وجهان لفعل واحد وهو الحمد . ولكل اسم منها وجه ومقام لصاحبه عند الله جلّت عظمته .

ولذلك فحين سمي ربنا جل في علاه نبيه الكريم ﷺ أراد عز وجل أن يجمع له بين كلا المقامين مقام الحمد الواقع عليه من غيره، والحمد الصادر منه، ليكون بذلك ﷺ خير من محمد في الأرض بما جاء به من دين خاتم وشريعة سمحة، فكان مبعثه ﷺ رحمة للعالمين .

وفي نفس الوقت هو خير من قام بمقام الحمد بين يدي ربه عز وجل في الدنيا، وخير من سيقوم بمقام الحمد بين يديه سبحانه في الآخرة يوم القيامة إن شاء الله تعالى كما أخبر بذلك ﷺ بقوله : (...آتي تحت العرش وأخر الله ساجداً ويفتح علي بمحامد لا أحصيها الآن فيدعني ما شاء أن يدعني ثم يقول يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع) [متفق عليه] .

إذن فالمسميان كلاهما لرسول واحد كل اسم ورد منها أوضح صفة له ﷺ إحداهما تقع عليه من غيره وهي أنه (محمد) ولا يوجد من هو محمد بحق واستحق كل دلالات الاسم والصفة واستغراقها تماماً إلا رسول الله ﷺ .

وأما الصفة الأخرى فهي تصدر منه وهو أنه أحمد ولا يوجد من هو أحمد بحق وصدق وأولى بالاسم والصفة منه ﷺ كيف وهو صاحب مقام الحمد في الدنيا

## مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَدِّدْ) ..... (اُذْكُرْ) ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَدِّدْ)

والآخرة<sup>١</sup>. وعليه فقد أراد الله تعالى أن يصف نبيه الكريم ﷺ بكلا الاسمين لأن كل اسم يدل على مقام له ﷺ فمقام النبوة والاصطفاء يدل عليه اسم أحمد، ومقام الدعوة والمجاهدة يدل عليه اسم محمد ﷺ .

وعلى ذلك فلا تعارض أبداً بين الاسمين، لأنهما بمعنى واحد ولفعل واحد ولكن بوجهين اثنين بحسب الاشتقاق، فكل اسم يبين لنا حالة من حالاته ﷺ الأولى حاله مع الناس، وهو أنه محمود منهم دوماً فهو محمد فيهم، والأخرى حاله مع ربه عز وجل وهو أنه حامد له دوماً فهو أحمد لله عز وجل .

وأمر آخر وهو أن كلا الاسمين لم ينفك أحدهما عنه ﷺ فهو في الدنيا محمد بحق، وهو في الآخرة أحمد ولا ريب، كيف وهو سيد الثقلين وكل فعاله ﷺ تستحق الحمد له بعد حمد الله عز وجل، وكل تصرفاته الصادرة منه تتضمن الحمد لربه سبحانه دوماً وأبداً . اللهم صل على خير الورى كما تحب وترضى وأوردنا من الكوثر حوضه الفياض شربة لا نظماً بعدها أبداً .



---

<sup>١</sup> البشارة الواردة في التوراة عن رسول الله ﷺ باسمه، لم تكن باسم محمد ولا باسم أحمد بالنص، وإنما كانت بلفظ يستغرق الاثنين معاً، وهو لفظ (الفارا قليط) . وهذا اللفظ يعني (كثير الحمد) . فتحقق كونه ﷺ كثير الحمد، سواء الواقع عليه فهو محمد، أو الصادر منه فهو أحمد .

مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (مُرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (مُرَارٌ)

## ١١ - حقيقة انتشار هذا الدين

شاع بين كثير من الناس من العامة والجهلة والغوغاء، بل وحتى ممن هم على  
على شيء من العلم من المرجفين والمشككين، ولا سيما ممن كان من أعداء هذا  
الدين الحنيف سؤالاً إنكارياً، وهو كيف يعذب الله تعالى الناس الذين لم يسمعوا  
بهذا الدين ولم يعلموا بأمر هذا الرسول ﷺ ؟

فليس كل الناس قد علم بمحمد ﷺ وبدينه ونبوته ورسالته، وبما جاء به من  
عند ربه عز وجل ؟ هذا حسب زعمهم، وعليه فكيف يعذب الله سبحانه وتعالى  
أولئك الأقوام الغافلون ؟

وأول الرد عليهم . هو الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (ليبلغن هذا الأمر  
ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين يعز  
عزيراً ويدل ذليلاً عزاً يعز الله به الإسلام وذللاً يذل الله به الكفر) [أحمد واللفظ  
له والحاكم والطبراني في الكبير والبيهقي في الكبرى والألباني في الصحيحة . ووبر  
البيت من الشعر، ومدر البيت من الطين] . وهذا الأمر أي الإسلام والمعنى واضح  
وجلي، فكيف ذلك ؟

والرد الثاني . لو نظرنا حياة الناس بوجه عام لوجدنا أن في دنيانا أمور كثيرة  
تشغل الناس من مشاغل لا حصر لها لدى الجميع .

ولوجدنا فيها أيضاً أناس بارزين، راجت سمعتهم وبقيت عبر الزمان، فخلد  
التأريخ ذكراهم وآثارهم وأقوالهم كأقوال ومآثر لا تنس .

أما بالنسبة لشواغل الناس ومشاغلوهم في دنياهم فهل يعقل أن ينشغل  
الإنسان بحياته الدنيوية من اهتمام بالمأكل والمشرب والملبس والمركب والتعلم

## مَنُورٌ حَمَاقَةٌ . (مُرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمَاقَةٌ . (مُرَارٌ)

والتسلية واللغو واللعب والعبث وما سوى ذلك، من غير أن يهتم لأمر دينه وتعبدته وانتمائه لخالق يدين له بدين ؟ أياً كان توجهه !

لا يعقل ذلك أبداً ! فكل مجتمع يعتنق ديناً معيناً يقدسه، حتى في بلاد الأدغال والكهوف تجد أن لديهم انتماء لدين ما يرون فيه نفعهم، وهذا يثبت أن أمر الدين مهم جداً في حياة كل إنسان .

أيعقل أن يفكر الإنسان في كل ما يهمله ولو أراد أن يشتري حذاء ونعالاً لينتعله لتحري لذلك، ولا يتحرى لدينه ؟ أيعقل أن يفكر الإنسان دوماً في تحسين معيشته والسعي لطلب السعادة والراحة المرجوة بحسب فكره ؟ ولا يفكر في تحسين منهجه الذي يسير عليه في حياته ليضمن له ذلك الوصول إلى السعادة الإبدية ؟ أيعقل أن يلتفت الإنسان لكل ما حوله في هذا الكون ولا سيما الأمور التنظيمية من قوانين وقرارات ولا يلتفت إلى أمور الدين من شريعة وأحكام وهو يسمع ويعلم أن له رب وخالق، وهذا الرب أرسل عشرات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ؟

وكل الناس جزماً يعلمون أن الأنبياء والرسل عليهم السلام هم أفضل الخلق، وبالتالي فهم الأحق بالاتباع لأنهم دعاة الله تعالى، فهم منه وإليه، ومن شرعه لمنهجهم . فإن كانوا يُتبعون فلم لا يُتبع محمد ﷺ ؟

أيعقل أن يكون ما جاء به محمد ﷺ من شريعة ومنهج متكامل يساوي تنظيمات تلك الأديان التي يتخللها النقص من كل وجه حتى فيما بين أبناء الديانة الواحدة ؟ أيعقل أن أحداً لم يسمع عن الإسلام وهو دين يعتنقه اليوم أكثر من ربع سكان الأرض، في حين أن هناك أديان لا يتجاوز عدد أفرادها بضعة آلاف أو حتى مئات قليلة ؟

## مَنزُورٌ حَمَاقَةٌ . مُرَدَّرٌ ..... مُنَزَّهٌ . مُنَزَّهٌ . مُرَدَّرٌ

ثم لو قلنا جدلاً أن كل من سمع عن الإسلام لم يعجبه ما سمع لأي سبب كان فهل ما هو عليه من دين وتعبد واعتقاد هو بحق ينهض ليكون حقاً لا يمكن التنازل عنه وتغييره ؟

وأمر آخر الكثير من أبناء الديانات الأخرى يهرون منها إلى أحضان الإسلام، حتى إننا لنجد اليوم أن أكثر الأديان اعتناقاً هو الإسلام، ففي كل عام نجد أن العشرات بل المئات والألوف من اتباع الديانات الأخرى يعتنقون الإسلام، ولا نجد في عالم الواقع من يعتنق الديانات الأخرى إلا ممن كان تابعاً لوالديه فهو على ديانتهم، إلا النزر القليل الذي لربما فر من دينه الفاسد إلى دين هو أقل فساداً ظناً منه أنه الخلاص والمنجى، أما الإسلام فالذين يعتنقونه سنوياً بالمئات والآلاف .

وأمر آخر أيضاً وهو أن هيكلية تنظيم الإسلام (الشرعية بأحكامها) تبين للجميع مدى الدقة في الوضع والذي هو برهان قوي وكبير على أن واضعه ليس من البشر، وهذا فرق جوهري بالمقارنة مع باقي الأديان التي يكون واضعوا تشريعاتها بشر سرقوا من أبناء جلدتهم الشرف والمكانة على حساب الدين، فطلبوا به الدنيا والسيادة، أما شرع الله تعالى فالكل أمامه سواء، وشرعه على الجميع وللجميع بنفس الدرجة لا فرق بينهم .

هل من ساوى بين الناس ! الغني والفقير، والعبد والسيد، والرفيع والوضيع، والرئيس والمرؤوس، والراعي والرعية، والحاكم والمحكوم في ميزانه، كمن فرق بينهم وفضل بعضهم على بعض ؟ هل من حقق مصالح الجميع كمن حقق مصالح قوم دون آخرين ؟ هل من رفع شأن الجميع كمن رفع شأن الخاصة منهم دون العامة ؟ هل من حفظ حقوق الجميع وأمر بذلك كمن أعطى حقوق البعض للبعض وعلى حساب البعض ؟ هل من أمر بالعدل والإحسان والمساواة والمحبة والنظام والإخاء

## مَنُورٌ حَمَانِيٌّ . (رَدُّ رَدِّ) ..... (مُنَاقِبٌ) ..... مَنُورٌ حَمَانِيٌّ . (رَدُّ رَدِّ)

والترابط، وكل ما يجمع الناس ويجعلهم كإخوة، كمن فرق بينهم ومايز فئة على فئة من غير تمييز حقيقي ؟ هل وهل وهل !!! بعد كل ذلك يكون الإسلام كغيره من الأديان ؟ بعد كل تلك المفارقات .

وأما بالنسبة لمن خلّد التاريخ ذكراهم فكانوا رموزاً من رموز الحياة كلّ في مجاله الذي برع فيه كالغلاسفة الذين كتبوا وسطروا، والمخترعين الذي اكتشفوا وابتكروا، والشوار الذي انتفضوا وغيّروا، والعباقرة الذين نظّروا وقعدوا، والملوك والحكام والسياسيين الذين ملكوا وحكموا وأرغموا، والتاريخ مليء بأمثال أولئك الذي سمو بالعظماء على مر الزمان .

فأقول من سمع بمثل أولئك الرموز البارزة، ولفته النظر إليهم فقرأ عنهم، أو رأى من آثارهم في حياته، أيعقل أنه لم يسمع برجل يدعى محمداً ﷺ ؟ ألم يقرأ عنه شيئاً ؟ ألم يشاهد من حوله الملايين من المسلمين وهم يصلون ؟ ألم يتساءل ماذا يفعل هؤلاء ومن أمرهم بذلك ؟ ألم يسمع يوماً ما؛ الآذان الذي يرفع على رؤوس الأشهاد ولو عبر القنوات المرئية أو المسموعة وفيه لفظ (أشهد أن محمداً رسول الله) خمس مرات يومياً ؟ ألم يفكر يوماً ما؛ من هو محمد ؟ هذا وما هو تأريخه ؟ وما فعله وما دوره في الحياة ؟ وماذا فعل ليتبعه الملايين ؟ ألم يفكر فيما يرى ويسمع في معنى كلمة إسلام ومسلمين وهم بالملايين ؟ ألم يقرأ الجرائد والمجلات أو يشاهد شاشات القنوات ووسائل الاتصال فيرى صرح الحرم والمساجد الكبرى والناس يصلون فيها بنسق تام وانضباط عجيب ؟ ألم يلفته هذا المنظر ؟ ألم يفكر في هذه الصلاة التي يصلّيها المسلمون ولا تشابهها صلاة أبدأ في كل الأديان ؟ مشهد رهيب يشد الانتباه . أما سمع شيئاً عن هذا الدين مما يتناقله المسافرون من وإلى بلده ؟ كيف وكل بلد في العالم اليوم فيه نسبة غير قليلة من المسلمين حتى في بلاد

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . أُرُورٌ ..... أُنُزُّوبٌ ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . أُرُورٌ

الأدغال والغابات ؟ ألم يلتفت لما تركه ﷺ خلفه من تركة عظيمة من قرآن يتلى، ويؤثر فيمن سمعه ؟ ألم يسمع عن القرآن الكريم، ويستمتع له فيرى حينها أثر القراءة عليه ؟ ألم يسمع لأقوال النبي ﷺ وما تركه لنا من كمّ هائل من الأحاديث من بعده ولو عبر الإذاعات المسموعة ؟ ألم يتابع عباقرة وعلماء بلد ما؛ حين يكتشفون كشفاً علمياً وافق ما جاء به محمد ﷺ أو تحقق حصول شيء كان ﷺ قد أخبر به ؟ وما موقفه حينها من ذلك ؟

أما فكر يوماً أن يقرأ شيئاً لاتباع محمد ﷺ ويعرف ماذا قال ؟ وماذا قالوا عنه ؟ ولو على سبيل الاطلاع لمعرفة رموز الحياة البارزين ؟ لماذا تجده يهتم ويقرأ للفلاسفة ما كتبوا، وللشعراء ما قالوا، وللسياسيين ما خطبوا، وللقادة ما ألقوا وفعلوا، رغم أن كل أولئك مضى وانتهى أمره في حين هو لم يحاول أن يهتم ولو لشيء يسير لما قاله أو فعله محمد ﷺ من ميراثه الباقي إلى قيام الساعة، والظاهر للعيان المتمثل في هدي الوحيين وهما القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ؟ لماذا بعض المشاهير عبر الزمان يُجمل ويُطرى لشيء يسير قام به في حياته وانتهى في حين يتجاهل الأكثرون ما قاله محمد ﷺ وما تركه لنا من بعده وهو لا يزال باقي من بعده وسيستمر إلى قيام الساعة ؟

ثم لنقل وعلى سبيل الفرض أن محمداً ﷺ ليس برسول ولا نبي فعلى سبيل الفرض أو ليس من المنطق أن يكون محمد ﷺ أحد أولئك العظماء الذين سطر الدهر ذكراهم ؟ فأكثر الفلاسفة مثلاً ماذا ترك لنا، بضعة كتب فقط ! ثم لا ذكر له إلا في المحافل والمجامع فأين هو من محمد ﷺ الذي ترك لنا القرآن الكريم الذي يتلى في الملايين من البيوت كل يوم، بل وكل وقت وبالأخص في الصلوات ؟ أين هو من محمد ﷺ الذي ترك لنا موسوعة حديشية ضخمة لا يرقى لها عقل بشري،

## مَنُورٌ جَنَانٌ . أُرْدَرٌ ..... أُنْزَرٌ ..... مَنُورٌ جَنَانٌ . أُرْدَرٌ

وما هي إلا وحي يوحى . أين هو من محمد ﷺ الذي يذكر باسمه كل يوم ويرفع على المسامع خمس مرات مقترباً بشهادة الحق ؟ أين هو من محمد ﷺ الذي يتبعه ملايين الملايين من المسلمين عبر عشرات ومئات السنين ويطيعونه ويفدونهم بأنفسهم وذرائعهم وآبائهم وأمهاتهم ؟

أين هو من محمد ﷺ الذي إذا مر ذكره صلى عليه الجميع وسلموا تسليماً ؟ أين هو من كل ذلك ؟ فعلى موازين العظمة والذكر وعلى فرض أن محمداً ﷺ ليس بنبي ولا رسول أو ليس من المنطق أن يكون محمد ﷺ هو العظيم الأول من البشر الذي يجب أن يتبع ويقتدي ويتأسى به الجميع، لما جاء به من إرث وهدى وسنن وآداب وفضائل ؟

فهل يعقل أن يكون شخص ما قد سمع مثلاً عن أرسطو وأفلاطون وسقراط وأرخميدس وبراون وأديسون ونيوتن ؟ ومن سواهم من أهل الفن من ممثلين ومغنين ومطربين ولاعبي كرة ولا يكون قد سمع عن محمد ﷺ الذي هذه هي سيرته وذكره المتوالي والذي لا يغيب أبداً ؟ ولم يتأثر بذلك ولو يسيراً ؟

أيعقل أن يكون إنسان ما قد بلغ من عمره الخمسين والستين أو حتى السبعين والثمانين وقد مر بكل سني النضج والوعي والرجاحة والفهم وربما يكون قد حصل أعلى الشهادات والرتب العلمية في حياته ومع ذلك كله لم يحاول أن يقرأ عن الإسلام أي شيء بعقل منصف وفكر مجرد في حالة صفاء من نفسه ليتبين له الحق ؟ ولو أنه أراد قراءة قصة أو رواية أعجبته لاستعد لذلك ! هذا كله ولا شك ضرب من التعصب والتجاهل وإلا فالحق أوضح من أن يخفى ويطمس ويحجب !

أما بالنسبة للجهلاء المغمورين ممن لا يزالون في دركات الجهل والظلام والتخلف كسكان الغابات والمناطق البدائية فقد قال الله تعالى في شأنهم : ﴿ قُلْ أَتَى

## مَنُورٌ جَنَانٌ . (رَرَر) ..... (مَزَر) ..... مَنُورٌ جَنَانٌ . (رَرَر)

شَيْءٌ أَكْبَرُ شَهْدَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴿١٩﴾ [الأنعام]  
. والمعنى أن من لم يسمع عن دين الله تعالى ولو بأدنى شيء فحكمه أنه لم يبلغه  
هذا الدين، فذاك أمره إلى الله تعالى وهو أرحم الراحمين، وإن كان تحقق ذلك الأمر  
ضئيل جداً . وبهذا المعنى قوله ﷺ : (سألت ربي أن لا يعذب اللاهين من ذرية  
البشر فأعطانيهم) [أبو يعلى والطبراني في الأوسط والبيهقي في القضاء والقدر  
والدارقطني في الأفراد والهيتمي والألباني في الصحيحة . واللاهين الذي لا يعلمون  
من أمر الدين شيء] .

والخلاصة ! أن كل ذلك فيه أدلة وبراهين لا تدع مجالاً للشك من أن الإسلام  
قد انتشر وسمع به الجميع، باستثناء نزر قليل في كل بلد وناحية وبقعة من بقاع  
الأرض، فمن لم يقرأ عنه شيء يكون قد سمع، ومن لم يسمع يكون قد رأى، ولو  
أنه أَرعى انتباهه لذلك لكان سيهديه بأمر الله تعالى إلى حيث الإيمان به والإسلام  
له عز وجل، وحسب الإنسان في الأمر كله ليتهدي للحق أن يهتم لأمر دينه كما  
يهتم لأمر دنياه . اللهم لك الحمد على نعمة الإسلام وكفى بها من نعمة وكفى بها  
من قربة وكفى بها نجاة وطريقاً إليك وسبيلاً لديك يا الله .



مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... مُزَوَّبٌ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

## ١٢- مسألة (الهداية والضلال)

يتناقل الكثير من المفرطين من أبناء المسلمين ممن أسرف على أنفسه بالذنوب والمعاصي والآثام مقولات عديدة : (لماذا يعذبني الله تعالى، وقد كتب عليّ الضلال) . أو يقول : (وكل عمل أعمله مكتوب عليّ فعله) . أو يقول : (كيف يعذبني ولو أراد الله تعالى لهداني) .

وهذا كله ولا شك سوء أدب مع الله تعالى أولاً، ثم هو من تلبس إبليس حتى يبقى المسلم في دوامة معارضة حكم الله تعالى، بل والجرأة عليه سبحانه، وعلى ما قضى وقدر عز وجل، وإلا فالأمر كما قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء] .

وقوله تبارك وتعالى في خلق الإنسان : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الدھر] .

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (إن الله يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله) [متفق عليه] .

فكيف يريد الله تعالى لعباده الضلال وهو خالقهم، وقد أمرهم بالعبادة والطاعة ؟ وما مصلحته من تعذيبهم وهو عز وجل غني عن خلقه أجمعين ! ثم كيف لا يشكرونه وهو الأحق بذلك سبحانه لما خلق ولما هدى ولما رزق ولما أعطى ! أما الرد هنا لبيان حقيقة الأمر فله خمسة مباحث هي :

١- أن الله تعالى خلق الخلق للعبادة وتكفل بأرزاقهم، وبيّن لهم ذلك وأمدهم بالمنهج الحق وأمرهم بأن يسيروا عليه ففيه كل النجاة وفيما سواه الهلاك، فمن تبع المنهج وتمسك به نجا ومن ترك المنهج وزهد فيه وفرط هلك !

## مَنُورٌ جَمَانَةٌ . أُرْدَرُ ..... أَلْمَزُوبُ ..... مَنُورٌ جَمَانَةٌ . أُرْدَرُ

٢- أن الله تعالى خلق الإنسان وبيّن له طريقي الخير والشر، وجعل له مطلق حرية الاختيار لأيهما شاء غير مجبور على شيء منهما، فهو صالح لأن يختار طريق الخير، وهو صالح لأن يختار طريق الشر، فلماذا يختار الشر ثم يحتج به مع أنه من اختياره تماماً؟ وكان بالإمكان اختيار الخير !

٣- لا يجوز الاحتجاج بالقدر على الفعل الاختياري لأنك أنت الذي تختار، والله سبحانه حين كتب عليك شيئاً إنما كتبه لعلمه المطلق بما ستختاره من البدائل، فكتب عليك اختيارك، لأنه عز وجل أعلم بنفسك وبما ستفعل، فهو ليس كتاب قهر وإلزام بما لا تريد، وإنما كتاب قدرة ومعرفة وعلم، فرينا سبحانه وتعالى قد أحاط بكل شيء علماً، وهو سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون .

٤- أن أفعال العباد إنما هي منهم اختياراً وفعلاً ومن الله تعالى خلقاً وتمكيناً، فالله تعالى خلق العباد وأفعالهم، ولكنه عز وجل لم يقهرهم على شيء وإلا لقهرهم على الطاعة المطلقة له وهو على ذلك قادر وقدير .

فكيف يحتج العاصي على أن الله تعالى قهره، وكتب عليه ذلك، ولو أراد الله سبحانه استعمال القوة والقهر على الخلق لكان ذلك على الطاعة لا على المعصية، ولقهرهم وسخرهم كما قهر وسخر غيرهم، لكنه عز وجل يريد من خلقه إيمان قلوب فيأتوه طواعية مع قدرتهم على ألا يطيعوه لا يريد إخضاع قوالب بالقوة والقهر، ولو أراد ذلك لفعل؛ لا راد لما أراد ولا مانع لما شاء سبحانه وتعالى عما يصفون .

٥- كيف يحتج العاصي على الضلال ويقول كُتِبَ عليّ ولا يحتج على الطاعة، فكما أنه يقول كيف يعذبني الله تعالى على المعصية، وقد كتبها عليّ، فلماذا لا

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَادٌ) ..... (مُنَزَّلٌ) حَمْدُهُ . (مُرَادٌ)

يقول كيف يجزيني بثواب على الطاعة وقد كتبها عليه ؟ فهو سبحانه وتعالى الذي يوفق للطاعة، فلماذا يجزي العبد بها ثواباً عليها وهي من عنده توفيقاً ؟  
إذن في كل ما ذكر نعلم علماً يقينياً أن الله تعالى لا يظلم أحداً مصداقاً لقوله عز وجل : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (آل عمران) . ولقوله سبحانه : ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ (غافر) . ولقوله تعالى أيضاً لما ذكر كتاب الحسنات والسيئات : ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف) . وآيات غيرها كثيرة بهذا المعنى .  
إذن فالله تعالى هو الذي خلق، وهو الذي رزق، وهو الذي هدى، وهذه الهداية منه سبحانه نوعان :

١- هداية دلالة وإرشاد للمنهج، وهي مبدولة من الله تعالى للجميع، فالكل هداه الله سبحانه، وسلّحه بأربعة أسلحة لتعصمه من الهلاك، وتضمن له النجاة فيما لو تفكر وتدبر، وهي :

أ- سلّحه بنور الفطرة المطمورة بداخله، والتي تدله على الحق والخير والبر، وتخوفه من عواقب الشر والباطل والإثم دوماً، ولو لم يكن العبد مسلماً لدلّه نور الفطرة على الحق المبين في هذه الدنيا . وهذه الفطرة مطبوع عليها كل البشر سواء، ودلالات الحق فيهم جميعاً وبنفس الدرجة أيضاً متى سلمت من المؤثرات التي قد تغير مسارها مصداقاً لقول الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي : (إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، ثم قال تعالى : ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ (مسلم) .

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ..) [مسلم] .

## مَنُورٌ مَّخَانُورٌ . (مُرَارٌ) ..... (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ مَّخَانُورٌ . (مُرَارٌ)

ب- سلَّحه بدلالة العقل المنصف البصير الدال على كل منفعة وكل مضرة، ولو لم يكن هناك دين لمعرفة الحق وما ينفع وما يضر .

ج- سلَّحه بدلالة الحس وما فيه من مقومات التفريق بين الحق والباطل والهداية والضلال، فبيّن عز وجل ذلك ورَّتب عليه جزاء حسناً للمطيع وعقوبات للعاصي وعذاب شنيع .

والجزاء لا بد منه، لأن قانون الجزاء والحساب حتى البشر ما استطاعوا أن يغفلوه في حياتهم ! ففي أي تنظيم قائم ليس الملتزم به كالخارج عنه، فإذا كان هذا الأمر هو في عُرف البشر موجوداً فيما بينهم ومعمولاً به ويجازى الخارج عن القانون والنظام ويعاقب بحسب مدى ذلك ؟

أفلا يكون ذلك في حق الله تعالى من باب أولى وألزم، تحقيقاً لقوله سبحانه في محكم التنزيل : ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ [القلم] وقوله تقديس اسمه : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجنّة] . وغيرها من الآيات الكثيرة التي بهذا المعنى .

إذ كيف يستوي الفريقان ! سواء في محياهم أو في مماتهم، ولو أنهم تساوا في أي شيء لكان الظلم بعينه، وسبحانه وتعالى عن ذلك أبداً .

د- أرسل لهم أنبياء ورسلاً عليهم السلام، ليدلوهم على الخير وعلى المنهج الحق الذي هو من عنده عز وجل، وأمر الخلق باتباعه، وهو منهج نفعه للعباد ظاهر لا يشك في ذلك أحد ولا يختلف عليه اثنان من العقلاء .

وأيد أولئك الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام بخوارق ومعجزات وعلامات قوية دالة على صدقهم حتى لا يرتاب الخلق في حقيقتهم وحقيقة ما أرسلوا به وأمروا بتبليغه للعموم .

## مَنُورٌ جَنَانُهُ . أُرْدَارٌ ..... أَلْمُزَّجُ . مَنُورٌ جَنَانُهُ . أُرْدَارٌ

وكل هذا من مضامين هداية الدلالة والإرشاد التي جعلها الله عز وجل في كل خلقه، فمن استبصر اهتدى، ومن أعرض واستعمى ضلّ بنفسه، ونأى بها مصداقاً لقوله سبحانه لما ذكر قوم ثمود، فقال تعالى في شأنهم : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَعِقَةُ الْعَذَابِ الَّهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [فصلت] . والمعنى أننا دللنا ثمود على الحق الظاهر، وبيننا لهم ذلك بالمعجزات والآيات البينات بما لا يدع مجالاً للشك فأبوا قبوله وتكبروا واستحبوا ما هم فيه من ضلال وعمى فأضلهم الله تعالى ولم يوفقهم للأخذ بتلك الدلالة وذلك الإرشاد، وبالتالي ما قبلوا دعوته ولا ارتضوا دينه جلّت عظمته، بل كفروا به وجحدوا نعمه .

٢- هداية معونة وتوفيق وتثبيت على الحق للأخذ به والسير عليه، وهذه الهداية مبذولة لكل من قبل الهداية الأولى هداية الدلالة والإرشاد يزيده الله تعالى عندئذ تأييداً وتوفيقاً وحفظاً ورعاية وتولياً مصداقاً لقوله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ آهَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ يَقُولُهُمْ ﴾ [محمد] .

والمعنى أن من قبل دلالة الله تعالى وإرشاده للخير والحق يوفقه الله سبحانه حينها ويعينه لاغتنام وأخذ الدين والسير على منهجه، وحينها تكون قد تحققت له دلالة المعونة من الله عز وجل بعد أن قبل العبد دلالة الإرشاد والتوجيه .

إذن هما هدايتان : (إرشاد ومعونة) . والإرشاد بذله الله عز وجل لعموم خلقه فمن استرشد اهتدى ووفق للخير والبر والحق ومن رفض الإرشاد لم يوفق للخير والبر والحق، بل زاغ عنه باختياره وسوء تقديره فيكون هو الذي جنى على نفسه بنفسه مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [آل عمران] . والمعنى كيف يوفقهم الله تعالى لقبول الإيمان بعد أن أعرضوا عنه وأبوا قبول إرشاد الله تعالى وتوجيهه سبحانه لهم، بما جاء على ألسنة الأنبياء والمرسلين

## مَنُورٌ مَحْنَانٌ . أُرْدَارٌ ..... أُنْزَرُوبٌ ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . أُرْدَارٌ

عليهم الصلاة والسلام، وبالتالي فلا هداية معونة أبداً، متى رفضت هداية الإرشاد والتوجيه .

فمن أراد هداية التوفيق فليقبل هداية الإرشاد بما بيّن الله تعالى له ذلك، ومن اختار طريق الضلال وعمل الشر والباطل في دنياه فكيف يطلب الرضا والجنة ؟ وكيف يريد من الله تعالى أن يعامله ويعطيه كما يعامل ويعطي الصالحين المهتدين ؟ وهذا الأمر إن كان فهو ولا ريب ظلم عظيم لا يرضاه الله تعالى لعباده من عموم الفريقين سواء، كما قال عز وجل في محكم التنزيل وحكم بينهما بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ أَفْضَاءُ لَهُمْ ﴾ [الحشر] .

والمحصلة ! أن الله تعالى لا يريد لعباده الضلال أبداً، ولا يرضى لهم الظلم مطلقاً ولا فائدة له عز وجل من تعذيبهم متى أطاعوه ! وهو سبحانه يحب أن ينصلح حال خلقه أجمعين، لأنهم صنعته وصبغته وكل صانع يحب أن تكون صنعته حسنة صالحة لما جعلت وخلقت له، غير أن العباد متى عصوا وفسدوا وفسقوا وفجروا وخرجوا عن مراد ربهم سبحانه وتعالى لبس عليهم الشيطان الرجيم ليجرّهم إلى حيز الاعتراض والتمرد بعد حيز التعدي والفسوق، بدلاً من أن يتوبوا إلى الله عز وجل وينيبوا له، وذلك خير لهم لو كانوا يعلمون .

فرحمة الله تعالى واسعة وبابه مفتوح دوماً مصداقاً لقوله ﷺ : ( كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ) [الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني وأحمد والحاكم والدارمي] . اللهم أرشدتنا لكل خير وبر وحق فأيدنا بتأييدك ووفقنا بتوفيقك للأخذ بالمنهج القويم والسير على الصراط المستقيم .



## الباب السادس : مقارنة الأديان

- ١ - الكعبة قياماً للناس
- ٢ - القبلتين
- ٣ - بيت المقدس
- ٤ - اليهود والنصارى
- ٥ - عيسى عليه السلام (الصلب والشبيه)
- ٦ - رسالة عيسى عليه السلام ونبوته
- ٧ - كتب أهل الكتاب (التوراة)
- ٨ - التلمود
- ٩ - الإنجيل
- ١٠ - الزبور
- ١١ - دعوى تفضيل اليهود
- ١٢ - إرث النبوة (الإيمان)
- ١٣ - كفر الكافر وإيمان المؤمن
- ١٤ - خيرية هذه الأمة

نُورٌ حَقِيقٌ . دُرَرٌ ..... لُزْزٌ ..... نُورٌ حَقِيقٌ . دُرَرٌ

## ١ - الكعبة قياماً للناس

يقول الله تعالى في محكم كتابه العزيز : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ١٧] .

مفاد هذه الآية أن الله سبحانه قد جعل الكعبة قياماً للناس، والمعنى بتعظيمها يقوم أمرهم وتستقيم حياتهم، فكيف ذلك ؟ المعلوم أن قيام حركة الناس في هذه الحياة إنما يكون بتحقيق أمرين هما : (قيام الروح، وقيام البدن) :  
أ- أما قيام الروح فيكون بأداء حق الله تعالى من معالم دينه، وإقامة شرعه، وتطبيق منهجه، والكعبة هنا هي بيت الله الحرام، أي أنها أماكن مكان مكين منه ينبثق نور السماء فيشع دين الله تعالى في كافة أنحاء الأرض .

لذا سمي الله جل جلاله مكة بأمر القرى في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ [الشورى: ٧] . لأن بسلامتها يسلم الدين وبنفساها وهدمها آخر الزمان يفسد الدين، فيكون فساد العالم وقيام الساعة، لأنه لن يعبد الله تعالى حينها في الأرض .

إذن فوجود الكعبة في الأرض يعني وجود الأمن والأمان للبشر، لأن بقاءها يعني بقاء شرع الله تعالى الذي منها انبثق وانتشر، وأنه يوجد من يقيمه على ظهرها وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة: ١٢٥] . ومثابة أي أن قلوبهم متعلقة به يذهبون إليه ويرجعون إليه وهم على تلك الحال، وأمناً أي أماناً للخائف يؤمن فيه، وأيضاً أماناً للجميع ما دام البيت معموراً قائماً بذكر اسم الله تعالى فيه، ويتعبد العباد فيه بطواف وصلاة ونسك وذكر وطاعة .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

ولهذا جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ في آخر الزمان في شأن الكعبة : (يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ويسلبها حليتها ويجردها من كسوتها ولكأني أنظر إليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته ومعو له) [البخاري] . والفدع زيغ بين القدم وعظم الساق] . وبزوالها لا يجد الناس بيتاً يأوون إليه ويتعبدون الله تعالى عنده وفيه، فضلاً عن أن يحجون إليه، وهذا معنى قوله ﷺ في الحديث النبوي الشريف : (لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت) [البخاري] .

وبهدمها يرفع دين الله تعالى من الأرض، وحينها لا أمان لأهلها على ظهرها، وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض : الله، الله) [مسلم] . حين لا يبقى أحد في الأرض يقول : الله الله .

وأمر آخر وهو أن وجود الكعبة يرمز لوحدة المسلمين، فالكل يصلي إليها لأنها قبلة الجميع، وبالتالي فهي تمثل بؤرة العالم الإسلامي والكل تابع لأهل الحرم، وبذلك تحققت تبعية المسلمين التامة لأهل البيت الحرام .

ومن هنا كانت مكة المكرمة هي أساس الدين وبغية المسلمين، لأن فيها هبط الوحي ومنها نبع منهج الله تعالى إلى كافة أنحاء المعمورة .

وبالتالي فمتى حقق المسلمون الوحدة ونبذوا الفرقة فيما بينهم فقد تحقق دفع الضرر عنهم جميعاً، لأنهم يدُّ واحدة على من سواهم فتحقق بذلك جلب النفع لهم متى التَّقَوْا حول منهج الله تعالى معتصمين به، لأن مصلحتهم مصلحة واحدة، وذلك لأن شرع الله تعالى منها انبثق للعالمين أجمعين، وليس للمسلمين فقط !

وأمر فوق ذلك فمكة المكرمة لها عند الله تعالى حرمة خاصة بها غير باق البلدان، فكل من دخل حدود الحرم فهو آمن ومؤمَّن فيها حتى يخرج منها، وذلك

## مَنُورٌ مَّخَانَةٌ . مُرَادٌ ..... (الْمُرُورُ) ..... مَنُورٌ مَّخَانَةٌ . مُرَادٌ

لأن لها أماناً، أمن عام كسائر بقاع الأرض وأمن خاص بها، وهي دعوتنا أئينا إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام حين قال في دعوته الأولى : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ۖ ﴾ [البقرة] . لاحظ كلمة (بلداً) أي اجعل هذه البقعة من الأرض بلداً آمناً كسائر البلدان .

وذلك يكون باكتمال سائر مقومات الحياة كما هو الحال في كل البلاد، وأول تلك المقومات هو تحقق الأمان فيها لتكون صالحة للسكنى والاستقرار، فكانت دعوة إبراهيم عليه السلام الأولى : أن تكون مكة المكرمة بلداً آمناً كسائر البلدان، قال ذلك حين كانت أرضاً فضاءً وادياً غير ذي زرع لا ساكن فيه .

ثم قال عليه الصلاة والسلام في دعوته الثانية : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ۖ ﴾ [إبراهيم] . لاحظ كلمة (البلد) معرّفة والمراد بها مكة، والمعنى اجعل يا رب لهذا البلد الآمن مكة المكرمة آمناً آخر يخصها، لما تحتله من قداسة ومكانة عندك يا رب . وهذا الذي كان وحصل بالفعل والحمد لله رب العالمين، رب الزمان ورب المكان .

ب- وأما قيام البدن فيكون بتوفير قوام المادة وهو القوت من مأكل ومشرب ومن ثم بالمحافظة عليه، ومنهج الله تعالى المنبثق من الكعبة المشرفة أمر فيه سبحانه بحفظ الضروريات الخمس وهي : (النفس والعقل والدين والعرض والمال) .

وبحفظ هذه الأمور يكون قوام البدن والمحافظة عليه تماماً، فمن أقام شرع الله تعالى فقد حفظ هذه الأمور ولا ريب، وبالتالي فقد حافظ على نفسه وأنفس جميع المسلمين بل والعالمين، وكل ذلك لأنه أقام شرع الله عز وجل .

وأمر آخر هو خاص بأهل البيت الحرام ! وهو أن مكة المكرمة كانت وما زالت كما قال الله تعالى في شأنها : ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُحْبِبُوا إِلَيْهِ تَمَرَّتْ كُلُّ

## مَنُورٌ جَنَانُهُ . أُرْدَارٌ ..... (الْمُزَوَّبُ) ..... مَنُورٌ جَنَانُهُ . أُرْدَارٌ

شَيْءٌ رَزَقًا مِّنْ لَّدُنَّا ﴿٥٧﴾ [القصص] . تَكْرِمَةٌ لِّسَاكِنِيهِ وَجِيرَانِهِ، وَهَذَا كُلُّهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، أَيْ أَنَّهُ قِيَامًا لِلنَّاسِ بِتَطْبِيقِ شَرْعِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا، الْأَمْرُ الَّذِي سَيُوصِلُهُمْ إِلَى الْحَيَاةِ الْأُخْرَى الْأَبَدِيَّةِ . وَالْمَعْنَى أَنَّ فِي إِقَامَةِ شَرْعِ اللَّهِ تَعَالَى سِتْوَصْلَ حَيَاةِ الْمُسْلِمِ الدُّنْيَا بِالْأُخْرَى، فَيَنْعَمُ فِي الْحَيَاتَيْنِ سَوَاءً، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ حَكَمَ عَلَى حَيَاتِهِ بِالشَّقَاءِ وَحَكَمَ عَلَى آخِرِهِ بِالْهَلَاكِ وَسُوءِ الْمَصِيرِ .

وَبِالتَّالِيِ فَالْمَنْهَجُ الْمُنْبَثِقُ مِنَ الْكُعْبَةِ، هُوَ مَنْهَجُ اللَّهِ تَعَالَى الْحَافِظُ لِعُمُومِ الْبَشَرِ لِأَرْوَاحِهِمْ، لِأَنَّهُ مَنْهَجٌ حَقَّقَ مَصَالِحَهُمْ وَمَنَافِعَهُمْ، وَلَأَبْدَانَهُمْ لِأَنَّهُ أَمْرٌ بِحِفْظِ الْضُرُورِيَّاتِ الْخَمْسِ، فِي دُنْيَاهُمْ بِصَالِحَاتِهَا وَعِمَارَتِهَا، وَفِي آخِرَاهُمْ بِالْفُوزِ بِالْجَنَّةِ وَالنَّعِيمِ الْمَقِيمِ، لَا سَبِيلَ لِلخَلْقِ غَيْرَ ذَلِكَ؛ فَخِرَابُهَا يَكُونُ إِذَا ضَاعَ الدِّينُ، وَمَتَى ضَاعَ الدِّينُ فَقَدْ حُكِمَ عَلَى الْعِبَادِ بِالضِّيَاعِ .

لِذَا كَانَ بَقَاءُ الْكُعْبَةِ الْمَشْرِفَةِ يَعْنِي بَقَاءَ أَمْرِ الدِّينِ قَائِمًا، وَالَّذِي بِهِ يَكُونُ بَقَاءُ الْعِبَادِ وَالْخَلْقِ أَجْمَعِينَ بِإِقَامَتِهِ . اللَّهُمَّ احْفَظْ عَلَيْنَا دِينَنَا وَأَمْنَنَا وَأَرْوَاحَنَا وَأَبْدَانَنَا بِحِفْظِكَ وَبِمَا يَرْضِيكَ عَنَّا .



## ٢- القبلتان

ظل المسلمون طوال سنة ونصف بعد الهجرة النبوية الشريفة إلى المدينة المنورة وهم يصلون نحو بيت المقدس، فهو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، هذا هو المعروف لدى عامة الناس، لكن ما الحكمة التي من أجلها كان بيت المقدس هو أولى القبلتين ؟ مع أن الله سبحانه وتعالى قال في محكم النزيل : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران] .

فمعنى الآية أن الله تعالى وضع الكعبة المشرفة في مكة المكرمة للعالمين، وأن الذي بناها هم الملائكة الكرام قبل آدم عليه السلام، لأن مدلول الآية قوله عز وجل : (أول بيت وُضع للناس) ومعنى وُضع للناس (بسياق الماضي) تعني أن الذي وضعه غير الناس، فأفادت الآية أن الذي وضعه إنما هم الملائكة الكرام قبل آدم عليه السلام بأمر الله تعالى، فلما جاء آدم عليه السلام علّمه جبريل عليه السلام بمكانه وعُرفه وعَلّمه حدوده، وأبرز البيت العتيق على الأسس التي بنتها الملائكة الكرام عليه .

فإذا كانت الكعبة هي أول بيت وضعه الله تعالى في الأرض، وجعل البيت العتيق هدى للناس، فما الحكمة إذن من جعل بيت المقدس هو أولى القبلتين ؟ ثم لماذا لم تحوّل القبلة إلا بعد سنة ونصف ظل المسلمون يصلون فيها إلى بيت المقدس ؟ لماذا لم تكن الكعبة هي القبلة لكل الزمان ولكل الناس ؟ إذن لا بد من وجود حكم عظيمة وفوائد جليلة من ذلك . منها :

١- أراد الله سبحانه وتعالى أن يمايز بين قبلة الشرائع والرسالات السابقة وبين قبلة المسلمين فتكون قبلة واحدة لجميع الشرائع والرسالات السابقة، وتكون لآخر

## منزلة حفائز . (مرار) ..... (نزول) ..... منزل حفائز . (مرار)

الشرائع والرسالات السماوية قبلة مستقلة به، فكانت كل الشرائع السابقة على قبلة، وشريعتنا السمحة الخاتمة والناسخة لما قبلها على قبلة خاصة بها . وليثبت أيضاً أن منبع الأديان واحد فكلا القبلتين من عند الله تعالى، والحكمة كل الحكمة تكمن في اتباع أمره سبحانه بالتوجه إلى أية جهة كانت ! هذا هو المطلوب .

٢- إن تلك القبلة السابقة كانت مؤقتة ولزمن محدد بالضبط، كما هو شأن الرسالات السابقة المحددة للأنبياء والرسل السابقين عليهم الصلاة والسلام لقوم معينين، فهي قبلة لآلاف ومئات ألوف ليس إلا .

أما الكعبة المشرفة فقد أرادها الله عز وجل أن تكون القبلة الخاتمة فأخر سبحانه وتعالى ذلك حتى جاء آخر نبي بآخر رسالة لإقامة آخر شريعة في الأرض ولعموم الثقلين، فهي بذلك قبلة للملايين من سائر البشر من إنس وجن أيضاً وإلى قيام الساعة .

لكن لماذا لم تتغير القبلة بمبعث محمد ﷺ أو بمهاجره إلى المدينة المنورة مثلاً ؟ لماذا ظل المسلمون تلك المدة يستقبلون فيها بيت المقدس ؟

هنا تظهر الحكمة الثانية وهي إرادة الله تعالى أن يبين للعالم أن كل الشرائع والرسالات السابقة منسوخة العمل، وكلها موقوفة، وبالتالي على الجميع التوجه إلى الكعبة المشرفة قبلة آخر الأنبياء والشرائع الربانية ولا سواها قبلة .

ولأن كل دين أو شريعة سابقة منسوخة حتى التوجه لقبلة تلك فهي منسوخة، فلزم بذلك اتباع دين الإسلام والتوجه لقبلة، ولا دين ولا قبلة غير ذلك، وكل من عند الله تعالى الذي وجبت طاعته والامتثال لأمره سبحانه تماماً والانقياد له وبلا اعتراض .

## نُزُولُ حَمَانٍ . أُرْدَارُ ..... أُنْزِلَ ..... نُزُولُ حَمَانٍ . أُرْدَارُ

وكون التوجه إلى الكعبة المشرفة تأخر تلك الفترة حتى يعلم اتباع الأديان السابقة أن هذا الدين جاء من عند الله تعالى الذي جاء من عنده كل الأديان، وكلها كان له قبله واحدة ثم حوّل سبحانه وتعالى القبلة، ليثبت أن لهذا الدين قبله خاصة به، هذا بالإضافة ليتبين آنذاك المتبع من المتشكك في الأمر، كما كان حال المنافقين واليهود .

ثم لتفكر سوياً في قوله ﷺ لما ذكر آخر الزمان وعلامات القيامة عندما ذكر نزول عيسى عليه السلام فقال ﷺ : ( لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال : فينزل عيسى بن مريم ﷺ فيقول أميرهم : تعال صل لنا، فيقول : لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله لهذه الأمة) [مسلم] .

ففي الحديث بيان أن عيسى نبي الله ﷺ مع كونه نبي لم ينزل بدين جديد ولم ينزل ليُحيي النصرانية من جديد أو لينقض دين الإسلام ! وإنما جاء ليثبت للعالم كله ولا سيما لمن ادعى أنهم من اتباعه من اليهود أو النصارى صدق نبوة محمد ﷺ وصدق رسالته ﷺ وأنه لزم الجميع اتباعه والإيمان به واستقبال قبلة المسلمين بل والصلاة مع المسلمين كما جاء في شريعة الإسلام ومن لم يفعل ذلك كان كافراً بالله تعالى .

ولذلك قال ﷺ : (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم) [متفق عليه] . قال بعض شراح الحديث في معناه : (أن عيسى عليه السلام يصلي إماماً بكتابنا القرآن الكريم لا بكتابه الإنجيل، ومعنى إمامكم منكم أي كتابكم من شريعتكم) .

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدِّدْ) ..... (مُزَكَّرٌ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدِّدْ)

وقال البعض الآخر : (أنه عليه السلام يصلي خلف المهدي مأموماً ليدفع شبهة أنه جاء ليُحيي النصرانية وليثبت صدق دين الإسلام على ما جاء به محمد ﷺ وأنه عليه السلام أول اتباع محمد ﷺ) .

والمهم في الموضوع هو أنه عليه السلام يصلي بصلاتنا كما في شريعتنا ليؤكد صدق نبوة محمد ﷺ وأن شريعة الإسلام هي الخاتمة والباقية إلى يوم الدين .

ومن الحكم أيضاً أن آخر رسالتين كانتا تتجهان إلى بيت المقدس أرض الأنبياء عليهم السلام، فحولت القبلة إلى الكعبة المشرفة فكانت شريعة الإسلام آخر الشرائع الربانية والكعبة المشرفة ناسخة للقبلة السابقة لها، وهي أرض آخر الأنبياء والمرسلين وخاتمهم وهو محمد ﷺ صاحب الدعوة العامة والقبلة العامة والشريعة العامة للدين العالمي العام ألا وهو الإسلام . اللهم احفظ علينا ديننا وقبلتنا وعقيدتنا وأمننا وأماننا يا حفيظ .



### ٣- بيت المقدس

بيت المقدس هو الأرض التي تدّعي ثلاث طوائف أنه لها، وهم : (اليهود والنصارى والمسلمون) . ولو نظرنا لتحقيق ذلك فالكلام هنا سينحني بنا إلى منحنيين اثنين تاريخي وديني .

أما المنحني التاريخي فهو يُقَرَّر أن بيت المقدس هو فعلاً ملك الطوائف الثلاث سواء، كيف ذلك ؟ عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال : قلت : يا رسول الله أي مسجد وضع أول قال : (المسجد الحرام)، قلت : ثم أي، قال : بيت المقدس، قلت كم بينهما، قال : أربعون سنة<sup>١</sup> [متفق عليه] .

فكان أول من بنى بيت المقدس هم الملائكة عليهم السلام بعد بنیان الكعبة المشرفة، وقيل آدم عليه السلام، ثم جاء يعقوب عليه السلام بعد ذلك فبنى بيت المقدس وأخرجه للناس على ما كان من أسس، ثم جدد بناءه داود عليه السلام، ثم جاء سليمان عليه السلام من بعده وبنى ما يسمى بالهيكل السلیماني . وعلى ذلك يكون زعم اليهود أن القدس لهم زعم صحيح<sup>١</sup>، يؤيده التاريخ لأن أبوهم يعقوب عليه السلام هو الذي أعاد بناءه ثم جدد بناءه من بعده داود وسليمان عليهما السلام .

ثم لما فسق اليهود وبدلوا دينهم وحرفوه، بعث الله تعالى عيسى عليه السلام ليصحح الدين الذي حُرِّف، وبذلك زال حكم اليهود عن بيت المقدس، وورثه النصارى من بعدهم وحكموه مدة من الزمن .

---

<sup>١</sup> قصدت بذلك من حيث كونهم تملكوا الأرض المقدسة مدة من الزمن أيام أنبيائهم عليهم السلام .

## مَنُورٌ حَمَّانٌ . (مَرَارٌ) ..... (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ حَمَّانٌ . (مَرَارٌ)

وبذلك صدق زعم النصارى من أن بيت المقدس لهم، لأنهم انتزعوه من أيدي اليهود وحكموه بسلطة زمنية تختلف عن اليهود .

ثم لما حصل التحريف في النصرانية كما حصل في اليهودية بعث الله تعالى محمداً ﷺ ليصحح دين الله تعالى الذي حرّف، وليقيمه في الأرض بخير شريعة، ففتح المسلمون بيت المقدس وورثوه من أيدي النصارى فكان لهم .

وبذلك كانت الطوائف الثلاث قد امتلكت حكم بيت المقدس سلطة زمنية مؤقتة . وكما هو معروف عند الجميع من أن حكم أية أرض يكون تبعاً لمن ملك وتسלט وحكم وليس لمن بنى أولاً ثم زال حكمه عنها لأي سبب كان، هذا من الناحية التاريخية .

أما المنحى الديني فاليهود كان لهم بيت المقدس بأمر الله تعالى لما أمر موسى عليه السلام أن يدخل بقومه الأرض المقدسة، فتنكروا لذلك وأبوا ولم يدخلوه حينها حتى كان زمن النبي يوشع عليه السلام، الذي دخل بني إسرائيل بيت المقدس فملكوه فترة من الزمن، سلطة دينية باسم الدين .

ثم لما جاء عيسى عليه السلام ملك النصارى بيت المقدس وحكموه باسم الرب، واسم المسيح واسم الصليب لما فسدوا، مدة زمنية أخرى وخلفوا اليهود عليه . ثم لما جاء محمد ﷺ وكانت الفتوحات فُتح بيت المقدس وورثه المسلمون باسم الدين الإسلامي .

وهنا الوقفة الحقيقة والجادة ! وهي من ياترى من تلك الطوائف الثلاث أولى ببيت المقدس من الناحية الدينية . وبما أن النظرة دينية والمنحى ديني فالأولى ولا ريب هو من كان على الدين الرباني الحق ! وحينها يتبين لنا أن المسلمين هم الأولى به دون شك .

## مَنُورٌ حَمَائِقُ . أَمْرٌ رَر ..... أَمْرٌ رَر ..... مَنُورٌ حَمَائِقُ . أَمْرٌ رَر

فاليهود ليسوا على الدين الحق وإلا لأقروا بنبوة محمد ﷺ واتبعوه، وحينها كانوا سيعترفون بأن القدس إسلامي بأمر الله تعالى وحسب دين الله عز وجل، ألا وهو الإسلام الناسخ لكل ما جاء قبله من أديان .

وكذلك النصارى ليسوا على الدين الحق وإلا لأقروا بنبوة محمد ﷺ واتبعوه، وحينها كانوا سيعترفون بأن بيت المقدس للمسلمين بأمر الله تعالى وبحسب دينه العالمي والخاتم والناسخ لما قبله .

إذن الحق أن القدس من الناحية الدينية هي للمسلمين، فلا اليهود ولا النصارى على الدين الحق، حتى يدَّعوا أنها لهم، ولئن كانوا قد بدلوا دين الله تعالى وحرفوا كتبه وقتلوا الأنبياء عليهم السلام وغيروا الشرائع، فكيف يدَّعون ويزعمون ديناً أن لهم أرضاً مقدسة في دينهم !

على أي دين يا ترى ؟ الدين المحرف ! فما فائدة كونها أرضاً مقدسة إن كانوا قد بدلوا الدين الرباني الأصيل، وحرفوا الكتب السماوية، فهل بقي من قداستها شيء حينها ؟

وهنا تساؤلان مهمان، الأول : وهو المعروف أن اليهود والنصارى بينهم عداوة ديني كبير لا منتهٍ أثبتته كتب التاريخ، حتى كتبهم أثبتت ما جرى بينهم من مذابح ومعارك عبر سنين طويلة، والسؤال المهم كيف توحدت جهودهم في عدائهم للمسلمين ؟

فاليهود منذ القدم وإلى اليوم وهم يقولون أن عيسى عليه السلام ولد زناً، ومع ذلك لا يعاديهم النصارى كما يعادون المسلمين، فلماذا ؟ والجواب هو أن هناك بُعداً آخر في الموضوع ألا وهو عقيدة الطوائف الثلاث في عيسى عليه السلام .

## مَنزُورٌ حَمَّانٌ . (مَرار) ..... (مَنزُورٌ) ..... مَنزُورٌ حَمَّانٌ . (مَرار)

فنحن المسلمون عقيدتنا فيه عليه السلام أنه سينزل آخر الزمان وسيقتل المسيح الدجال وسيحكم الأرض مدة من الزمن قضاها الله تعالى، ونزوله هو إحدى علامات الساعة الكبرى .

وكذلك اليهود والنصارى ثابت عندهم وفي عقيدتهم وكتبهم أن عيسى عليه السلام الذي يسمونه يسوع سينزل آخر الزمان وسيخلص العالم، ولهم في ذلك أقوال كثيرة أغلبها هراء، غير أن الموقف الذي اتفقوا معنا فيه هو أن عيسى عليه السلام سينزل آخر الزمان بالفعل وسيقوم بدور مهم في إقامة دين الله تعالى الحق .  
والفاصل في الموضوع هو علمهم أن عيسى عليه السلام سينزل قبل قيام الساعة في زمن سيمتلئ ظلماً وجوراً، ووقتئذ ستقتل قوتان عظيمتان تصطرعان على بيت المقدس وهما اليهود والمسلمين وهذا ثابت في كتابهم المقدس .

فأين النصارى هنا ؟ النصارى هي الطائفة التي ترثب نزول عيسى عليه السلام وتنتظر ذلك بفارغ الصبر، وهو المخلص حسب عقيدتهم وهو لن ينزل إلا إذا تقاتلت تلك الطائفتين على بيت المقدس، وهم يريدونه أن ينزل بسرعة وينهي الوضع ويخلص العالم .

ومن هنا كان موقف النصارى هو موقف الداعم دائماً لليهود ولمساعيهم ترقباً لنزول عيسى عليه السلام في أقرب فرصة .

ومن هنا كان النصارى يدبرون دوماً لأن يصطدم المسلمون باليهود، وألا تهدأ الفتنة بينهم أبداً، ليتحقق تقاتل الطائفتين على أرض بيت المقدس فينزل حينها عيسى عليه السلام ويخلص العالم كله من الشقاء والعناء . وهذا كله يثبت ويؤكد أن الصراع بين الطوائف الثلاث إنما هو صراع ديني بحت .

## مَنُزِّلُ حَقَائِقِهِ . أَمْرٌ رَر ..... أَلْمُزَوِّبُ ..... مَنُزِّلُ حَقَائِقِهِ . أَمْرٌ رَر

وما دام أن الصراع ديني فالأولى بيت المقدس هو من كان على الدين الرباني الحق ألا وهو دين الإسلام الخاتم !

أما التساؤل الثاني : فهو ما دامت مكة المكرمة هي أحب البقاع إلى الله تعالى، وفيها الكعبة المشرفة أول بيت وضع للناس، ومحمد ﷺ هو آخر الرسل بعث في مكة وخرج منها، ثم عاد إليها وفيها نزل عليه الوحي، فلماذا حين عُرج به إلى السماء ﷺ ما عُرج به من مكة المكرمة ! بل أُسري به إلى بيت المقدس، ومن ثم من هناك عُرج به إلى السماء ؟ فرأى فيها ما رأى في حادثة معراجهِ ﷺ ثم نزل إلى بيت المقدس مرة أخرى وصلى بالأنبياء عليهم السلام فيه، وأُمِّهُم ثم عاد إلى مكة المكرمة، فما الحكمة الربانية من كل ذلك ؟ لماذا دخل بيت المقدس في الحادثة، ولماذا لم يُعرج به ﷺ من مكة المكرمة ؟ مع أنها أفضل وأحب البقاع إلى الله تعالى وفيها القبلة العامة لجميع البشر .

هنا تظهر لنا الحكمة البالغة في ذلك وهو أن الله تعالى أراد أن يُدخل قداسة بيت المقدس ضمن مقدسات الإسلام أولاً، وثانياً ليعلم العالم كله أن مبعثه ﷺ ناسخ لكل ما كان قبله فهو ناسخ للرسالات، وناسخ للشرائع، وناسخ للقبلة، وناسخ للكتب السماوية، وناسخ لكل ما جاء به الأنبياء عليهم السلام من قبله، فلا يدعي أحد أن هناك أي شيء مما يخص الدين بقي لم يُنسخ .

ولذلك قال ﷺ لما رأى ورقة من التوراة في يد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فغضب ﷺ وقال : (أمتهموكون فيها يا بن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه أو يبطل فتصدقونه والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني)[أحمد وابن أبي شيبة والبزار والبيهقي في الشعب والهيثمي والسيوطي في

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

الجامع وصححه الألباني من أحاديث المشكاة . والتهوك هو التحير والتشكك والاضطراب] . وفي رواية : ( لو كان موسى وعيسى حيَّين لما وسعهما إلا اتباعي ) .

وإذن فلو أن محمداً ﷺ عرج به من عند الكعبة المشرفة من مكة المكرمة لما كان لبيت المقدس مدخل ومكانة ضمن مقدسات المسلمين هذا أولاً . أما ثانياً فلربما ادعى بعض المشككين أنه بقي شيء من تلك الرسائل السماوية من اليهودية والنصرانية يُتَعَبَّدُ به الله تعالى .

ولكن وبحادثة الإسراء والمعراج انقطع الشك باليقين، وتؤكد النسخ لكل شرائع الدين بمبعث سيد المرسلين، وفي نفس الوقت دخلت قدسية بيت المقدس ضمن مقدسات المسلمين .

وأمر ثالث ليعلم العالم كله أن محمداً ﷺ هو سيد المرسلين صلى بجميع الأنبياء في بيت المقدس، وكان إمامهم، عليهم جميعاً الصلاة والسلام، وفي ذلك دلالة على أن دين الله تعالى واحد وإن تعددت الرسائل السماوية والتي خُتِمت برسالة محمد ﷺ المبعوث لكل الخلق بل ولعموم الثقلين أجمعين وإلى قيام الساعة والحمد لله رب العالمين . اللهم رد المسجد الأقصى إلى أحضان المسلمين وطهره وأنقذه من براثن المعتدين الغاصبين وارزقنا فيه صلاة قبل الممات يا عزيز .



#### ٤ - اليهود والنصارى

نقرأ في كتاب الله تعالى قوله عز وجل : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة] .

ففي معنى هذه الآية ذكر كثير من المفسرين أن المقصود بالمغضوب عليهم هنا هم اليهود، والمقصود بالضالين هم النصارى، فلماذا هذا التفريق، ولماذا النصارى ضالون وليسوا مغضوباً عليهم، كما هو حال اليهود، مع أن كلاهما حرّف دينه وخرج عن مضمون شرع الله تعالى وعن منهج رسوله الذي أرسل إليه ؟ بل إن النصارى في ميزان الشرائع أبعد عنا من اليهود . لأسباب :

أ- فاليهود لم يقولوا كما قال النصارى أن عيسى هو الله، وهو ابن الله، وهو ثالث ثلاثة، بل عرفوا ربهم وقالوا هو رب العالمين .

ب- واليهود لم يشركوا بالله تعالى كما أشرك النصارى، وقالوا بالتثليث .

ج- واليهود لم يدّعوا لله عز وجل الولد كما ادّعى النصارى، سوى فرقة من فرقهم قالوا عزيزاً ابن الله . تعالى ربنا عن ذلك وعلا علواً كبيراً .

د- واليهود لم يخلطوا بين صفات الخالق والمخلوق، كما حصل عند النصارى وأقوالهم في عيسى عليه السلام .

فكيف يكون حكم الله تعالى على اليهود أقسى من حكمه سبحانه على النصارى، مع أن النصارى أبعد عن منهج الأديان السماوية في ميزان الشرع والعقل ؟ والسبب في ذلك يعود إلى خمسة أسباب :

- الأول . لأن اليهود يعلمون تماماً أن الله تعالى هو الخالق الرازق والمدبر والمصرف وهو سبحانه الذي أرسل الرسل لعموم البشر، ويعلمون أيضاً أن رسولهم هو موسى

## مَنُورٌ حَمَانِيٌّ . (مُرَارٌ) ..... (مُنَزَّهٌ) ..... مَنُورٌ حَمَانِيٌّ . (مُرَارٌ)

عليه السلام نبي الله تعالى أنزل عليه عز وجل من السماء كتابه التوراة، ويعلمون أن الله جل جلاله أرسل إليهم بعد موسى عليه السلام جملة من الرسل، ورغم معرفتهم بكل ذلك تجرؤا على الله تعالى وعلى ذاته العلية وكذبوا الرسل وقتلوا الأنبياء وحرفوا الكتب السماوية وغيروا وبدلوا دينهم .

وفوق كل ذلك لم يعترفوا ولم يقرروا بنبوته عيسى عليه السلام ولا بالإنجيل ولا بنبوته محمد ﷺ ولا بالقرآن الكريم، فاستحقوا بكل ذلك بعد أن عرفوا الحق وأعرضوا عنه وشككوا فيه أن يكونوا فعلاً هم المغضوب عليهم حقاً وصدقاً وعدلاً .

أما النصارى فقد فسدت عقيدتهم فاختلفوا أول أمرهم في حقيقة وجود عيسى عليه السلام هل هو الإله أو ابن الإله أم هو مرسل من عند الإله ؟ ثم اختلفوا في نهايته أقتل وصلب أم رفع إلى السماء ؟

ففسد بفساد عقيدتهم تلك كل شيء في دينهم إجمالاً فضلوا الطريق لأنهم لم يعرفوا الحق بل تخطبوا فيه واختلفوا وتفرقوا .

- الثاني . أن الرسالة اليهودية أول ما حرّفت كان ذلك على يد الرهبان<sup>١</sup>؛ والأخبار اليهود أنفسهم فتبعهم العامة على ذلك التحريف .

أما الرسالة النصرانية فاليهود هم الذين أول من حرّفها وأفسدها على أتباعها، ثم تبعهم على ذلك التحريف القساوسة والرهبان النصارى، ومن ثم تبعهم العامة منهم بجهلهم بالحقائق غالباً . فكان اليهود بذلك هم من حرّف الديانتين .

- الثالث . أن الرسالة اليهودية جاءت منفكة عن غيرها من الرسالات فحرف الرهبان والأخبار دين الله تعالى .

---

<sup>١</sup> الراهب هو المنقطع للعبادة، وتطلق على اليهود والنصارى وغيرهم من أتباع الأديان .

## مَنُورٌ مَخَانَةٌ . أُرْدَارٌ ..... أَلْمَزَقُوبُ ..... مَنُورٌ مَخَانَةٌ . أُرْدَارٌ

أما الرسالة النصرانية فقد جاءت على إثر اليهودية ولتقيم ما أفسده اليهود من رسالتهم، وجاء الإنجيل مكماً لمنهج وأحكام التوراة فجحده اليهود الإنجيل وأنكروه بعد أن حرفوا التوراة قبله وبدلوها، ففسدت بذلك كلتا الرسالتين سواء، اليهودية عن قصد لأن اليهود لم يعترفوا بنبوّة عيسى عليه السلام ولم يقبلوا كتابه الإنجيل، والنصارى عن ضلال لأنهم لم يتفقوا في حقيقة وجود عيسى عليه السلام ولا في نهايته، ولا سيما مسألة قتله وصلبه<sup>١</sup>.

- الرابع . أن اليهود كفروا بعيسى عليه السلام وبمحمد ﷺ مع أن نصوص التوراة أثبتت قطعاً نبوتهما صلوات ربي وسلامه على جميع الأنبياء والمرسلين، وكل ذلك بغية تحريف دين الله تعالى .

أما النصارى فقد آمنوا بعيسى عليه السلام رغم ضلالهم فيه واختلافهم في وجوده ونهايته، ثم كفروا بمحمد ﷺ لأن التوراة وصلتهم محرفة ومحدوف منها الكثير مما يثبت ذلك .

- الخامس . أن اليهود غيروا دين الله تعالى وبدلوه وحرفوا التوراة عن قصد، بل وأرادوا قتل محمد ﷺ وتحريف القرآن الكريم، ولو استطاعوا لفعلوا ذلك، ولكن الله تعالى تولى حفظ نبيه ﷺ وحفظ كتابه العزيز .

أما النصارى فكان أول أمرهم التحريف عن ضلال لا عن قصد، ثم هم لم يحاولوا قتل النبي ﷺ كما حاول اليهود، ولم يكن عداؤهم للنبي ﷺ وللمسلمين من بعده كما هو عداؤ اليهود، بل إن أكثرهم متى تبين له الحق آمن بالله تعالى وبمحمد ﷺ واعتنق الإسلام .

---

<sup>١</sup> سأتكلم عن هذه النقطة بعد هذه المقالة .

## مَنُورٌ مِثْلُ مَنُورٍ . أُرْدَرُ ..... أَلْمُزَقُّبُ ..... مَنُورٌ مِثْلُ مَنُورٍ . أُرْدَرُ

لذا قال سبحانه وتعالى في محكم كتابه في شأن اليهود والنصارى : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَتَلُوا نَبِيَّكُمْ وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المائدة] .

وبالتالي لم يعرف النصارى صحيح التوراة الذي عند اليهود ليكملوا به الإنجيل<sup>١</sup>، فضلوا بذلك؛ بسبب ضلال اليهود وتحريفهم للرسالتين، وبالتالي استحق كل فريق منهم الوصف المناسب له . اللهم اهدنا الصراط المستقيم صراط المؤمنين الصادقين الذين أنعمت عليهم غير اليهود المغضوب عليهم المحرفين المبدلين ولا النصارى الضالين التائهين .



---

<sup>١</sup> عمل اليهود بعد رفع عيسى عليه السلام على صهيئة الديانة المسيحية، وقاموا بضم التوراة المحرفة إلى الإنجيل المحرف، فخرج ما يسمى بالكتاب المقدس الذي يحوي التوراة والإنجيل معاً . وسيأتي الحديث عنه .

مَنُورٌ جَنَانُهُ . أُرْدَرُ ..... أُنْزَرُ . مَنُورٌ جَنَانُهُ . أُرْدَرُ

## ٥- عيسى عليه السلام (الصلب والشبيه)

يقول الله جلت قدرته في كتابه النور الساطع والحق الواقع في قضية نهاية عيسى عليه السلام : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء] . لكن المشهور عند النصارى هو أن عيسى عليه السلام قد قتل وصلب، فما حقيقة ذلك عندهم ؟ هل هو تكذيب ومراوغة منهم ؟ أم هو شك في الأمر ؟ أم يقين ؟ بأن ما يقولونه صحيح عندهم ؟

وإن كان ما عندنا هو خلاف ذلك ؟ وأي الفريقين نحن أم هم على الحق والصدق ؟ وأينا أثبت في حقيقة وجود عيسى عليه السلام، وفي كيفية نهايته نحن أم هم ؟ طبعاً إن تنزلنا معهم في الحديث عن ذلك .

فبحسب التاريخ . النصارى أثبت منا في عيسى عليه السلام، فهو نبهم وهم عاصروه ورأوا ميلاده، وهم بأنفسهم شاهدوا عياناً قتله وصلبه، وكل المعاصرين لذلك رأوه مصلوباً على الصليب وظل عدة أيام حتى أنزلوه من خشبة الصلب . في حين نحن المسلمون لا نعرف شيئاً من كل ذلك، ولم نشاهد شيئاً مما ذكر من الميلاد أو القتل والصلب، لكننا مع ذلك خالفناهم وكان من المفترض أنهم هم أعلم منا وأدرى بتأريخهم وبنهاية نبهم عيسى عليه السلام !

فلماذا نحن خالفناهم ولم نأخذ عنهم ؟ وما حقيقة القول بالشبه الذي ذكره القرآن الكريم ؟ وما الحكمة من ذلك ؟ وهل هذا الشبه يكفي ليثبت للعالم نهاية عيسى عليه السلام بتلك الكيفية ؟ وهل يُعذر النصارى بسبب جهلهم بذلك الأمر ؟ وما هو الواجب على النصارى فيما لو قلنا بصلب عيسى عليه السلام بحسب عقيدتهم ؟ كل هذه الأمور تحتاج لبحث دقيق فأقول :

## مَنُورٌ جَنَانُهُ . أُرْدَارٌ ..... أَلْمُزَقُّبُ ..... مَنُورٌ جَنَانُهُ . أُرْدَارٌ

- صحيح أن النصارى أعلم منا وأثبت بتأريخهم لكن لا يخفى على أحد مدى التحريف الذي لحق بتأريخهم كما حصل بدينهم وعقيدتهم، ويثبت ذلك اختلافهم في الكثير من أمور دينهم، وإذا كان التحريف قد حصل في كتابهم المقدس فكيف بما سواه، ثم إننا مع ذلك لم نأخذ ما حصل لهم من كتب التأريخ ولا حتى من كتبنا نحن بل أخذناه من كتاب ربنا جل في علاه الفیصل فی الموضوع، وهو القرآن الكريم الذي قص علينا القصة وما فيها . إذن نحن أخذنا كل مجريات الأحداث من كتاب الله عز وجل وهو القرآن الكريم الكتاب السماوي المحفوظ عن التحريف بحفظ الله تعالى له .

أ- هذا القرآن قص علينا أن عيسى عليه السلام ولد من أم فقط بغير أب وهي مريم عليها السلام .

ب- وهذا القرآن قص علينا أن عيسى عليه السلام رفع إلى السماء وأنه لم يقتل ولم يصلب .

ج- وهذا القرآن قص علينا أن المقتول والمصلوب ليس هو عيسى عليه السلام على الحقيقة وإنما هو شبيهه؛ شبه لهم ذلك، أما عيسى عليه السلام فقد رفع إلى السماء . وهنا الوقفة الجادة .

فالقرآن الكريم حكى لنا عن ذلك الشبيه حال رفع عيسى عليه السلام فقط، لكنه لم يحك لنا كيفية إلقاء الشبه عليه ؟ ولا ما حصل له بعد ذلك بالضبط ؟ وما من شك فإن الله سبحانه وتعالى حكمة بالغة أرادها عز وجل من إلقاء ذلك الشبه .

فلو أن عيسى عليه السلام مثلاً رفع إلى السماء وحسب ولم يلق الشبه على أحد من الحاضرين معه حال الرفع، لما اختلف النصارى عندئذ لأنه سيكون رُفِعَ ولم

## مَنزُورٌ حَمَاقَةٌ . (مَرَارٌ) ..... (مَنزُورٌ) ..... مَنزُورٌ حَمَاقَةٌ . (مَرَارٌ)

يجدوه حينها، وبالتالي لن يشهد أحدٌ على أنه قتل وصلب، لكن كون الشبه أُلقي على أحد الحاضرين بالفعل فأروه كما لو كان هو عيسى بعينه، فأخذوا ذلك الشبيه وقتلوه بالفعل وصلبوه بالفعل وبقي على الصليب أياماً والكل يرى ذلك، فما الذي سيقنع النصارى بعد ذلك من أن المقتول والمصلوب ليس هو عيسى عليه السلام على وجه الحقيقة وأن الأمر وقع على الشبيه !

هل سيصدق النصارى ذلك بعد أن رأوا بأعينهم الشبيه يقتل ويصلب وهو على صورة عيسى وإن لم يكن هو عيسى عليه السلام ؟ ثم هل سيقبلون منا أو من غيرنا أن عيسى لم يقتل ولم يصلب وقد رأوا بأعينهم ما يخالف ذلك ؟ كيف سيقبلون بقضية الشبيه ولا سيما أنهم يحتجون علينا بأننا لم نر ذلك ولم نشهده ولم نحضره فكيف نحكم على شيء لم نره ولم نحضره ؟

إذن القضية كل القضية في مسألة الشبيه ولا سيما لمن حضر الواقعة وشاهد وعين القتل والصلب آنذاك، وبالأخص أن محمداً ﷺ لم يكن حينها قد بعث في ذلك الوقت ليثبت بحجة القرآن الكريم حقيقة ما حصل فكيف كان أولئك الأقوام سيعرفون الحق ويقتنعون به ؟

ومن هنا نشأت كل العقائد المسيحية التي قالت بالقتل والصلب، وبالتالي توارثوا تصديق تلك العقيدة بحسب كلام وكتابات مؤرخيهم وعلمائهم، وبقي الأمر حتى جاء الإسلام فمن تبين له الحق وقتئذ وعرفه هداه الله تعالى للإسلام وشرح له صدره .

وبقيت مسألة الشبيه هي القضية، ولبيان الأمر ومعرفة الحق فالنصارى هنا ينقسمون إلى قسمين :

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . أَمْرٌ دَر . . . . . أَلْمَزَقُ . . . . . مَنُورٌ مَحَنَانٌ . أَمْرٌ دَر

- القسم الأول . بالنسبة لمن شهد ميلاد عيسى عليه السلام ثم شهد القتل والصلب على ذلك الشبيه، فنقول له كما أن ميلاده عليه السلام كان معجزة من غير أب، وشهد بذلك الجَم الغفير ممن حضر وعان وشهد كلامه في المهد، فيجب أن يؤمن أن نهايته كذلك كانت هي أيضاً معجزة برفعه وعدم قتله وصلبه، ومن حضر الرفع من اتباعه الحواريين شهود على ذلك كما أن من حضر الميلاد حال كلامه في المهد شهود على ذلك .

إذن على كلامه في المهد شهود وعلى رفعه إلى السماء وعدم قتله وإلقاء الشبه على غيره شهود، فكما أن ميلاده كان معجزة شهدوا بها فلماذا هم ينفون أن تكون نهايته هي أيضاً معجزة ! كان الأولى بهم أن يصدقوا خبر رفعه على أنه معجزة كما أن ميلاده كان معجزة أمام أعينهم .

فكان على كلا الأمرين شهود منهم، كلامه في المهد ورفعته إلى السماء، وإذا كان عموم النصارى قد قبلوا كلام الحواريين الذين حضروا الرفع وقبلوا منهم التبشير بالإنجيل على لسان عيسى عليه السلام وأخذوا بذلك، فلماذا لم يقبلوا منهم قولهم بأنه رفع أمام أعينهم ؟

وأمر آخر أنه ورد في (إنجيل مرقس الإصحاح ١٦) <sup>١</sup> . وفي (إنجيل لوقا الإصحاح ٢٤)، رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، وقد ثبت فيهما لدى النصارى أن عيسى عليه السلام بعدما صُلب (بحسب زعمهم) شوهد حياً بجسده ثم رفع بعدها إلى السماء، وإن كان ذكر الرفع الوارد في الإنجيل في غير موضعه

---

<sup>١</sup> تقسيم التوراة والإنجيل ليس كتقسيم القرآن الكريم، فعندنا في القرآن الكريم جزء، يقابله في التوراة والإنجيل سفر . وعندنا في القرآن الكريم سورة، يقابلها في التوراة والإنجيل إصحاح . وعندنا في القرآن الكريم آيات، يقابلها في التوراة والإنجيل نصوص، وبعض العلماء يطلق عليها آيات أيضاً .

## مَنُورٌ حَمَانٌ . أُرُورٌ ..... أُنُورٌ حَمَانٌ . أُرُورٌ

الصحيح بحسب روايات الإنجيل، لأنهم ذكروه بعد القتل والصلب، غير أن المهم في الموضوع هو ثبوت رؤيته حياً ثم ثبوت رفعه إلى السماء .

أما مسألة اختلافهم في الموضوع الذي ورد فيه ذكر الرفع في الإنجيل ومسألة متى ذلك، فسببه الخلط والخطأ الذي حصل عندهم ممن كتب الإنجيل ! طبعاً هذا بعدما حصل فيه من تحريف .

- القسم الثاني . بالنسبة لمن جاء بعد ذلك ولم يشهد لا الميلاد ولا الرفع من القتل والصلب فحجته في معرفة الحق من ذلك ما جاء في كتاب الله تعالى من قصة عيسى عليه السلام الواردة فيه، ولا سيما وأنه كتاب معجز لا يستطيع أحد مهما كان؛ تكذيبه والإتيان بمثله، وقد ورد فيه ذكر الخبر كاملاً دون شك أو ريب، وبالأخص أن النصارى قد اختلفوا في كتبهم في ذلك، والاختلاف مظنة التحريف لمن أراد معرفة الحق، وإلا كيف يختلفون في حقيقة نبهم اختلافاً جوهرياً قوياً وهو العمدة في دينهم وعقيدتهم لو كان ما يقولونه حقاً ؟ وهذا الخلاف ليس أمراً طارئاً بل هو ثابت في كل نسخ كتابهم المقدس ولا تفسير حقيقي منطقي له سوى أن الأمر قد حصل فيه الكثير من التحريف ولا ريب .

- أما مسألة هل يُعذر النصارى في كونهم خلطوا بين الرفع أو القتل والصلب بما شاهدوا وحضروا وعانوا، ولا سيما أن كتابهم محرف على يد اليهود، ومن ثم على يد قساوستهم، فقبول العذر هنا بحسب درجة النصراني المسيحي ومدى تحرره من قيود التحريف الحاصل عندهم ومدى معرفة ذلك من عدمه فلا عقيدة سليمة ولا معتقد يؤيد الواقع .

لأن العالم منهم ليس كالجاهل، أما العالم فلا بد وأن يكون قد ظهر له الحق وتبين منه بما يعلم من تاريخ النصرانية المحرف، وأما الجاهل فيكفيه التناقض الحاصل

## مَنزُورٌ حَقَائِقُهُ . (مَرار) ..... (مَنزُورٌ حَقَائِقُهُ) . (مَرار)

عندهم ولا سيما في أناجيلهم الأربعة، ومدى الاختلاف الحاصل فيها وهو أمر لا يخفى على أحد منهم . وبالتالي فكيف ينتمي الإنسان لدين اختلف علماؤه في حقيقة نبيهم وفي نهايته، وفي الكتاب الذي جاء به، وهذا كله يدعو للشك والريبة في متناقضات لا يمكن إغفالها أو تجاهلها وتجعل الإنسان يبحث عن الحقيقة بكل تعقل وحيادية، ولو أرادها لوجدها بلا عناء أو تعب .

- أما قضية رفعه عليه السلام وأنه لم يمت فيؤيد ذلك قولهم بأنه سينزل آخر الزمان ليخلص العالم ولو أنه مات لما كان سينزل لأن من مات لا يعود أبداً، ويؤيده أيضاً بعض نصوص الإنجيل كما ورد في (إنجيل متى الإصحاح ٢٤) . وفي (إنجيل مرقس الإصحاح ١٣) . وفي (إنجيل لوقا الإصحاح ٢١)، لما ذكروا نهاية العالم ونزوله حينها عليه السلام وهذا ثابت عندهم كعقيدة كما بينت في مقالة سابقة .

- أما مسألة الصليب المعظم عندهم فكان من المفترض على النصارى أن ينبذوا الصليب لأنه يذكرهم بشيء فيه هلاك من يعظمون ويقدسون ولأنه يرمز إلى نهاية مأساوية وغير سعيدة في عقيدتهم، لكنهم بدلاً من ذلك ذهبوا يقدسون الصليب ويعظمونه وهذا من الخطأ العظيم فكيف تعظم ما يذكرك بالشر والمأساة والهلاك .

إذن يتضح لنا أن قصة قتل عيسى عليه السلام وصلبه قصة مشوبة بالمعجزات، وكان من المفترض ألا ينظر إليها على أنها قصة مجردة من ذلك .

وأكثر ما أوقع النصارى في حرج من دينهم هو أنهم خلطوا بين كون عيسى عليه السلام عبد الله تعالى ورسوله وبين كونه إلهاً، وبالتالي فالمعجزات التي جاء بها بحق ألغوها كمسألة ميلاده من غير أب، ومسألة كلامه في المهد، ومسألة المعجزات التي أيده الله تعالى بها من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، ثم مسألة نهايته برفعه إلى السماء أغفلوا كل ذلك، ثم ذهبوا يتحرون له معجزات لا حقيقة لها ولا

## مَنُورٌ حَمَانِيٌّ . أُرْدَرُ ..... أَلْمُزَّوْبُ ..... مَنُورٌ حَمَانِيٌّ . أُرْدَرُ

وقوع من كونه إله أو ابن إله ثم خلطوا بين الأمرين فقالوا بقتله وصلبه، وهذا من الخطأ الفادح، إذ كان من الواجب عليهم لو سلّمنا لهم بحسب قولهم أنه إله أو ابن إله فأيهما الأقرب للمنطق أن يرفع وينجو بنفسه أو ينجيه أبوه الإله، أم أن يسلم نفسه للقتل والصلب أو يسلمه أبوه الإله ؟ فقولهم أنه إله ينفي أن يكون قد قتل وصلب، وفي نفس الوقت كونه قد قتل وصلب يثبت أنه بشري فكان ردهم على أنفسهم ولا شك في كلا الحالين، وكل منصف منهم سيتبين له الحق لو تدبر هذا الكلام ووعاه وفكّر فيه بفكر مجرد وذهن صافٍ .

وأمر أخير وهو لو كان عيسى عليه السلام إلهاً لما صلح أن يكون قدوة للبشر من اتباعه، ولن يقتدي به أحد منهم، لأنه لا طاقة لهم على ذلك فهو إله وهم بشر، إذن كان ولا بد من أن يكون بشراً ليقبلي به اتباعه البشر، من أمثاله هو وأمه سواء كما قال العزيز الجليل في كتابه المحكم العزيز : ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة] . فدلّت الآية أن أكلهما الطعام يثبت بشريتهما لأن الإله كامل لا يحتاج لشيء كما قلت سابقاً، ولو احتاج لشيء من الأغراض من حوله لما كان إله لا احتياجه لغيره .

والمحصلة أن النصارى خلطوا بين كل هذه الأمور، فكانوا بحق هم الضالين كما وصفهم القرآن الكريم، كما بينت في مقالة سابقة . اللهم احفظنا بالإسلام قائمين وقاعدين وراقدين ولا تشمت بنا اعداء ولا حاquدين .



مَنْزُورٌ حَقٌّ . (مَنْزُورٌ) ..... مَنْزُورٌ حَقٌّ . (مَنْزُورٌ)

## ٦- رسالة عيسى عليه السلام ونبوته

قال عز وجل في كتابه البرهان المبين في شأن عيسى عليه السلام : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالْصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۚ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۖ ﴾ [مريم] . وهذا يعني أن لعيسى عليه السلام شأن خاص به لم يشترك فيه مع باقي الأنبياء عليهم السلام وهو أنه تكلم في المهدي، وبكلامه ذاك أعلن فيه عليه السلام ستة أمور هي :

- أ- أنه عبد الله تعالى، وليس ولده كما ادعى المبطلون .
  - ب- أن الله تعالى قد آتاه كتاباً غير التوراة وهو الإنجيل .
  - ج- أثبت نبوته ورسالته إلى من بعث فيهم وهم بنو إسرائيل .
  - د- جعله الله تعالى مباركاً أينما كان، وأوصاه بالصلاة والزكاة .
  - هـ- براءة أمه مريم عليها السلام، ووصيته بالبر والإحسان بها .
  - و- سلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً عليه السلام .
- المهم أن كلامه في المهدي جعل له عليه السلام خاصية مميزة له عن باقي الأنبياء وهو أن معالم رسالته تجلت فيه قبل نبوته .

والمعنى أن عموم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كان أحدهم نبياً بالوحي ثم يرسل به، إلا عيسى عليه السلام فإنه وبمجرد أن تكلم أعلن نبوته متضمنة رسالته لبني إسرائيل مباشرة، فكان رسالته هنا سبقت نبوته، لأن أول كلامه كان تصحيحاً لما فسد من عقيدة ودين بني إسرائيل، وما قد هيمن على عقولهم بسبب ذلك الفساد .

## مَنُزِّلُ مَحْفَظَةٍ . مُرَرِّدٌ ..... الْمُرَوِّعُ ..... مَنُزِّلُ مَحْفَظَةٍ . مُرَرِّدٌ

وأمر آخر وهو أن عيسى عليه السلام رفع ولم يمض ولم ينزل ولنزوله آخر الزمان حكمة، وقد سبقت الإشارة لذلك، والذي يهمنا هنا هو معرفة أن لعيسى عليه السلام دوران في الحياة، دور قبل محمد ﷺ ودور بعد محمد ﷺ .

والسؤال المطروح هنا هو لماذا كان لعيسى عليه السلام هذان الدوران ؟ لماذا رفع ثم إنه سينزل آخر الزمان ؟ أي أنه سبق محمد ﷺ وسيأتي بعده عليه السلام مرة أخرى ؟

والسؤال الآخر وهو هل دور عيسى عليه السلام الثاني، أي بعد نزوله سيكون دوره دور الرسول بشيء جديد أم دور النبي التابع لسابقه ؟

وهذا يعني وكأن عيسى عليه السلام سبقت رسالته نبوته كما قلت، لأنه في الدور الأول كان رسولاً جاء بمنهج وشرعية جديدة وكتاب منزل عليه، ثم هو في الدور الثاني سينزل نبياً لكنه تابع لمن جاء وبعث من بعده وهو محمد ﷺ .

وإذن فنزوله آخر الزمان عليه السلام سيكون على ما جاء به محمد ﷺ من منهج وشرعية خاتمة ليثبت صدق نبوة محمد ﷺ وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وهذا معنى قوله ﷺ : ( كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم ) [متفق عليه] . وقد بينت معنى الحديث فيما سبق .

ويبقى السؤال الأول لماذا كان لعيسى عليه السلام دوران ؟ السبب في ذلك هو أن المسيح الدجال أكبر فتنة حذر منها عموم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام مصداقاً لقوله ﷺ : ( ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمرٌ أكبر من الدجال ) [مسلم] .

وقوله ﷺ : ( ... لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم عليه السلام أعظم من فتنة الدجال وإن الله لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال وأنا

مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَرٌ)

آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة ...) [أبو داود وابن ماجة وصححه الألباني]¹.

ولعظم هذه الفتنة لن يستطيع القضاء عليها إلا نبي مؤيد من السماء بالوحي والملائكة الكرام فكان ولا بد من وجود نبي ليقوم بهذا الدور ويخلص العالم من هذه الفتنة الكبرى، ومحمد ﷺ هو آخر الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وقد مات ﷺ .

وهذا يعني أنه لن يأتي نبي بعده لذا أخر الله تعالى عيسى عليه السلام ليقوم بذلك الدور المهم ! ولماذا كان عيسى عليه السلام ؟ لأمرين مهمين :

---

¹ والحديث بتمامه : (إنه لم تكن فتنة في الأرض، منذ ذرأ الله ذرية آدم، أعظم من فتنة الدجال، وإن الله لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، وإن يخرج وأنا بين يديكم، فأنا حجيح لكل مسلم، وإن يخرج من بعدي، فكل امرئ حجيح نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، وإنه يخرج من خلة بين الشام، والعراق، فيعيث يمينا ويعيث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا، فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي، إنه يبدأ، فيقول : أنا نبي ولا نبي بعدي، ثم يشي فيقول : أنا ربكم ولا ترون ربكم حتى تموتوا، وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإنه مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن، كاتب أو غير كاتب، وإن من فتنه أن معه جنة ونارا، فناره جنة، وجنته نار، فمن ابتلي بناره، فليستغث بالله، وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه برداً وسلاماً، كما كانت النار على إبراهيم، وإن من فتنه أن يقول لأعرابي : رأيت إن بعثت لك أباك وأمك، أتشهد أني ربك؟ فيقول : نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه، وأمه، فيقولان : يا بني، اتبعه، فإنه ربك، وإن من فتنه أن يسلط على نفس واحدة، فيقتلها، وينشرها بالمنشار، حتى يلقي شقتين، ثم يقول : انظروا إلى عبدي هذا، فإني أبعثه الآن، ثم يزعم أن له ربا غيري، فيبعثه الله، ويقول له الخبيث : من ربك ؟ فيقول ربي الله، وأنت عدو الله، أنت الدجال، والله ما كنت بعد أشد بصيرة بك مني اليوم) .

## مَنُزِّلُ حَقَائِقِهِ . مُرَرَرٌ ..... مُنَزَّلٌ حَقَائِقُهُ . مُرَرَرٌ

أ- أنه عيسى عليه السلام هو آخر نبي مرسل قبل محمد ﷺ، الذي جاء على عقبه مباشرة .

ب- حتى يبرهن لمن يدعي أنهم أتباعه من بني إسرائيل ومن سواهم أنه عبد لله تعالى نبي مرسل، وليس بولد لله عز وجل أبداً، بل جاء ليصحح العقائد بعد أن فسدت بضيايع الدين وهو الذي سيكسر الصليب الذي يعتصمون به، والذي تمسك به من ادعى أنه من أتباعه وهو الذي سيقتل الخنزير الذي أحلوه كذباً وافتراءً على الله تعالى مصداقاً لقوله ﷺ : (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم بن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد وحتى تكون السجدة خيراً له من الدنيا وما فيها) [متفق عليه واللفظ للبخاري]<sup>١</sup>.

وهذا الأمر هو الذي غرّ بني إسرائيل من النصارى، فقالوا أن عيسى عليه السلام هو آخر الأنبياء والرسل فأنكروا بعثة محمد ﷺ لأنهم ما عرفوا أن له عليه السلام دوران في الحياة، وعليه فقالوا أنه هو الآخر لأنهم بنوا على دوره الأول وجهلوا حقيقة الوضع . وحتى إن كانوا يعلمون بنزوله آخر الزمان ليخلص العالم كما يعتقدون، غير أنهم اعتبروه آخر الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في

---

<sup>١</sup> قال ابن حجر في شرحه على صحيح البخاري : يكسر الصليب عليه السلام أي : يبطل دين النصرانية بأن يكسر الصليب حقيقة ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه . ويقتل الخنزير أي : يأمر بإعدامه مبالغة في تحريم أكله، وفيه توبيخ عظيم للنصارى الذين يدعون أنهم على طريقة عيسى ثم يستحلون أكل الخنزير ويبالغون في محبته .

وقال النووي في شرحه لصحيح مسلم ويضع الجزية أي : يضعها عن النصارى وأهل الكتاب ويحملهم على الإسلام ولا يقبل منهم غير دين الحق .

## نُزُولُ حَمَانٍ . (رُزْزَ) ..... (نُزِّلَ) ..... نُزُولُ حَمَانٍ . (رُزْزَ)

دوره الأول فآلغوا بذلك من جاء من بعده وهو محمد ﷺ وكان الواجب حصوله أن يعتبر هو الآخر حقاً لكن في دوره الثاني أي بعد مبعث محمد ﷺ لا قبل ذلك ! وإذن صحيح أن عيسى عليه السلام هو الأخير من الأنبياء عليهم السلام وجوداً في الأرض وبعده قيام الساعة، لكن ليس ذلك في طور رسالته الأولى، وإنما في طور نبوته وكونه تابعاً لمحمد ﷺ ومخلصاً للعالم بقتل المسيح الدجال، وليس رسولاً مرسلًا من جديد أو ليكمل رسالته إلى النصارى، وإنما ليقم ما فسد من أمر دين الله تعالى .

وأيضاً حتى يبين للعالمين أن دين الله جل شأنه واحد، بدءاً منه عز وجل وسينتهي إليه سبحانه، وأن كل الأنبياء عليهم السلام دورهم واحد هو الدعوة إلى الله تعالى وإقامة شرعه وإن اختلفوا في مناهجهم وشرائعهم الربانية بحسب أزمانهم مراعاة لمقتضى الحال . والمحصلة كان لعيسى عليه السلام دوران : الدور الأول : رسولاً إلى بني إسرائيل، وكان ذلك قبل رفعه إلى السماء وقد مضى، والدور الثاني : نبياً مقيماً لشرع الله تعالى آخر الزمان ومخلصاً من فتنة الدجال، وهذا الدور لم يأت بعد، بل سيكون آخر الزمان بعد نزوله .

ثم إنه عليه السلام بعد قتله الدجال سوف يحكم الأرض بالعدل ويتزوج ويولد له ولد، ويموت ويدفن مع نبينا محمد ﷺ وصاحبيه في الحجرة النبوية الشريفة في المدينة المنورة، وزواجه وإنجابه الولد وموته هي أيضاً أدلة أخرى على أنه بشري وليس إلهاً، عليه وعلى نبينا وعلى عموم الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (ليس بيني وبينه نبي - يعني عيسى - وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه : رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، بين

مُنْزَلٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... مُنْزَلٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

ممصرتين، كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون) [أبو داود وأحمد والحاكم وابن حبان . وممصرتين مثني ممصرة، وهي الثياب المصبوغة بصفرة خفيفة] .

وفي الحديث النبوي الشريف الآخر قوله ﷺ : (ينزل عيسى بن مريم إلى الأرض فيتزوج ويولد له ويمكث خمساً وأربعين سنة ثم يموت فيدفن معي في قبري فأقوم أنا وعيسى بن مريم في قبر واحد بين أبي بكر وعمر) [ابن الجوزي في الوفا في حقوق المصطفى والتبريزي في مشكاة المصابيح والبرزنجي في الإشاعة لأشراط الساعة] .

والخلاصة كان محمد ﷺ هو آخر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام مبعثاً بلا شك، وكان عيسى عليه السلام هو آخر الأنبياء عليهم السلام وجوداً في الأرض وبعده قيام الساعة، هذا هو الأمر الذي جهله الكثير من الناس . اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه والباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه .



مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (مُرَارٌ) ..... (مُنَزَّهٌ) ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (مُرَارٌ)

## ٧- كتب أهل الكتاب (التوراة)

كلمة التوراة عبرية الأصل وهي تعني : (القانون والشرعة والتعليم)، وقد وردت في القرآن الكريم (١٨) مرة، والتوراة هي كتاب الله سبحانه وتعالى الذي أنزله على موسى عليه السلام، قال سبحانه وتعالى في الكتاب المجيد : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۝٤٤﴾ [المائدة] . فدلالة هذه الآية أن التوراة كتاب من كتب الله تعالى المنزلة على أحد أنبيائه عليهم السلام؛ وتعاليم ذلك الكتاب تتضمن الهدى والنور من الله تعالى لخلقه .

والتوراة أهم كتب اليهود وقد ورد فيها كل الأحكام العامة الظاهرة . وظلت التوراة مكتوبة عند اليهود حتى عام (٥٨٦) قبل الميلاد، حين هُزم بنو إسرائيل على يد نبوخذ نصر ملك بابل اعتقد علماء اليهود وقتئذ أن زوال ملكهم قد أوشك، وهذا يعني ظهور النبي المنتظر الذي من نسل إسماعيل عليه السلام والمبشر به، وهو محمد ﷺ فقاموا بتحريف التوراة بنصوص تحمل أن يكون النبي المبشر به من نسل إسرائيل (يعقوب) عليه السلام .

فلما بعث الله تعالى العزيز نبياً والذي يسمونه (عزرا) أعاد كتابة التوراة الصحيحة بالعبرية، فلما اختلف مع السامريين قاموا بتحريف التوراة فكتبت محرفة، وسميت هذه بالتوراة السامرية .

ثم وفي عام (٢٨٥) قبل الميلاد اجتمع سبعون عالماً من علماء وأخبار اليهود في مدينة الإسكندرية وكتبوا تلك التوراة المحرفة باللغة اليونانية سميت بالتوراة السبعينية والتي اعترف بها لاحقاً (الكاثوليك والأرثوذكس) من فرق النصراني، بينما رفضها البروتستانت منهم، واعترفوا بتلك التوراة العبرية السامرية المحرفة أيضاً .

## مَنُورٌ جَنَانٌ . مُرَرٌ ..... مُزَوَّبٌ ..... مَنُورٌ جَنَانٌ . مُرَرٌ

ويعتبر (الكتاب المقدس) المطبوع اليوم هو الكتاب الأول عند اليهود والنصارى سواء، وهو يحتوي على التوراة والإنجيل معاً . وهذا الكتاب ينقسم الي عهدين :

١ - العهد القديم وهو المقدس عند اليهود خاصة وهو التوراة، وفيه (٣٩) سفرًا و(٩٢٩) إصحاحاً، وفي كل سفر عدة إصحاحات وفي كل إصحاح عدة فقرات وفي كل فقرة عدة آيات أو نصوص . وأهم هذه الأسفار ما يسمى بأسفار موسى عليه السلام الخمسة وهي :

- سفر التكوين : وسمي بذلك لأنه يتكلم عن بداية الخلق وتكوين العالم وقصص الأنبياء السابقين حتى موت يوسف عليهم السلام جميعاً، وهذا السفر يحتوي على (٥٠) إصحاحاً .

- سفر الخروج : وسمي بذلك لأنه يتكلم عن تاريخ بني إسرائيل حتى خروجهم من مصر أيام فرعون، ويحتوي على (٤٠) إصحاحاً .

- سفر اللاويين : وسمي بذلك لأنه يتكلم عن أخبار الأحرار والرهبان وهم أبناء لاوي بن يعقوب، وبه (٣٧) إصحاحاً .

- سفر العدد : وهو يعتبر سفر الإحصاء الذي يذكر كل عدد يخص بني إسرائيل من أسماء الرجال والقبائل و... وبه (٣٦) إصحاحاً .

- سفر التثنية : وسمي بذلك لأنه أعيد فيه الكثير من الأحكام التي ذكرت في الأسفار الأخرى، وبه (٣٤) إصحاحاً .

٢ - العهد الجديد وهو المقدس عند النصارى خاصة ويقصد به (أسفار الأنبياء الآخرين بعد موسى، والإنجيل والرسائل من بعده) .

وهذا الكتاب المقدس الموجود حالياً والذي يضم (التوراة والإنجيل) محرف ولا شك، كما ثبت ذلك بنص القرآن الكريم، ولم يبق من صحيحه اليوم إلا القليل

## مَنُورٌ جَنَانٌ . (رَدُّ) ..... (لُزْزَقٌ) ..... مَنُورٌ جَنَانٌ . (رَدُّ)

الضائع وسط الكثير من المزاعم والأباطيل والافتراءات التي وضعها الأخبار والرهبان مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ (٢٣) [آل عمران] ومعنى الآية ألم تر يا محمد إلى أهل الكتاب الذين وصلهم نصيب قليل صحيح من كتاب الله تعالى المحرف، بعد أن طالته أيدي التحريف، فهو نصيب قليل صحيح من كثير محرف وباطل ومفتري فيه، وهذا التحريف الحاصل في كتابهم المقدس قد مر بست مراحل من قبل اليهود الملعونين ذكرها القرآن الكريم :

أ- كتموه بعدما نزل من عند الله تعالى وعلموه فأخفوه ولم ينشروه مصداقاً لقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ ﴾ (١٥٩) [البقرة] . وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ ﴾ (١٧٤) [البقرة] . فجعل الكثير منهم ما كُتِمَ منه ولم يعرفوه .

ب- ثم نسوا ما كتموه ولم يظهره مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ فَسُوا حَظًا مِّمَّا دُكِّرُوا بِهِ ﴾ (١٤) [المائدة] .

ج- ثم حرفوا ما بقي منه بما يناسب أهواءهم وفسادهم مصداقاً لقوله سبحانه : ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ۚ ﴾ (١٣) [المائدة] . وقوله تعالى : ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۚ ﴾ (٤١) [المائدة] .

د- ثم بدلوه بكلام آخر ليظنه الناس أنه من الكتاب ومما أنزل الله تعالى مصداقاً لقوله سبحانه : ﴿ يَلُونِ الْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ أَلِكِتِبِ ﴾ (٧٨) [آل عمران] .

هـ- ثم كتبوه بأيديهم ونسبوه إلى الله تعالى ليوهموا الناس أنه من كلامه عز وجل مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ قَوْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۚ ﴾ (٧١) [البقرة] .

## مَنُورٌ مَحْنَانٌ . أُرْدَارٌ ..... أُنْزَرُوبٌ ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . أُرْدَارٌ

و- ثم اشتروا به ثمنًا قليلاً ليبيعوه بحسب مراد الناس وأهوائهم مصداقاً لقوله تعالى : ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (٧١) [البقرة] .

وفوق كل ذلك فإن هذا الكتاب المقدس المطبوع حالياً والذي ترجم من اللغات العبرية واليونانية أو بالعكس قد طُبِعَ طبعا كثيرة، وبين كل طبعتين منها فرق حاصل بحسب التعديلات التي تُجرى عليه، فصار ولا بد حين الكلام عن أي جزء منه أو أية معلومة فيه ذكر الطبعة وتاريخها لمعرفة صحة نسبة ذلك القول له بحسب الطبعة تلك، وهذا ودون أدنى شك يظهر لنا ويثبت أنه محرف قطعاً .

هذا فضلاً عن النسخ المترجمة منه إلى اللغة العربية تجد أيضاً فيها فروق في الترجمة بحسب الفروق في النسخة التي نقل منها أو بحسب المترجم ودقة نقله ومدى ثقته ونزاهته من عدم ذلك وبحسب غرض الترجمة أيضاً .

والغريب في الأمر أن فِرَقَ اليهود هم أنفسهم أيضاً يختلفون في اعتماد النسخ حال كلامهم عن كتابهم، هذا فليس كلهم يعتمد كل النسخ المطبوعة لعلمهم بما حصل فيها من تبديل كلمات وألفاظ بل وجمل وعبارات أحياناً، فالحمد لله تعالى الذي جعل القرآن الكريم برهاناً مبيناً ونوراً ومعيناً .



## ٨- التلمود

يقصد بكلمة التلمود : (التعليم)، وهذا الكتاب يعتبر الثاني عند اليهود بعد التوراة، وهو لا يقل منزلة عنها لدى أكثر فرقهم، بل هو عند بعض تلك الفرق أهم من التوراة ومقدم عليها، وعلماء اليهود يقولون إن موسى عليه السلام ترك لهم شريعتان، شريعة مكتوبة وهي التوراة، وشريعة شفوية وهي التلمود الذي قام الأحبار والرهبان بجمعه وتدوينه على لسان موسى عليه السلام ومن ثم تبليغه للناس .

وهو كتاب يحتوى على عدة علوم فهو كالموسوعة العلمية التي تضم شتى العلوم كالطب والفلسفة والحساب والفلك والزراعة والعناية بالبدن وقصص وروايات واعظة وما سوى ذلك من سائر العلوم، وبالتالي فهو بمثابة موسوعة نصائح للشعب اليهودي، هذا بالإضافة إلى تلك التعاليم التي وضعها الحاخامات والأحبار والرهبان على شكل روايات واعظة وقرارات ومخططات تخدم مصالحهم .

وكان أول من كتب التلمود هم الأحبار : (مائير وعقيبا وهلل) . وقيل بل هو الحاخام (يوضاس) سنة (١٥٠ م) . ثم جاء من بعده الحبر (يهوذا هنسيا) فأعاد صياغته وعدله في قرية صبورة في فلسطين سنة (٢١٦ م)<sup>١</sup> .

وقد استغرق كتابة هذا التلمود بوجه عام نحو من (١٠٠٠) سنة، قام خلالها علماء أطلق عليهم مسمى التثام أي (معلمو الشريعة) فكتبوا المتون هم ومن بعدهم في قرابة (٢٠٠) سنة ثم أضاف أحبار اليهود عبر الأجيال التالية لذلك

---

<sup>١</sup> راجع الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة . للندوة العالمية للشباب . ج١، ص ٥٠١ . ومائير، وعقيبا، وهلل، ويهوذا هنسيا، كل هؤلاء حاحامات وأحبار يهود كان لهم شأن في كتابة التلمود آنذاك .

## مَنُورٌ حَمَانِيٌّ . أُرْدَرٌ ..... أُنْزَقٌ ..... مَنُورٌ حَمَانِيٌّ . أُرْدَرٌ

شروحاً وحواشي عليه من طبقات شتى في قرابة (٨٠٠) سنة، وهي شروح وأقوال يُضاف بعضها إلى بعض غالباً فتكون كالتوضيح والتعديل والاستدراكات عليه، ثم ظلوا بعد ذلك يراجعون متونه وشروحه في قرابة (١٥٠) سنة، حتى خرج على ما هو عليه اليوم بالصورة النهائية عندهم فبلغ عدد أجزاءه (٢٠) مجلداً، وهو بذلك أكبر من التوراة بكثير .

وقد كتب هذا التلمود بلغتين هما : (الآرامية والعبرية) . ومنه تلمود بابل، والتلمود الفلسطيني، وهو مجمل في كتابين هما :

الأول- المشناة أو (المشنة) : وفيها قوانين التلمود أو المتن، وكلمة مشناة تعني التعاليم الشفوية . وهذه المشناة تعتبر هي : نصوص وقوانين وقرارات التلمود وتسمى (الهَلَكَا)، يزعم فيها أحبار اليهود أنها وحي الله تعالى لموسى عليه السلام غير المكتوب، والذي أملاه موسى عليه السلام عليهم .

الثاني- الجمارا : وهي شرح لتلك القوانين أي أنها شرح المشناة، ولذلك فهذه الجمارا تعتبر أطول من المشناة ب (١١) مرة .

ولهذه الجمارا متنان : (متن جمارة بابل، ومتن جمارة أورشليم) . ومتن التلمود هو واحد في كل النسخ، غير أن الشرح وهو الجمارا يختلف، فجمارة التلمود البابلي أكبر من جمارة التلمود الفلسطيني (الأورشليمي) بأربعة أضعاف، وفيه الكثير من التعاليم ولا ريب مزيدة عليه . وهذه الجمارات تحوي :

- الهَلَكَا أو (الهلكة) . وهي القرارات والقوانين، التي وضعها اليهود .

- الهَجْدَة . وهي قصص وروايات ومواعظ وتعاليم عامة .



## ٩- الإنجيل

هذه الكلمة يونانية الأصل وهي تعني البشارة، وقد وردت في القرآن الكريم (١٢) مرة، والإنجيل هو كتاب الله تعالى الذي أنزله سبحانه على نبيه عيسى عليه السلام، وهو يعتبر مكماً للتوراة وقد وردت فيه الأحكام الخاصة بالباطنة أو ما يعرف بوجدانيات التدين، قال تعالى في القول الحق: ﴿وَأَتَيْنَهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٦] . وكما حصل في التوراة من تحريف وتبديل وزيادة ونقصان فقد حصل مثيله في الإنجيل أيضاً .

ويعتبر العهد الجديد هو الإنجيل الذي يخص النصارى وهو يحتوي على (٢٧) سفرًا وعلى (٢٦٠) إصحاحًا، والإنجيل المطبوع حالياً يحتوي على الأناجيل الأربعة التي سيأتي ذكرها، بالإضافة إلى مجموع الرسائل التي كتبت على لسان عيسى عليه السلام والتي هي في الأصل رسائل الحوارين الذين انساحوا في الأرض يبشرون بدين المسيح بعد موته عليه السلام؛ حسب زعمهم، قيل كان عددهم (٧٠) رسولاً اختارهم المسيح فأرسلهم إلى المدن والقرى ليعلموا المسيحية وليبشروا به .

وهؤلاء الحواريون أطلق عليهم مسمى (رسل) أي رسل المسيح فكتب كل واحد منهم إنجيلاً على لسان عيسى عليه السلام للبلد التي بشر فيها بالمسيحية فكانت بذلك أناجيل كثيرة منتشرة قيل بلغت (١٠٠) إنجيل، فلما كان أواخر القرن الثاني الميلادي أرادت الكنيسة أن تجمع الناس على الأناجيل التي صحت في نظرها، فاختارت هذه الأربعة على أنها هي المعتمدة عندها وألغت كل ما سواها .

وفي الحقيقة أن هذه الأناجيل الأربعة والرسائل أيضاً؛ ليست من إملاء عيسى عليه السلام فهي تتعارض مع بعضها في الكثير من الأمور وذلك لأنها لم تسلم من

## مَنُورٌ حَمَانٌ . (مَرَارٌ) ..... (مَزَقٌ) ..... مَنُورٌ حَمَانٌ . (مَرَارٌ)

أيدي التحريف<sup>١</sup>. كما يجب أن نعلم أن هذه الأناجيل التي بشر بها أصحابها لم يكتبوها هم بأنفسهم في جميع الأحوال بل جاء أناس من بعدهم فكتبوها على ألسنتهم، فدخل التحريف بذلك من ثلاث جهات :

- الأولى . أن عيسى عليه السلام لم يملها على من بشر بها مباشرة، وعلى قول أنه أملاها عليهم مباشرة فهم لم يكتبوها حينها عنه مباشرة .

- الثانية . أن التبشير بها إنما حصل ممن ادّعاها وكان ذلك بعد موت عيسى عليه السلام بسنين، وهؤلاء الأربعة الذين بشروا بها لم تثبت كتابتهم لها بوجه قاطع حتى عند النصارى أنفسهم وإنما كُتبت من بعدهم على ألسنتهم .

- الثالثة . أن هناك أناجيل أخرى أنكرها النصارى مع أن بعضها هو أولى من هذه الأناجيل الأربعة المعتمدة عندهم . وهي :

١ - إنجيل متى (العشار) : قيل هو أحد الحواريين، ومن تلاميذ عيسى عليه السلام الإثني عشر، وكان عشاراً أي جانياً للضرائب عند الرومان بفلسطين في كفر ناحوم فتبع المسيح عليه السلام وتلمذ عليه، فلما رفع عيسى عليه السلام بشماني سنوات بشر متى بإنجيله في أرض فلسطين، وهذا الإنجيل يحتوي على (٢٧) إصحاحاً وقد كُتب سنة (٣٩م)، وقيل بعد ذلك في أورشليم (القدس) باللغة العبرانية وقيل بالسريانية، غير أن أقدم نسخة معتبرة عندهم هي المكتوبة باللغة اليونانية فاعتمدت النسخة المترجمة لليونانية وأهملت النسخة الأصلية، وهذا الإنجيل هو أقدم الأناجيل الموجودة عندهم وهو ليس من تصنيف متى يقيناً بل وضعوه على لسانه بعد موته؛ بعدما حرفوه .

---

<sup>١</sup> قيل كان أول من ذكر ذلك هو أرينيوس عام (٢٠٩م)، ثم جاء من بعده كليمنس عام (٢١٦م) .

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . مُرَرٌ ..... (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . مُرَرٌ

٢- إنجيل مرقس : قيل هو تلميذ بطرس كبير الحواريين، وقيل هو أحد السبعين الذين اختار الله تعالى أحدهم بدل عيسى عليه السلام عند رفعه . وقد بشر بإنجيله في مدينة رومية باللغة الفرنسية بعد صعود عيسى عليه السلام بإثنتي عشرة سنة، وهو يحتوي على (١٦) إصحاحاً . وقد كُتب هذا الإنجيل بعد موت بطرس معلم مرقس وذلك سنة (٥٦)، وقيل سنة (٦١م) على الخلاف في ذلك .

٣- إنجيل لوقا : قيل هو من أصل يهودي وكان يعمل طبيباً من أهل أنطاكية وقيل بل كان مصوراً، وهو لم ير المسيح أبداً ولم يتلمذ عليه، وإنما تتلمذ على يد محرف النصرانية اليهودي بولس والذي اسمه في الأصل (شأؤول) . وقد بشر لوقا بإنجيله في مدينة الإسكندرية باللغة اليونانية وهو يحتوي على (٢٤) إصحاحاً . وقد كُتب بعد إنجيل مرقس وبالتحديد بعد موت بولس أي بعد أن بشر به صاحبه بسنين .

٤- إنجيل يوحنا : وقد اختلف فيه فادعى البعض أنه أحد الحواريين . وقد بشر بإنجيله في مدينة أفسس من بلاد الأناضول بعد صعود عيسى عليه السلام بثلاثين سنة وهو يحتوي على (٢١) إصحاحاً . وقد كُتب هذا الإنجيل سنة (٦٥) وقيل سنة (٩٦) وقيل سنة (٩٨) . وهذا الإنجيل هو الوحيد الذي ورد فيه ذكر ألوهية عيسى عليه السلام، وذكر عقيدة التثليث بالنص دون غيره من باقي الأناجيل، لذلك أنكر الكثير من علماء النصارى أن يكون هذا الإنجيل هو من تأليف يوحنا التلميذ الحواري، والغريب أن الكنيسة اعتمدته .

إذن مما سبق يتبين لنا أن كل تلك الأناجيل لم تثبت نسبتها لأصحابها، وحتى وإن ثبتت نسبتها إليهم فليس هم الذي كتبوها، ولا سيما وأنهم بشروا به بمدة، ثم كُتبت من بعدهم، فلو لم تحرف ممن بشر بها على ثبوت نسبتها إليهم فسوف

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . أَمْرٌ دَر . . . . . أَلْمُزَّجُ . . . . . مَنُورٌ حَمْدُهُ . أَمْرٌ دَر

تَحَرَّفَ مَن مِّن كُتُبٍ وَدَوَّنَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَلَا سِيَّما أَنَّ الأَمْرَ تَخَلَّلَ سَنِي انْقِطَاعٍ كَثِيرَةٍ لَيْسَتْ بِمُتَوَاصِلَةٍ . وَأَمْرٌ آخَرٌ هُوَ أَنَّ لِكُلِّ إِنْجِيلٍ مِّن تِلْكَ الأَنْجِيلِ كَمَا تَبَيَّنَ لَنَا لُغَةٌ كُتِبَ بِهَا، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ لُغَةٌ وَاحِدَةٌ تَجْمَعُ بَيْنَهَا، فَعِنْدَ إِرَادَةِ التَّرْجُمَةِ إِلَى اللُّغَةِ الأُخْرَى لَا يَسْلَمُ الأَمْرُ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ وَالتَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ فِيهَا فَدَخَلَ التَّحْرِيفُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى أَيْضاً .

وَأَمْرٌ فَوْقَ ذَلِكَ نَلَاظُ أَنَّ عِدَدَ إِصْحَاحَاتِ كُلِّ إِنْجِيلٍ تَخْتَلِفُ عَنِ الآخَرِ، فَلَوْ كَانَتْ كُلُّهَا مِنْ إِمْلَاءِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ مِنْ إِمْلَاءِ حَوَارِيَّتِهِ الصَّادِقِينَ مِنْ بَعْدِهِ وَتَلَامِيذِهِ الَّذِينَ سَمِعُوهُ مِنْهُ لَمَا كَانَتْ سَتَخْتَلِفُ عَلَى هَذَا النِّحْوِ، هَذَا فَضْلاً عَنِ الاختلافِ الحَاصِلِ فِيهَا بَيْنَهَا فِي الكَلِمَاتِ وَالْأَلْفَاظِ وَالْجُمَلِ .

وَهُنَاكَ إِنْجِيلٌ يُسَمَّى بِإِنْجِيلِ (بِرْنَابَا) وَهُوَ أَحَدُ تَلَامِيذِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمِنَ الْمُوَاضِبِينَ عَلَى نَشْرِ دَعْوَتِهِ بِالتَّبَشِيرِ الْحَقِّ . وَهَذَا الإِنْجِيلُ يَخْتَلِفُ مَعَ هَذِهِ الأَنْجِيلِ الأَرْبَعَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ وَجُوهَرِيَّةٍ، فَقَدْ وَرَدَ فِيهِ الْكَثِيرُ مِمَّا يُوَافِقُ شَرِيعَةَ الإِسْلَامِ وَمِنَ ذَلِكَ : (أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَأَنَّ الذِّيحَ هُوَ إِسْمَاعِيلُ، وَالبَشَرَى بِنبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْحِثُّ عَلَى الْخِتَانِ، وَأَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيٌّ لَمْ يَقْتُلْ وَلَمْ يَصْلُبْ بَلْ رَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ)، وَغَيْرَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِمَّا يُوَافِقُ شَرِيعَةَ الإِسْلَامِ . وَنَسَخَةُ هَذَا الإِنْجِيلِ كَانَتْ مَحْفُوظَةً فِي رُومَا بِمَكْتَبَةِ سَكْتِسْ فَاخْتَلَسَهَا أُسْقَفٌ يَقَالُ لَهُ (فَرَامَرِينُو) فَقَرَأَهُ فَتَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ وَأَسْلَمَ وَذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ السَّادِسِ عَشَرَ .

وَالْغَرِيبُ فِي الأَمْرِ أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ مَشْهُورَةٌ عِنْدَ مُعْظَمِ النَّصَارَى وَلَا سِيَّما الْقِسَاوِسَةَ وَالرَّهْبَانَ وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ جَمِيعَ الْكُنَائِسِ وَعَلَى اخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ لَمْ يَعْتَرَفُوا بِهَذَا الإِنْجِيلِ أَبَداً، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ اعْتَرَفَ بِهِ قَادَهُ وَبَدُونَ تَرَدَّدَ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَالتَّصَدِيقِ بِنَبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِنْ كَانَ مِنَ الْعُقَلَاءِ الْمُنْصَفِينَ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُتَعَصِّبِينَ .

## ١٠ - الزبور

قال جلت عظمتة في الروح المبين : ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۝٥٥﴾ [النساء] . دلالة هذه الآية أن الزبور هو كتاب الله تعالى المنزل على داود عليه السلام، وهو يعتبر جزءاً من التوراة يسمى بمزامير داود، وهذه المزامير هي عبارة عن أناشيد وتراويل وابتهاالات لله تعالى ليس فيها أحكام ولا حلال ولا حرام، وهي تمثل أناشيد اليهود في أعيادهم ومناسباتهم . والزبور المطبوع حالياً مطبوع ضمن العهد القديم من التوراة يقع في (١٥٠) إصحاحاً يسمى بسفر المزامير رقم (١٩) من أسفار العهد القديم . وكما حصل في التوراة والإنجيل كذلك حصل في الزبور، فالموجود لم يسلم من أيدي التحريف والتغيير والتبديل من قبل اليهود عليهم لعنة الله تعالى .

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الانجيل المثاني، وفضلت بالمفصل) [أحمد والطيالسي والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب والصغير والطحاوي في المشكل والألباني في الصحيحة]<sup>١</sup> .

وبعد كل ذلك . أقول الحمد لله رب العالمين الذي حكم وقضى فقال وطماننا : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝١﴾ [الحجر] . فالحمد لله تعالى الذي جعلنا من أمة القرآن الكريم، وشرفنا به ورفع به ذكرنا .

<sup>١</sup> والسبع أي السور الطوال السبع، والمئين السور التي تشتمل على أكثر من مائة آية، والمثاني السور التي تنقص عن المئين، وتزيد على المفصل، والمفصل سمي بذلك لكثرة الفصول التي بين السور بالبسملة . وهو ثلاثة أقسام، طوال المفصل من سورة الحجرات إلى سورة النبأ، وأواسط المفصل من سورة النازعات إلى سورة الليل، وقصار المفصل من سورة الضحى إلى سورة الناس .

## ١١ - دعوى تفضيل اليهود

المستقرئ للقرآن الكريم يجد أن قصة موسى عليه السلام أكثر القصص وروداً فيه، حيث أخذت رقعة واسعة منه، ففي قرابة (٣١) سورة من القرآن الكريم ورد ذكر اسم موسى عليه السلام أو ذكر طرف من قصته، مع فرعون أو مع قومه بين إسرائيل، كل سورة منها أوردت لنا لمحات من جوانب القصة بعدة مشاهد ولقطات وأوجه .

وكل ذلك لتثبيت فؤاد النبي ﷺ وإطلاعه على مواقف اليهود المعادية دوماً، ولكشف خبثهم ومكرهم وخداعهم ومدى عداوتهم للحق بوجه عام، ولا سيما وأن اليهود في عصره ﷺ كان لهم دور كبير في تكذيب الرسول ﷺ وفي تخذيل الناس وصرفهم عن الإيمان بالله تعالى، وفي زعزعة الموقف وفي التآليب وزرع الفتن والمكائد بين المسلمين مع بعضهم، وبين المسلمين والمشركين .

وقد ورد ذكر موسى عليه السلام في القرآن الكريم (١٣٦) مرة، أما فرعون فقد ورد ذكر اسمه (١٣) مرة، في حين ورد ذكر مسمى بني إسرائيل في القرآن الكريم (٤٠) مرة ومسمى أهل الكتاب (١٣) مرة، ومسمى اليهود (٨) مرات، ومسمى النصارى (١١) مرة من غير اشتقاق، وكل ذلك لأن بني إسرائيل كانوا أكثر الأمم كفراً وظلماً وفجوراً وعتواً وعناداً وطغياناً وجحوداً وفسوقاً وتطاولاً وتعدياً وخروجاً وفساداً عريضاً في الأرض، ولذا كان الأنبياء عليهم السلام فيهم بالآلاف لأن الأمر تطلب ذلك لكثرة خروجهم عن منهج الله تعالى ومراده وتجاوزهم حدوده، فهم أكثر الأمم والشعوب أتعبوا الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، الذين كانوا فيهم لمحاولة إصلاح فسادهم العريض وتحذيب سلوكهم المعوج وقصر إفسادهم المتعمد والمستمر .

## مَنزُورٌ حَقٌّ . أَمْرٌ رَر ..... أَمْرٌ رَر ..... مَنزُورٌ حَقٌّ . أَمْرٌ رَر

وكان أول الرسل فيهم هو موسى عليه السلام نبي من أولي العزم عالجهم سنين طويلة حتى قُبض عليه السلام وهم في التيه لم ينفذوا مراد الله تعالى منهم بعد، ثم تتالت عليهم الأنبياء والرسل حتى كان آخرهم عيسى عليهم السلام جميعاً، وهو أيضاً من أولوا العزم من الرسل، ورفع إلى السماء وهم أحزاب وطوائف شتى لم ينصاعوا للحق ولم يقبلوا دعوة الرسل . والعجيب أنه رغم كثرة الأنبياء عليهم السلام في بني إسرائيل حتى أنه لم يخل زمان ولا مكان آنذاك إلا من أنبياء عديدين فيهم، إلا إنهم مع ذلك كانوا أقل الأمم انقياداً لمراد الله تعالى واتباعاً لمنهجه وتصديقاً لشرائع الدين وأبعد الناس عن منهج السماء المطهر القويم .

والغريب في الأمر أن بني إسرائيل يعدون كثرة الأنبياء والرسل فيهم رفعة لهم ومحمدة وشرفاً وفضيلة لعنصرهم، رغم قتلهم لهم وتعديهم عليهم وردهم ما جاءوا به من عند الله تعالى من دين حق ومنهج رباني صدق وشرع إلهي، حتى الكتب السماوية لم تسلم من التحريف فكيف ذلك ؟

وهذا خطأ ! فكثرة الأنبياء والرسل تعني عتو القوم وكثرة فسادهم المستمر والمتفشي، وعدم انصياعهم للحق من أول الأمر، مما تطلب توالي من يذكرهم بمنهج السماء ومطلوب الله تعالى منهم على الدوام . ومع ذلك كله كانوا ولا يزالون يدعون لأنفسهم أنهم شعب الله تعالى المختار بل ويدعون أن هذا التفضيل هو وارد حتى في القرآن الكريم في ثلاث آيات أثبتت ذلك وهي :

١- قوله تعالى في سورة البقرة آية (٤٧) : ﴿ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ .

٢- قوله سبحانه في سورة البقرة آية (١٢٢) : ﴿ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ .

## مَنُورٌ جَنَانٌ . أُرْدَرُ ..... (الْمُزَوَّبُ) ..... مَنُورٌ جَنَانٌ . أُرْدَرُ

٣- قوله عز وجل في سورة الجاثية آية (١٦) : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦) .

ففي هذه الآيات ورد تفضيل الله تعالى لشعب بني إسرائيل بالفعل وهذا صحيح، ولكن ما حقيقة ذلك التفضيل وما مداه، يتضح لنا ذلك من خلال ثلاث نقاط هي :

١- أن ذلك التفضيل كان على أهل زمانهم وليس تفضيلاً مطلقاً، ودلالة الآية واضحة بقوله تعالى (اذكروا) أي : (تذكروا حين كنتم شعب الله المختار) ومقتضى كلمة (اذكروا) تفيد الماضي، وكذلك كلمة (أني) بفتح الهمزة تفيد الزمن الماضي . والمعنى أني كنت قد فضلتكم في زمان أطعموني فيه واتبعتم رؤسلي، وغيركم من أهل زمانكم كانوا على الكفر والشرك والوثنية . وذلك التفضيل ليس حكماً مطلقاً لهم وفيهم وإنما كان لزمانٍ معين وانتهى بكفرهم وفجورهم وتعديهم والذي استحقوا به أن يكونوا من المغضوب عليهم بحق .

٢- أنهم في زمانهم كانوا الشعب الوحيد الذي كان له صلة برب السماء، وباقي الشعوب كانت على الشرك والكفر بالله تعالى، وعلى الوثنية من عبادة الأصنام والأحجار والنار والنجوم وما سوى ذلك من معبودات كثيرة، فاستحقوا حينها التفضيل على غيرهم بما تميزوا به من كونهم أهل كتاب وفيهم أنبياء الله تعالى ومن سواهم عبّاد أوثان وشياطين ومعبودات كثيرة .

٣- أن التفضيل إذا منح لأحد ما أو لشعب معين أو لأمة بعينها اقتضى ذلك استمرارية العمل وإلا فُقد منهم ذلك التفضيل وسُلب منهم وسقط عنهم، فبنو إسرائيل لم يكفروا ويفجروا ويفسقوا ويفسدوا في الأرض وحسب، وإنما تهادوا فقتلوا الأنبياء عليهم السلام، وحرفوا الكتاب السماوية، وبدلوها وباعوها وغيّروا دين الله

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... الْمُرُورُ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

تعالى، وادعوا أن الجنة لهم، بل وأكثر من ذلك تطاولوا على ذات الله سبحانه وتعالى وادعوا أن الله تعالى في قدسه بحاجة لهم، فوصفوه بصفات لا تليق بصالحي البشر فضلاً عن كونها لا تليق أن تلحق بالله جل جلاله وتقدسست أسمائه، فقالوا كما حكى لنا القرآن الكريم عنهم :

- قوله تعالى في سورة البقرة آية (١١١) : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى ۚ ﴾ . افتأتوا على الله تعالى بغير علم .

- قوله سبحانه في سورة البقرة آية (٨٠) : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا الْكَارُ إِلَّا أَنْتَامَا مَعْدُودَةٌ ۚ ﴾ . يتقولون على الله جل شأنه بغير علم ولا منهج حق، كذباً وزوراً وبهتاناً وهم أفجر الخلق .

- قوله عز وجل في سورة آل عمران آية (١٨١) : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ۚ ﴾ . غاية سوء الأدب مع الله سبحانه وغاية التماذي والطغيان .

- قوله جل جلاله في سورة المائدة آية (١٨) : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ ۚ ﴾ . يتقولون على الله تعالى ويفترون الكذب .

- قوله جل جلالته في سورة المائدة آية (٦٤) : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ ﴾ . غاية سوء الأدب مع الله تعالى وغاية التطاول عليه سبحانه . كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً . وعليه استحق بالفعل بنو إسرائيل بكل ذلك أن يكونوا لا شعب الله المختار بل شعب الله الملعون على لسان أنبيائه قبل لسان أي أحد من الناس . لذا قال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [المائدة] . جرأ كثرة فجورهم وفسوقهم وكفرهم بالله تعالى وبشرعه القويم .

## مَنُورٌ جَنَانٌ . دُرُورٌ ..... (الْمُزَوَّبُ) ..... مَنُورٌ جَنَانٌ . دُرُورٌ

ثم استحقوا غضب الله تعالى أبدا الدهر وأينما كانوا، قال الله جلّت عظمتهم فيهم : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءُ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۚ ﴾ [آل عمران] . فمعنى (ضربت عليهم) في الآية أي أن الله تعالى كتب عليهم حتماً وألزم قلوبهم، وطبع على أخلاقهم وقسرها على الذلة والمسكنة، فهو حكم الله تعالى عليهم أبداً، فهذه الأوصاف تعد من أخص خصائصهم .

أما الذلة فهي الهوان والصغار والضعف الذي لازم حالهم وحياتهم، والذلة هي صفة خارجة عن النفس غير ملازمة لها، والمعنى أن الذل الذي هم فيه قد يتغير إلى عزة، بحيث يأتي من ينصرهم ويرفع الذل عنهم كما قال الله تعالى : (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا) أي لازمهم ذلك الذل والهوان أينما وجدوا، (إلا بحبل من الله) أي إلا أن يؤمنوا بالله عز وجل ليرفع عنهم الذل، وهذا الحبل مقطوع عنهم لكفرهم وفجورهم وتعديهم، أو (بحبل من الناس) أي يلجأون ويتقوون بمن يعينهم وينصرهم ليرفع عنهم الذل والقهر، وهذا قد يكون ويحصل كما هو شأنهم الآن .

والمعنى العام أنه لا عزة ذاتية لهم أبداً، وهذا يعني أنهم في كل زمان ومكان لا بد لهم من أن يحتموا ويعيشوا في ظل وحماية وحضن وكنف حليف قوي يؤمّنهم من عدوهم ويرفع عنهم القهر والذل والهوان دوماً، كما هو شأنهم في هذه الحقبة من الزمن وإلا ضاعوا بين الشعوب، لأن الله تعالى حكم عليهم بالضياع قال جل شأنه : ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۚ ﴾ [الأعراف ١٦٨] . أي مزقناهم في الأرض، وشتتناهم طوائف وأحزاب وجماعات قليلة متفرقين لتماديهم في الغي والباطل .

وأما المسكنة فهي صفة ملازمة لهم لا تفارقهم أبداً لأن الله تعالى كتبها عليهم، والمسكنة هي أمر ذاتي يجدها كل واحد منهم في نفسه، وبالتالي فلا

## مَنُورٌ جَنَانٌ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ جَنَانٌ . (رَدُّر)

خلاص لهم منها أبداً، وهي ليست كالذلة التي قد ترفع عنهم؟ كلا، لأن المسكنة موجودة في صميم النفس وفي قرارها . وعلى ذلك ! فاليهود شعب ملعون مغضوب عليه بكل معاني الكلمة بحق عاقبهم الله تعالى بأن قسر حياتهم على الشتات والفرقة والذلة والمسكنة والهوان ما عاشوا أبداً .

وأى غضب فوق أن الله جلت عظمتة حكم عليهم بذلك في كتابه العزيز في مواطن عديدة، ولعنهم على لسان الأنبياء والرسل عليهم السلام والملائكة الكرام، بل والعالمين أجمعين، كما قال سبحانه في شأنهم بعدما ذكر كفرهم وفسقهم بعد معرفتهم الحق والبيان بما جاء على السنة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فقال عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴾ (١٥٩) [البقرة] . وقوله تعالى في الآية الأخرى : ﴿ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (٨٧) [آل عمران] .

والمحصلة ! أنهم شعب مغضوب عليه ملعون منبوذ على كل لسان إلا ممن تاب الله تعالى عليه وهداه للإسلام كما قال تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٨١) [آل عمران] . اللهم عليك باليهود وبأحزاب اليهود وبأشباع اليهود وبأنصار اليهود وبكل كافر فاجر حجود .



مَنُورٌ مَحَنَانُهُ . مُرَرٌ ..... مُزَوَّبٌ ..... مَنُورٌ مَحَنَانُهُ . مُرَرٌ

## ١٢- إرث النبوة (الإيمان)

ليس للنبوة إرث سوى إرث الإلتزام بالمنهج الشرعي الحق، مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى في قصة سيدنا نوح عليه السلام حين أغرق قومه فسأل نوح ربه أن ينجي ابنه من الغرق فقال تبارك وتعالى في شأنه : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ ﴾ [٥٥] قَالَ يَنْفُخُ فِيهِ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴿٥٦﴾ [هود] .

نلاحظ أن الله تعالى لم يقل في الآية عن ابن نوح الكافر : (إنه عامل غير صالح) أو (أنه يعمل أو عمل غير صالح) . بل قال عنه سبحانه وتعالى : (إنه عمل غير صالح) والمعنى إنه ليس من أهل دينك يا نوح لأن عمله غير صالح، فلا إرث بينكما لأنه على غير دينك فلا تسألني نجاته معكم، لأنه ليس من أهلك أهل الإيمان بالله تعالى .

وبهذا المعنى قال سبحانه وتعالى رداً على زعم بني إسرائيل الباطل : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَعْذِّبُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [المائدة] . أي لا نسب عند الله تعالى ولا محابة لأحد أبداً، بل الكل عنده سواء والأسعد بجنته هو الأقرب لرضاه جل شأنه، لأنه لا قرابة لأحد عند الله تعالى والكل خلقه وهم سواء .

وبهذا المعنى أيضاً قال ﷺ : (سلمان منا أهل البيت) [الحاكم والطبراني في الكبير وابن الأثير في الجامع والهيثمي والمنائوي في الفيض والتهذيب] . أي أنه ممن آمن فله ما لنا وعليه ما علينا من سائر المسلمين، أما الأنساب فلا أنساب في الدين إلا بالتقوى، والتي تعتبر هي الإرث الحقيقي لا سواها، فالكفر أخرج أبو

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَرٌ)

لهب القرشي الهاشمي ولعنه وهو عم الرسول ﷺ والإيمان أدنى سلمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيب الرومي رضي الله تعالى عن الجميع .  
ولذلك قال ﷺ مخاطباً صحابته الكرام وأهل بيته الأطهار وعموم قرابته والأرحام وأمته من بعد ذلك حين نزل قول الله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء] . فقام ﷺ وقال : (يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني والله لا أملك لكم من الله شيئاً إلا أن لكم رحماً سأبُلُّها بِلَالِها) [مسلم . ومعنى سأبُلُّها بِلَالِها أي سأصل رَحْمِي ولن أقطعها أبداً] .

وفي الحديث الآخر قوله ﷺ : (يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئاً يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت ما أغني عنك من الله شيئاً) [متفق عليه] .

فهذين الحديثين بيّن فيهما ﷺ أن القرابة لا دخل لها في نَجاة أو هلاك وإنما هو العمل الصالح، الذي يوصل لرحمة الله تعالى، والتي بها ينجو الإنسان، وكيف أنه ﷺ أعلم أقرب أقربائه وأحبهم إليه وهي ابنته فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها بأنه لن ينقذها من النار إن لم تنقذ هي نفسها بنفسها وتعمل صالحاً، فهل بعد هذا الإيضاح النبوي العَظِيم من فمه ﷺ مزيد إيضاح .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (لُزْزُور) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

وقول الله عز وجل أعلى وأحكم وأنفع وأعظم ففي محكم العزيز قول الله سبحانه : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (١٠١) [المؤمنون] . أي لا نسب ينفع حينها، ولا قرابة تجدي وتنجي عند الله تعالى أبداً إلا من أتى الله عز وجل بقلب سليم وعمل صالح يرجو به النجاة، وهذا معنى قوله ﷺ في الحديث النبوي الشريف : ( ... ومن بطأ به عمله لم يسعفه نسبه ) [مسلم] . أي من قصر به عمله عن إدراك النجاة والفوز فلن ينجيه نسبه أبداً فلا تركنوا على ذلك .

وإذن فلا نسب حقيقي ينسب إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلا نسب اتباع المنهج الحق والتزام الشرع المصدق، وما سوى ذلك فهو من ضروب وترهات الزيف والأباطيل والضلال وطرق الهوى ومسالك الردى .

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : ( إذا كان يوم القيامة أمر الله منادياً ينادي ألا إنني جعلت نسباً، وجعلتم نسباً، فجعلت أكرمكم أتقاكم، فأبيتم إلا أن تقولوا فلان بن فلان خير من فلان بن فلان، فاليوم أرفع نسبي، وأضع نسبكم . أين المتقون ) .

وفي رواية : ( إن الله يقول يوم القيامة : أمرتكم فضيعة ما عهدت إليكم فيه، ورفعتكم أنسابكم، فاليوم أرفع نسبي، وأضع أنسابكم، أين المتقون أين المتقون ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ) [الحاكم والطبراني في الأوسط والصغير والبيهقي في الشعب والهيثمى والبوصيري في الاتحاف وابن حجر في المطالب العالية] . فهل بعد هذا القول من مزيد إيضاح . اللهم احشرنا في زمرة محمد ﷺ وشفعه فينا واجعلنا ممن ينسب إليه نسب المتبع المقتدي والمتأسي المقتفي يا وارث الأرض ومن عليها .

مَنْزُورٌ مَحْفُوظٌ . (مَرْرَر) ..... (مُزَوَّرٌ) ..... مَنْزُورٌ مَحْفُوظٌ . (مَرْرَر)

### ١٣- كفر الكافر وإيمان المؤمن

قال الله تعالى في الذكر الحكيم : ﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بِعَدَائِمِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ [آل عمران] . ومعنى الآية لا تطيعوا عدوكم أبداً ولا سيما أهل الكتاب من يهود ونصارى .

ثم قال سبحانه وتعالى بعد هذه الآية بآيتين : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران] . أمر رباني إلهي للمسلمين جميعاً بوجوب الاعتصام به سبحانه وعدم التفرق لأن قوتهم تكمن في الاعتصام وضعفهم يكون في التفرق .

قيل في سبب نزول هذه الآيات أن شاس بن قيس أحد زعماء اليهود مر على نفر من الأوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فيه فغاضه ما رأى من إلفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال : قد اجتمع ملاً بني قيلة (وقيلة لفظ يطلق على الأوس والخزرج) بهذه البلاد، والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتى شاباً معه من يهود فقال : اعمد إليهم فاجلس معهم ثم ذكرهم يوم بُعث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا يتناولوا فيه من الأشعار، وكان يوم بعث يوماً اقتتل فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواتب رجالان من الحيين على الركب أوس بن قيطي أحد بني حارثة من الأوس وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج، فتناولوا ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم والله رددناها الآن جذعة (أي الحرب) وغضب الفريقان جميعاً وقالوا قد فعلنا السلاح موعداكم الظاهرة والظاهرة الحرة فخرجوا إليها وانضمت الأوس بعضها إلى بعض والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُنَزَّوْبٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

كانوا عليها في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال : (يا معشر المسلمين الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الإسلام وألف به بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً) . فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدوهم، حتى قال أحد الصحابة الكرام : (فما كان يوم في الإسلام أسوأ أولاً، ولا أحسن آخرأ إلا ذلك اليوم) [الزبيعي في تخريج الكشاف وابن هشام في السيرة والسهيلي في الروض الأنف واليعمرى الربيعي في عيون الأثر والطبري والثعلبي في تفسيرهما والواحدى في أسباب النزول وغيرهم] .

فمما يستفاد من هذه الواقعة ! أن الله تعالى أراد بالمؤمنين خيراً إذ جعل اليهود يزرعون مثل هذه المكيدة، حتى يعاد من خلالها تثبيت مفاهيم وقيم الأخوة الإسلامية الحققة في نفوسهم للأبد .

فكانت هذه المكيدة لو علم اليهود وقاية للمسلمين وجرعة مناعة لهم لا تفارقهم أبداً، بحيث متى نزع الشيطان الرجيم بينهم بعد ذلك كان قول رسول الله ﷺ مستحضرأ فيهم متغلغلاً في عقولهم وقلوبهم ونفوسهم لا يغيب عنهم أبداً .

وهذا البيان والتوجيه النبوي والتحذير منه ﷺ هو للصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم، ولمن جاء من بعدهم من عموم المسلمين، ولو لم تكن تلك الواقعة قد حصلت بين الأوس والخزرج لما كان عندهم المصل الواقي منها؛ لها ولمثيلاتها من مكائد وفتن ومؤامرات تُحاك بهم .

## مَنُورٌ حَمَائِلُهُ . أُرْدَارٌ ..... أُنْزَرُوبٌ ..... مَنُورٌ حَمَائِلُهُ . أُرْدَارٌ

وبذلك نرى أن الله تعالى قد يرفع شأن الإسلام ويعزه بمكائده ومساغي الكفرة والأعداء، وهكذا يجعل الله تعالى كفر الكافر ومكيدته مؤثراً وعاملاً قوياً في تثبيت إيمان المؤمن وداعياً إليه، حكمة بالغة منه سبحانه في جعل أغلب المكائده يعود نفعها للمسلمين ويدحض بها شأن وكيد ومكر الكافرين . وإذن فكم من كيد ومكر بالمسلمين ألحق بهم خيراً كثيراً، فرب ضارة نافعة وصدق ﷺ القائل : ( ... )  
وإن الله عز وجل يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر [متفق عليه] .

كما يستفاد من الواقعة أن الفرقة هي سبيل كل ضعف ووهن، والوحدة والاتحاد هما أهم عوامل القوة والغلبة .

وأمر آخر أيضاً هو أن شأن الأعداء دوماً؛ الدسيسة والتأليب بين المسلمين وزرع الفتن والمكائده للإيقاع بهم، وكل ذلك لزعزعة الصف الواحد وإضعاف الوحدة والترابط فيما بينهم، وما حال المسلمين اليوم وما هم فيه من ضعف ووهن إلا نتيجة لتلك الفرقة والخلاف والتصدع والنزاع ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . اللهم اكفنا شر الأشرار وكيد الكفار ومكر الفجار وطوارق الليل والنهار يا عزيز يا قوي يا رحيم يا غفار .



مَنْزُورٌ حَقٌّ . (رَر) ..... (لُزَر) ..... مَنْزُورٌ حَقٌّ . (رَر)

#### ١٤ - خيرية هذه الأمة

قال ﷺ مِيناً خيرية هذه الأمة في حديث نبوي شريف عظيم القدر : (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة، قال : ثم يتخلف من بعدهم خلف تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته) [متفق عليه] . أي يشهد قبل أن يستشهد ويحلف قبل أن يستحلف .  
وفي الحديث الآخر قوله ﷺ : (لا تسبوا أصحابي لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه) [متفق عليه . والمد ربع صاع] . أي لا يساوي قدر ما أنفق أحدهم ولا حتى نصفه بقدر ملء الكف .

هذا البيان في فضل الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم، وفي فضل التابعين الأجلاء رحمهم الله تعالى، فماذا عمن سيأتي من بعدهم ؟

قال ﷺ في الحديث النبوي الشريف : (اتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنياً مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليكم ببنفسك ودع عنك العوام فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيه مثل قبض على الجمر للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله، وزادني غيره، قال : يا رسول الله أجر خمسين منهم، قال : أجر خمسين منكم) [أبو داود وابن حبان والبيهقي في الكبرى والشعب والهيثمي] .

وفي الحديث النبوي الشريف الآخر قوله ﷺ : (إن من ورائكم أيام الصبر للمتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم، قالوا : يا نبي الله أو منهم ؟ قال : بل منكم) [ابن حبان والطبراني في الأوسط والصغير والهيثمي]

## نُزُولُ حَقَائِقِهِ . دُرَرُ ..... (لُزُوقِ) ..... نُزُولُ حَقَائِقِهِ . دُرَرُ

والألباني في الصحيحة] . وفي رواية : ( فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله) [الترغيب والترهيب وصححه الألباني] .

نلاحظ هنا قوله ﷺ : (أجر خمسين، منكم) فيه دلالة على أن التفضيل إنما يكون في الأجر لا في الإيمان والدرجة والرتبة، فرتبة الصحابة رضوان الله تعالى عنهم لا تدرك أبداً، لا من حيث الإيمان والتصديق، ولا من حيث النصرة والمجاهدة مع رسول الله ﷺ . لذا قال ﷺ في الحديث النبوي الشريف : (إنكم في زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك، ثم يأتي زمان من عمل منكم بعشر ما أمر به نجا) [الترمذي والألباني في الصحيحة] .

والمعنى العام أن الصحابة الكرام كانوا في زمن النبوة المشرق قد شاهدوا النبي ﷺ وعاشوا نزول القرآن الكريم عليه ﷺ حينها، وجاهدوا معه وعاصروه، فتأدبوا بأدبه واهتدوا بهديه وهو أمامهم ﷺ حجة قائمة وأسوة ماثلة يرونها بأعينهم مصداقاً لقوله جل في علاه : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ [التوبة] .

وبالتالي فلم يكن لهم العذر في التفريط والتهاون في الطاعة، هذا فضلاً عن الفسوق والعصيان، فحالمهم ليس هو كحال من باعدته السنين عنه ﷺ فلم يره ولم يسمعه ولم يتأثر بشخصه ﷺ وهو أمامه، هذا فضلاً عن كونه لم يجاهد معه ولم يعاصره ولم يعايش نزول القرآن الكريم فيتأثر بكل ذلك، وإنما كل ما في الأمر أنه وجد صُحُفًا مكتوباً فيها إيمان وطاعة فآمن وأطاع .

وهذا معنى قوله ﷺ للصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم حين قال ﷺ : (أيُّ الخلق أعجب إليكم إيماناً، قالوا : الملائكة، قال : وما لهم لا يؤمنون وهم

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . رَرَر ..... لُزْزَبٌ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . رَرَر

عند ربهم، قالوا : فالنبون، قال : وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم، قالوا : فنحن، قال : وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم، قال : فإن أعجب الخلق إلي إيماناً لقوم يكونون من بعدي؛ يجدون صحفاً فيها كتاب يؤمنون بما فيها) [البزار وأبو يعلى والطبراني في الكبير والبيهقي في الدلائل والخطيب في المشكاة والألباني في الصحيحة] .

المهم أن هذه الأحاديث النبوية الشريفة الأربعة بيّن فيها ﷺ ومن خلالها عدة أمور مهمة جداً تتلخص في ما يلي :

- الحديث الأول بيّن فيه ﷺ أن خير الناس بعده ﷺ هم الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، وهكذا إلى قيام الساعة وهذا معنى قوله ﷺ (اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم) [البخاري] .

- الحديث الثاني بيّن فيه ﷺ فضل الصحابة الكرام، وأن فضلهم لا يسبق ولا يلحق وهذا معنى قوله ﷺ : (وددت أنا قد رأينا إخواننا، قالوا : أولسنا إخوانك يا رسول الله، قال : أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ...) <sup>١</sup> [مسلم] <sup>٢</sup> .

---

<sup>١</sup> وتكملة الحديث : (فقالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله، فقال : أرايت لو أن رجلاً له خيل غرّ محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله، قالوا : بلى يا رسول الله، قال : فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليذاذن رجال عن حوضي كما يذاذ البعير الضال، أناديهم ألا هلم، فيقال : إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً) . وفرطهم أي قدامهم وأمامهم . ويزاد أي يمنعوا ويبعدوا .

<sup>٢</sup> نلاحظ أنه ﷺ عبّر في هذا الحديث عن سيأتي من بعده من غير الصحابة مؤمناً بالله تعالى ومصدقاً به ﷺ بلفظ (إخوان) في حين عبّر عن آمن به ممن رآه بلفظ (أصحاب)، ولفظ إخوان

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مَرَدَر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مَرَدَر)

وقول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه موقوفاً عليه : (إن الله نظر في قلوب العباد، فرأى قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاختره لرسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعده، فرأى قلوب أصحابه خير قلوب العباد فاخترهم لصحبته، فما رآه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المؤمنون قبيحاً فهو عند الله قبيح) [أحمد والبزار والطبراني في الأوسط والبيهقي في الاعتقاد وحسنه الألباني] .

- الحديث الثالث بيّن فيه ﷺ فضل الثبات والصبر زمن الفتن، وأن كل زمان سيأتي تزداد فيه الشرور والمنكرات وأنواع الفجور والفسوق والفساد وهذا معنى قوله ﷺ : (بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء) [متفق عليه] . وغرته ضياع تعاليمه وشرعه .

- الحديث الرابع بيّن فيه ﷺ ميزان التمسك بهذا الدين ومدى الاتباع للشرع القويم ولا سيما زمن كثرة الملهيات والمنكرات والمخالفات الشرعية وانتشار الفتن وتعدد الناس عن دينهم وجهلهم بأحكامه . وعليه فمن جاء بعُشر تكاليف الشرع المطهر وهي أسس الدين الحنيف وأركانه نجاء، في زمنٍ ضاعت فيه معالم الدين الحق وبدأت

---

أولى وأقرب للشخص من لفظ أصحاب، فكيف يكون التابعين ومن جاء من بعدهم إلى يوم القيامة ممن آمن بالله تعالى وصدق برسول الله ﷺ أقرب للرسول الكريم ﷺ من صحابته الكرام . كان ذلك لأن دواعي الإيمان في غير الصحابة أقوى وأوثق من غيرهم، فالصحابه الكرام قد رأوا الرسول ﷺ وسمعوه وشاهدوه وعاشوا معه ورأوا الآيات وهي تنزل عليه فكان إيمانهم شهادة حية استوثقوا منها بأسماعهم وأبصارهم وعقلوها بقلوبهم . أما إيمان من سواهم ممن جاء من بعدهم فكان إيمان تصديق بغيب، والتصديق بالغيب أقوى وأوثق ممن آمن بعدما سمع ورأى . فمن ذلك استحقوا الأخوة فكل مؤمن هو أخو الرسول ﷺ أخوة الإسلام الحقيقية، فكفى بها من منزلة عليا أن يكون المؤمن الحق أخا للرسول الكريم ﷺ . جمعنا الله سبحانه وتعالى به في أعلى عليين اللهم آمين .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُنَزَّهٌ) ..... (مُنَزَّهٌ) . (رَدُّر)

فيه مراحل غربته، فمن كان هذا حاله فليس هو كحال من كان حاضراً زمن النبوة  
المشرق والإسلام في بدايته وذروته .

والإجمالي المستفاد من الأحاديث الأربعة أن الخيرية متحققة في الصحابة الكرام  
رضوان الله تعالى عنهم، وأن فضلهم لا يسبق ولا يلحق لأن تضحيتهم كانت  
بأنفسهم وبأموالهم وبأهليهم وبذراريهم فتركوا الديار والمال والأهل وهاجروا مع النبي  
ﷺ وقاتلوا معه وذاذوا عنه وعن دين الله تعالى .

وكل ذلك ولا يزال أمر الدين في أوله، حتى قويت شوكته واشتد عوده وقامت  
دولته على أكتاف الرعيل الأول ومن تبعهم ومن جاء من بعدهم وهكذا .

وأن المستمسك الحق بعُرى الدين الحق شأنه كالقابض على الجمر فله بذلك  
أجر خمسين من أولئك الصحابة الكرام لأن صبره في زمن الغربة والضياع وكثرة  
الفتن والملهيات والمنكرات أشد من الصبر في زمن النبوة الذي كان فيه ميزان الإيمان  
مرتفع فثبتت فيه القلوب واطمأنت فيه النفوس ورجحت به العقول .

وأن المسلم آخر الزمان يكفيه أن يأتي بعُشر الدين لينجو لأنه في زمن فتن  
وغربة وجهل بتعاليم الشرع القويم . الحمد لله الذي جعلنا من أمة خير الأنام .



## الباب السابع : التكاليف الشرعية

- ١- حقيقة التكليف ومدى نفعيته
- ٢- السبب والمسبب
- ٣- قوانين حركة الحياة
- ٤- متطلبات الشرع
- ٥- مقصدا العبادة
- ٦- قبول العمل
- ٧- الخير والشر
- ٨- إرادة الخير والعمل الصالح
- ٩- عطاء الله تعالى
- ١٠- مشيئة الله تعالى في الكون
- ١١- سجن الدنيا وجنتها
- ١٢- بين الرحمة والغضب
- ١٣- الرصد والحساب (رقابة الله تعالى)
- ١٤- ثمن الجنة (رحمة الله تعالى)
- ١٥- الأخوة الإسلامية (الكريم واللييم)
- ١٦- الغفلة (حقيقة الزهد)

مَنُورٌ مَّخَانُورٌ . (رَدِّ رَدِّ) ..... (مَنُورٌ مَّخَانُورٌ) . (رَدِّ رَدِّ)

## ١ - حقيقة التكليف ومدى نفعيته

كلنا يعلم أن الله تعالى أسجد ملائكته الكرام البررة عليهم السلام لآدم عليه السلام تشريفاً وتكريماً له، وبالتالي فلا يمكن أن يكون هذا التكریم لأن الله تعالى يكرهنا أو يريد عذابنا، بل فيه دليل على أن الله عز وجل يحبنا ويريد لنا الخير والسعادة، وعليه فعلينا قبول منهجه جلت عظمتة جملة وتفصيلاً .

ولكن الحاصل أن الكثير من الناس يظن أن التكليف إنما جاء عبثاً عليهم مكلفاً لهم ما لا يطيقونه، ولم يفتنوا إلى أن التكليف في حقيقته إنما هو رفعة لهم وخير كبير وكثير لو علموا ذلك . وفي محكم الكتاب المجيد قوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة] .

فالله تعالى هو الذين خلق الجميع وأوجدهم من عدم، ومن ثم أمرهم بعبادته عز وجل، ولكنه مع ذلك جل في علاه لم يقتحم حركة حياة الإنسان ولم يرغمه أو يجبره بما أراد سبحانه، وإنما خيرَه وترك له حرية الاختيار .

فمن آمن بالله تعالى ورضي به رباً خالقاً وإلهاً معبوداً، يكون قد دخل في عهد مع الله تعالى فيكلفه عندها سبحانه بما ينفعه في حياته ومماته، أما من لم يؤمن ولم يستجب له عز وجل فلم يكلفه الله تعالى بشيء وتركه يعيش كما يحب، وهذه هي عدالة التكليف وهي أنه عز وجل لم يكلف إلا من آمن به ورضي أن يدخل في عهد معه، أما من كفر فلم يكلفه بشيء ولم يرغمه على شيء أبداً .

والتكليف في حقيقة معناه أنك أمنت الله تعالى على حركة حياتك، وبالتالي ارتضيت بما شرعه سبحانه وتعالى لك وقبلته وحكمته في دنياك لأنك موثق بأنه خير لك وأن شرع الله تعالى وتقنينه لك هو خير من شرعك وقوانينك لنفسك أو

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدُّ رَدِّ) ..... (مَنُورٌ مَحَنَانٌ) . (رَدُّ رَدِّ)

لغيرك من البشر، لأنه لا مأمون في توجيه الخلق واختيار ما ينفعهم في حركتهم من الصلاح والنفع إلا الله تعالى، ربهم وخالقهم وراحمهم جلّت عظمته وتعالى وتقدس اسمه . كما أن شرع الله تعالى في حقيقته واقع على الجميع بنفس الدرجة والقدرة، فهو بذلك يخرج الناس من تبعية وطاعة الناس إلى تبعية وطاعة رب الناس، شرع واحد شامل يحكم الجميع .

ولولاه لحكم الناس بعضهم بعضاً، والكل من الناس يريد أن يكون هو الحاكم وسواه هو المحكوم، لكننا إن آمنا بالله تعالى جميعاً خرجنا من حكم بعضنا بعضاً وحكمنا شرع واحد سواء، فلا تحكمني ولا أحكمك بل يحكمنا من خلقنا وأوجدنا وهو بعقولنا وقلوبنا ونفوسنا أعلم وأدرى، والإنسان متى خضع لله تعالى .

فهذا يعني أنه لم يخضع لمساويه، وبالتالي فكل الخلق أعلاهم وأدناهم أمام شرع الله عز وجل سواء، والمطلوب منهم جميعاً مطلوب واحد بنفس الدرجة، وربما كان الأدنى من الخلق أفضل عند الله سبحانه من الأعلى منهم؛ في الطاعة ومدى الانقياد له تعالى . لذا كان شرعاً مناسباً لحركتنا في الحياة جميعاً ولا ريب وهو سبحانه المتعال عن الجميع .

وعليه فلا يُؤْمَنُ على الخلق إلا من خلق الخلق وقام على أمرهم جميعاً، وهو بهم أعلم وبما ينفعهم ويصلحهم أدرى، لأنه سبحانه الحي القيوم تنام أعينهم ولا تنام عينه بل يبيت يحرسهم بعينه ويكلؤهم برعايته ويحفظهم بحفظه جلّت عظمته، فكيف لا يُرتضى دينه ولا يحكم شرعه ولا يقام أمره عز وجل، وكل ذلك في مصلحتنا نحن العباد . والعبد عندما يؤمن فهو حينها يحیی الله تعالى بالإيمان والانقياد له فيحيي الله تعالى بالتكليف ويشرفه به ويختاره له، لأن فيه منفعة بوجه خاص، ومنفعة العباد بوجه عام .

## مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (مُرَارٌ) ..... (مُنَزَّهٌ) ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (مُرَارٌ)

ولله سبحانه في هذه الدنيا إيجاد من عدم، وإمداد بالنعم وأمر التكليف، وهو خير للعباد في جميع أحوالهم، لأن الله جل في علاه هو الخالق الصانع للإنسان، وهو عز وجل أعلم بصنعته تلك، وقد وضع له الشريعة ليسير عليها كأفضل منهج للحياة، كما لو أن صانع صنعة ما؛ وضع لها كتالوجاً (نشرة إرشادات) يسير عليه المستخدم، فهو ولا شك من مصلحة المستخدم ولن يصيب تلك الصنعة حينها عطب ولا عطل ما دام يستخدمه على الوجه السليم كما في الكتالوج .  
كذلك منهج الشريعة الإلهية تعتبر هي ذلك الكتالوج بالنسبة للإنسان لو سار عليها لنجا ولوصل إلى بر الأمان<sup>١</sup> .

والتكليف في جميع حالاته إنما جاء من علو ليقع على الجميع، وهو يحوى تشريع العقوبة بطريقة دائمة في كل الحدود ! لا ليعاقب وإنما ليمنع به ويردع، فتشريع العقوبة هنا لا بدافع القسوة والجبروت من الله تعالى، وإنما بدافع الرحمة والرأفة بخلقه فهو سبحانه حين يخوّف عباده يريد أن يحجزهم عن تعدي الحدود، والعقوبة كلما شددت كلما أراد سبحانه أن يمنع بها من تعدي حدوده والوقوع في المعاصي بأشد لهجة وأقصى تخويف .

ومن رحمة الله تعالى أيضاً أن كل تكليفه رحمة للناس وفي وسعهم القيام به في جميع حالاته ولا شك، لذلك فمتى وجد الإنسان نفسه في العنت والمشقة فهو ولا شك يكون قد قدر الوسع ثم ثبت عليه التكليف الذي يراه في تقديره أنه شاق، وهذا خطأ والصحيح أن يقول ما دام أن الله تعالى قد كلف فهو في الوسع ولا

---

<sup>١</sup> الصفات نوعان، صفة تأثير، وصفة انكشاف وإبراز . والعلم صفة انكشاف لا صفة تأثير، أي أنه سبحانه كتب القدر لأنه عليم خبير كُشف له كل شيء فكتب ما علمه، وعليه فكتابة القدر منه عز وجل سبق علم الله تعالى لا قهر قدرة منه تعالى، كتبه لأنه عليم، ولم يكتبه عز وجل ليلزم .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . أُرْدَرُ ..... أُلْزَقُ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . أُرْدَرُ

شك، لأنه عز وجل لا يكلف ما ليس في الوسع أبداً . وفي الذكر الحكيم قول ربنا  
جل في علاه : ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (٧٨) [الحج] .

وأمر آخر هو أن التكليف الشرعي في جميع أوقاته وحالاته لا ينفع الله تعالى  
بشيء، بل أن منفعته متحققة للعباد في جميع حالاته، فلو أن العباد لم يقبلوا  
التكليف وكفروا بالله تعالى ولم يؤمنوا به، فإن ذلك لن يضر الله تعالى شيئاً، لأنه عز  
وجل لا ينتفع بالعبادة ولا يتضرر بعدمها، سواء آمن الخلق أو كفروا، وإنما المنتفع  
والمتضرر بذلك إنما هم العباد أنفسهم، والله سبحانه إنما يلزم بالتكليف من آمن به  
فيرضى عنه، ويدخله حينها في زمرة عباده الطائعين .

لذا كان التكليف في حقيقته شرف ورفعة ومنفعة للعباد لو فطنوا وفهموا مراد  
ربهم سبحانه من ذلك، لأن العباد لا بد لهم من منهج يسيرون عليه في دنياهم،  
فهم إن لم يلتزموا بشرع الله عز وجل ويطيعوه ويطبقوه تخططوا وشقوا في دنياهم،  
التي ستضطربهم إلى أن يحكموا بعضهم كلاً بحسب هواه وعندئذ يكون الشقاء .

وهذا كله في الدنيا، أما في الآخرة فجزاء التكليف هو الجنة ودار النعيم لأنك  
ما دمت قد أسلمت لله تعالى وانقادت نفسك له وعبدته وأطعته فسيكافئك بنعيم  
مقيم لا يحول ولا يزول ولا ينقص ولا ينفذ . اللهم اجعلنا ممن آمن بك وقبل دينك  
ورضي بحكمك وانقاد لشرعك .



## ٢- السبب والمسبب

من حكمة الله تعالى أنه جعل كل شيء في هذا الكون معلق على سبب، وجعل الدنيا دار أسباب، وهو سبحانه مسبب الأسباب وبالتالي ففي حقه عز وجل لا أسباب تحكمه ولا مسببات، لأنه جل في علاه هو المسبب وجاعل السبب وموجده والمتصرف في كل ذلك .

لكن في حق المخلوقين لا بد من أسباب يأخذ بها العبد في الدنيا فيما ظهر له، والحكم لله تعالى في جعل الشيء يكون من عدم ذلك سواء بسبب ظاهر أو بسبب خفي !

لنتدبر مثلاً قول الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ ﴾ [الأنفال] . ففي الآية إثبات الفعل ونفيه والفعل واحد والفاعل واحد، والمعنى أن الله تعالى يبين لرسوله ﷺ أنكم أنتم الذين باشرتم الفعل الظاهر، ولكن لولا توفيق الله تعالى في تسديده وإيصاله لما حصل ذلك، فكان الفعل منكم والتوفيق من الله تعالى في إيقاع الفعل وحصوله على الوجه المطلوب .

إذن المسلم مطالب بالفعل لكن لا ينبغي له أن يركن على ذلك لأن فعله ليس مجرداً من إرادة الله تعالى لا من حيث القصد ولا من حيث الوقوع، فمرادك كائن بعلم الله تعالى وإرادته سبحانه ولو شاء لما كان، وحصوله كائن بإذن الله تعالى ولو شاء عز وجل لما أوقعه ولصرفه بأي صارف كان وهو على ذلك قدير .

ولنتدبر أيضاً قول الله تعالى لمريم عليها السلام : ﴿ وَهَزَيْتَ إِلَيْكَ مِجْنَعًا لِنَخْلَةٍ سَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم] . فمريم عليها السلام حينها كانت في مخاض

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّرٌ ..... الْمُرْزَقُ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّرٌ

النفاس امرأة واحدة ضعيفة هزيلة تَعْبَةٌ لا تقوى على الحراك بسبب الولادة، والله سبحانه يريد أن يرزقها الرطب ولو شاء لرزقها من غير سبب، ولكنه تعالى أمرها بأن تباشر السبب ليكون سقوط الرطب بسبب ظاهر باشرته هي بنفسها، وإلا فحقيقة سقوط الرطب ليس بهزها للنخلة والتي بطبيعتها ثابتة في الأرض لا يستطيع عشرة رجال أشداء أن يهزوها ولو فعلوا لما تساقط الرطب من قوة ثباته في الشماريخ على النخلة، ولكن الله تعالى أراد السبب وهو عز وجل المسبب الحقيقي والفاعل جل في علاه . قال الشاعر :

ألم تر أن الله أوحى لمريم      وهزي إليك الجذع يتساقط الرطب  
ولو شاء لجنته من غير هزها      ولكن كل شيء له سبب

وفي قصة هاجر أيضاً عندما تركها إبراهيم عليه الصلاة والسلام وابنها الرضيع إسماعيل وأراد الانصراف عنها فقالت له : لمن تتركنا هنا، فلم يجبها بشيء فقالت : (الله أمرك بهذا) قال : (نعم) فقالت هي بنفسها : (إذن لا يضيعنا) تعلق بالمسبب وهو الله عز وجل ولم تتعلق بالأسباب التي تراها، من عدم وجود ماء ولا طعام ولا أناس في ذلك المكان القفر . ثم لما عطش الطفل ذهبت تبحث له عن ماء وأخذت بالأسباب الظاهرة من كونها بحثت وأجهدت نفسها سبع مرات بالسعي بين الصفا والمروة، ولكن الله تعالى أراد أن يحقق مقولتها تلك وأنه عز وجل لن يضيعهم فعلاً فنبع الماء لا من جهدها وأخذها بالأسباب الظاهرة، ولكن نبع من تحت رجل الطفل الرضيع فكان السبب ركضة هزيلة من طفل وليد ضعيف، فتحقق أن الله تعالى هو المسبب القادر على كل شيء يرزق بما ظهر وبما خُفي وبما لا يتوقع، كما فجر الماء لا من سعيها ولكن من ركضة بسيطة لطفل رضيع لم يكن في حُسبان أمه ذلك الأمر . وفي ذلك دليل على أن الله تعالى القدرة المطلقة في

## مَنُورٌ مَحْنَانٌ . أُرْدَارٌ ..... أُنْزَرُوبٌ ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . أُرْدَارٌ

التصرف سبحانه لأنه مسبب الأسباب الحقيقي وإن اعتقد الناس غير ذلك . إذن في كل ما ذكر عبرتان مهمتان هما :

١- وجوب الأخذ بالأسباب التي هيأها الله تعالى وبينها لعباده، لكن مع عدم الاتكال المطلق عليها فقط، لأنها من خلقه تعالى جاعلها وموجدتها، بحيث تنفعل الجوارح للأسباب مع تعلق القلوب برب الأرباب ومسبب الأسباب .

٢- وجوب التوكل الحقيقي على الله تعالى لأنه عز وجل هو المسبب فقد يهب ويعطي ويرزق ويمنع بما ظهر وبما خفي، بما علم وبما لم يعلم وهو سبحانه الذي يوقع الشيء أو يصرفه بما شاء جل في علاه . اللهم يا الله ارزقنا صريح الإيمان وصدق اليقين وحسن التوكل عليك والاعتصام بك يا كريم .



### ٣- قوانين حركة الحياة

بعد أن تكلمنا عن السبب والمسبب؛ من الأمثل أن نتكلم عن قوانين حركة الحياة وما طبعها الله تعالى عليه بوجه عام، فالله سبحانه وتعالى جعل الدنيا دار أسباب محكومة بقوانين ثابتة لا تتغير ولا تتبدل أبداً أرادها الله عز وجل مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر] . وأمر الله تعالى خلقه بأن يعيشوا في ظل تلك القوانين، وبالتالي أن يأخذوا بالأسباب وألا يتجاهلونها في معيشتهم أبداً .

و شاء الله تعالى أنه لم يجعل ولم يعلق نتائج الأخذ بالأسباب على الإيمان والكفر، أو على مدى الطاعة والعصيان، بل علق ذلك على مدى الأخذ بالأسباب وحسن استغلالها من عدم ذلك .

لذا حكم سبحانه الدنيا بأن جعل كل ما فيها يفعل بحسب الفاعل، فكل من أخذ بالأسباب وأحسن استغلالها أعطته الدنيا النتائج بحسب ذلك الاجتهاد وحسن السعي، حتى ولو كان كافراً أو فاجراً، وكل من ترك الأخذ بالأسباب وتواكل وترك العمل لم تعطه الدنيا شيء حتى ولو كان مؤمناً طائعاً، فمن زرع الأرض أعطته ومن عمل وأحسن حصده النتائج، بغض النظر عن دينه وعبادته ومدى طاعته لله سبحانه من عدم ذلك . الأمر كل الأمر متعلق على الأخذ بالأسباب ومدى الاجتهاد فيها من عدمه .

وكل هذا لأن الله تعالى حكم الدنيا بقوانين الأسباب وأمر خلقه بالأخذ بها، إذن على المؤمن الحق ألا يعتمد على إيمانه في دنياه لتحقيق معيشتة، مجرداً من الأخذ بالأسباب، لأن الله تعالى لم يعلق أمور المعيشة على الإيمان والطاعة، وإلا لما

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (لُزُوقُ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

رُزِقَ الكافر والفاجر شيئاً من رزق الله تعالى في الدنيا، ولكن عليه السعي والاجتهاد والأخذ بالأسباب وحسن استغلالها ليضمن أفضل النتائج، بعد التوكل على الله تعالى والاعتصام به عز وجل، وهو سبحانه الذي يكفي عباده وأوليائه الصالحين . أما من تقاعس وكان عالة في الكون فسوف يتسلط عليه عدوه الآخذ بالأسباب أكثر منه والأحسن استغلالاً لها .

وقوانين السببية هذه لن تتغير أبداً لا على يد المؤمن ولا يد الكافر، غير أن الله تعالى مسبب الأسباب قد يعطل أسبابه في الدنيا وقد يوقف عمل القوانين ليعطي عبده ما شاء متى شاء وكيفما شاء، حتى تظهر قدرته المطلقة في الكون فهو سبحانه وتعالى رب الأرباب ومسبب الأسباب وخارق العادة بقدرته ومشئته وحكمه وعلمه وحكمته وإرادته سبحانه وتعالى عما يصفون .

لكن هذا لا يبيح للمؤمن انتظار الكرامات من الله تعالى في تحصيل رزقه والسعي خلف أموره وتحسين معيشته، ويترك الأخذ بالأسباب فهذا ولا شك إن حصل فهو خلل في صحة الإيمان وصدق اليقين، لأن الله تعالى لم يأمر بترك الأسباب والتواكل عليه، وإنما أمر بالأخذ بها ومن ثم التوكل الصادق عليه عز وجل مصداقاً لقوله ﷺ للصحابي الذي جاء يسأله فقال له ﷺ : (اعقلها وتوكل) [الترمذي وغيره] . إذن فلنعقلها ولنتوكل على من لا يرد من دعاه، ولا يخيب من رجاه . اللهم اجعلنا ممن تحرك في الدنيا فنفعته بنفسه ونفعت به غيره في الدنيا والآخرة .



#### ٤ - متطلبات الشرع

حوى شرع الله سبحانه وتعالى القويم أفضل منهج حياة، وهو يقوم على خمسة متطلبات كلها ثابت بدلالة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وهي في عمومها تقوُّم سلوك المسلم في حياته، وهي : (الأحكام، والحدود، والآداب، والفضائل، والرغائب) وتفصيلها كالتالي :

أ- أما الأحكام : فحيثيتها بقول : (افعل كذا، ولا تفعل كذا) . وهي ثابتة بدلالة الوحيين (الكتاب والسنة) من عموم الأحكام الواردة فيهما .

وهذه الأحكام هي عبارة عن أوامر الشرع المطهر، مما أمر الله سبحانه به العباد كالأمر بالصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والإنفاق وما إلى ذلك، والأمر هنا بصيغة الفعل الجازم ومن لم يفعل فقد خالف شرع ربه سبحانه ولم يمثل لما أمر به تعالى .

ب- وأما الحدود : فحيثيتها بقول : (لا تفعل كذا) . وهي أيضاً ثابتة بدلالة الكتاب والسنة كعموم الحدود الواردة فيهما . وهذه الحدود هي عبارة عن نواهي الشرع مما نهى الله تعالى عنه العباد، وهي نوعان :

- الأول : ما ترتب عليه جزاء وحدّ في الدنيا كالسرقة والزنا واللواط والخمر وما إلى ذلك من كبائر .

- الثاني : ما لم يترتب عليه جزاء وحدّ في الدنيا كالكذب والغيبة والنميمة والبهتان، وما إلى ذلك من منهيات ومحرمات الجزاء عليها سيكون في الآخرة ما لم يترتب عليه الضرر بحقوق الآدميين .

وكل هذه المحرمات جاءت بصيغة النهي والترك الجازم . لذا وجب البُعد عنها ككل وعدم اقتراف شيء منها لأن ذلك يعني مخالفة الشرع وتعدي حدوده .

## مَنْزِلٌ مِّنَ الْوَعْدِ ..... مَنْزِلٌ مِّنَ الْوَعْدِ ..... مَنْزِلٌ مِّنَ الْوَعْدِ

ج- وأما الآداب : فحاشيتها : (افعل كذا ولا تفعل كذا) . ولكن ليس على سبيل الوجوب والإلزام والجزم بل على سبيل الحث والندب والاستحباب، مما حث عليه الشرع ورغب فيه من سائر الآداب، وهي عموماً مندوبات من فعلها أثيب عليها ومن لم يفعلها لم يعاقب عليها، كالبدء باليمين في كل شيء، واحترام الكبير من قبل الصغير، وأن يسلم الصغير على الكبير، ودخول المسجد باليمنى والخلاء باليسرى، وما إلى ذلك من عموم الآداب .

فهذه الآداب وغيرها حقيقة حث عليها الشرع وندب إلى فعلها، ومن ترك مندوباً مما حث عليه الشرع أو فعل مكروهاً كرهه الشرع، فقد ترك أدباً كان الأولى فعله لأنه يسمو بأخلاقه، وهو يثاب عليه في كل أحواله لكن لا يترتب على ذلك الفعل أو الترك جزاء أو عقوبة أو حد، لأنه لم يجرى بصيغة الجزم وإنما جاء بصيغة الندب والحث لأنها آداب وليست أحكاماً أو حدوداً .

د- وأما الفضائل : فحاشيتها ذكر الله تعالى والتقرب إليه سبحانه بفعل عموم فضائل الأعمال التي دلت عليها نصوص الوحيين، من سائر الأقوال والأفعال التي في عملها مزيد أجر، وهي لا تعتبر من الأحكام المأمور بها ولا من الحدود المنهي عنها ولا من الآداب التي يندب فعلها ولكنها من فضائل الأعمال التي تزيد الأجر وتقرب إلى الله تعالى كفضل الاستغفار والتكبير والتهليل والتسبيح والتحميد وقول سبحان الله وبحمده وفضل قيام الليل وأجر الصدقة وعظيم ذكر الله تعالى وما إلى ذلك من فضائل أعمال .

وهذه الفضائل تختلف عن الآداب، فالآداب يعتبر فعلها من باب الأولى والأليق والأحرى بالمسلم، وهي شبيهة بالأحكام والحدود غير أنها جاءت بصيغة الحث والندب وليس بصيغة الإلزام، أما الفضائل فهي أمور تكون بين العبد وربه

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . أَمْرٌ دَرٍ ..... أَلْمَزَقُ ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . أَمْرٌ دَرٍ

من باب التقرب إلى الله سبحانه وتعالى وتحقيق محبته عز وجل وابتغاء المنزلة عنده جلّت عظمته .

هـ- وأما الرغائب : فهي كل ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من عموم المواعظ والعبر، وحديثها التفكر والتدبر والتأمل في ملكوت الله تعالى وعظمته كقوله عز وجل في كتابه العزيز : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ ﴾ [آل عمران] . وقوله ﷺ إذا نظر إلى السماء : (يا مصرف القلوب ثبت قلبي على طاعتك) [النسائي في الكبرى وأحمد وأبو يعلى] .

وهذه الرغائب تُبقى العبد دوماً في معية ربه عز وجل، والمسلم متى تفكر في هذا الكون ورأى عظمة الله تعالى وعجيب صنعه رغب إلى الله تعالى وعظمه حق التعظيم . ولذلك قال سبحانه لرسوله الكريم ﷺ في محكم النزيل : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۚ ﴾ [الشرح] .

والمعنى فإذا فرغت من عمل ديني فانصب لعمل دنيوي، وإذا فرغت من عمل دنيوي فانصب لعمل ديني وهكذا، وبهذا يبقى المسلم دوماً منشغلاً بما ينفعه في الدنيا والآخرة سواء، وهو في كل أحواله مع ربه سبحانه وتعالى .

والخلاصة ! هذه هي كل متطلبات الشرع الإسلامي، ولو تأملنا كل ما ورد في الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة لم نجد فعلاً يخرج عن نطاق هذه الأمور الخمسة، فهو إما أمر وإما نهي وإما أدب وإما فضل عمل وإما رغبة إلى الله تعالى، وكلها ولا شك تحفظ جوارح المسلم وتهذب سلوكه في الحياة بطريقة حقيقة أكيدة . اللهم اجعلنا ممن نفذ أمرك واجتنب نهيك وتقرب إليك بالفضائل والنوافل والرغائب يا حي يا قيوم .

## ٥ - مقصدا العبادة

خلق الله تعالى الخلق في الدنيا للعبادة على الوجه المطلوب، وأمر الإنسان فيها بذلك، ولكنه سبحانه لم يجعل الدنيا داراً للعبادة المجردة فقط، ولم يجعل الإنسان فيها متفرغاً لذلك ليس إلا، وإنما جعل الدنيا مع كونها دار عبادة وذكر لله تعالى جعلها أيضاً دار معاش . وفي محكم الكتاب العزيز : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البدر] .

والمعنى أن الله عز وجل لو جرّد الدنيا من كونها دار معاش إلى كونها دار عبادة صرفة، يعبد الإنسان فيها ربه بكل سهولة ويسر ودون منغصات ولا ملهيات ولا مشغلات، لما تمايز العباد في ذلك، ولما انشغل أحد عن ربه جل جلاله، ولكان كل الناس سواء في إيمانهم وبرهم وطاعتهم له عز وجل .

ولذلك كان ولا بد لتكامل حركة الإيمان من إيجاد ما يشغل العبد عن ربه سبحانه، ليتمايز العباد فيما بينهم ويظهر المتبع من المعرض، والملتزم من المفرط والمؤمن من الكافر والبر من الفاجر، ومع ذلك فهو شغل بما ينفعهم مما شرع الله تعالى لهم من حلال طيب ورزق مباح، وهو شغل معاش لا بد منه في حقيقته .

لأن الله سبحانه أرادنا في دار عمل وسعي وكدح، وكل ذلك يجعل العبد متمسكاً بربه جل شأنه، وبالتالي فهو ليس شغلاً صارفاً عن الله جل جلاله وإنما هو شغلٌ يجعل العبد دوماً مع الله تعالى، يطلبه ويستعينه ويتوكل عليه ويعتصم به ليعينه على أمور الدين من عبادة وطاعة، وفي ذلك إعانة للمسلم على أمور الدنيا وتحصيل المعاش . وعلى ذلك فعبادة الإنسان في حياته وسعيه فيها وجميع معاشه يأتي ضمن مقصدان هما :

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . أَمْرٌ دَر . . . . . (الْمُزَكَّاةُ) . . . . . مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (أَمْرٌ دَر

أ- ما كان منها بقصد العبادة ليس إلا، كسائر أفعال العبادة المعروفة من صلاة وزكاة وصيام وحج وذكر لله جلّت عظمتُه، وما إلى ذلك مما هو معروف لدى الجميع من أمور الدين الخفيف .

ب- ما كان منها بقصد المعاش، لكنه لا يخرج عن كونه عبادة لله تعالى، لأنه مما شرع الله عز وجل وأمر به وأباحه لعباده في هذه الدنيا، وإن كان في الظاهر أنه طلب للدنيا وزينتها، إلا أنه سعي فيها بقصد المعيشة مما هو مطلوب بما يستبقي به الإنسان حياته في دنياه .

فالإنسان مثلاً يأكل ويشرب وينام ويقوم ويعمل ويباشر حياته بوجه طبيعي فكل هذه الأمور متى تحققت فيها نية العبادة لله تعالى، واحتسبها المسلم لله عز وجل انتقل من كونها عادات وأعمال معيشية مجردة؛ إلى كونها عبادة وقربة إلى الله جل في علاه .

لأن الله عز وجل يريدنا معه دوماً وهو تعالى لم يبح لنا الشغل والمعاش في الدنيا لنشغل بها وحسب، وننصرف عن العبادة بل جعل ذلك جل شأنه لنطلبه ونلجأ إليه ونتوكل عليه سبحانه ونعتصم به دوماً، فكانت أمور المعاش هنا مما يعين على العبادة، فتذكر بالله تعالى دوماً وتدعو للتعلق به، لأن المسلم حينها يحتاج لمقومات الحياة، وبالتالي سيلجأ لمن يقويه ويعينه على فعلها ويمده بالعون والقوة والصبر .

إذن لو خلت الحياة الدنيا من أمور تحصيل المعاش والسعي والكدح فيها لما احتاج الإنسان فيها لمقومات ؟ وبالتالي ستكون عبادته فيها بطريقة رتيبة لا مله فيها، ولا مشغل عن الله تعالى، وحينها ما كان العباد ليتمايزوا في عبادة الله عز وجل وطاعته .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . رُردر ..... (لُزُورٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . رُردر

قال أحد السلف : (إني لاحتسب على الله تعالى نومتي، كما أحتسب على الله تعالى قومتي) . والمعنى إني أنام لأتقوى على العبادة فأحتسب نومي قربة إلى الله تعالى وعبادة له، كما أحتسب قيامي بين يدي الله سبحانه وعبادتي وعملي له سائر اليوم .

وكذلك سائر الأعمال فمن أكل ليتقوى على العبادة والطاعة وليس لمجرد الأكل والنهم كان له أجر، ومن لبس الثوب لستر بدنه وليس للكبر والفخر كان له أجر، ومن عمل لإعفاف نفسه والقيام على بنيه وأهله وذويه كان له أجر وهكذا سائر الأعمال .

إذن ليس المعاش في الدنيا والسعي لتحصيل المنافع فيها شيء مستقل عن الدين وعن عبادة الله تعالى ؟ كلا . وإنما هو من صميم الدين تماماً، فمتى فهم الإنسان ذلك احتسب فعله وجعله قربة لله سبحانه وتعالى، وهذا هو المطلوب والذي بينه قول الله جلّت قدرته : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام] . والمعنى أن كل أمور حياتي هي لله تعالى وتقدس فهي منه وإليه وفيه وله . اللهم فقهننا في أمور ديننا ودنيانا وعلمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا يا علام الغيوب .



مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّرٌ ..... مُزَوَّبٌ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّرٌ

## ٦- قبول العمل

قال جل في علاه في آيات كثيرة من كتابه المحكم : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) . دلالة واضحة على اقتران العمل الصالح بالإيمان، فإيمان وحده بلا عمل لا يكفي، وعمل صالح بلا إيمان لا قيمة له، فالإيمان منوط بالقلب والعمل منوط بالجوارح .

وإيمان بلا عمل كإيمان إبليس الأكبر، فهو يؤمن يقيناً بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، يعلم ذلك كله لا يشك فيه، وقد كان في الجنة من جملة الملائكة الكرام، يعبدون الله تعالى .

لكنه بعد عصيانه كفر وإعرض واستكبر وجحد، وأفسد إيمانه بعدم التسليم والاستسلام لله سبحانه، فكان إيمانه بلا عمل يصدقه، وأصبح من الكافرين .

والعمل الصالح في حد ذاته هو شرع الله تعالى، وبالتالي فلا بد من أخذه عن مبلغ عن الله عز وجل، فكان رسول الهدى ﷺ، قال سبحانه في الذكر الحكيم :

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢١) [آل عمران] . والمعنى لا إيمان صادق ولا دين حق قيم إلا باتباع رسول الهدى ﷺ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ إِلَّا رِجَالًا مِّنْكُمْ فَخُذُوا مَا نَهَيْكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٧) [الحشر] .

ولذا جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) وفي رواية : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) [متفق عليه] . والمعنى من عمل عملاً لم يرد في الكتاب العزيز أو السنة النبوية المطهرة عنه ﷺ فهو بدعة، ومردود على صاحبه، والبدعة ولا ريب ضلال بين، وفي الحديث

## مَنُورٌ مَحْنَانٌ . رَرَر ..... لُزْزَب ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . رَرَر

النبي الشريف قوله ﷺ : (وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة) [مسلم] .  
وقوله ﷺ : (وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة) [أبو داود والترمذي وابن ماجه] .

ولهذا كله كان ولا بد أن يكون العمل لله تعالى لا سواه، وإلا كان عملاً لا قيمة له، قال تبارك وتعالى في الحديث القدسي : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه) [مسلم] . وهذا يعني أن الله تعالى لا يقبل من المسلم أي عمل أشرك فيه صاحبه مع الله سبحانه، فالشرك محبط للعمل وهو ظلم عظيم، وفي الكتاب المجيد قول المولى جل في علاه : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (٤٨) .  
وقوله سبحانه : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (١١٦) [النساء] .

ثم وإدراك قبول العمل تماماً يجب على العبد بعد ذلك كله أن يكون حسن الظن بالله عز وجل دائماً، فمتى ساء ظن المسلم بربه سبحانه فقد أفسد عمله وأبطل سعيه والعياذ بالله تعالى، وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن) [مسلم] . فالله جل جلاله طيب، يقبل العمل الصالح الطيب، وفي المحكم العزيز قوله سبحانه : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (١٠) [فاطر] .

وبمجمل مفاد ما ورد معنا من الآيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة الواردة، تكون قد اجتمعت لنا شروط قبول العمل الصالح من حيث الجملة، وهي خمسة :

١- إيمان صادق بالله تعالى . يتبعه :

## مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَدِّدْ) ..... (مُزَكِّبٌ) ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَدِّدْ)

- ٢- عمل صالح يصدقُه . يتوجب فيه :
  - ٣- اتباع واقتداء برسول الله ﷺ . يتحقق فيه :
  - ٤- إخلاص العمل لله تعالى، لا يخالطه شرك أو رياء وسمعة . يدرك ذلك كله :
  - ٥- حسن الظن بالله جل شأنه .
- والخلاصة هي أنه لا نَجاة من الهلاك إلا بإيمان بالله تعالى، ولا إيمان صحيح إلا بعمل صالح، ولا عمل صالح مقبول إلا ما وافق شرع ربنا سبحانه؛ مما جاء على لسان رسوله ﷺ المبلغ عن ربه منهجه الحق، ولا قبول إلا بإخلاص صادق في العمل لله جلّت قدرته، وكل ذلك لا بد أن يدرك بحسن الظن بالله جل في علاه .
- اللهم إنا نسألك إيماناً صريحاً وعملاً صالحاً خالصاً مقبولاً كما تحب وترضى وحسن ظن بك يا رحمن .



## ٧- الخير والشر

يقول سبحانه وتعالى في صراطه المستقيم : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٣٥) [الأنبياء] . والمعنى أن الله تعالى يبتلي خلقه بالشر وبالخير فتنة ليرى أفعال العباد في ذلك .

نلاحظ أن الله عز وجل هنا قدم لفظ الشر على لفظ الخير في الآية، لأن الفتن والبلاء يكون بالشر وبما ظاهره الشر بوجه أوضح لا شك فيه . لكن ما حقيقة الخير والشر ؟ وهل هما من جعل الله سبحانه وتعالى أم لا ؟ وهل هما بمنزلة واحدة ؟ فنقول :

- أ- إن الخير هو الأصل والأساس، وأن الشر طارئ عليه .
- ب- إن الخير هو المنهج الحق المطبوع عليه كل الخلق، أما الشر فهو الخروج عن حدود ذلك المنهج الحق . إذن هو المخالفة .
- ج- إن الخير والشر هما مجال البلاء في هذه الدنيا، ولولا ذلك لما تمايز الخلق، ولما عُرف المستمسك بالحق من الخارج عن مضامينه إلى الباطل .
- د- إن الخير هو المأمور به والشر هو المنهي عنه . إذن لكلاهما وجود .
- هـ- إن الخير قيمة واحدة يجدها الجميع . وأن الشر قيم كثيرة مختلفة يُحدد بنوع المخالفة، وبقدر الخروج عن مضمون الخير .
- و- إن الخير وُجد لقصد الخير . أما الشر فقد يكون خيراً خفياً، أي بما ظاهره الشر . كما أن الشر يدل على الخير فيُعرف هذا من ذاك .
- ز- إن الخير منازل ودرجات، وكذلك الشر ولذا يقال : (ليس العاقل من يعرف الخير من الشر، وإنما الذي يعرف أخير الخيرين وأشر الشرّين وأقل الضررين) .

## مَنُورٌ حَمَانٌ . (مَرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمَانٌ . (مَرَارٌ)

ح- أن الخير الأكثر والأعم أولى من الأقل والأخص، وبالعكس ذلك الشر، فالأقل والأخص يقدم على الأكثر والأعم . وعليه يجب تقديم أكثر الخيرين والأخذ به ودفع أكبر الشرين، ويجب أيضاً دفع الشر الخاص بالشر العام .

ط- وأخيراً إن الخير دائم وباقي، وأن الشر مؤقت وزائل يعقبه الخير .

وبالتالي فالخير هو رمز وقيم وأصل فطري يجده كل البشر، في حين أن الشر يوجد متى وجدت المخالفة، وتكون درجته بقدر درجة تلك المخالفة ومدى الخروج عن مضمون الخير .

وأمر آخر وهو أن الشر دليل النقص البشري . فالإنسان لو كان في كل حياته على الخير المطلق لكان كاملاً ليس فيه من جوانب النقص شيء، ولما كان هناك حينها مجال للابتلاء . وبالتالي فكيف سيتميز العباد في الإيمان والكفر والطاعة والعصيان والانقياد وعدمه ؟

لذا كان ولا بد من وجود الشر لا على أنه قيمة مطلقة، وإنما على أساس أنه معيار يحدد لنا المطيع من المخالف من البشر، ويبيّن كذلك مدى المخالفة وإلى أي درجة هي !

ولذلك كله قدّم سبحانه لفظ الشر في الآية لأن الشر بيّن في عامة أنواع البلاء والفتن، أما الخير فظاهره الرضا وعدم البلاء مما قد يغر الإنسان فيظن أن الله تعالى قد رضي عنه فلم يتليبه بما هو خير في الظاهر .

وإذن فالحياة ما كانت لتكتمل لولا وجود الخير والشر . بل إن الشر كثيراً ما يحمل في طياته الخير، والمعنى أن قدر الله تعالى لا يتضمن الشر المطلق، وإن ظهر للعباد بأنه شر مطلق، إلا إنه في حقيقته يبقى خيراً بما ظاهره الشر . وكل العباد يسعى للخير ويطلبه، ويهرب من الشر ويتعد عنه .

## مَنُورٌ حَمَانِيٌّ . (مُرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمَانِيٌّ . (مُرَارٌ)

ومما يروى في ذلك من قصص أن سيدنا موسى عليه السلام قال : (يا رب أرني عدلك) . أي أرني مشهداً من مشاهد العدل في الدنيا، فقال الله تعالى له : (يا موسى اصعد الجبل وسترى عدلي) .

فصعد موسى عليه السلام الجبل وطلَّ على نهر الأردن . فإذا بفارس حضر إلى النهر وخلع ملابسه ودخل النهر يغتسل، ثم خرج من النهر وارتدى ملابسه وانصرف، غير أن كيس نقوده سقط منه على الأرض .

ثم جاء رجل آخر فدخل النهر وشرب منه، ثم استراح قليلاً فوجد كيس النقود فأخذه وانصرف لحال سبيله .

ثم جاء رجل ثالث عجوز فدخل النهر وشرب منه وجلس يستريح من تعبهِ، وإذا بالفارس الأول يعود إلى النهر يبحث عن كيس نقوده فوجد ذلك العجوز، فسأله عن كيس النقود فقال له العجوز : ما وجدت شيئاً، فظن الفارس أنه يكذب عليه، ودار بينهما نقاش، فلما رأى الفارس إصرار العجوز على قوله أجهز عليه وقتله، ثم ذهب إلى حال سبيله .

فقال موسى عليه السلام : يا رب سألتك أن تريني عدلك، وكل ما قد رأيته ظلمٌ بحت . فقال الله تعالى : يا موسى أما الفارس، فالمال الذي فُقد منه لم يكن ماله وإنما كان سارقاً له، وهو في الأصل مال الرجل الثاني الذي جاء فأخذه وهو يظن أنه ليس بماله . وبذلك فُقد السارق المال الذي كان قد سرقه ثم جاء صاحبه فأخذه من حيث لا يدري، وهو يظن أنه قد أخذ مال غيره .

أما الرجل العجوز فقبل عشرين سنة كان قد قتل أبا ذلك الفارس فأَنْظَرَهُ اللهُ تعالى كل تلك المدة، ثم جمعه بولد المقتول ليأخذ بثأر أبيه من قاتله .

## مَنُورٌ حَمَائِقُهُ . (رَدُّر) ..... (مُنَزَّوْبٌ) ..... مَنُورٌ حَمَائِقُهُ . (رَدُّر)

وَإِجْمَالاً ! فَلَا هَذَا يَدْرِي أَنَّهُ أَخَذَ مَالَهُ أَصْلًا وَاسْتَرَدَّ حَقَّهُ مِمَّنْ سَرَقَهُ . وَلَا ذَاكَ يَدْرِي أَنَّهُ أَخَذَ بَشَّارَ أَبِيهِ مِنْ قَاتِلِهِ . وَلَمْ يَكُنِ الْمَقْتُولُ قَدْ قُتِلَ ظُلْمًا، وَإِنَّمَا قُتِلَ قِصَاصًا بَعْدَ كُلِّ تِلْكَ الْمُدَّةِ . وَسُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ .

إِذْنُ فَهَذِهِ الْقِصَّةُ وَغَيْرُهَا كَثِيرٌ مِنْ حَقَائِقَ وَوَقَائِعَ الدَّهْرِ تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ فِي الْكَوْنِ حَكْمٌ شَتَّى، وَبِصَائِرَ لِأَوَّلِي النَّهْيِ لَوْ تَفَطَّنُوا لِذَلِكَ . وَمَا الشَّرُّ إِلَّا جُنْدِي مِنْ جُنُودِ الْخَيْرِ وَلَوْلَاهُ لَمَا عُرِفَ الْخَيْرُ مِنَ الشَّرِّ .

وَبِالتَّالِي فَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّهُ خَيْرٌ عَلَى خَيْرٍ، عِلْمُ ذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ وَجْهَلُ ذَلِكَ مِنْ جَهْلٍ . وَلَا وَجُودَ مُطْلَقٍ لِلشَّرِّ بِقِصْدِ الشَّرِّ لَيْسَ إِلَّا أَبَدًا، وَإِنَّمَا هُوَ شَرٌّ مِنْ وَرَائِهِ خَيْرٌ، وَلِذَلِكَ كَانَ مِنْ جُمْلَةِ دَعَائِهِ ﷺ : ( ... لِيَكْ وَسَعْدِيكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدِيكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ ... ) [مُسْلِم] . أَيْ لَا يُنْسَبُ إِلَيْكَ الشَّرُّ أَبَدًا وَإِنَّمَا حَقِيقَتُهُ مَخَالِفَةٌ لِأَمْرِكَ وَمَنْهَجِكَ وَشَرْعِكَ يَا رَبِّ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ مَا ظَهَرَ مِنْهُمَا مَا بَطْنُ .



## ٨- إرادة الخير والعمل الصالح

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا : أين نحن من النبي ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال : (أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني) [البخاري] .

هذا الحديث بيّن ﷺ من خلاله ميزان إرادة الخير . وبالتالي يجب أن يعلم المسلم أنه حتى في إرادة الخير يحتاج المسلم للفقه في الدين، وأن نية فعل الخير وإرادة ذلك وحدها لا تكفي . فهؤلاء النفر الثلاثة أرادوا الخير بتصورهم وعقدوا نواياهم على فعله، ولكنهم لم يتحروا ذلك بما يوافق منهجه ﷺ . بل واعتقدوا أن فعله ذاك ﷺ هو خاص به لأن الله تعالى قد غفر له ذنبه ﷺ وهذا خطأ، لأن كل أفعاله التعبدية ﷺ هي مجال اقتداء وتأسي به .

وبالتالي عُلِمَ أن منهجه ﷺ هو خير منهج وأن هديه خير هدي، وعليه وجب على كل مسلم الاقتداء والتأسي به ﷺ وعدم الافتئات عليه والمزايدة، كما يفعل البعض ممن تشدد وهو يعتقد أن ذلك من مستحبات الدين والشرع القويم ومما يُمدح عليه المؤمن، إذ ليس أحد أفضل ولا أتقى ولا أخشى لله تعالى منه ﷺ .

وأمر آخر وهو أن دين الله تعالى وشرعه القويم لم يأت ليكبح شهوات النفس ويلغيها وإنما جاء ليهذبها، وليقوم سلوك النفس في سائر التصرفات .

## مَنُورٌ حَمَانِيٌّ . أُرُورٌ ..... (الْمُزَوَّبُ) ..... مَنُورٌ حَمَانِيٌّ . أُرُورٌ

وبالتالي ففي النفس بواعث وشهوات ورغبات وتطلعات لا يمكن كبتها وتجاهلها بالمرة، وما جاء الشرع بذلك أبداً، وإنما جاء ليعلم المسلم أنه من الممكن جداً تفرغ كل ذلك على وفق تعاليم المنهج الشرعي الحق، والدين الخفيف الذي جاء بخير منهج وهدى، وفيه خير العباد أجمعين، ولا خير لهم فيما سواه أبداً، لأن التمسك بهديه ﷺ ومنهجه الحق ليس أمراً مستحباً، وإنما هو منهج حق وحيد أوجب وجب على الجميع اتباعه وإلا شقى العالم كله بقدر البُعد عنه .

لذا قال ﷺ فيه : (فمن رغب عن سنتي فليس مني) أي من فعل ما يخالف ما جاء به ﷺ من عند ربه عز وجل ففعله ذاك مردود عليه، وليس هو من منهج محمد ﷺ الحق في شيء .

ثم ليعلم المسلم أيضاً أنه متى انقطع للعبادة المحضة وترك ما أحل الله تعالى له من مباحات ومخللات، فإنه ستمر عليه أوقات سيمثل فيها العبادة أو أنه سيألفها وبالتالي فلن يجد لها لذة ولا حلاوة تجذبه إليها، وقد بين ﷺ هذا المعنى في أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ : (لا صام من صام الأبد) [متفق عليه] . والمعنى أن من واصل الصيام النفل فسيمر عليه وقت يألفه، وبالتالي فلن يشعر بحلاوته العبادة ولذتها حينها .

والخلاصة ! أن رسول الله ﷺ علّمنا كيف نعبد ربنا سبحانه باعتدال لا تشدد فيه ولا تساهل، والاعتدال والقصد هما أساس هذا الدين الوسط في كل شيء، الذي جاء بالأيسر بالأمة والأرفق بها .

ولذا جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (إن أحب الصيام إلى الله، صيام داود، وأحب الصلاة إلى الله، صلاة داود عليه السلام، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان يصوم يوماً، ويفطر يوماً) [متفق عليه] .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّرٌ ..... الْمُرُورُ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّرٌ

والمعنى أن أحب صلاة الليل وأحب صيام النفل من حيث الأكمل والأشمل هي صلاة وصيام داود عليه السلام، أما من حيث الأفضل والأيسر والأرفق بالأمة فهو ولا ريب هديه ﷺ سيد البشر .

أما صلاة الليل فقد صلى ﷺ من كل الليل رفقا بالأمة، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : (من كل الليل قد أوتر رسول الله ﷺ من أول الليل، وأوسطه، وآخره، فانتهى وتره إلى السحر) [مسلم] .

وأما الصيام فثلاثة أيام من كل شهر تعدل صيام الدهر، وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (وَصُمْ مِنْ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ) [متفق عليه] .

وعليه اتضح لنا أن دين الإسلام ليس دين رهينة وتبتل وابتعاد عن الدنيا، والله سبحانه وتعالى لم يأمرنا بهذا ولم يجعلنا في دنيا لنعمل بها بدين يجردنا من ملذات العيش ويفصلنا عن مباحات الحياة، وإنما هو دين متكامل يجمع بين حاجيات الروح والجسم، ويوفر لكل منهما ما يقوم به في حياته على الوجه الأكمل المنظم المنتظم، وما على المسلم سوى الاتباع والسير على المنهج النبوي الحق، وليتحرى المسلم دينه وليتفهم مقاصده . والفقه في الدين مطلب أساس رئيس ولا ريب . اللهم ارزقنا الفقه في الدين والدنيا ونسألك الهداية والسداد والصواب والرشاد والعدل والاعتدال والقصد والاقتصاد .



مَنُورٌ جَنَانُهُ . أُرْدَارٌ ..... أُنْزَرُوبٌ ..... مَنُورٌ جَنَانُهُ . أُرْدَارٌ

## ٩- عطاء الله تعالى

كل إنسان في هذه الحياة يؤمل أموراً كثيرة فيها ولا يكاد يمر عليه يوم إلا وله فيه فكر جديد، وله من دنياه مطلب مزيد يود تحقيقه وأمل يحب وقوعه، ويتمنى حصوله، ولذلك تجده دوماً يسعى لتحسين وضعه في حياته، ولا سيما وضعه المالي والمادي ليحيا الحياة التي يظن أنها الحياة السعيدة بحسب فكره ونظرته فيها .

وعلى هذا الأساس فهو يحاول جاهداً أن يستكثر من المال لظنه أنه به يستطيع أن يحقق كل طموحاته وآماله في الدنيا، غير أن الله تعالى له في خلقه شؤون كثيرة وفي كونه الفسيح حَكَمٌ شتى، فقد يعطي السعادة لفقير ولمريض ولعاجز ولضعيف وقد يمنعها عن الغني والصحيح والقوي والمقتدر .

وهذا يقودنا إلى معرفة شيء مهم جداً وهو أن الله تعالى ليس كل عطاء له يحقق الخير للمسلم !

فقد يعطي ليمنع، وحينها يتحقق أن الله تعالى لا سواه قد يكون (عطاؤه منع، ومنعه عطاء) . فقد يعطي المال ويمنع البركة والتوفيق، وقد يمنع المال ويعطي البركة وحسن التدبير .

وقد يعطي الصحة والعافية ويمنع الرضا وفعل الخير، وقد يمنع الصحة والعافية ويعطي الرضا وفعل الخير، وقد يعطي العلم ويمنع القبول، وقد يمنع العلم ويعطي المصداقية والقبول، وهكذا .

وفي كل الأحوال عطاء الله جل في علاه خير وأبقى مما يؤمل الإنسان في دنياه، سواء لمن طلب الدنيا أو طلب الآخرة، وفي محكم التنزيل قول الله سبحانه :

﴿ كَلَّا نُمَدِّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء] .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُنُورٌ حَمْدُهُ) . (رَدُّر)

إذن يجب على المسلم أن يعلم أن الله تعالى له في كونه أعاجيب جمة وحكم كبيرة كثيرة، تفوق فهم وتصور الإنسان، فليس كل عطاء كان بقصد العطاء وليس كل منع كان بقصد المنع . إذن هي أربع صور :

١- قد يكون عطاء الله عز وجل بقصد العطاء . يعطي الشيء ويوفق للانتفاع به ثم يبارك فيه .

٢- وقد يكون عطاء الله عز وجل بقصد المنع . يعطي الشيء ولا يوفق للانتفاع به ثم يحقق البركة منه .

٣- وقد يكون منع الله عز وجل بقصد العطاء . يمنع الشيء ليصرف به عن العبد الشر وليذكره بالله تعالى ثم يمنَّ على العبد بما هو خير له منه .

٤- وقد يكون منع الله عز وجل بقصد المنع . يمنع الشيء عن العبد ليمنع عنه الخير ويجرمه منه .

وفي كل تلك الصور يتحقق لنا من حيث الجملة أن الله تعالى من عظيم رحمته وواسع فضله له في العطاء مناسبات شتى ومدرجات كثيرة، ليس في مقدور البشر حصرها وتقييدها، وذلك كله يثبت لنا قدرة الله تعالى المطلقة في كونه وفيما يجري على خلقه في هذا الدنيا سبحانه وتعالى عما يصفون .

وهذا يبين لنا أيضاً أن عطاء الله تعالى ليس متعلقاً على الإيمان والكفر، أو على مدى الطاعة والمعصية وإلا لهلك الناس بحق، لأن العبد متى أقبل على الله جل شأنه أعطاه الله تعالى عطاء الدنيا والآخرة، أما الكافر فليس له إلا عطاء الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ولا نصيب . وفي محكم التنزيل قوله جل جلاله : ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه] .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّ . (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَدُّ)

ومما يروى في ذلك أن رجلاً طرق الباب على أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام فلما فتح له الباب، طلب منه الرجل حق الضيافة، فسأله إبراهيم عليه الصلاة والسلام عن دينه فقال الرجل : (مجوسي) فأغلق الباب في وجهه، فلما ولَّى الرجل، أوحى الله تعالى إلى إبراهيم معاتباً له كيف تمنع حق الضيافة عن الرجل وقد جاءك، فقال عليه الصلاة والسلام : (يا رب إنه مجوسي) فقال الله تعالى له : (يا إبراهيم وسعته في ملكي مع كفره سنين طويلة وأنت من أجل ضيافة ليلة تريد منه أن يبدل دينه) فأدرك إبراهيم عليه الصلاة والسلام الرجل وعرض عليه الضيافة فقال له الرجل : (ما لك وقد طردتني) فقال عليه الصلاة والسلام : (إن ربي عاتبني فيك) فقال الرجل : (ربك عاتبك فيّ، نعم الرب ربُّ يعاتب أوليائه من أجل أعدائه) ثم أسلم، فانظر كيف كان المنع سبباً في أكبر عطاء في الدنيا، والحمد لله رب العالمين الذي يمن على عباده بالنعم والهدى رحمة منه ومِنَّة سبحانه .

وفي الأثر أيضاً في حديث قدسي طويل قول ربنا جل علاه في حديث طويل : (يا موسى إن من عبادي من لو سألني الجنة بحذافيرها لأعطيته ولو سألني علاقة سوط لم أعطه، ليس ذلك من هوان عليّ ولكني أريد أن أدخر له في الآخرة من كرامتي وأحميه من الدنيا كما يحمي الراعي غنمه من مراعي السوء، يا موسى ما ألجأت الفقراء إلى الأغنياء أن خزانتي ضاقت عنهم وأن رحمتي لم تسعهم، ولكني فرضت للفقراء في مال الأغنياء ما يسعهم، أردت أن أبلو الأغنياء كيف مسارعتهم فيما فرضت للفقراء في أموالهم، يا موسى إن فعلوا ذلك أتممت عليهم نعمتي وأضعفت لهم في الدنيا للواحدة عشر أمثالها، يا موسى كن للفقير كنزاً وللضعيف حصناً وللمستجير غيثاً، أكن لك في الشدة صاحباً وفي الوحدة أنيساً وأكلؤك في ليلك ونهارك) [ابن القيسراني

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . أُرْدَرُ ..... أَلْمُزَقُّبُ ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . أُرْدَرُ

في الذخيرة والسيوطي في الجامع والمتقي الهندي في الكنز والإتحافات السنية وفي جامع الأحاديث القدسية برقم : (١٦٨) . وحذافيرها أي بتمامها وجوانبها] .  
فهذا الأثر أنموذج من نماذج كثيرة يتبين لنا من خلالها أن الله تعالى قد يمنع عن العبد الصالح العطاء في الدنيا لا ليحرمه ولكن ليدخر له ما هو خير منه في الجنة أو ليعصمه من أن يفتن بما طلبه في الدنيا، ولذلك كان اختيار الله تعالى لعبده خيرٌ من اختيار العبد لنفسه . اللهم حر لنا واختر لنا ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين واقسم لنا الخير حيث كان وأصلح لنا شأننا كله .



مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَرَر) ..... (مَزَّوَب) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَرَر)

## ١٠ - مشيئة الله تعالى في الكون

في رائعة نبوية شريفة وقاعدة عقدية منيفة قال ﷺ : (من أحب الله وأبغض الله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان) [أبو داود وصححه الألباني وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في الشعب] . والمعنى أن على المسلم أن يطيع الله تعالى في كل شأنه، وأن يتعلق به عز وجل دوماً فلا يحب ولا يبغض ولا يعطي ولا يمنع إلا لأجل الله تعالى وابتغاء مرضاته، لا لمنفعة حاصلة ولا لمصلحة عاجلة فمن فعل ذلك فقد استكمل إيمانه وصدق مع ربه سبحانه وتعالى .

وهذا يعني أن على المسلم أن يحقق مراد الله تعالى منه في الكون، لكن ليس كل ما يجري في الكون من أفعال الخلق الاختيارية هي موافقة لمرضاة الله تعالى، فهناك أفعال للخلق تغضب الله عز وجل . ومن هنا نفهم أن الله تعالى في كونه مشيئتان، ولكل مشيئة منهما مظهر لها وحيثية ومطلب من ذلك، وهما :

١ - مشيئة كونية . تُظهر قدرة الله تعالى في الكون، وحيثيتها أن الله تعالى إيجاد وإمداد، أي أنه عز وجل أوجد خلقه من عدم ثم أمدهم بعموم النعم، وهنا تظهر قدرة الله تعالى في الكون، وليس للعبد في كل ذلك دخل ولا نصيب سوى معرفة مدى عظمة الله عز وجل، وأن كل ما يجري في الكون دالٌّ على قدرته وعظمته ووحدانيته وأنه سبحانه هو المتصرف في الكون لا سواه .

وكل قدر يجري على الإنسان هنا هو قدر كوني لا يحاسب المسلم عليه ابتداءً، لأنه ليس باختياره، لكن عليه الرضا به والتسليم لما يقع عليه، لأن كل ما يجري على المسلم في حياته خير له ولو كان بما في ظاهره الشر، فهو خير مطلق يقدره الله تعالى على العبد سواء ظهرت الحكمة منه أم لم تظهر !

## مَنُورٌ مَحْنَانٌ . مُرَارٌ ..... الْمَرْقَبُ ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . مُرَارٌ

٢- مشيئة شرعية . تظهر إرادة الله تعالى، وحيثيتها إلزام وتكليف، أي أن الله تعالى أراد من خلقه أن يعبدوه وأن يطيعوه، وهنا يظهر مراد الله تعالى من خلقه فوجبت عبادتهم وطاعتهم له سبحانه، وبالتالي يجعلون كل شيء له سبحانه من حب وبغض وعطاء ومنع ليكمل الإيمان ويتم .

وكل عمل يعمل به العبد هنا هو واقع بعلم الله تعالى وبإرادته ولو كان شراً، غير أن الله تعالى أذن فيه، لئيتلي به العباد، وليعلم بذلك المؤمن المصدق والمسلم لقضاء الله تعالى وقدره، من الكافر والمعرض المكذب .

فكل ذلك بعلم الله تعالى وبمراده، ولو كان في معصيته عز وجل، فهو سبحانه أوجد الخير والشر، وهي من قدره عز وجل في الدنيا، وكله خير للعباد لو علموا ذلك، والشر الحاصل من العباد لو شاء سبحانه ما كان وهو وإن كان شراً في نظر الناس إلا إن له حكمة بالغة عند الله تعالى .

ولو شاء سبحانه ما حصل ولا وقع مصداقاً لقوله عز وجل في محكم التنزيل : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۚ ﴾ [الأنعام] وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۚ ﴾ [الأنعام] .

كما يجب أن نعلم أن الله تعالى أوجد لنا المنهج الحق لنسعى من خلاله إلى الكمال، ولن يتحقق لنا ذلك إلا بتطبيق ذلك المنهج وإلا فالشر سيعم الجميع بنقصهم وتعديهم وتجاوزهم حدود ربهم وخالقهم سبحانه .

إذن لله تعالى في كونه مشيئتان ولكل مشيئة حيثية وحكمة بالغة لمن تبصر ونظر بعين البصيرة :

١- مشيئة تظهر القدرة جرى عليها ترتيب أفعال الله تعالى في الكون، قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۚ ﴾ [القمر] .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . أُرْدَرُ ..... أُنْزَرُ حَمْدُهُ . أُرْدَرُ

٢- مشيئة تظهر مراد الله سبحانه من الخلق جرى عليها تقدير أفعال العباد بحسب اختيارهم لأعمالهم، وهي خاضعة لعلم الله تعالى وإذنه ولو كان في معصية الله سبحانه، قال سبحانه : ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ﴾ [القمر] . وهو عز وجل يريد من الخلق تحقيق مراده بعبادته وطاعته جل في علاه باختيارهم وليس قهراً عنهم، ولو شاء سبحانه لقهر كل البشر على مراده الحق، ولكنه عز وجل يريد منا إيمان قلوب وليس قهر قوالب، وهذا ما يميّز الإنسان عن سائر الخلق في الكون وهو كونه مختاراً لسائر عمله . اللهم يا الله اجعلنا ممن كان هواه تبعاً لما جاء به نبيك وحبيبك محمد ﷺ واحفظنا من كل هوى وسقم ومرض ولمم .



مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... مُزَوَّبٌ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

## ١١ - سجن الدنيا وجنتها

يجب أن يعلم المسلم أن الله تعالى جعل الدنيا دار عبادة وذكر له عز وجل  
وليس دار هو ولعب وعبث ولذلك قال سبحانه فيها : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٥١] [الذاريات] . هذا في جانب الله تعالى .

أما في الجانب المعيشي فقد جعل الله تعالى الدنيا دار كدح وعمل وسعي  
وطلب، وهي ليست دار لعب وركون وهمل بحال لذا قال عز وجل : ﴿ فَأَمَشُوا فِي  
مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [١٥] [الملك] . والله سبحانه حين خاطب رسوله  
الكريم ﷺ قال له في كتابه العزيز : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ [٨] [الشرح]  
. بحيث يكون شغل المسلم الشاغل هو عبادة الله تعالى وحده وطاعته عز وجل  
حق الطاعة .

وبهذا يكون المسلم محاطاً بجملة من التكاليف (الأوامر والنواهي) التي تحكم  
حركة حياته وتسييره في هذه الدنيا وكل ذلك فيما يرضي الله سبحانه، وبالتالي  
فحقيقة أمره كما لو كان في سجن عن تحقيق كل رغباته ونزواته وشهواته بوجه  
مطلق، إذ ليس شأنه شأن الكافر الذي لا تكاليف في حياته ولا حدود لتصرفاته،  
ولذلك قال ﷺ : (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) [مسلم] .

وهذا صحيح فالمسلم مهما كان منعماً ومهما بلغ وحصل من نعيم الدنيا،  
فهو في سجن مقارنة بما ينتظره وما سيصير إليه من نعيم الجنة الذي يفوق الوصف  
والتصور، أما الكافر فمهما كان في شقاء وتعاسة في هذه الدنيا، فهو في نعيم  
مقارنة بما سيصير إليه وما ينتظره من عذاب أليم ونار ونكال وجحيم . وفي  
الحديث القدسي : (قال موسى النبي : يا رب إنك تغلق على عبدك المؤمن

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

الدنيا، ففتح الله له باباً من أبواب الجنة، فقال : هذا ما أعددت له، قال : وعزتك وجلالك وارتفاع مكانك لو كان أقطع اليدين والرجلين يسحب على وجهه منذ خلقته إلى يوم القيامة ثم كان هذا مصيره لكان لم ير بأساً قط قال : يا رب إنك تعطي الكافر في الدنيا، ففتح له باباً من أبواب النار فقال : هذا ما أعددت له فقال : يا رب وعزتك لو أعطيته الدنيا وما فيها لم يزل في ذلك منذ خلقته إلى يوم القيامة ثم كان هذا مصيره كأن لم ير خيراً قط) [مسند الفردوس وكنز العمال والسيوطي في الجامع وفي جامع الأحاديث القدسية برقم : (٧٣٦) .

وعلى هذا فالمؤمن مطالب بأن يعبد الله تعالى ويطيعه، وفي نفس الوقت مطالب بأن ينصب ويعمل ويكدح ليحصل معاشه مما أباح الله عز وجل لعباده مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف] .

والمعنى أن الله تعالى خلق الخلق للعبادة في هذه الدار، لكنه سبحانه جعل للإنسان فيها مقومات حياة، وطيبات يستعين بها الخلق على عبادة ربهم فلا يجب ترك ذلك والزهد فيه، لأنها حقيقة مما يقوي المؤمن في دنياه ليواصل الطريق إلى جنة ربه وخالفه، فهي بذلك مقومات حياة ضرورية لا بد لكل شخص منها، وفيها يقول تبارك وتعالى مخاطباً رسوله الكريم ﷺ : ﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ [القصص] . والمعنى أن على العبد ألا يفتر عن عبادة ربه تعالى أبداً بل عليه أن ينشغل بربه دوماً، لكن لا ينسيه ذلك نصيبه من الدنيا مما أحل سبحانه لعباده من مقومات ضرورية .

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدِّدْ) ..... (اُزَكِّبْ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدِّدْ)

هذا هو المعنى الصحيح للآية، لا كما يفهم البعض ممن انغمس في ملذات الدنيا وراح يركض خلفها منكباً على وجهه فيها، ونسي الآخرة ومطالب ربه منه ثم جاء يحتج بها على عكس مرادها الحقيقي .

إذن جملة : (ولا تنس نصيبك من الدنيا) . فيها دلالة على أنك يا مسلم يا عبدالله دائماً مشغول عن الدنيا بما سواها، وهي الآخرة والالتفات إليها فلا تجعل ذلك ينسيك ما أحله الله تعالى لك فيها من طيبات ورزق ومقومات وكسب وسعي حلال، لأن من تركها وزهد فيها وتورع عنها فإن ذلك سوف يقوده إلى عدم الإحساس بلذة العبادة وحلاوة الطاعة ولذلك قال ﷺ : (لا صام من صام الأبد) [متفق عليه] . والمعنى الحذر من أداء العبادة بطريقة رتيبة تلقائية لا عشق فيها ولا إقبال على الله تعالى خلالها، بحيث يبقى للعبادة طعم ولذة يجدها المؤمن مع ربه وخالقه فيتقرب منه أكثر وأكثر . وكل ذلك لأن المؤمن في دار هو فيها محكوم بشريعة لها حدود وأحكام وجب عليه عدم تجاوزها، فمتى التزم بذلك فالجزاء الجنة له فيها ما يشاء من نعيم مقيم لا هموم فيها ولا منغصات، هذا هو سجن الدنيا وتلك هي سعة الجنة، والكافر على العكس من ذلك تماماً . اللهم اكتب لنا من نعيم الدنيا ما لا فتنة فيه وادخر لنا من نعيم الآخرة ما نتنعم به في جنة عرضها السماوات والأرضين يا واسع المغفرة .



مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (مُرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (مُرَارٌ)

## ١٢- بين الرحمة والغضب

يقول الله تبارك وتعالى في أقوم كتبه وأظهر حججه : ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف] . وبهذا المعنى قال ﷺ في الحديث النبوي الشريف : (لما قضى الله على الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي) .

وفي رواية : (إن الله كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي) [متفق عليه] . والمعنى العام المستفاد مما تقدم أن الله تعالى رحمة وله غضب وله مشيئة، فهو سبحانه حين قَدَّرَ جعل مجالات الرحمة تفوق مجالات الغضب ولم يجعلها سواء .

وأيضاً أن الله تعالى لا يأخذ بأول ذنب، ولا يعجل العقوبة، بل هو عز وجل يؤخر ذلك ليتدارك العبد ما هو فيه، من غفلة وضياح أو كفر وشرك وفسوق وفساد وعصيان . وأمر ثالث أن الله تعالى وتقدس يعطي على الطاعة ما يفوق استحقاق العبد<sup>١</sup> .

ومن رحمة الله تعالى أنه عز وجل جعل فرص الرحمة المهيأة لعباده والتي هي بيده أكثر من فرص الرحمة التي هي بيد الإنسان، ففرص الرحمة التي بيد المسلم هي أحد ثلاثة أمور : (العمل الصالح والتوبة والاستغفار) لا رابع لها أبداً، سوى أنه يلحق بها فرصة واحدة هي ما كانت من باب الدعاء الصادر من المسلم أو الواقع عليه من غيره من عموم إخوانه المسلمين . أما فرص الرحمة التي بيد الله تعالى فلو نظرنا لمجالاتها مثلاً لوجدناها تفوق بكثير مجالات غضب الله تعالى . ومن ذلك :

---

<sup>١</sup> سأتكلم عن هذه النقطة لاحقاً .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّرٌ ..... الْمُرُورُ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّرٌ

- ١- تباين كفة الحسنات والسيئات، فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعين ضعفاً إلى سبعمائة ضعف بل إلى أضعاف كثيرة، أما السيئة فبمثلتها .
  - ٢- أن جزاء بعض الأعمال يفوق ذلك كالجزاء بقيراط حسنات، أو بحلول رضا الله تعالى على العبد، أو ببيت في الجنة أو بقصر في الجنة أو بالوعد بالجنة بأسرها كالجهاد والحج المبرور وبر الوالدين والمحافظة على السنن وكفالة الأرامل والأيتام وما سوى ذلك من قربات وأعمال صالحات .
  - ٣- تزايد الحسنات التي يريها الله تعالى لعبده، مع تناقص السيئات وتكفيرها بالأعمال الصالحات .
  - ٤- الأقدار التي تجري على العبد بأنواعها من مصائب وبلايا وأمراض وأسقام وقلة الرزق كل ذلك كفارات للذنوب .
  - ٥- إيجاده سبحانه وتعالى مواسم الرحمة والمغفرة والتوبة كشهر رمضان والأشهر الحرم وعاشوراء وعشر ذي الحجة والجمعة والاثنين والخميس وما فيها من فضائل أعمال .
  - ٦- أفضلية بعض الأماكن التي يرجى فيها الله تعالى كفضل مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف والمشاعر المقدسة وعموم المساجد لأنها مواطن تنزل الرحمت .
  - ٧- أن الله تعالى وضع في الأرض رحمة واحدة يتراحم بها الناس وباقي المخلوقات ويتعاطفون بها فيما بينهم، وادخر عنده تسعة وتسعين رحمة ليوم القيامة ليرحم عباده بها في يوم ثقیل هم أحوج ما يكونون فيه لها .
- والدنيا دار عمل ولا حساب، والآخرة دار حساب وجزاء ولا عمل، والمنطق يقول أن العباد بحاجة للرحمة في دار الجزاء أكثر من احتياجهم لها في دار العمل،

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (الْمُزَوِّجُ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

ولذلك اقتضت حكمة الله تعالى ورحمته أن يمسك ويدخر كل تلك الرحمات ليوم الجزاء والحساب حيث حاجة العباد لها أكثر مصداقاً لقوله ﷺ : (إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر كل الذي عند الله من رحمته لم يئأس من الرحمة فلو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار) [متفق عليه] . وفي الحديث الآخر قوله ﷺ : (خلق الله يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة منها رحمة يتراحم بها الخلق وتسعة وتسعون ليوم القيامة فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة) [مسلم] .

ورحمة الله تعالى في ذلك اليوم تطال كل أحد إلا ممن اسودّ كتابه بالكفر والعياذ بالله تعالى، وما سوى ذلك فمدركته رحمة الرحيم الرحمن سبحانه حتى ولو دخل النار في أول أمره ليخلصه الله تعالى من ذنوبه، فإنه سينجو برحمته عز وجل مصداقاً لقوله ﷺ : (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير "من إيمان" ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير "من إيمان" ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير من "إيمان") [متفق عليه، وما بين القوسين رواية أخرى] . وفي رواية في غير الصحيحين : (أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى أدنى أثقال مثقال ذرة من إيمان) . وفي الحديث الآخر الذي يبين مدى منتهى رحمة الله تعالى قوله سبحانه : (أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في مقام) [الترمذي وابن خزيمة والحاكم والبزار والبيهقي في الشعب] . وتلك ولا شك رحمة واسعة يدخل ضمنها كل مسلم بوسع رحمته وبِعَظِيمِ فضله اللا متناهيين .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... الْمُرُورُ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

بل وفوق ذلك كله ! ومما يبين سيال رحمة الله تعالى وعظمتها ما يروى في الأثر أيضاً عنه ﷺ قوله : (قال لي جبريل عليه السلام : يا محمد إن الله يخاطبني يوم القيامة فيقول : يا جبريل ما لي أرى فلان بن فلان في صفوف أهل النار، فأقول : يا رب أنا لم نجد له حسنة يعود عليه خيرها اليوم، فيقول الله : إني سمعته في دار الدنيا يقول يا حنان يا منان فأتته فأسأله، فيقول : وهل من حنان ومنان غيري فأخذ بيده من صفوف أهل النار فأدخله في صفوف أهل الجنة) [الحكيم الترمذي في النوادر وأبو نعيم في الحلية والديلمي في الفردوس والسيوطي في الجامع] . فهل بعد ذلك من رحمة فياضة لا حدود لها ؟

٨- أن الله سبحانه وتعالى من واسع رحمته وعظيم مغفرته غير المحدودين وكل الملائكة الكرام البررة من حملة العرش وهم أقرب الملائكة لرب العزة والجلال أن يستغفروا لابن آدم وهو لا يعلم ولا يدري عن ذلك شيئاً، قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۖ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ أَفْوَزُ الْعَظِيمِ ﴿٩﴾ [غافر] . الملائكة الكرام حملة العرش أقرب الأملاك عليهم السلام إلى رب العالمين، تستغفر لك وتدعو لك يا ابن آدم، وأنت غافل لاه لا تعلم عن ذلك شيئاً .

٩- أن الله سبحانه وتعالى لا يمنع رحمته عن الكافرين والعصاة ولا عن أي أحد من خلقه، لأنه عز وجل لا ينفعل ولا يتغير بالأحداث ولا يحقد على أحد منهم أبداً فهو سبحانه يرى العاصي والكافر يبادرانه بالكفر والعصيان سنين طويلة ومع ذلك

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . رَدُّرٌ ..... لَمُزَّوْبٌ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . رَدُّرٌ

لم يمنع خيره عنهم، بل وفوق كل ذلك متى آمن الكافر وتاب العاصي قبله وأقبل عليه جل شأنه ليرحمهم ويتوب عليهم ويبدل سيئاتهم إلى حسنات .  
وفي كتب السير أن فرعون جبّار الأرض الذي ادعى الربوبية أربعمئة سنة حين أذله الله تعالى بالغرق، استغاث قبل موته بموسى عليه السلام سبعين مرةً قائلاً : (يا موسى أغثنِي، يا موسى أغثنِي) فقال الله تعالى لموسى : (يا موسى إن فرعون قد استغاث بك سبعين مرة فلم تغته، وعزتي وجلالي لو استغاثني مرة واحدة لأغثته) الله أكبر .

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (لما أغرق الله فرعون قال : ﴿ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ﴾ بَنُو إِسْرَءِيلَ ﴿٩٠﴾ فقال جبريل : يا محمد فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة) [الترمذي وأحمد والحاكم والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب والألباني في الصحيحة . وحال البحر وحله وطنينه] . رحمة واسعة ليس لها من حدود أبداً .

وإذا كانت هذه هي رحمت الله تعالى في الدنيا، وفي شأن أكبر عتاة الأرض وجباريها وطغاتها وهو فرعون، ورغم ذلك أوشكت الرحمة أن تدركه ! فهل بعد كل هذه الرحمت من رحمت ؟

والخلاصة ! أن هذا كله من مضامين رحمة الله تعالى التي سبقت غضبه، فكيف لو أن كل ذلك لم يقدره سبحانه وتعالى ؟ كيف لو أن الحسنه كالسيئة مثلاً ؟ كيف لو أن الأعمال الصالحات والأقذار لا تكفر السيئات ؟ كيف لو أنه ليس لله تعالى أزمة وأمكنة يرجى فيها سبحانه وتطلب مغفرته ؟ كيف لو أن الله تعالى لم يشرع التوبة والاستغفار ؟ كيف لو أن الله تعالى لم يهيئ مجالي الصدقة والدعاء ؟ كيف لو أنه عز وجل لم يدخر لنا كل تلك الرحمت يوم الحسرة والندامة ذاك ؟

## مَنُورٌ جَمَانَةٌ . أُرْدَرُ ..... أَلْمَزَّوْبُ ..... مَنُورٌ جَمَانَةٌ . أُرْدَرُ

كيف لو أنه سبحانه عاملنا بعدله وليس بواسع رحمته وعظيم فضله ؟ كيف وكيف  
لهلك الناس حينها بحق، فالحمد لله سبحانه وتعالى الذي لم يجعل مجالات الرحمة  
محصورة بما يصدر منا مما نعلم فقط، لكنه سبحانه جعلها مجالات وسعت كل  
شيء .

وصدق سبحانه وتعالى القائل في الحديث القدسي : (ورحمتي سبقت  
غضبي، ورحمتي غلبت غضبي) . اللهم لا تعاملنا بعدلك والميزان فنهلك وعاملنا  
وبفضلك والإحسان يا رحيم يا رحمن .



مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدِّدْ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدِّدْ)

### ١٣ - الرصد والحساب (رقابة الله تعالى)

بيّن لنا سبحانه وتعالى في كتابه العزيز في آيات كثيرة أنه عز وجل سيجزي الإنسان في الآخرة بحسب سعيه في الدنيا، وكذلك رسوله الكريم ﷺ بيّن لنا ذلك في أحاديث كثيرة .

والإنسان يفكر في ذلك دوماً، إن كان الله تعالى يعد أنفاسه عليه ويحصى الكلمات والألفاظ، ويرصد عليه الأقوال والأفعال وسائر الأعمال حتى النوايا السيئة التي لم يستطع فعلها سيجازي بها إن صدق في توجهه كما بيّن ذلك ﷺ في الحديث الشريف<sup>١</sup> . والإنسان بجهله وغفلته وقلة إيمانه وضعف يقينه لا يكذب ذلك، فالمسلم لا يكذب تلك الأمور لكن لعله قد لا يعطي الأمر حقيقته بسبب الغفلة وتغلب الشهوات والشبهات عليه .

وحتى نفهم ذلك حق الفهم لنستمع لقول الله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران] . فهذه الآية تبين لنا أن الله تعالى قد حفظ للإنسان عمله ليس مكتوباً مدوناً فحسب، بل كما لو كان تسجيلاً مسجلاً مصوراً .

---

<sup>١</sup> قوله ﷺ : (مثل هذه الأمة كمثل أربعة، نفر رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه في ماله ينفقه في حقه، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فهو يقول لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل، قال رسول الله ﷺ : فهما في الأجر سواء، ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو يخط في ماله ينفقه في غير حقه، ورجل لم يؤته الله علماً ولا مالاً فهو يقول لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل، قال رسول الله ﷺ : فهما في الوزر سواء)[ابن ماجه . وصححه الألباني] .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . أُرْدَرُ ..... أُنَزَّلُ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . أُرْدَرُ

وهذا أمر ليس بمستغرب فالبشر وهم خلق من خلق الله تعالى على ضعفهم ورغم نقصهم لما تَرَقَّتْ بهم الحياة صار باستطاعتهم أن يسجلوا على الإنسان قوله وفعله بالصوت والصورة، ويواجهوه بها متى شاءوا، أو يعجز رب البشر سبحانه وتعالى أن يحفظ عمل الإنسان بما يفوق تلك الطريقة ؟ وقدرة الله تعالى وفعله ولا شك فوق الوصف والتصور .

فإذن قول الله تعالى في محكم التنزيل وقول رسوله الكريم ﷺ في الحديث الشريف عن كتابة الأعمال ورصدها والمجازاة بها، قولٌ سديد وفعلٌ أكيد يُرهب به سبحانه خلقه حتى يتحاشوا أي عمل من قول أو فعل يغضب الله عز وجل .

وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِن كَيِّدِي مَتِينٌ ۝٤٥ ﴾ [القلم] . وهذا أيضاً هو حاصل عند البشر فالإنسان عندما يعلم أنه مراقب وأن غيره يراقبه ويرصد أقواله وأفعاله يحذر أن يقع في الخطأ، فكيف برب الأرباب ومسبب الأسباب وهو سبحانه وتعالى عليم بذات الصدور !

ولذلك بيّن لنا ﷺ لما ذكر مراتب الدين أن أعلى مرتبة فيه هي مرتبة الإحسان وهي : (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) . والمعنى استحضار رقابة الله تعالى دوماً عليك يا مسلم .

وعليه فمن عبد الله تعالى وكأنه يراه ومن استحضر الرقابة والرصد وتفهم ذلك، فهو ولا شك لن يستغرق في المعاصي والآثام، بل تجده متى عصى ربه سبحانه فسريراً ما يتوب إليه وينيب . اللهم اجعلنا ممن استحضر عظمتك فامتنع عن معصيتك واجعلنا ممن غلبت خشيتك منك شهوته من نفسه .



مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَرَر) ..... (لُزُز) ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَرَر)

#### ١٤ - ثمن الجنة (رحمة الله تعالى)

يظن الكثير من الناس أن عمله في الدنيا هو الذي سيؤهله لدخول الجنة، فيكون كما لو أنه هو الذي دفع ثمنها، فاستحقها بذلك استحقاقاً وعن جدارة، وهذا خطأ كبير وجهل ذريع .

في حين أن البعض منهم يعتقد أنه يدخل الجنة برحمة الله سبحانه وتعالى المجردة من العمل تماشياً مع قوله ﷺ : (لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة، قالوا : ولا أنت يا رسول الله قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله تعالى برحمة منه وفضل) [متفق عليه] .

غير أن كل آيات القرآن الكريم قد بينت أن دخول الجنة هو نتيجة الإيمان والعمل الصالح كقوله سبحانه في كتابه العزيز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [الكهف] . وقوله سبحانه : ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم] . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴾ [لقمان] . وقوله عز وجل : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف] . والكثير غيرها من آيات بهذا المعنى، فأيهما هو السبب الحقيقي لدخول الجنة، الرحمة أم العمل ؟ الصحيح هو أن سبب دخول الجنة هو رحمة الله تعالى ليس إلا، لكن كيف يبلغ المسلم تلك الرحمة ويصل إليها ؟

والمعنى أنك بالعمل الصالح تبلغ رحمة الله تعالى ورضوانه عليك، وبها تدخل الجنة، أما الاتكال على الرحمة المجردة من العمل فهذا ولا شك فهم خاطئ فاسد لا يغني صاحبه شيئاً سوى أنه في غفلة يزّين له الشيطان ذلك، فليحذر من الانسياق خلف الغرور .

## مَنُورٌ جَمَادَى . رَمَدَى ..... (الْمَرْقَبُ) ..... مَنُورٌ جَمَادَى . رَمَدَى

فالله سبحانه وتعالى لم يقل لخلقه اتركوا العمل واركنوا على الرحمة بل أمر سبحانه خلقه بالعمل الصالح في حياتهم الدنيا كقوله عز وجل : ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة] . وقوله جلت عظمتة : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك] . وقوله سبحانه : ﴿ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام] . وغيرها من آيات القرآن الكريم الدالة على ذلك، هذا فضلاً عن الأحاديث النبوية الشريفة التي بينت هذا المعنى .

فالعَمَلُ الصَّالِحُ هو الموصول إلى الرحمة، والتي بها يدخل الله عز وجل المسلم الجنة، لكن هل عمل المسلم كله سيبلغه رحمة الله تعالى، وهل سيضمن الجنة بعمله ذلك ؟ وحتى نفهم ذلك تماماً ! فالله سبحانه جعل دخول الجنة معلقاً على سببين اثنين :

- الأول . وهو العمل الصالح، وقد جعله الله تعالى بيد العبد، وبه ومن خلاله يصل العبد إلى السبب الثاني .

- الثاني . والذي هو بيد الله تعالى وهو رحمته عز وجل، فيدخله الجنة . وهذا كله أولاً . أما ثانياً فهو أن الحاصل من عمل المسلم ليس كله على وتيرة واحدة وبصفة دائمة، وبنفس درجة الإيمان والاجتهاد واليقظة من الدين والهمة العالية، بل إن كثيراً ما تعتريه غفلة وتفويت وضعف وضياح وتهاون .

وهذا يعني أن عمل المسلم يتخلله نقص كثير وخطأ ونسيان وتغافل وسهو وتفريط وشك ووساوس، وربما يحصل فيه ما هو فوق ذلك من جهل ورياء وسمعة ونفاق وبدعة وضلال وشرك، وهي أحوال؛ كثيرٌ ما يقع فيها المسلم في عبادته لربه سبحانه وتعالى، فماذا بقي له من عمل خالص يرجو به رحمة ربه عز وجل ؟ وعليه فهل ذلك العمل المتبقي فعلاً يناسب أن يكون ثمناً حقيقياً للجنة، بما فيها من

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدِّ رَدِّ) ..... (مَنُورٌ مَحَنَانٌ) . (رَدِّ رَدِّ)

وصف ونعيم لا يُعقل ولا يخطر على قلب البشر ؟ لو كان كذلك لما نجا منا أحد، لكنها أيضاً رحمة الله تعالى التي ستدخلنا الجنة والمتمثلة في أمور كثيرة فهي رحمت ورحمات ومن بعدها رحمت ورحمات، وحسبنا من ذلك أن الله تعالى سبحانه سيختار لنا أفضل أعمالنا ليجازينا بها، وليس كل الأعمال على ما فيها من الأحوال التي قلنا مصداقاً لقوله عز وجل في كتابه العزيز الوجيز : ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٦) [النحل] . وقوله جلت عظمتته : ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٧) [النحل] . وقوله سبحانه : ﴿وَيَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣٥) [الزمر] . وآيات كثيرة غيرها بيّنت هذا المعنى والمضمون .

والمقصود أن الله تعالى سيجزي المسلم يوم القيامة بأحسن ما كان يعمل من الطاعات، وسيجزيه بجزاء هو أشرف وأوفر من عمله بكثير، فيختار الله تعالى لعبده أحسن صلاة صلاها في عمره ثم يحسب له باقي الصلوات كما لو كانت كلها كذلك الصلاة المختارة، ويختار له أفضل صيام صامه، ويحسب له باقي الأيام كذلك اليوم، ويختار له أفضل صدقة تصدّق بها، ويحسب له باقي الصدقات كما لو كانت مثلها، وهكذا سائر الأعمال يختار الله تعالى للعبد أحسنها وأفضلها ويجزيه بها .

وعليه اتضح لنا أن الله تعالى أمر العبد بالقليل من العمل وجازاه عليه بالكثير من الجزاء الحسن، الذي ما كان ليلبغه بعمله مهما كان ومهما عمل، وهذا في حد ذاته رحمة من الله تعالى وفضل، لأنه سبحانه سيختار لهم من أعمالهم أفضلها وأحسنها ليجازيهم بها ثم هو جل في علاه سيدخلهم الجنة وهو جزاء عظيم لم يكن ليلبغه العبد بعمله مهما كان .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَدَّرٌ) ..... (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَدَّرٌ)

وأمر ثالث أيضاً وهو أن الله جل شأنه في الأصل شرع لعباده كل ما فيه خير ونفع ومصلحة لهم، وفي نفس الوقت نهاهم عن كل ما يضرهم ويفسد حياتهم، وكفى بذلك رحمة للخلق حتى لو لم يكن هناك جزاء وجنة ونار ونعيم وعذاب، فالتشريع الإسلامي في حد ذاته رحمة للخلق وفضل من الله تعالى كفى به جزاءً حسناً في الدنيا للعباد على الأعمال الصالحات . والجنة بعد ذلك هي فضل على فضل منه عز وجل فوق الجزاء الحسن في الدنيا .

وأمر رابع أيضاً وهو أن العبد في دنياه مغمور في النعم التي تستوجب شكر الله تعالى الذي رحم وأعطى عن غير استحقاق، ولم يحرم رغم العصيان والكفر والفسوق والفجور . ولولا رحمته سبحانه لما أعطى أحداً عن استحقاق أبداً، فكل عطاء منه هو رحمة وتفضلاً منه على خلقه جل جلاله .

فهي كما قلت رحمت تتبعها رحمت . رحمه حين أوجده من عدم وأمده بعموم النعم في دنياه، ثم رحمه حين شرع له الخير، ثم رحمه حين قَبِلَ منه عمله الصالح على قلته وضعفه، ثم رحمه حين اختار له الأحسن منه ليجزيه به، ثم رحمه حين جازاه بجنة لا يستحق تحصيلها بعمله ما عاش أبداً، وكما قيل سابقاً : (حسب العبد جزاءً حسناً مقابل عمله في الدنيا، النعم التي أنعمها سبحانه عليه فيها، والجنة وما فيها فضل على فضل) .

لنستمع لهذا الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (خرج من عندي خليلي جبريل آنفاً فقال : يا محمد والذي بعثك بالحق إن عبداً من عباده عبد الله خمس مائة سنة على رأس جبل في البحر عرضه وطوله ثلاثون ذراعاً في ثلاثين والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية وأخرج له عينا عذبة بعرض الأصبع تبضّ بماء عذب فتستنقع في أسفل الجبل وشجرة رمان تخرج

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَرَر) ..... (لُزْزُ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَرَر)

له كل يوم رمانة، يتعبد يومه فإذا أمسى نزل فأصاب من الوضوء وأخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام لصلاته، فسأل ربه عند وقت الأجل أن يقبضه ساجداً وأن لا يجعل للأرض ولا لشيء يفسد عليه سبيلاً حتى يبعثه وهو ساجد قال : ففعل، فنحن نمر عليه إذا هبطنا وإذا عرجنا فنجد في العلم أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بيد بين الله تعالى فيقول له الرب : أدخلوا عبدي الجنة برحمتي فيقول : ربي بل بعملتي، فيقول : أدخلوا عبدي الجنة برحمتي، فيقول ربي : بل بعملتي، فيقول الله تعالى : قايسوا عبدي بنعمي عليه وبعمله فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمس مائة سنة وبقيت نعمة الجسد فضلاً عليه، فيقول : أدخلوا عبدي النار فيجر إلى النار فينادي رب برحمتك أدخلني الجنة، فيقول : ردوه فيوقف بين يديه، فيقول : يا عبدي من خلقتك ولم تك شيئاً ؟ فيقول : أنت يا رب، فيقول : من قَوَّاك لعبادة خمس مائة سنة ؟ فيقول : أنت يا رب، فيقول : من أنزلك في جبل وسط اللجة وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح وأخرج لك كل يوم رمانة وإنما تخرج مرة في السنة وسألته أن يقبضك ساجداً ففعل ؟ فيقول : أنت يا رب، قال : فذلك برحمتي وبرحمتي أدخلك الجنة ادخلوا عبدي الجنة فنعم العبد كنت يا عبدي فأدخله الله الجنة، قال جبريل : إنما الأشياء برحمة الله يا محمد) [الحاكم والبيهقي في الشعب والحكيم الترمذي في النوادر والمنذري في الترغيب . وتبض أي تقطر] . حديث عظيم النفع من تأمله وتدبر معانيه نفعه الله تعالى به . لذلك كان ثمن الجنة عظيم لا يبلغه عمل ولا يساويه عطاء ولكنها رحمة أرحم الراحمين . اللهم اجعل اعترافنا بحق ربوبيتك مغفرة لنا عما قصرنا فيه من حق ألوهيتك وادخلنا الجنة مع الأبرار يا عزيز يا غفار .

مَنُورٌ مِّنْأَنُورٍ . (مُرَارٌ ..... (مُنُورٌ مِّنْأَنُورٍ . (مُرَارٌ

## ١٥ - الأخوة الإسلامية (الكريم والليثيم)

قال ﷺ : ( لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام) [متفق عليه] . لننظر في هذا الحديث العجيب الذي بيّن من خلاله ﷺ كيفية الحفاظ على علاقات المسلمين فيما بينهم، فالحديث يشتمل على النهي عن الهجر، وأن ذلك الفعل حرام على المسلم، لكن السؤال هنا هو لماذا حددها ﷺ بثلاث ؟ ولماذا هي ثلاث ليال وليست أيام ؟

أما لماذا ليال فلأن الليل بما جعل الله تعالى فيه من الهدوء والسكون يهيئ الجو المناسب لأن يراجع فيه الإنسان نفسه، فيعيد النظر في عموم تصرفاته التي صدرت منه نهاراً من أقوال وأفعال .

وأما لماذا ثلاث فلأنها فترة كافية لأن تذهب سورة الغضب عن الإنسان خلالها . وبعد ذلك فلا حجة لمتخاصم أبداً في بقاء الخلاف بينه وبين أخيه المسلم أبداً، غير أن الناس ليسوا كلهم سواء في الخير والشر وفي الحق والباطل، ولذلك يقولون إن الناس في الخير والشر والحق والباطل ينقسمون قسمين : (كريم وليثيم) .

- أما الكريم فتجده متى قال خيراً صَعَّدَهُ، ومتى قال شراً تنازل فيه . فلو قال قائل مثلاً : لأتصدقن بمائة درهم ثم سكت هنيهة، فلعله يقول مرة أخرى ! بل بمائتين .

لكنه متى قال شراً تنازل فيه، فلو قال مثلاً : لأقتلن فلان من الناس لتعديه عليّ وسوء فعلته معي، ثم سكت فتكلم مرة أخرى فلعله يقول : بل يكفي ضربه وتوبيخه . وهذا هو شأن الصالحين الخيّرين كما هو الحال مع إخوة يوسف عليه السلام حين قالوا كما حكى ربنا سبحانه وتعالى في محكم التنزيل : ﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ

## مَنُورٌ حَمَانِيٌّ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمَانِيٌّ . (رَدُّر)

أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴿٩﴾ [يوسف] . تَوَعَّدُوا بِالْأَشْرِ وَهُوَ الْقَتْلُ ، ثُمَّ تَنَازَلُوا فِيهِ إِلَى الشَّرِّ وَهُوَ أَنْ يَلْقَوْهُ فِي الْبُئْرِ .

- أما اللئيم فتجده بعكس ذلك تماماً، أي أنه متى قال خيراً أنقصه، ومتى قال شراً صعدّه . فلو أنه وعد بخير مثلاً كأن يتصدق بمائة درهم ثم سكت فتجده ينقصه ولعله يقول : بل بخمسين تكفي . أما إن توعّد بشر مثلاً كأن يقول : لأضربن فلان لسوء تصرفه معي ثم سكت فسيصعده فلعله يقول : بل لأقتلنه .

وبالتالي فأهل الخصومات بعد ثلاث ليال إما كريم ينسى ويسامح ويتنازل ويصل أخاه المسلم ويعفو عن كل شيء، وكذلك هو شأن المسلمين . لذا قال ﷺ في الحديث : ( لا يحل لرجل أن يهجر أخاه ) سماه ﷺ (أخ) وليس عدواً وهو كذلك فأخوة الإسلام تجمعهم .

وإما لئيم فتجده يحقد ويحفو ويتغيظ ويزيد حنقاً ويسيء المعاملة فلا يسامح بل يعزم على الشر والانتقام والتشفي، وكذلك هو شأن المنافقين والعياذ بالله تعالى الذين لا يعيرون أدنى أهمية لحرمة الإسلام ولا لمكانة الأخوة فيه ولا يعطوا مجالاً للتسامح وللعفو وللصفح وللتواصل .

والمسلم مدعو للعفو والصفح ليدخل ضمن دائرة الرحمة في كل أسبوع مرتين، حين تعرض الأعمال على الله تعالى، ففي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (تعرض الأعمال في كل يوم خميس واثنين فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئاً إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال : اركوا هذين حتى يصطلحا اركوا هذين حتى يصطلحا) [مسلم . واركوا أي أنظروا وأخروا] . وبالتالي فمن أبقى الخصومة أكثر من ثلاثة أيام فإن ذلك سيحرمه الأجر ويضيع عليه فرصة المغفرة والرحمة مع باقي المسلمين وهو ولا شك حرمان عظيم .

## مَنُورٌ جَنَانٌ . (رَدُّ رَدِّ) ..... (مَنُورٌ جَنَانٌ) . (رَدُّ رَدِّ)

وهذا في حد ذاته حافز ولا ريب لأن يسامح المسلم أخاه وينهي الخلاف معه، وبذلك التصرف يُقضى على كل خلاف وخصومة وشحناء بين المسلمين، فتقوى أواصر ورابط العلاقات الأخوية فيما بينهم .

إذن فحديث الثلاث ليال له مغزى عظيم ونفع كبير وهو في كل الأحوال والحالات يقضي على الفرقة والشحناء والخلافات والخصومات، وهذه هي أكبر ثمراته وثماره .

وفي محكم التنزيل قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات] . فلو أن المسلم استحضر دلالة هذه الآية لدعاها ذلك لتغيير تعامله مع من حوله على نحو يرضاه للناس بمثل ما يرضاه لنفسه . لاحظ تذييل الآية بقوله تعالى : (لعلكم ترحمون) علق الرحمة على تحقيق الأخوة في الله تعالى، أخوة الإيمان الحق . لذا جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : ( لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) [البخاري] . ولا يؤمن أي لا يكمل إيمانه ] .

وفي قصة عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه المعروفة، ما قاله أنس رضي الله تعالى عنه : (كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال : يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلع رجل من الأنصار، تنطف لحيته من وضوئه، قد تعلق نعليه في يده الشمال، فلما كان الغد، قال النبي ﷺ، مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى . فلما كان اليوم الثالث، قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال : إني لاحت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت ؟ قال : نعم . قال أنس : وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... مُنَزَّلٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

الليالي الثلاث، فلم يره يقوم من الليل شيئاً، غير أنه إذا تعار وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر، حتى يقوم لصلاة الفجر . قال عبد الله : غير أنني لم أسمعهُ يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحقر عمله، قلت : يا عبد الله إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ثم، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرار : **يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**، فطلعت أنت الثلاث مرار، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك، فأقتدي به، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ، فقال : ما هو إلا ما رأيت . قال : فلما وليت دعائي، فقال : ما هو إلا ما رأيت، غير أنني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه . فقال عبد الله هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطق) [أحمد والنسائي في الكبرى والبيهقي في الشعب وغيرهم . وتنطف أي تقطر . والملاحاة أي المجادلة والملاومة] . بالفعل هذا الذي يعجز عنه كثير من الناس .

وفعل الصحابي الجليل أبو ضمضم الذي قال فيه ﷺ : (أعجز أحدكم أن يكون مثل أبي ضمضم، كان إذا أصبح قال : اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك) [أبو داود وصححه الألباني والبخاري وغيرهم] . فيسامح ويعفو لا يحسد ولا يحقد، هذه هي الأخوة الإسلامية بحق، حين لا تحمل المسلم في قلبه أدنى غل أو ضغينة على أخيه في الله تعالى .

هذا هو منهج الإسلام في توطيد وتقوية روابط الأخوة الإسلامية، وفي كيفية القضاء على الخلافات والخصومات . اللهم انزع الغل والحقد والحسد من قلوبنا وصدرنا واجعلنا ممن استشعر حلاوة الأخوة فيك وعمل بحق لك .



مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... مُزَوَّبٌ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

## ١٦ - الغفلة (حقيقة الزهد)

يقول الله سبحانه في محكم فرقانه الظاهر وبرهانه الباهر : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات] .

في هذه الآية أوضح جل شأنه أن الأصل في وجود البشر وأساس خَلَقَتَهُم إنما هو العبادة لله تعالى في هذه الدنيا، دار الابتلاء والعمل .

غير أن الغفلة عن مراد الله تعالى واتباع تعاليمه وتطبيق أوامره واجتناب نواهيه قد استولت على الناس كما بين ذلك تبارك وتعالى في الحديث القدسي بقوله : (...وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً ...) [مسلم]<sup>١</sup> .

وهذه الغفلة لها أربعة أنواع هي : (غفلة كبرى، وغفلة صغرى، وغفلة خفية، وغفلة أخفى من خفية)<sup>٢</sup> . وجملة البشر قد وقعوا في أحد هذه الأنواع الأربعة إلا من رحم الله تعالى وعصم، وبسببها افترق الناس في ذلك على أربعة أنواع بحسب نوع الغفلة :

١ - قسم وقعوا في الغفلة الكبرى . فكفروا بالله تعالى وجحدوا نعمه وأنكروا عبوديتهم له، فما عرفوا الله تعالى ولا أقاموا له أدنى حرمة فعاشوا حياة البهائم

---

<sup>١</sup> تقدم الحديث بتمامه .

<sup>٢</sup> الغفلة الكبرى هي الكفر، والغفلة الصغرى هي المعاصي، والغفلة الخفية الاستدراج، حين يحسب المسلم أنه على خير وعلى حق وعلى بصيرة وعلى هدى وهو على خلاف ذلك، والغفلة الأخفى من الخفية هي الحزبية وعدم صيانة العلم .

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (مُرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (مُرَارٌ)

والعياذ بالله تعالى بل هم أضل من ذلك حقيقة وصدق سبحانه وتعالى القائل : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْآفَكَةُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ۝١٢﴾ [محمد] . وصدق عز وجل القائل في الذكر الحكيم : ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان ٤٤] . فالأنعام مسيرة مسخرة لما خلقت له ولن تضل أبداً لأنها محكومة بالغريزة، أما الإنسان فهو محكوم بالعقل، وهذا الذي أضله متى ضيَّع دلالته ولم يسمع لصوت الفطرة والحس فيه وتغافل عن ذلك .

وهذه الغفلة من مات عليها فمصيبه إلى النار لأن الله تعالى قد وضع في هذه الدنيا من براهين الإيمان ودلالات الوجود الدالة عليه، ما كان يستوجب الإيمان به، فآثاره كثيرة ومتعددة ومتنوعة في كل أرجاء الكون .

٢- قسم وقعوا في الغفلة الصغرى . فآمنوا بالله تعالى لكنهم عصوا أمره سبحانه وفسقوا وفجروا بعد أن عرفوا حقيقة الأمر من إيمان وكفر وطاعة عصيان . لكن غفلتهم تلك أقل من سابقهم ممن كفر جملة وتفصيلاً . وهؤلاء ما كان ينبغي لهم الضلال بعد الهدى والتعامي بعد البصر والغواية بعد الهداية كيف وقد عرفوا الله جلّت عظمتهم وعرفوا نعمه وآلاءه التي لا تعد ولا تحصى، وصدق سبحانه القائل : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝١٩﴾ [الحشر] . أي من عرف الله تعالى ونعمه ومراده من الخلق ثم غفل عن ذلك وتهاون واستخف به، ووقع في المعاصي والمنكرات . وهذه الغفلة من مات عليها فمصيبه إلى النار يعذب فيها بقدر جُرمه ومعاصيه ومدى فسوقه في الدنيا ثم تشمله رحمة أرحم الراحمين .

٣- قسم وقعوا في الغفلة الخفية . وهذه هي التي لا يتفطن لها إلا أقل أقل القليل من البشر، ممن أوتيَ إيماناً راسخاً، وديناً قيماً، و يقيناً صادقاً، وبصيرةً وقَّادةً، وحساً مرهفاً، يكشف من خلالها حقائق الأمور وبواطن ما خلف المنظور .

## مَنُورٌ جَنَانٌ . أُرْدَرُ ..... أُلْزَقُ ..... مَنُورٌ جَنَانٌ . أُرْدَرُ

وعامة الواقعين في هذا القسم هم عباد الله تعالى الصالحون السائرون على المنهج الحق القاصدون رضوان الله تعالى لكنهم وقعوا فريسة الإفراط في المباحات والتنعّم والتلذذ بكل ما يمكن التلذذ به مما أحل الله تعالى، وهذا لا بأس به من حيث الحكم الشرعي ولكنه ليس هو دأب العارفين بالله تعالى ممن هانت عليه الدنيا فاستوت في نظره الأيام، وتوحدت الأحوال فما بحث عن دنيا وإن كانت حلالاً، ولا حرص على لذة وشهوة وإن كانت مباحة، ولا سعى إلى منصب وإن كان سيتقي الله تعالى فيه، ولا ركض خلف مال وإن كان من حل وطيب كسب . وكل ذلك لماذا ؟ لأنه استوى عنده ذهب الدنيا وتراجمها، عاليها وسافلها، شريفها وحقيرها، وعلم أن الدنيا ممر عاجل، ووقت زائل، وشهوة منقضية لا بقاء لا لحسنها ولا لقبيحها لا لخيرها ولا لشرها لا لمعروفها ولا لمنكرها . ولا بقاء إلا في دار البقاء، وبما حرث الإنسان، وعمل وجهه واجتهد في دنياه فسوف يحصد في آخره . وعامة الصالحين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قد غرق وأغرق نفسه في المباحات، فتجده أرصد الأرصدة وبنى البنايات ووسع على نفسه وطالت يده كل الملذات فلم يقصر على نفسه بشيء وهو يكرر عبارة : (وأما بنعمة ربك فحدث) . سبحان الله العظيم .

وهذه الغفلة لا تفضي إلى النار خلوداً ولا حتى وروداً إلا تحلة القسم وهو المرور على الصراط، غير أنها تنقص أجر الميزان، وتضيع السبق والقرب من الرحمن، وتفوّت أعلى المنازل والدرجات العلى في الجنان، وعامة من يتفطّن لها هم ممن هانت عليه الدنيا فرفضها، ولم يغتر بها، ولم يطلب زينتها، ولم يسع لمناصبها فهم ليسوا صالحين فقط بل هم رجالٌ صالحون مصلحون، حقيقتهم زاهدون، في المطالب قانعين، بالقليل راضين .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّ . (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَدُّ)

وفي كل الأحوال لله تعالى ذاكرين، فهم به ومعه مستأنسون، في النعماء وإن قلَّت شاكرين، وفي الضراء وإن عظُمت صابرين، يعبدون الله تعالى محبة له وفيه، أكثر من طلبهم للجنة أو خوفهم من النار، مطلبهم الرئيس بلوغ أعلى منازل المحبة قبل بلوغ أعلى منازل الجنة .

والخلاصة ! هنيئاً لهم بحق قوم فازوا بالرضا في الدنيا لأنهم عرفوا أنها دون مستواهم الحقيقي فسعوا إلى ما عند الله تعالى ففازوا بالنعيم الأبدي في الآخرة . فمن عرف الدنيا رضي منها بالقليل لأنه سيلقى عند الله تعالى الكثير، إذ لا منغص ولا مقطوع ولا ممنوع أبداً . ولو أخذنا صوراً من حياة أولئك العارفين الزاهدين<sup>١</sup>:

ويقال أن عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه الذي كان يلبس المرقع، وينام على الأرض، ويمشي بين الناس مشي الفقير، وهو خليفة آنذاك اشتهى الفاكهة فذهب إلى السوق فلما تناول منها شيئاً تركها ف قيل له في ذلك فقال : ذكرت قول الله تعالى : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾ [الأحقاف] . ترك الحلال زهداً وورعاً فيه لأنه فهم الدنيا وحقيقتها .

وهذا الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد أغنى أغنياء المدينة كان كلما جاءه مال استدعى قرابته فوزعه

---

<sup>١</sup> وقد تقدم معنا قصة أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها حين كانت تأتيها الهبات والصلوات من الخلفاء، فجاءتها مرة صلة مائة ألف درهم من معاوية رضي الله تعالى عنه وهو خليفة وهي صائمة فخرجت من بيتها ووزعتها كلها، فقالت لها جاريتها : يا أم المؤمنين أما كنت قد استبقيت لنا درهماً واحداً نشترى به إفطاراً لك، فقالت رضي الله تعالى عنها : (لو ذكرتيني لفعلت) . سبحان الله العظيم نسيت طعام بطنها وهي صائمة من فرط زهداها في الدنيا .

## مَنْزُورٌ حَقَائِقُهُ . (مَرْارٌ) ..... (مَنْزُورٌ) ..... مَنْزُورٌ حَقَائِقُهُ . (مَرْارٌ)

عليهم، ثم على باقي الفقراء والمساكين . فقالت له زوجته يوماً : إن قرابتك هؤلاء قرابة سوء فمتى علموا أنه قد جاءك مال جاءوك مسرعين ومتى علموا أنه ليس لديك مال لم يأتك منهم أحد . فقال لها : بل هم قرابة خير فمتى علموا أنه قد جاءني مال جاءوا ليأخذوه ولي الأجر، ومتى علموا أنه لم يأتني مال لم يخرجوني بالحضور . سبحان الله العظيم فهم عجيب لحقائق الأمور .

ويروى أنه جاءه رضي الله تعالى عنه رجل مرة فقال له : يا طلحة أسألك بالرحم الذي بيننا إلا أعطيتني، فقال له طلحة ومن أنت ؟ فساق له الرجل نسباً طويلاً لا يعرفه طلحة ولم يسمع به من قبل، غير أنه نسبٌ صحيح . فقال طلحة للرجل : إن لي أرضاً بالمدينة طلبها عثمان رضي الله تعالى عنه مني بثلاثين ألف ديناراً إن شئت أعطيتك الأرض وإن شئت بعتها له وأعطيتك المال، فقال له الرجل : بل أريد المال، فباعها طلحة بذلك المبلغ ثم أعطاه الرجل وهو لا يعرفه . سبحان الله العظيم . فبموازنتنا الحالية الدينار يساوي قرابة (٤) جرام من الذهب، وهذا يعني أن ثلاثين ألف دينار يساوي في زماننا هذا قرابة طن وربع من الذهب، يعطيها لرجل لا يعرفه ولأول مرة يراه .

ويروى أن أحد السلف دخل على هارون الرشيد رحمه الله تعالى فوعظه موعظة ذرفت منها العيون وخشعت لها القلوب فلما همّ بالانصراف قال له هارون : سل حاجتك، فقال له الرجل : يا أمير المؤمنين أمن أمر الدنيا أم من أمر الآخرة ؟ فقال له هارون : أمر الآخرة إلى الله تعالى بل سألني من أمر الدنيا . فقال له ذلك الرجل الصالح : يا أمير المؤمنين والله ما سألت الدنيا ممن يملكها (أي من الله تعالى) فكيف أسألكها منك<sup>١</sup> .

---

<sup>١</sup> أظنه سفيان الثوري . النسيان مني ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

## مَنُورٌ جَنَانٌ . أُرْدَرٌ ..... أَلْمَزَقُ ..... مَنُورٌ جَنَانٌ . أُرْدَرٌ

وهذا الإمام الترمذي رحمه الله تعالى المحدث المشهور أحد أصحاب الكتب الستة كان يصنع الصابون ويبيعه ويقتات من كسب يده حتى عميت عيناه من تلك الصناعة وقد عرضت عليه المناصب والأموال الطائلة فرفضها فعاش بعدها قرابة عشرين سنة وهو يطلب حديث رسول الله وهو أعمى حتى لقب بالضرير .

وقد تقدم معنا ومر بنا بعضاً من تلك القصص حين كان الكلام عن منازل الإيثار . وغير ذلك كثير من قصص أولئك المبصرين بحق ممن نجا من الغفلة الخفية التي وقع فيها لا أقول الكافرين ولا أقول العصاة المسرفين .

ولكن أقول الصالحين من عباد الله تعالى، ممن أفرط على نفسه في الملذات والتي وإن كانت حلالاً فهي ملهاة ومشغلة ومضيعة للأجر .

فمن اشترى الدور وابتنى القصور كان يكفيه أقل من ذلك، ومن اقتنى أفخم المركوبات كان يكفيه أقل من ذلك، ومن ادخر الأموال والأرصدة كان يستوجب عليه تفقد إخوانه المساكين وهم كثير وكثير .

فكل حرص على الدنيا متروك خلف الظهر وكان بالإمكان أن يرصد المسلم لنفسه أفضل من ذلك لو حرص على الذي يبقى وزهد في الذي يفنى، فأقول لمن أسرف وفرط تذكر قول الله تعالى : ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ﴿١٢﴾ [آل عمران] . والإنفاق مما يحب المرء ليس هو الإنفاق من سعة أو من مزيد أو من فائض ؟ وإنما ما كان عن حاجة ومن قلة وموجدة . ومن سيصنع ذلك يا ترى ؟ هذا هو الميزان الحقيقي للزهد الحق .

وإذن فهذا النوع من الغفلة فيه يتمايز الصالحون، وفيه تظهر حقيقة المشمرون، وفيه تحدد منازل أصحاب اليمين من السابقين، فيُعرف هذا بالصلاح رغم تقصيره وذاك بالولاية الحقبة والقرب من رب العالمين، والقرب هنا بحسب مدى الإقبال على

## مَنُورٌ جَنَانٌ . (رَدُّ رَدِّ) ..... (مُنْزَعٌ) ..... مَنُورٌ جَنَانٌ . (رَدُّ رَدِّ)

الله جل جلاله والأنس به ورفض الدنيا جملةً وتفصيلاً، حتى يصل المقرَّب إلى درجة الوحشة في الدنيا فيزهد فيها ومنها ويتعلق قبله بمن أوجده وأوجدتها حتى يلقاه وهو راضٍ عنه، وفي الأثر قوله تبارك وتعالى : (يا ابن آدم، خلقتُ الأشياء من أجلك، وخلقْتُك من أجلي، فلا تشغل بما هو لك عمن أنت له) [المنابي في الفيض وتفسير الشعراوي بهذا اللفظ والأنجري في البحر] .

٤- قسم وقعوا في الغفلة الأخرى من خفية . وهذه لا يتفطن لها إلا من وفق لذلك بحق، وهم أهل العلم ممن قصر أُنْفَقَه عن الوعي والإدراك، فحبسه الإنغلاق الفكري والتصور الذهني المحدود فكان أداة لا للبناء ونشر العلم بوجهه الصحيح، وإنما لبث روح الفرقة والحزبية والحكم على الآخرين بالتحيز وسوء الفهم، فرمى الآخرين بما هو واقع به وغارق فيه، وقد حذر سبحانه من ذلك غاية التحذير بقوله تبارك وتعالى في محكم التنزيل : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام] .

الحزبية طريق مشؤوم من سار فيه ساقه إلى حيث الفرقة والنزاع الطائفي، وهو يحسب أنه على خير وعلم، وليس من العلم الصحيح ولا من أساليبه تقسيم الناس إلى طوائف وشيع وفرق وأحزاب .

العلم الحق يصون الإنسان عن حظوظ نفسه واستشرافها على الآخرين، ويجعل صاحبه يتواضع لكل طالب فيبذله للجميع، ولا يصونه إلا عن السفهاء، وقاصدي الفساد والإفساد به .

العالم الرباني هو الذي يجمع الناس من حوله على أمر دينهم ودنياهم، يعلمهم ويفقههم ويرشدهم ويوجههم ويربيهم على منهج العزيز الحكيم، كل ذلك بما ينفعهم ويصلح شؤونهم في معاشهم وحياتهم .

## مَنُورٌ حَمَاقَةٌ . أَمْرٌ دَر . أَلْمُزَقُّ ..... مَنُورٌ حَمَاقَةٌ . أَمْرٌ دَر

أما من اتخذ العلم سوطاً يجلد به كل من خالفه، وسلاحاً يحارب به كل من فارقه، وسلطة يخوف بها الناس، فهذا ولا شك ليس بعالم رباني أبداً .

قال أحد السلف : (طلبنا العلم للدنيا فأبى أن يكون إلا لله) . أي أن الإنسان كلما ترقى في طلب العلم الشرعي ساقه ذلك إلى حيث القرب من الله جل في علاه فازداد بصيرة في أمر دينه ومعرفة في أمر دنياه .

وهذا النوع من الناس غالباً ما يكون منساقاً خلف تتبع العثرات والهفوات والزلات منحرفاً في دوامة الخلافات، فلا يهدأ له بال حتى يحكم على الجميع ويجرد لسانه في ذاك، كما لو كان قد أوتي القِدح الملعى في ذلك، أو قُل كما لو كان ولد آدم عليه السلام الوصي على ذريته .

وهذا ولا ريب مسلك مظلم يجعل الإنسان حبيس النزاعات لا ينفك منها . فكيف بمن كان هذا ديدنه أن يكون مصلحاً أو معلماً أو موجهاً أو مرشداً لغيره .

وبالتالي فهذا النوع من الناس في غفلة أخفى من خفية، لأنه ذاق حلاوة الدين والعلم فكان من المفترض أن يوظفها التوظيف الصحيح، لكنه بدلاً من ذلك وظيفها التوظيف الخاطيء، فما عرف كيف يصونها، ولا كيف يتعامل معها، فصار الدين والعلم في حقه حجة عليه بدلاً من أن يكونا رفعة له، والله المستعان . اللهم اجعل تعلق قلوبنا بك حتى لا نرجو سواك واجعل قلوبنا لك محبته وجوارحنا لك منقادة ونفوسنا لك صافية وعقولنا منك نيرة .



## الباب الثامن : حقيقة الإنسان

- ١ - شخصية المسلم
- ٢ - الذاتية والإنسان
- ٣ - التوحد وقوى الإنسان
- ٤ - النوم
- ٥ - القوت (الأكل والشرب)
- ٦ - العمل عبادة
- ٧ - الثبات على الحق المواعظ (حالنا والسلف)
- ٨ - الضحك والبكاء
- ٩ - من نعم الله تعالى
- ١٠ - علم المناسبات

مَنُورٌ جَنَانُهُ . (رَرَر) ..... (لُزُز) ..... مَنُورٌ جَنَانُهُ . (رَرَر)

## ١ - شخصية المسلم

قال ﷺ في الحديث النبوي الشريف : ( لا يكن أحدكم إمعة يقول : أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا ألا تظلموا) [الترمذي والبخاري في الكبير وابن الأثير في الجامع . وفي رواية (وإن ظلموا ظلمنا) . وإمعة أي لا رأي له] . هذا الحديث يبين لنا فيه ﷺ أنه يجب أن يكون للمسلم شخصية مستقلة عن غيره، بحيث لا يكون تابعا لأحد وكأنه يقوده، وبالتالي تذهب هويته وشخصيته فيصبح كالسائمة خلف راعيها، لأن المسلم بذاته كيّس فطن يعرف مصلحته ومنفعته ولا حاجة لأن يدلّه أحد عليها أو أن يبصره بما ينفعه إلا ما كان من باب التواصي والتناصح والدلالة على الخير والبر ممن هو أعرف منه وأدرى بالأمور التي قد يجهلها المرء .

والمسلم متى ألغى شخصيته ليكون تابعا لغيره متقاداً خلفه من غير أن يعي الأمور فهو ولا شك يكون كما قال ﷺ إمعة، وهذا هو المنهي عنه . وكما بين الحديث أن على المسلم أن يقف موقف الجاد الحازم من تصرفات الناس في الخير والشر، فإن أحسن الناس كان معهم ومنهم وفيهم معينا ونصيرا وعصيذاً ودليلاً ومرشداً وموجهاً، ومتواصياً معهم في كل مجال خير وبر وحق وهدى ونور . أما إن أساءوا فيجب عليه حينها ألا يكون معهم في الشر والباطل أبداً، وألا يقف منهم موقف الضعيف المسالم الذي لا رأي له، بل يجب عليه حينها أن يكون موقفه موقف الناصح والموجه والمحذر والمبين لهم لما هم عليه من شر وباطل . هذا هو الذي يجب أن يكون عليه المسلم بحق لا أن يكون تابعا في كل شيء

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَارٌ)

فيلغي هويته ويصير مع الناس يميل معهم حيث مالوا، لأن ذلك يعني أنه سيسير خلفهم من غير فهم ولا وعي .

وفي الحديث أيضاً إشارة إلى نبذ الظلم، فإياك يا مسلم أن تظلم ولو كنت مع غيرك، فليس ذلك مسوغاً لك لأن تظلم محتجاً بغيرك، واحذر أيضاً أن تغرّك الكثرة لأنه لا خير في كثرة الشر والباطل فهي لن تغني عنك من الله شيئاً، ورغم ذلك وللأسف فقد انغر كثير من الناس بالظلم مع الجماعة .

وعليه ! فالواجب على المسلم حجز أخيه المسلم عن الظلم متى رآه واقعاً فيه، لا أن يساعده ويعينه عليه كما يفعل البعض، لأن الأمر عبارة عن تحقيق مبدأ الأخوة الإسلامية فيما بين المسلمين وليس حمية وعصية قبلية، ولذلك قال ﷺ في هذا المعنى والمضمون : (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قالوا : يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً، قال : تأخذ على يديه "وفي رواية" تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره) [البخاري] .

إذن فشخصية المسلم العاقل هي الاتزان والاستقلالية إن كان بمفرده، وفي الأثر عن رسول الله ﷺ : (المؤمن كيّس فطن حذر وقاف، مثبت عالم ورع، لا يعجل، والمنافق همزة لمزة حطمة، لا يقف عند شبهة، ولا ينزع عن كل ذي محرم كحاطب ليل لا يبالي من أين كسب وفي ما أنفق) [الدليمي والأصبهاني القضاعي مختصراً والسيوطي في الجامع] .

أما متى كان مع غيره فإن كان في مجال الخير كان سبّاقاً ومعيناً لإخوانه المسلمين، وإن كان في مجال الشر لم يكن معهم بل كان مرشداً لهم وموجهاً وناصراً لأخيه المسلم سواء كان ظالماً أو مظلوماً كما بين ذلك ﷺ في الحديث المذكور . اللهم اجعلنا ممن ثبت على الحق ودل عليه واجتنب الباطل وحذر منه .

## ٢- الذاتية والإنسان

تعني هذه الكلمة بأصالة الشيء في صاحبه كما لو كان ينبع من ذاته، والمعنى أن الإنسان وكل موجود في الكون له صفات وخصال تميزه عن غيره، لكن هل هذه الصفات هي متأصلة فيه أم هي طارئة عليه ؟  
وإذا كانت كل الكائنات والموجودات وبما فيها الإنسان مخلوقة لله تعالى، وبالتالي فهي ممدودة بالنعم منه سبحانه، فهذا يعني أنها ولا شك متغيرة ومحكومة بقانون المتغيرات .

وبالتالي فلا شيء في الكون ذاتي الصفات والخصال، لأنه فقير ومفتقر لها ومحتاج لها وتحكمه قوانينها، إلا الله سبحانه الخالق العظيم جلت عظمته، هو فقط الواحد الأحد ذاتي الصفات لأنه غني وغير مفتقر ولا محتاج لأحد، بل هو المفيض على جميع خلقه بعموم النعم والعطايا .

وبذلك فالذاتية ممتعة في حق كل الكائنات من كل وجه، وبما في ذلك الإنسان، وهو يشاهد ذلك في نفسه حال صغره، وحال ضعفه، وحال حاجته لغيره، وفي ذلك أدل دليل على حاجته لخالق عظيم لمن له الذاتيه الحق، أما الإنسان فهو بكل حال فقير لله تعالى مفتقر إليه سبحانه .

لكن ما الذي جعل الإنسان يظن بذاتيته وأنه هو الفاعل القادر المتصرف في الأمور بحكمته وعقله وفكره وقوته وحيلته ؟ الذي دفعه لذلك هو قوة الأسباب التي في يده، والتي ربما غرّته فظن نفسه أنه هو الفاعل الحقيقي في الأشياء؛ التي أخضعها الله تعالى له وجعلها مسخرة في يده وله؛ فانفعلت له وانقادت بأمر الله سبحانه، فغفل حينها عن ربه العظيم المدبر الحقيقي، والمسبب الحقيقي، وواضع الأسباب، وركن إلى ما صنع فتعاظمت نفسه كما لو كان هو الفاعل وهو القادر

## مَنُورٌ جَمَانِيٌّ . أَمْرٌ دَر . . . . . (مُزَوَّبٌ) . . . . . مَنُورٌ جَمَانِيٌّ . أَمْرٌ دَر

وهو المتصرف الحقيقي في الأمور . قال جلّت عظمته في الكتاب المجيد : ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مریم] .

ومن رحمة الله تعالى وحكمته وعظمته أنه عز وجل سبّب الأسباب التي بها تكون الأشياء، وعلم الإنسان تلك الأسباب، وأمره أن يأخذ بها لكن يجب ألا ينسيه ذلك الأمر المسبب الحقيقي، والفاعل الحقيقي في الأمور، ألا وهو الله سبحانه وتعالى . وأمر آخر وهو أن الله جل شأنه هو الذي خلق نفوسنا وأوجدنا من عدم مطلق، وأوجد لنا شرعه القويم ودينه الحنيف لنتمسك به ونعتصم، فكان على الإنسان ولا بد من أخذ منهج الحياة ممن هو المتحكم والمتصرف فيه بحق لماذا ؟ لأن الله سبحانه هو المتحكم في ذلك ولأن للإنسان طاقة محددة ومحدودة، وهي متغيرة بتغيره وتعرضه للتغير وللمتغيرات .

لذا فهي طاقة قد تستدرك، مما قد يفوت عليه الكثير جهلاً منه، ولماذا ذلك ؟ لأن المنهج والدلالة عليه إن حصلت ووقعت ووضعت وأخذت من متغير تغيرت بتغيره، وبالتالي فكان ولا بد من أخذ المنهج الحق ودلالاته من ثابت لا يتغير وما ثمة إلا الله تعالى، لأن الأخذ عن الثابت ثابت لا يتغير ولا ثابت إلا الله سبحانه . ومن رحمة الله سبحانه أيضاً أنه لم يتركنا في هذه الدنيا هملًا، لنحدد نحن منافعنا ومصالحنا كلاً بما يرى ؟ وإنما تولى هو سبحانه ذلك فوضع لنا المنهج الحق المتمثل في الدين القويم والشرع المطهر، الذي حقق به مصالح الجميع، وكل ذلك لأنه عز وجل بنا أعلم وبنفوسنا أدرى .

إذن متى ما اعتقد الإنسان أن الأسباب التي في يده هي كل شيء، ونسي حينها المسبب وقدرته على البشر وعلى الخلق عموماً، ونسي أو تناسى، وتجاهل مطلوب الشرع منه، وتغافل عن قدرة الله تعالى المطلقة في الكون، وأنه عز وجل قرر

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَدُّ . (الْمُرُورُ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (الْمُرَدُّ)

لعباده كل خير ونهاهم عن كل شر، متى أضع ذلك كله غرته الدنيا عندئذ، وظن بذاتيته في الكون وأنه يملك الأشياء وأنه يسعه فعل ما أراد كيفما شاء وأنه لا قدرة عليه تحكمه .

ولا يفوق إلا بعد أن يسلبه الله تعالى تلك القدرة على الفعل، وقد يكون ذلك بأبسط ما يرى ويشاهد الإنسان من مرض أو خوف أو قلق أو ما يجري عليه من عموم الأقدار والأغيار لأنه في عالم المتغيرات ولا شك، ولذا حذر سبحانه عموم خلقه من ذلك بقوله عز وجل : ﴿ فَلَا تَعْرَظْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ [فاطر] . والمعنى احذروا أن تغتروا بما في أيديكم من أمور دنياكم وتحسبوا أنما يحصل لكم؛ إنما يحصل بجهدكم وبمقدرتكم المجردة من إرادة الله تعالى، فتذكروا قدرته عز وجل على كل شيء دوماً فليس شيء مما في أيديكم هو لكم بل هو اليوم موهوب وغداً سيكون منكم مسلوب، لأنه من عند ربكم سبحانه وتعالى ابتداءً وانتهاءً، منه بدأ وإليه يعود .

ولذلك قال ﷺ لما ذكر غنى الدنيا : ( ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس ) [مسلم] . والمعنى أن الغنى الحقيقي هو عدم الحاجة لأحد والاكتفاء بالنفس للنفس، وهذا في عالم الحقيقة ممتنع غير أن من رضي بما آتاه الله تعالى في الدنيا وإن كان قليلاً فهو أغنى نفساً ممن لم يرض بما قسم الله تعالى له واستكثر منها، وهو بذلك فقير لكل ما يطلبه من دنياه ومحتاج لكل ما يسعى إليه . اللهم اجعلنا ممن ركن إليك فقويته ولا تجعلنا ممن غرته دنياه فركن إليها .



مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (مُرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (مُرَارٌ)

### ٣- التوحد وقوى الإنسان

من مصلحة الإنسان أن يكون متوحدًا في كل جوانب حياته حتى لا يشتت ذهنه ولا ينشغل فكره بين سائر الأمور . وبالتالي تنسجم كل ملكاته الجسدية والنفسية وسائر قواه .

وفي الإنسان عدة قوى هي القوة الجسدية والقوة النفسية والقوة الروحية . ولكلٍ منها متجهات ومطالب، فحين ينشغل باله وعقله بأمر ما سيبدل ولا شك طاقة وجهده، بحسب نوع ذلك العمل الذي أشغله وأشغل إحدى تلك القوى . فإن كان عملاً بدنياً فهو سيحتاج للقوة الجسدية وانفعالاتها لأنه سيبدل عملاً جسدياً . وإن كان عملاً نفسياً من مطلوبات النفس وغرائزها واحتياجاتها فسيحتاج حينها للقوة النفسية لأنه سيبدل جهداً نفسياً .

وفي كلا تلك الحالات نجد أن الإنسان هنا يبذل جهداً ويتعب، وبالتالي سيخسر ولا شك من قواه وطاقاته تلك .

أما إن كان العمل الذي سيقوم به عملاً روحياً كالتفكير والتأمل والتدبر والهمة والإصرار والتصميم والإرادة والعزيمة، فالإنسان هنا لن يبذل جهداً ولا يحتاج لطاقة بل إنه هو الذي سيكتسب الطاقة وسيشحن مكامنها فيه .

وهذا الأمر يزيد متى كان العبد في جانب الله تعالى دوماً . أي ربط طاقاته وقدراته بالجانب الروحي الإلهي والنفحات الربانية، عندها سيمده ربه عز وجل بكل ذلك بمدد أكبر وأكثر .

ولعل السبب في ذلك يعود لأن تلك الروح والتي تعد سر الحياة هي من روح الله تعالى أصلاً، التي نفخ في آدم عليه السلام وذريته من بعده مصداقاً لقوله تعالى

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . أُرُودٌ ..... أُنُزُّوبٌ ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . أُرُودٌ

: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ﴿٩﴾ [السجدة] . وإذن فمتى استعمل الإنسان قواه الروحية فلن يبذل ويخسر بل سيكتسب الطاقات لأنها من فيض روح الله تعالى . ومتى علم الإنسان ذلك ليعلم أيضاً أن الله تعالى هو مصدر ومنبع كل القوى، لأن أجسامنا قائمة بروحه سبحانه وتعالى وتستمد حياتها منه عز وجل، وعليه فمن مصلحة الإنسان التوحد في كل شيء . والمعنى أن يعلم أن له رباً واحداً، وإلهاً واحداً، وخالقاً واحداً، ورازقاً واحداً، ومدبراً واحداً . وهكذا ... فهو عز وجل الذي تصدر بإرادته كل الأمور وإليه تصير وترجع كل الأمور .

وعندئذ يجب ألا يلتفت الإنسان إلى غير ربه سبحانه وتعالى أبداً في أي شيء كان من سائر شؤون حياته .

وبهذا الشكل لن يتشتت ذهنه وفكره، ولن تتضارب قواه وطاقاته، ولن تهدر تصرفاته بين كثرة الوجهاء، حين لا يدري لمن سيتوجه في كل أمر بحسبه، لأنهم كثير أمامه .

بل ستتوحد وجهته تماماً لواحد فقط هو الذي خلقه، وهو الذي رزقه، وهو الذي يمدّه بعموم القوى، وهو الذي يحفظه ويحميه ويرعاه ويرجوه ويخافه، وهو الذي يوفر له كل احتياجاته ومقومات حياته ككل، وهو الذي يعلم سره وجهه وباطنه وظاهره وما يحتاج إليه وما ينفعه ويصلحه وما يضره ويفسده، وما إلى ذلك من سائر أمور الحياة الدنيا .

وحينها فقط تتوجه كل اهتمامات الإنسان وتوجهاته لذلك الرب الخالق العلي العظيم، الذي سيتولى التدبير والتصريف له ولكل شأنه تماماً سبحانه وتعالى . وهذا معنى قول الله جل جلاله حكاية عن أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في

## مَنُورٌ جَنَانُهُ . رُردر ..... (لُزُوبٌ) ..... مَنُورٌ جَنَانُهُ . رُردر

الذكر الحكيم : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام] ٧٩ . وقوله عز وجل في الآية الأخرى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام] ١٦٣ لَا شَرِيكَ لَهُ . وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام] ١٦٣ .

وهذا معنى قوله ﷺ في الحديث النبوي الشريف : (وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين) [أبو داود والنسائي وابن ماجة وصححه الألباني وأحمد] .

لذا علمنا ﷺ قبل أن ننام أن ندعو بدعاء عظيم النفع قال فيه ﷺ : (إذا أخذت مضجعتك، فتوضاً وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل : اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، واجعلن من آخر كلامك، فإن مت من ليلتك، مت وأنت على الفطرة) [متفق عليه] .

المهم والمقصود أن يتجه المسلم بكل جسده وروحه وجوارحه وكيانه لخالقه سبحانه وتعالى وأن يستسلم له تماماً، فتتسجم بذلك طاقات الروح والجسد لخالقها عز وجل، فيفيض عليها من فيوضاته ورحماته وعطاءاته، وعُبر بالوجه في الآية والحديث لأنه محل الكرامة والعزة والتوجه والقصد وباقي الجسم تابع له في كل شيء ولا ريب .

وأمر آخر وهو أن الإنسان حين يستعمل قواه الروحية فكأنه يشحن قواه الجسدية والنفسية، وبالتالي كما لو كانت تلك القوة هي المحرك والدافع والطاقة لكل القوى الأخرى .

## مَنُورٌ جَمَانٌ . أَمْرٌ . أَمْرٌ ..... أَمْرٌ . أَمْرٌ . أَمْرٌ . أَمْرٌ

فكلما كانت القوة الروحية للإنسان مفعمة ومرتفعة أثرت في صاحبها بطريقة إيجابية لعطاء باقي القوى، وعكس ذلك تماماً فمتى كانت القوة الروحية ضعيفة ومنهزمة ومنخفضة أثرت سلباً في عطاء القوى الأخرى .

إذن التوحد مطلوب وهو أن ينتهج الإنسان نهجاً واحداً في كل حياته بحق حتى تتحقق له السعادة، وبمعنى آخر أن يكون صاحب مبدأ ثابت عليه ومتمسك به، ولا منهج أفضل ولا أخير ولا أحسن من المنهج الرباني الذي ارتضاه سبحانه وتعالى لعموم الخلق سواء .

والخلاصة ! فالقوة الروحية هي سر الحياة حقيقة مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء] . اللهم اجعلنا ممن توحدت نفسه منك وفيك ولك وإليك لا عنك ولا عليك فحفظته ورعيته وحميته وجمعت أمره يا قادر يا مقتدر .



#### ٤ - النوم

يقول الله تعالى شأنه في كتابه الحجة البالغة والمعجزة الخالدة : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ [الروم] . مدلول هذه الآية أن النوم في الليل أو النهار هو آية من آيات الله تعالى الكونية في هذه الحياة، ومع ذلك لا يتنبه له الكثير من الناس، ولا يتأمل ما يجري له وعليه قبل النوم وفي النوم وبعده .

والنوم حقيقة هو عملية ضرورية لكل كائن حي لا بد له من أن ينام، فما هي حقيقة النوم ؟ يقول علماء الطبيعة والبيولوجي والهسيولوجي والفسولوجي<sup>١</sup> ؛ أن في الإنسان طاقة محدودة متى انتهت في يومه فقد خرج جسمه عن حد الخدمة مما يلجئه للنوم قسراً، وهو ما يسمونه بقوة الردع الذاتي .

وقالوا أيضاً أن الكائن الحي حين يأكل يمتص جسمه المواد النافعة له من الطعام وتبقى مواد ضارة وسموم تترسب في الجسم . هذه السموم والمواد الضارة يتخلص منها الجسم بواسطة جهاز الإخراج، عبر العرق والرشح والبول والمخاط وما سوى ذلك، ولكن تبقى مواد ضارة وسموم لا يستطيع الجسم التخلص منها بواسطة جهاز الإخراج، ولا سبيل للجسم للتخلص منها إلا بواسطة عمليات تبادل وتفاعلات كيميائية تحصل في الجسم، على إثرها تتعادل تراكيز المواد داخل الجسم، وهذه التفاعلات لا يمكن أن تحصل إلا والكائن نائم .

ولذلك فالذي لا يأكل لا ينام كثيراً، لأنه لا توجد سمومٌ مركزة ومرتسبة في جسمه فتجده إن نام سريعاً ما يفيق، وأيضاً كلما أكل الإنسان مواد دسمة غطت في نومه، وكلما كان أكله خفيفاً كان نومه خفيفاً أيضاً .

---

<sup>١</sup> البيولوجي (علم الكائنات) . والهسيولوجي (علم التشريح) . والفسولوجي (وظائف الأعضاء) .

## مَنُورٌ حَمَاقَةٌ . (رَدِّدْ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمَاقَةٌ . (رَدِّدْ)

ونلاحظ كذلك أن الإنسان متى تناول سُماً أو شرب مشروباً يحتوي على مواد ضارة تجده مباشرة يفقد الوعي، لأن الجسم تنبه حينها أن سموماً دخلت إليه ويجب أن يتخلص منها مباشرة وإلا تضرر الإنسان، فيفقد حينها الوعي مباشرة ولو كان مستيقظاً من النوم قبيل برهة، لأنه لا يمكن التخلص منها إلا والكائن نائم، لأنه حال نومه يريح الكثير من الأعضاء عن الحركة والجهد، فيتفرغ الجسم حينها للمقاومة وللقضاء على تلك السموم بأسرع وقت ممكن .

وعليه ! فمدلول الآية أن النوم آية كونية في الخلق، وهذا صحيح فلولا النوم لمات الإنسان تعباً وكمداً وملئاً من الحياة وَلَقَدْ الأمل والتطلعات فيها ومنها . فالإنسان بعدما يتعب في يومه ويكدح ويبدل الجهد يشعر بحالة من الإعياء والإرهاق، ومن ثم الشعور بالبلادة والاستخفاف بالأمر ولا يمكن له أن يستمر في التفكير والعطاء والبذل لو لم ينم، ولكنه بعد أن ينام ثم يصحو يقوم وقد امتلأ حيوية ونَفَسٌ جديد وطاقة وشعور متقدين، وأفكار وطموح لأنه أراح بدنه وعقله وامتص جسمه المواد النافعة له وتخلص من المواد الضارة .

فيكون الاستيقاظ من النوم كما لو أن الإنسان ولد من جديد وهذا ولا شك يؤيد قول الله تعالى أن النوم موت أصغر، يموت الإنسان ثم يحيا ثانية لياشر حياته من جديد، قال الله عز وجل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ﴾ [الأنعام] . والمعنى أن الله جل شأنه يقبض أرواحكم في الليل حال النوم، ويعلم ما فعلتم بالنهار، ثم هو سبحانه يوقظكم بعد نومكم لتباشروا أعمالكم في دنياكم من جديد حتى يحين أجلكم المحتوم .

تدبر قول الله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسَلِهَا إِلَىٰ قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (مُرَارٌ)

يَنْفَكُّوْنَ ﴿٤٢﴾ [الزمر] . والمعنى أن الله تعالى يتوفى الأنفس كلها بالنوم وهي الوفاة الصغرى، ثم يقبض روح من شاء بالموْت الأكبر حال نومه، ومن شاء يرسل نفسه مرة أخرى فيستيقظ من ميته الصغرى تلك، لأجل مسمى عند الله سبحانه وفي ذلك عبرة كبرى وعظة لمن تفكر واعتبر وتدبر وتأمل .

وبهذا المعنى في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفذ فراشه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول : باسمك رب وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين) [متفق عليه] .

لذا على المسلم أن يستعد للقاء ربه سبحانه حال نومه، وحال استيقاظه، بالاستسلام التام له تعالى، وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (إذا أويت إلى فراشك فقل : اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإنك إن مت في ليلتك مت على الفطرة، وإن أصبحت أصبت أجراً) [متفق عليه] .

والنوم حالة جسدية عجيبة، في حقيقتها عُقد تلف على رأس النائم، وقد قال بعض العلماء أن النوم عبارة عن دوائر تحيط بالرأس، كل دائرة متكاملة تكفي النائم لو استيقظ بعدها، ولو أنه استيقظ في منتصفها لكان كسلاناً .

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد إذا نام، بكل عقدة يضرب عليك ليلاً طويلاً، فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، وإذا توضأ انحلت عنه عقدتان، فإذا صلى انحلت العقد، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان) [متفق عليه]

## مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَدِّدْ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَدِّدْ)

عليه] . ولهذا نجد الإنسان أحياناً ينام كثيراً ورغم ذلك يصعب عليه الاستيقاظ، في حين تجده في وقت آخر نام قليلاً واستيقظ سريعاً، بحسب اكتمال تلك الدوائر حال نومه . المهم أن النوم هو عبارة عن بعث جديد واستئناف حياة جديدة بحق، أضف إلى ذلك كمّ الشعور الذي يتغير بالنوم، فالإنسان قد ينام على ضائقة وشعور بالملل والتعاسة من الحياة فيقوم من نومه وقد تبدل حاله وتغير إلى الأحسن، والعكس صحيح أيضاً .

وإذن فالنوم راحة بدنية وعقلية للإنسان لولاه لما استطاع البذل والعطاء ومواصلة رحلة الحياة الطويلة .

وأمر آخر وهو أن الإنسان بعد اليقظة من النوم يعتبر كما لو أنه ولد من جديد، من بعد موت أخذه فيفيق على عبوة كبرى، وهذا الذي يجعل الإنسان إذا استيقظ من نومه يكون حامل الجسم محدود التفكير هادئ الأعصاب صافي الذهن حتى يبدأ عقله بالانطلاق في التفكير وبمباشرة ومتابعة عمله المعتاد مرة أخرى .

إذن النوم نعمة كبرى على الإنسان لأنه كالمحطة التي تجعله يرتاح فيها ويتزود لرحلة عمره الطويلة، ومن ثم ليواصلها بحيوية وبأمل جديدين وبنشاط ورغبة متقدين، وهذا ولا ريب يستوجب شكر الله جلّت قدرته دماً، وفي الحديث النبوي الشريف عن حذيفة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ كان إذا أخذ مضجعه قال : **باسمك اللهم أموت واحيا، وإذا استيقظ قال : الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا، وإليه النشور** [متفق عليه] . فسبحان الله العظيم فعلاً النوم آية كبرى لو تفكر الإنسان فيها . اللهم إن أمسكت نفوسنا فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين .



## ٥- القوت (الأكل والشرب)

يعيش الإنسان طوال حياته وهو يأكل ويأكل، ليقيم حياته بالأكل وإلا لمات جوعاً، والأكل هنا هو ثاني مقومات الحياة بعد الماء ولا حياة بلا ماء أو أكل، والعلماء يقولون أن الإنسان يستطيع أن يصبر عن الأكل مدة أقصاها (٤٠) يوماً، ويستطيع أن يصبر عن الماء مدة أقصاها (٤) أيام، ويستطيع أن يصبر عن النفس مدة أقصاها (٤) دقائق .

ورغم أهمية الأكل في حياة الإنسان إلا إنه كما قيل : (أن الإنسان يأكل ليعيش، وليس يعيش ليأكل) ولذلك يقول الله تبارك وتعالى : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨] . فمدلول الآية هو أن قوام الحياة إنما هو القوت والأكل مما أحل الله تعالى لعباده من طيبات الأرض .

والله عز وجل أمر الخلق في الحياة الدنيا بالعبادة، وجُل العبادات إنما قوامها على الجسم السليم، وهذا الجسم السليم قوامه ولا ريب يكون بالطعام والشرب، وبالتالي فهما يتقوى العبد على طاعة ربه سبحانه وتعالى، وإذن فهما قوام الجسم وعليه فهما قوام العبادة والتي بها قوام الدين .

والإنسان لو تدبر حركته في الحياة من عمل دؤوب وسعي متواصل يظل طوال عمره خلف تحصيل معاشه، وهذا المعاش والمال الذي يريد توفيره تكون فائدته بالدرجة الأولى ليأكل ويشرب ويلبس ويوفر احتياجاته .

فلو تخيلنا مثلاً أن الإنسان ليس بحاجة في حياته للأكل والشرب، هل يا ترى سيكون بحاجة للعمل لكسب المال ؟ وعندها يتحقق لنا بالفعل أن العمل والسعي المتواصل في الحياة من أهم أولوياته فيها إنما هو توفير القوت بالدرجة الأولى، لأن

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . مُرَدُّرٌ ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (مُرَدُّرٌ

به قوام الحياة وقوام العبادة أي قوام (الروح والبدن) . ومن حكمة الله جل جلاله أنه جعل الإنسان يحتاج للقوت في يومه ثلاث مرات، وهذا يعني أنه بحاجة مستمرة لتوفير ما يحييه ويقيميه في الدنيا وإلا لمت جوعاً، وبالتالي فشغل الإنسان الشاغل إنما هو توفير ذلك الأمر بصفة مباشرة أو غير مباشرة .

ولذلك كانت الدنيا دار عمل وسعي وطلب رزق وكدح وتحصيل معاش، حركة مستمرة في نطاقات أمور كلها ضرورية لاستبقاء حياة الإنسان، وهذا هو السبب الرئيس لنشوب الكثير من الصراعات الأُممية بين البشر بوجه عام، بدافع إرادة القيادة والتسلط والسيطرة والهيمنة لتوفير القوت واحتكار الموارد .

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم لقيمات "أكلات" يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) [الترمذي والنسائي في الكبرى وابن ماجه وصححه الألباني وأحمد والحاكم وابن حبان] .

ولنتفكر مثلاً في شهر رمضان كيف أن الله تعالى منع المسلم في نهاره من الأكل والشرب الحلال لماذا ؟ ليعرف عدة أمور :

أ- مدى أهمية القوت من أكل وشرب وكيف أن قوام الحياة بهما، ولا غنى أبداً للإنسان عنهما بل ولا أي كائن حي، لأنها تعتبر من ضروريات الحياة الدنيوية وأولوياتها التي يحتاجها كل متحرك .

ب- مدى النعمة التي هو فيها، والتي حُرّمها الكثير من الناس فيشكر الله تعالى حينها على ما أوتي من تلك النعم، وليتذكر حينها إخوانه الفقراء والضعفاء والمساكين والمحرومين فيمد يد العون لهم .

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدِّدْ) ..... (مُزَكِّبٌ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدِّدْ)

ج- أُنْهَآ مِنْ نَعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ فِي الدُّنْيَا بِمَا يَقِيمُ حَيَاةَ الْعِبَادِ، ثُمَّ هِيَ فِي الْآخِرَةِ نِعْمَةٌ كَبِيرَى فِي الْجَنَّةِ بِمَا يَفُوقُ لَذَّتْهَا فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا كَانَتْ مِلْدَاتٍ وَنَعَمِ الدُّنْيَا مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ تُشْتَهَى وَيَتَمَنَّاها الْإِنْسَانُ، فَكَيْفَ بِمِلْدَاتِ الْجَنَّةِ الَّتِي هِيَ فَوْقَ الْوَصْفِ، لِأَنَّ الْمُسْلِمَ فِي الْجَنَّةِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ لَا عَنْ جُوعٍ وَعَطَشٍ وَإِنَّمَا لِيَتَلَذَّذَ وَيَتَنَعَّمَ . إِذَنْ لَيْسَ الْأَكْلُ وَالشَّرْبُ فِي الدُّنْيَا لِمَجْرَدِ النِّهَمِ فَقَطْ، بَلْ هُمَا قَوَامُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا سَوَاءٌ، وَلَهُ وَلِأَجَلِهِ بِالدرِجَةِ الْأُولَى كَانَتْ حَرَكَةُ الْحَيَاةِ مِنْ عَمَلٍ وَسَعْيٍ وَكَدْحٍ مُتَوَاصِلٍ، فَبِالْأَكْلِ وَالشَّرْبِ أَبْقَيْتَ حَيَاتَكَ يَا ابْنَ آدَمَ وَلَمْ تَمُتْ جُوعاً، وَبِهَمَا عَبَدْتَ رَبِّكَ سَبْحَانَهُ لَأَنْهُمَا قَوَامُ الْجِسْمِ (الرُّوحُ وَالْبَدَنُ) وَلَهُمَا سَعِيَةٌ وَتَحَرُّكَ وَتَعَبٌ وَعَمَلٌ وَكَدْحٌ .

وَعِبْرَةٌ أُخْرَى كَبِيرَى وَهِيَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَظُلُّ طَوَالَ عَمْرِهِ يَجْهَدُ نَفْسَهُ لِیَأْكُلَ وَمَا أَنْ يَسْتَقِرَّ الطَّعَامُ أَوْ الشَّرَابُ فِي بَطْنِهِ لِمُدَّةِ سَوِيعَاتٍ قَلِيلَةٍ حَتَّى تَجِدَهُ يَجْهَدُ نَفْسَهُ مَرَّةً أُخْرَى لِيُخْرِجَهُ مِنْ جِسْمِهِ بِالْبُولِ وَالْغَائِطِ، فَكَانَ تَعَبُهُ مَرَّتَيْنِ لِيُوفِّرَ أَكْلَهُ وَيَأْكُلَهُ ثُمَّ لِيُخْرِجَهُ مِنْ جِسْمِهِ مَرَّةً أُخْرَى وَيَتَخَلَّصَ مِنْهُ، وَلَوْ أَنَّ الطَّعَامَ أَوْ الشَّرَابَ احْتَبَسَ فِي جِسْمِهِ لَأَذَاهُ وَأَوْجَعُهُ وَرَبَّمَا يَمِيتُهُ وَيُودِي بِحَيَاتِهِ، فَلِلَّهِ تَعَالَى الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ الَّذِي أَطْعَمَ بِكَرَمِهِ وَالَّذِي أَخْرَجَ بِإِذْنِهِ . وَفِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ قَوْلُهُ ﷺ : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ، وَسَقَى وَسَوَّغَهُ وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجاً) [أَبُو دَاوُدَ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ وَالنَّسَائِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَابْنُ حِبَّانَ . وَسَوَّغَهُ أَيَّ سَهْلٍ مَضْغُهُ وَبَلَعَهُ وَهَضَمَهُ] .

حَتَّى يَعْلَمَ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ لَا شَيْءَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مُسْتَقَرٌّ عَلَى حَالِهِ وَإِنَّمَا هِيَ دَوْرَةٌ تَنْتَهِي وَتَتَلَوَّهَا دَوْرَةٌ أُخْرَى وَتَنْتَهِي وَهَكَذَا، وَلِلَّهِ سَبْحَانَهُ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ مَرْجِعُ كُلِّ شَيْءٍ مِنْهُ بِدَأْوَإِلَيْهِ سَيَعُودُ . لِذَا وَجِبَ شُكْرُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ دَوْماً، وَفِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ قَوْلُهُ ﷺ : (مَنْ أَكَلَ طَعَاماً فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ

مُنَزَّلٌ مِّنَ رَبِّكَ . مُرَرَّرٌ ..... مُنَزَّلٌ مِّنَ رَبِّكَ . مُرَرَّرٌ

الذي أطعمني هذا ورزقني من غير حول مني ولا قوة، غفر له ما تقدم من ذنبه) [أبو داود والترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني] .

وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال : أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعامه - وقال مرة : إذا رفع مائدته - قال : الحمد لله الذي كفانا وأروانا، غير مكفي ولا مكفور، وقال مرة : الحمد لله ربنا، غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى، ربنا) [البخاري] . وغير ذلك من أدعية شكر الله سبحانه وتعالى على النعم الكثيرة المتوالية، ولا سيما نعمة الطعام والشراب .

وهكذا يظل الإنسان على تلك الحال حتى يموت ويلقى ربه سبحانه ليعلم أن هذه الدنيا لا قرار له فيها أبداً، فهي دار أخذ وعطاء ورفع وخفض وسعة وضيق وهكذا حتى الموت . اللهم لا تحرمنا نعمك فنفتن ولا تبسطها علينا كل البسط فيها نُشغل وألبسنا لباس الصحة والعافية ومتعنا بها في الدنيا يا وهاب .



## ٦- العمل عبادة

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد وقوله السديد : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ۖ﴾ [الملك] . مفاد هذه الآية أن الله تعالى قد ذلل الأرض للخلق وسهلها لهم، وسخر لعباده فيها كل شيء ثم أمرهم بالسعي فيها لطلب الرزق وتحصيل المعاش .

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (إن أطيب ما أكل الرجل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده) [البخاري] . وفي رواية : (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده...) . والمعنى أن الله تعالى يحب أن يأكل العبد من تعبهِ وعرقهِ وكدحه بنفسه، ولا يحب الاتكال على الغير، وهذا هو شأن الأنبياء عليهم السلام عموماً، لأن العمل ضروري لاستبقاء الحياة، ولأن الله تعالى لم يخلقنا هملاً ولا عالة على الغير، وبالتالي فطلب الرزق وتحصيل المعاش هو من أساسيات الحياة الدنيا ومن أهم متطلباتها .

ولذلك كان العمل ذروة حركة الإنسان، لأنك به توفر كل احتياجاتك في الدنيا، وبالتالي تعبد ربك كما أمرك سبحانه، لكن هذا لا يعني أن ينشغل المرء بالفرع وهو العمل عن الأصل وهي العبادة فيضيعها بحجة أنه مشغول هذا هو الخسران المبين والغفلة الكبرى، لأن العمل مهما كان مُهماً فطاعة الله تعالى أهم ولا ريب، وإذا كان العمل به قوام المادة فمنهج الله تعالى به قوام الحياة ككل، ولذلك لو تأملنا أسماء الله تعالى مثلاً لوجدنا أن من أسمائه سبحانه وتعالى (الكبير) وليس من أسمائه الأكبر، في حين أن الله تعالى لما شرع الأذان كانت أول كلمة فيه (الله أكبر) ولم يقل : (الله كبير) وهنا ولا شك ملحظ مهم . فاسم الله تعالى الكبير

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . رَدُّرٌ ..... لَمُزَقٌ مَنُورٌ حَمْدُهُ . رَدُّرٌ

يدل على أن الله عز وجل هو كبير وكل ما سواه صغير، لكن لو قلنا أن من أسمائه سبحانه وتعالى الأكبر لكان يوجد غير الله كبير والله تعالى أكبر منه، وهذا خطأ ولا ريب .

لكن الأذان لما شُرِعَ بيَّن سبحانه أن حركة الحياة قائمة على السعي للكسب ولطلب الرزق والكدح والبذل المتواصل، وهذه الأمور عند الإنسان هي كبيرة ولا شك لأنها تمثل له عصب الحياة، فكان الأذان بلفظ (الله أكبر)، والمعنى مهما كانت حركة حياتكم كبيرة فالله تعالى أكبر وأمور الدين أهم، والسعي للقاء الله جلّت عظمته في المساجد أوجب، وصلّتكم بالله تعالى أوثق .

فكان ولا بد من بيان أن الله تعالى هو أكبر من كل كبير ترونه أو تعتقدونه أو تعظموه، وإن كانت حركة حياتكم الدؤوبة المهمة، وهذا ولا شك يبين معنى قول الله جلّت قدرته في كتابه العزيز : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت] .

ولنتدبر معنى قول الله عز وجل في سورة الجمعة : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ﴾ [الجمعة] . هنا بيّن جل جلاله أن البيع هو أهم حركة في الحياة، بل هو عمدة كسب الرزق، وذلك لأن منفعته حالة فوراً، فبين جلّت عظمته أن البيع وهو أهم حركات الحياة في نظركم كبير ولا شك، لكن الله تعالى والصلاة والوقوف بين يديه سبحانه أكبر، فذروا ما أنتم فيه واسعوا أي امشوا مسرعين إليه عز وجل لأن ذلك أكبر من كل كبير . فكان تشريع الأذان بلفظ (الله أكبر) في محله لأن الله تعالى هو فعلاً أكبر من كل حركات الحياة الدنيا وأكبر من كل كبير فيها .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر) ..... (مُزَكَّرٌ) ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّر)

ولو سلسلنا حركات الإنسان في الحياة لوجدنا أن أعلاها هي عبادة الله تعالى، كما أمر عز وجل خلقه بذلك على لسان أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، ولكن الإنسان لكي يعبد ربه عز وجل حق العبادة لا بد له من مقومات الحياة، فتأتي بعد العبادة حركة قوام الجسم من مأكَل ومشرب وملبس وحاجيات، وهذه الحركة لكي تتحقق وتتوافر لا بد لها أيضاً من حركة سابقة لها وهي حركة العمل في الحياة، التي من نتائجها تحصيل هذه الأمور وتوفيرها .

فالإنسان يظل طوال عمره يعمل ويعمل؛ ويموت والعمل لم ينته بعد، ولن يتوقف العمل بموته، فحركة الحياة قائمة على العمل ولا تنتهي أبداً، ولا تتوقف إلا إذا توقفت الحياة، وبما أن الحياة كلها لله تعالى وهو سبحانه الذي أوجدنا فيها، وأمرنا بالعمل والسعي فيها والطلب لما شرع وأباح لنا فيها فبالتالي كان العمل والسعي والطلب في الدنيا هو الله عز وجل ومن صميم عبادته تعالى .

إذن فمن هنا كان العمل عبادة، لأنه أساس حركة الحياة، ولأن فيه حركة مزدوجة فهو حركة لعبادة الله تعالى من جهة، وفي نفس الوقت حركة لتحصيل القوت والمعاش من جهة أخرى . اللهم اجعلنا ممن صدَّق بك وآمن وتقرَّب إليك وأحسن وعمل فأتقن وجوَّد في عمله وفنَّ يا رزاق .



مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (مُرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (مُرَارٌ)

## ٧- الثبات على الحق (المواعظ)

الأصل في المواعظ هو بقاء صداها في قرارة الإنسان وبداخله مدة من الزمن، بحسب مدى التأثير بها، وبحسب إيمان المرء ووعيه ونصاحته ونضجه، لأن الهدف الرئيس من الموعظة إنما هو تعليم الجاهل وتذكير الناسي وتنبيه الغافل وتوعية المفرط، وهذا كله خير كبير، لذا يجب التفاعل معها والانتفاع بها .

إذن الحكمة الأصيلة من ذلك إنما هو الانتفاع بالموعظة ومن ثم الثبات على الحق، وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : (أن رسول الله ﷺ كان يتحولنا بالموعظة في الأيام، مخافة السامة علينا) [متفق عليه . ويتحولنا أي لا يداوم، والسامة أي الملل] . والمعنى كان يتعهدنا بالمواعظ بعد كل فترة حتى تثبت في القلوب . غير أن الحاصل أننا وواقعاً غير ذلك، فلو نظرنا مثلاً لحالنا وحال السلف من قبلنا لوجدنا عدة أمور تختلف فيما بيننا وبينهم يأتي على رأس ذلك أمران :

- الأمر الأول . أن حال السلف أثبت منا على الحق وعلى الخير وعلى البر ولا نجد في سيرهم ولا من صفاتهم التقلب الذي نحن عليه اليوم، على الأقل ليس بنفس الدرجة من سرعة التغير والتبدل والتقلب بين الأمور .

فضعف شخصيات رجال الآن هو أبرز صفات مجتمعاتنا الحديثة وما يتبع ذلك من سرعة التقلب بين الأمور وعدم الاستقرار على شيء، فأغلب الناس لا رأي سديد ولا قول رشيد ولا سعى حميد في حياته، بل تجده يتأرجح ويتردد ويستريب ويعجز عن اتخاذ القرار المناسب له في الوقت المناسب، حتى لربما في أبسط الأمور التي تخصه .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . (رَدُّ رَدِّ) ..... (مُنْزَعٌ حَمْدُهُ) . (رَدُّ رَدِّ)

ويأتي في مقدمة ذلك التقلب سرعة فقدان الموعظة من القلب وضياعها منه، فالسابقون كان أحدهم يسمع الموعظة فتبقى معه عمراً مديداً، أو بضعة سنين، أو حتى عدة أشهر، أو أسابيع وهو يعمل بها وبما سمع وتأثر . أما الآن في زمننا هذا فالمرء قد يسمع الموعظة وسرعان ما يضيعها ويفقد أثرها من عقله وقلبه ونفسه، بل أن البعض وبمجرد انتهاء الموعظة يقوم وكأنه لم يسمع شيئاً أبداً، نعوذ بالله تعالى من ذلك وهذا ولا شك مشكلة كبرى وغفلة عظيمة .

والسنة النبوية المطهرة مليئة بالمواعظ والعبر لنستمع مثلاً لما يثبت هذا المعنى ويؤيده وهو قوله ﷺ لما ذكر علامات الساعة والفتن آخر الزمان ونبه منها فقال ﷺ : (بادروا بالأعمال، فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع أحدكم دينه بعرض من الدنيا) [مسلم . وفي رواية عند أبي داود الطيالسي : (بعرض من الدنيا قليل) . والعرض متاع الدنيا وحطامها] .

والمعنى بادر أيها المسلم بالأعمال الصالحات قبل أن يأتي يوم من شدة الفتن المظلمة فيه كالليل، يغير المرء دينه فيصبح على غير ما أمسى، ويمسي على غير ما أصبح يبيع دينه بدنياه، يحصل ذلك له بأبسط الأمور وبأتفه الأسباب . وهذا الأمر كثيراً ما نجده اليوم في واقع حياة الناس على نحو كبير من تقلب وتأرجح في الأمور، ومن عدم الالتزام بالمنهج الحق، ومن عدم التمسك بالمبادئ الصحيحة والأصول والأعراف الحسنة .

- الأمر الثاني . أن السلف كانوا أكثر منا فهماً لحقيقة هذه الدنيا، وبالتالي لم ينكبوا عليها كما هو حالنا اليوم، ولذلك نجد أن أحدهم متى أخطأ أو عصى ربه سبحانه سريعاً ما يعود ويتوب، لأنه يعلم أن ما اقترفه خطأ ومعصية، أما في زماننا

## مَنْزُورٌ حَمْدُهُ . (رَدِّ ر) ..... (لُزْزَب) ..... مَنْزُورٌ حَمْدُهُ . (رَدِّ ر)

هذا فنجد أن البعض يظل يعصي ربه سنين طويلة لا يرعوي ولا يتوب إلى ربه عز وجل، ولا يهتم لذلك ولا يفكر فيما اقترفت يداه بل وربما جاهر بالمعصية وفرح بها وكأنه حقق واكتسب مغنماً وليس مغرمًا، وهذا من فرط الضياع والضلال وغاية النكران والقحّة، نسأل الله تعالى السلامة من ذلك . وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : ( كل أمتي معافي إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول : يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه) [البخاري] .

وحول هذا المعنى قال أحد السلف : (اللهم لا ترينا أحلى ما في الدنيا ولا أمرّها) فمن رأى حلاوة الدنيا ألف ذلك وفتن بالنعم وغره طول الأمل، ومن رأى أمرًا ما في الدنيا من فتن ومصائب ونقم ضجر، واعترض ولم يرض بالقضاء والقدر، انظر أخي إلى هذا الفهم العجيب .

إذن يجب علينا سلوك المنهج الحق ومن ثم الثبات عليه، والحق والمنهج الحق هو الشيء الثابت الذي لا يتغير فهو قيمة واحدة هي الصراط المستقيم، وما سوى ذلك من قيم ومفاهيم فهي قيم متعددة متفرقة متشعبة من طرق الزيغ والضلال والأهواء والأدواء والأباطيل مصداقاً لقوله سبحانه : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [١٥٣] [الأنعام] . فالحق طريقه واحد وما سواه له طرق شتى . اللهم ثبتنا على الحق واجعلنا ممن استمسك به واعتصم بك وأناب إليك ولجأ وتوكل عليك في كل حين يا حكيم يا عليم .



## ٨- الضحك والبكاء

يقول كثير من علماء النفس والتشريح أن حقيقة تكوين النفس البشرية وأفعالها وما يصدر منها وعنهما هو ناتج عن انفعالات، وهذه الانفعالات إنما تحصل إما نتيجة الاستجابة لضغوط نفسية، وإما نتيجة رغبات وميول ونزوات واحتياجات وبواعث نفسية . وفي كلا الحالتين فقد صنفت هذه الانفعالات النفسية ضمن نوعين هما :

- ١- انفعالات مفسرة معروفة وظاهرة الدوافع .
  - ٢- انفعالات غير مفسرة يجدها الإنسان في نفسه أحياناً، من غير أن يعرف دوافعها الحقيقية، وبمعنى آخر دوافعها غير ظاهرة ولا مفسرة حتى الآن .
- يقع ضمن هذا النوع من الانفعالات ظاهري أو انفعالي الضحك والبكاء، فالإنسان أحياناً تنتابه نوبات بل حالات من الحزن والغم والرغبة في البكاء من غير أن يعرف سبباً ظاهراً لذلك ولا الدافع الحقيقي من ورائه . وكذلك الضحك يجد الإنسان نفسه مسروراً يريد أن يضحك ويقهقه ولا يجد سبباً ظاهراً لذلك، هذا أولاً .

أما ثانياً، فنجد أن الضحك والبكاء، وبالأخص الضحك حتى الآن لم يستطع العلماء المختصون في علم النفس أن يفسروا دوافعه الحقيقية، غير أنهم قالوا عنه أنه حالة سرور تنتاب الإنسان يعبر عنها بانبساط وابتهاج .

لكن ما هو الضحك ؟ وما حقيقته ؟ وما الذي يجعل الإنسان يضحك مثلاً حال سماعه لشيء مضحك، كأنفعال نفسي، فقالوا لعل دافعه البساطة أو السذاجة التي تدعو للغرابة والتعجب في الشيء . أما البكاء فقالوا : هو حالة الوصول لدرجة من العجز أو الخوف أو القلق أو الضعف والتسليم أو اليأس أو كل

## مَنُورٌ جَنَانُهُ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ جَنَانُهُ . (رَدُّر)

هذه الحالات أو بعضها، من غير أن يكون لدى الإنسان القدرة على التغيير فلا يجد حينها إلا البكاء، كنتيجة حتمية لحالته الراهنة تلك .

وأيضاً ! هل انفعالي الضحك والبكاء لهما عوامل نفسية فقط، أم أن هناك عوامل مادية وبدنية أيضاً لها تأثير عليها وفيهما ؟

والمعنى هل يمكن أن يكون للطعام أو الشراب أو لتعاطي بعض العقاقير مثلاً تأثير على المرء فيضحك أو يبكي ؟

وإذا كان كذلك فما الذي فعله ذلك العقار أو الأكل أو الشراب في جسم الإنسان بالفعل، حتى جعله يضحك أو يبكي ؟

وكيف أثرت على مزاجه ؟ وما الذي حصل فيه نفسياً ومادياً لتضحكه أو لتبكيه وما مدى تأثير ذلك ؟

ما الذي يضحك الطفل مثلاً ويجعله كثير الضحك وربما أحياناً من غير سبب ظاهر ؟ وبالعكس ذلك الرجل كثير الاهتمامات، ما الذي يجعله قليل الضحك لا يتأثر بكل ما يسمع وإن كان شيئاً مضحكاً ؟

لماذا بعض الناس سريع الضحك وبعضهم بطيء الضحك، كذلك بالنسبة للبكاء ؟

وتبقى التساؤلات كثيرة ومحيرة لحقيقة ما يحصل . وما ثم إلا الله سبحانه وتعالى العلي العظيم الحكيم العليم بحقيقة ما يجري ويحصل داخل جسم الإنسان ونفسه .

وتحقيقاً لقوله تبارك وتعالى في كتابه المحكم العزيز : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ [النجم] . وصدق الله سبحانه، فدلالة الآية أن الله جلت قدرته قد نسب

هذين الفعلين إليه تماماً وحصر الضحك والبكاء منه سبحانه .

## مَنُورٌ مَحْنَانٌ . أُرْدَرُ ..... أَلْمُزَّجُ ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . أُرْدَرُ

فمن تدبر الآية وجد أنها جاءت بالضمير المنفصل، فلم يقل سبحانه فيها :  
(وأنه أضحك وأبكى) بل قال : (وأنه هو) والمعنى أنه عز وجل هو وحده الفاعل  
والباعث في النفوس الضحك والبكاء .

والضمير المنفصل في اللغة العربية متى جاء في جملة أفاد حصر الفعل على  
الفاعل وقصره عليه .

وإذن فهو سبحانه وتعالى الذي أضحك وأبكى فعلاً وأوجد في النفوس ما  
يضحكها وما يبكيها من أسباب ودوافع، علم الإنسان حقيقة ذلك أم لم يعلم ؟  
توصل للأسباب والدوافع تلك أم لم يتوصل بعد ؟ فسبحانه وبحمده . اللهم يا من  
أمات وأحيا وأضحك وأبكى وخلق الزوجين الذكر والأنثى من نقطة إذا تمنى علمنا  
ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وهب لنا من أمرنا رشداً .



مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (مُرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (مُرَارٌ)

## ٩- من نعم الله تعالى

يقول الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي : (أني تفضلت على عبادي بثلاث ألقيت الدابة على الحبة ولولا ذلك لكنزتها الملوك كما يكنزون الذهب والفضة، وألقيت النتن على الجسد ولولا ذلك لم يدفن حميم حميمه، وأذهبت الحزن ولولا ذلك لذهب النسل) .

وفي رواية قوله ﷺ : (تفضلت على عبادي بأربع خصال سلطت الدابة على الحبة ولولا ذلك لادخرها الملوك كما يدخرون الذهب والفضة، وألقيت النتن على الجسد ولولا ذلك لما دفن خليل خليله أبداً، وسلطت السلو على الحزن ولولا ذلك لانقطع النسل، وعرضت الأجل وأطلت الأمل ولولا ذلك لخربت الدنيا)[الدلمي في الفردوس والمتقي الهندي في الكنز وابن أبي حاتم والزحشري في تفسيريهما والسيوطي في الجامع وفي تفسيره الدر وفي جامع الأحاديث القدسية برقم : (١١١٩)] .

دلالة هذا الحديث عجيبة بحق ! فلولا أن الله تعالى من واسع رحمته سلط هذه الأشياء على تلك الأمور الأربعة، لاختلف الوضع تماماً في دنيانا، وبيان ذلك وتفصيله كما يلي :

- تسليط الدابة على الحبة : فمهما ادخرت الحبوب من قوت الأرض ولو في أمكن مكان مكين فسيصلها السوس ويخرها، فكان بذلك ولا بد من إنفاقها وبذرها على مستحقيها وعدم ادخارها حتى لا تفسد، ولولا ذلك لكنزها الملوك ومنعوها عن مستحقيها كما يمنعون الحلي والأثمان من ذهب وفضة، لكنها رحمة الله تعالى التي شملت الضعيف والمحتاج، لأن بها قوام الحياة للجميع ولا سيما الضعفاء

## مَنُورٌ حَمَّانٌ . (مُرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ حَمَّانٌ . (مُرَارٌ)

والمحتاجين والفقراء والمساكين الذين لا غنى لهم عن القوت الضروري، حسبهم بذلك معيشة .

- تسليط النتن على الجسد : فلولا ذلك لاحتفظ كل محب بحبيبه وكل خليل بخليله ولم يدفنه، وعندئذ لو لم يتدفن الناس لما تحلل الأموات ولاكتظ ظهر الأرض بالأموات أكثر من الأحياء بكثير وحينها سيفتن الناس بموتاهم، ولَمَّا نسوهم وهم أمام أعينهم يروهم صباح مساء ولذلك قال ﷺ : (لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر) [مسلم] . فكان الدفن سنة كونية للمسلم ولغيره من عامة البشر، وذلك لأن الإنسان إنما خلق من تراب وهو حين يدفن يعود إلى أمه الأرض، لتأويه وتضمه إليها وتستتر عورته، فيعود الإنسان إلى أصله التراب ويتحلل في باطنها، حكمة إلهية ربانية عظمى لعموم خلقه سبحانه وتعالى .

- تسليط السلو على الحزن : فلولا ذلك لظل الإنسان طوال عمره حزيناً مع أول حادث حزن يعتريه، فالحمد لله رب العالمين الذي جعل السلو مسلطاً على الحزن لأن الإنسان متى تذكر مصيبتة عزف عن الحياة؛ وأول تلك الأمور البعد عن النساء اللواتي هن السبب الرئيس للنسل والتكاثر، ولكن الإنسان متى نسي ذلك وتناساه أقبل على شؤونه من جديد على نحو طبيعي معتاد وباشر زوجته وتناسل، وبهذا تدور عجلة الحياة وتستمر إلى أن يرث الله سبحانه وتعالى الأرض ومن عليها .

- تسليط الأمل على الأجل : فأجل الإنسان غيب لا يعلمه إلا الله تعالى ولو أن الإنسان استحضره دوماً لما باشر حياته، ولما تحرك فيها ولما سعى وحصل مبتغاه، لكنها رحمة الله تعالى الذي أخفى الأجل وأطال الأمل، بحيث يعيش الإنسان حياته كما لو كان سيخلد في دنياه، لكن يجب الحذر من فجأة الموت وانقضاض المنية عليه، لأنها تعترض حياته وتقضي عليه . وكما في الأثر عنه ﷺ ويروى من

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . مُرَرٌ ..... الْمُرُورُ ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . مُرَرٌ

قول عمر رضي الله تعالى عنه : (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً) [ابن أبي الدنيا في إصلاح المال والحارث في مسنده والبوصيري في الاتحاف والمناوي في الفيض] . والمعنى اهتم بعمل آخرتك وأده بلا توانٍ وأخلص فيه كأنك ميت غداً، وهذا يتطلب منك دوماً الاجتهاد وعدم التفریط والتراخي فيه، وأحسن عمل دنياك كأنك باقٍ فيها أبداً وهذا يتطلب منك تحسين العلاقة مع الجميع، لأنك ستحتاج إليهم يوماً ما .

إذن من إجمالي الحديث أن الله تعالى قد تفضل على عباده بكل شيء في الوجود مصداقاً لقوله سبحانه : ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه] . ومن جملة ما تفضل به عز وجل على عموم خلقه في هذه الدنيا هو هذه الأمور الواردة في الحديث، ونلاحظ أن هذه الأمور الأربعة بها قوام الحياة واستمراريتها ولولاها لترك الإنسان حياته ولمات كمدأ وحزناً، فكيف كان سيعيش وهو مسلوب القوت في يد القوي حكراً عليه ؟ أو كيف سيعيش وهو يرى ميته أمام عينيه يذكره دوماً ؟ أو كيف سيعيش وهو حزين كئيب لا يفرح ولا يُسر بشيء ؟ أو كيف سيعيش وهو يذكر الموت دوماً لا يفارقه ذكره صباح مساء أبداً ؟

والخلاصة ! فعلاً لو تدبر الإنسان في جنبات حياته لوجد قدرة الله تعالى وواسع رحمته وإحاطته بالخلق وإرادة نفعهم ورحمتهم متحققة في كل شيء مما نرى ونسمع، فالله الحمد رب العالمين على كل ما أعطى وعلى كل ما يعطي وعلى كل ما سيعطي وعلى كل ما منع وعلى كل ما يمنع . اللهم أرنا قوتك حتى نخشاك وأرنا ضعفنا حتى نرجوك وحقق في الحالتين محبتنا لك حتى نذكرك يا منعم يا متفضل .



## ١٠ - علم المناسبات

من أشرف العلوم التي يجهلها السواد الأعظم من الناس هذا العلم، والذي حقيقةً لا يعلمه إلا العلماء العارفون بالله تعالى، المجردون من الهوى والميول، المسلحون بالنظرة البعيدة والفكرة الحديدة والخاطرة الرشيدة، ووعي وفهم وإدراك لما يجري من حولهم في هذا الكون الفسيح المتزامي الأطراف . وهذا العلم من اسمه يتبين لنا مغزاه ومجاليه، فهو يهتم بالمناسبات والتناسبات في حقيقة خلق الله تعالى، أي النظر في الأوقات وما يناسبها من أفعال، وفي الخلائق وما يناسبها من تكوين ! أما بالنسبة للأوقات فهم يقولون إن كل وقت قد شَرَّفَهُ الله تعالى بعمل معين يناسبه بحيث يعد ذلك العمل هو أشرف أعمال ذلك الوقت .

فمثلاً أوقات الصلوات الخمس لم تأتِ بطريقة عفوية ! وإنما لكل وقت منها ما يناسبه من صلاة . فانظر وتفكر وتدبر .

فمثلاً وقت الفجر الذي يأتي بعد نوم وسبات ليل، شَرَّفَهُ الله تعالى بركعتين فيه وجعل سنته ركعتين خفيفتين قبله ولا سنة بعده وأمرنا ﷺ بالإطالة في أداء الفرض حين يكون المسلم خالي الذهن مستعداً لما يستقبل مما يسمع من قرآن كريم فيقع من قبله موقعاً بتدبر وتفكر وتأمل، فكانت الصلاة هنا جرعة وقائية ومصل مناعي وتوجيه موجه بدقة لقلب حاضر، وعقل واعٍ في وقت صفاء ذهن، وخواء فكر، يشحذ همم المصلين ويهيئهم لاستقبال يومهم بما يقوي صلتهم بربهم وخالقهم سبحانه، وبما يقوي عزائمهم للصبر على حركة الحياة، وكدحها المتواصل الدؤوب .

ثم انظر لوقت الظهر الذي يأتي بعد عمل وحركة يوم دؤوب شَرَّفَهُ الله تعالى بأربع ركعات وجعل سنته من جنسه فهي أربع ركعات قبله وأربع بعده، مع أنه يأتي بعد تعب وعمل وإرهاق فكما أتعبت نفسك في الدنيا لأجل تحصيل ثمرتها فأتعب

## مَنُورٌ جَنَانٌ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ جَنَانٌ . (رَدُّر)

نفسك من أجل ربك وصل له، قال ﷺ : (إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم) [متفق عليه] . فكانت الصلاة هنا كالسكينة للمسلم المطمئنة له وسط عباب الحياة وسباقها المحموم اللا منتهي، كما لو كانت فترة استراحة مستقطعة للمسلم من تعب الحياة يخرج فيها من شدة الحر ولهبه ليلقى ربه عز وجل فيلقى عليه برد اللقاء ويجد حلاوة الوقوف بين يديه سبحانه، ويلقى الدنيا وأعباء العمل خلف ظهره .

ثم انظر لصلاة العصر تأتي بعد نوم وقلولة وفترة راحة قصيرة فجعلها أربع ركعات لا سنة له لا قبل ولا بعد لكن حث على أربع قبله، وهذه الصلاة تأتي بعد استراحة من تعب مرهق فالقلة من المصلين من يحافظ عليها والأكثر ينامون عنها لذا قال تعالى في محكم التنزيل : ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة] نبه سبحانه عليها لما فيها من عظيم أجر ومثوبة، ولذا قال ﷺ في شأنها في الحديث النبوي الشريف : (من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله) [البخاري] .

ثم انظر للبردين وهما الفجر والعصر فبرد الفجر يأتي بعد الليل وبرد العصر يأتي بعد فتور حر الظهر مصداقاً لما قاله ﷺ : (من صلى البردين دخل الجنة) [متفق عليه] .

وانظر لقوله ﷺ في هذين الوقتين بالتحديد وكيف أنها أوقات مشهودة لذا حث عليهما ﷺ وبين عظيم فضلها بقوله ﷺ : (إن لله عز وجل ملائكة يتعاقبون فيكم فإذا كانت صلاة الفجر نزلت ملائكة النهار فشهدوا معكم الصلاة جميعاً ثم صعدت ملائكة الليل ومكثت معكم ملائكة النهار فسألهم ربهم وهو أعلم بهم ما تركتم عبادي يصنعون، قالوا : فيقولون : جئناهم وهم

## مَنُزِّلُ حَمَانَةٍ . (رَرَر) ..... (لُزْزُ) ..... مَنُزِّلُ حَمَانَةٍ . (رَرَر)

يصلون وتركناهم وهم يصلون فإذا كانت صلاة العصر نزلت ملائكة الليل فشاهدوا معكم الصلاة جميعاً ثم صعدت ملائكة النهار ومكثت ملائكة الليل، قال : فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم فيقول : ما تركتم عبادي يصنعون، قال : فيقولون : جنائهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون، قال : فحسبت أنهم يقولون فاغفر لهم يوم الدين) [متفق عليه واللفظ لابن خزيمة] .

ثم انظر لصلاة المغرب وهو نهاية عمل اليوم يأتي بثلاث ركعات فقط وهو الفرض الوحيد الوتر من سائر الفروض، وبعده سنة خفيفة ركعتان ويستحب بعده أن يشغل المسلم نفسه بالصلاة حتى تحين صلاة العشاء قال ﷺ : (من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتي عشرة سنة) [الترمذي وابن ماجه وأبو يعلى وابن حبان والطبراني في الأوسط] .

وقال حذيفة رضي الله تعالى عنه : (صليت مع النبي ﷺ المغرب فلما قضى الصلاة قام يصلي فلم يزل يصلي حتى صلى العشاء ثم خرج) [الترمذي وأحمد والحاكم وابن خزيمة وابن حبان] .

وقال أنس رضي الله تعالى عنه في قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ (١٦) كان أصحاب رسول الله ﷺ يصلون بين المغرب والعشاء) [ابن أبي حاتم] . وهذا الوقت هو وقت نشاط وصفاء ذهني، وهدوء واسترخاء بدني . لذا يستحب أن يشغله المسلم بالصلاة بين يدي ربه سبحانه، أو أن يتعشى بحيث إذا صلى العشاء نام بعدها، والعشاء هنا قبل الصلاة مستحب لأنه يكون قبل النوم بفترة كافية مما يعين الجسم على هضم الطعام، فينام الإنسان بعدها مرتاحاً خفيف البطن .

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... الْمُرَقَّبُ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

ثمَّ يَخْتَمُ اليومَ بِصلاةِ العشاءِ أربعَ ركعاتٍ بعدها ركعتين وبعده النوم وهو ختام اليوم، يرتاح فيه الإنسان من نصب الحياة وتعبها، كان هديه ﷺ في ذلك ما قاله أبو ברزة رضي الله تعالى عنه : (أن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها) [البخاري] .

فكما بدأ المسلم يومه بالصلاة يختمه كذلك بالصلاة، هذا بالإضافة إلى أن الصلاة تتخلل عمله سائر اليوم فيكون كل عمله يقع بين الصلوات، وصلاة العشاء تأتي وقت عتمة ووقت عشاء مما يجعل الكثير يتهاون فيها ويتكاسل عنها، لذا قال ﷺ : (إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء والفجر ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً) [مسلم] . ثم يأتي النوم بعد صلاة العشاء ليستعد المسلم لاستقبال يوم آخر وهكذا ...

ثم انظر لأوقات الصلاة عموماً فالفجر يأتي ليوقظك ويأخذك من أقوى سلطان عليك في الحياة وهو النوم فتقوم لتلقى ربك، ثم الظهر يأخذك وأنت في ذروة العمل والكدح أهم شيء في حياتك لتلقى ربك وتقوم بين يديه، ثم العصر يأخذك وأنت في أتم راحة وقيلولة لتلقى ربك، ثم المغرب يأخذك وأنت تقبل على الليل ولديك شؤون كثيرة لتقضيتها قبل هجوم الظلام عليك ليذهب بك للقاء ربك، ثم العشاء يأخذك قبل منامك وتعبك وإرهاقك لتلقى ربك فتصلي وتختتم يومك به .

ومن العجيب أن العلماء اكتشفوا أن أوقات الصلوات الخمس تساعد الجسم على استعادة واستقرار الحالة الطبيعية لما يسمونه بتوافق الإيقاع البيولوجي لجميع أجهزة الجسم، والمعنى أن في جسم الإنسان تجري الآلاف من العمليات الكيميائية الحيوية على نحو مستمر يومياً والمحافظة على الصلاة خير ما يعين على تنظيم وإتمام

## مَنُورٌ جَنَانُهُ . أُرْدَرُ ..... أَلْمُزَقُّبُ ..... مَنُورٌ جَنَانُهُ . أُرْدَرُ

تلك العمليات بطريقة منضبطة، وفي الوقت المطلوب، وبالتالي تبقى حالة الجسم طبيعية مستقرة وغير مضطربة . كما اكتشف العلماء أيضاً أن حركات الصلوات الخمس من ركوع وسجود وقيام هي تمارينات متكاملة لم يسبق لها مثيل تساعد على بقاء مرونة الجسم وانسجام الأعضاء، تتحرك فيه عضلات وأعصاب وأوعية تبقى الجسم في حالة توازن واستعداد ورشاقة تامة، انظر أخي إلى هذا التناسب العجيب في بدنك .

وهذا صحيح فالملاحظ أن الذي يحافظ على الصلاة منذ صغره تبقى مفاصله وعظامه وأطرافه مرنة حال كبره ولا يصاب بالكثير من الأمراض التي قد يصاب بها المفرطون في الصلاة، ولا سيما كبار السن من تصلب للشرابين وخشونة المفاصل والعظام والعجز الظاهر على البدن كالببدانة والثقل وصعوبة الحركة، وكم قد رأينا من كبار سن وهم في رشاقة واعتدال عجيب بسبب المحافظة على الصلاة .

ثم انظر مثلاً لوقت الصوم من السنة وهو الشهر التاسع يأتي كما لو كان دورة تنشيطية يترتب فيها المسلم ولمدة شهر كامل على الصيام والقيام والذكر والتلاوة فيحب العبادة والطاعة ويعشقها ويألفها جسمه . ويأتيك رمضان مرة في العام كلما فتر جسمك وقل إيمانك وضعفت همتك جاءك الصيام ليحفرك ويشحذ همتك للعبادة والطاعة ويقويك على ذلك .

هذا بالإضافة إلى أنه قد ثبت علمياً أن الصوم علاج للكثير من الأمراض وهو خير ما يعين الجسم على استعادة الرشاقة والتوازن المطلوب، فيجعل الإنسان خفيفاً صحيحاً معافى، يذهب عنه السممة والبطنة، ويطرد تراكمات المواد الزائدة عن الحاجة في الجسم، فهو في توقيته كما لو كان دورة علاجية ربانية، وقد ثبت طبياً قديماً أن الحمية هي خير علاج للكثير من الأمراض، والصوم خير ما يحقق ذلك بالفعل .

## مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَدُّر) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَدُّر)

ثم انظر لتوقيت الصوم من اليوم وهو صوم النهار دون الليل، فالنهار هو وقت الطلب والسعي والحركة يبذل فيه الإنسان مجهوداً وهو صائم فيتخلص جسمه من المواد الضارة والمترسبة فيه فتصح الأعضاء داخل الجسم، لأنها تظل طوال النهار مرتاحة ولا ضغط عليها، كالكبد والكلية والمعدة والأمعاء وحركة الدم في مجاريه وسائر الأعضاء . فالصوم هنا كما لو كان دورة تحسيس وتخلص من الثقل والوزن الزائدين ومن الترسبات الضارة .

ثم انظر لوقت الإمساك من مجرد دخول وقت الفجر قبل ظهور النور، أما الفطر فبمجرد غروب الشمس تماماً قبل دخول عتمة الليل، إذ ليس الأمر متعلقاً بشروق الشمس وغروبها فالإمساك من مجرد طلوع نور الفجر وانقضاء الليل ليدرك المسلم صلاة الفجر والذكر بعدها، أما الفطر فبمجرد غروب الشمس قبل عتمة الليل ليدرك المسلم الفطر ثم صلاة المغرب والذكر بعدها، فيكون هناك متسع من الوقت للصلاة والذكر في كلا الحالتين .

ثم انظر لتوقيت السحور والحث على تأخير قبيل الفجر وما في ذلك من تناسب عجيب بحيث يبقى مداه وأثره في جسم الإنسان حتى الإفطار .

ثم انظر لتوقيت زكاة الفطر وهو آخر شهر رمضان بعد إنهاء وإتمام صيام الشهر الكريم وقبيل العيد وقبل الفرح بمقدمه توقيت عجيب ليسعد الجميع وبما في ذلك الضعفاء والمحتاجون بفرحة ختام الشهر وبفرحة استقبال العيد .

وكذلك زكاة المال التي تأتي كل سنة مرة وتُصرف على المستحقين لها لتطهر المال فيبارك الله تعالى للمسلم فيه، وهي واجبة على المسلم لا تفضلاً منه كما يعتقد الكثير منهم، لذا قال الله تعالى : (إيتاء الزكاة)، ولم يقل : (إعطاء) .

## مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (مُرَارٌ) ..... (مُزَوِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (مُرَارٌ)

ثم انظر لوقت الحج في أيام معلومة، وأماكن محددة للوقوف وللنفرة، ولسائر الأعمال، من توقيت الطواف والسعي وترتيبهما وكذا سائر أعمال الحج، ثم يأتي بعد الحج عيد الأضحى ليكون الفرح والسرور بأداء فريضة وشعيرة عظيمة، ثم انظر إلى كون الحج في آخر السنة الهجرية ليكون ختام العام ختام مسك، وفي نفس الوقت ليستفتح المسلم عامه الجديد بكل خير وفأل حسن ليكون عام يمن وبركة وخير وبر وهدى ورشاد .

ثم انظر وتفكر في تناسب الأوقات مع الأعمال مثلاً كيف أن الله عز وجل جعل النهار للمعاش والكدح يملك الإنسان فيه طاقة وحيوية، وجعل الليل للنوم والسكون والراحة، وجعل الظهر للقلولة والاستعادة الإنسان بعض النشاط حتى يدرك الإنسان الليل ليرتاح .

إذن لو تفكر المسلم حقاً في هذه المناسبات لوجد كما قال أولئك العلماء العارفون بأن لكل وقت ما يناسبه بالضبط من أعمال شرفها الله تعالى به، وهذا التشريف والتناسب لا يأتي كما قلت اعتباطاً أو عفوية أو جزافاً ! وإنما تناسب دقيق حقيق ومن وضع عليهم خبير جلت عظمته وعلا شأنه .

ولذلك كانت كل العبادات توقيفية لا يسع أحداً أن يقدم منها شيئاً أو أن يؤخره لا عن وقته ولا في غير مكانه، ففي مكانها المحدد وفي زمانها المحدد تؤدي لله تعالى بما شرع كما شرع، فهو تناسب من ناحيتين الأول : تناسب أن لكل عمل وقت يناسبه، والثاني : أن لكل وقت عمل يناسبه، وعليه اتضح لنا أن بين كل عمل ووقت تناسب عجيب ولا ينبئك مثل خبير .

وأما بالنسبة للخلائق ! فانظر مثلاً لهذا الكون الفسيح العجيب المليء بالتناسبات الدقيقة والتوافقات العجيبة ! انظر مثلاً للمخلوقات فيه، وللكائنات،

## مَنُورٌ مَحْمُودٌ . مُرَرٌ ..... مُزَوَّبٌ ..... مَنُورٌ مَحْمُودٌ . مُرَرٌ

والنباتات، والحيوانات، وتناسبها مع البيئات وما يحتاجه كل كائن ومخلوق بحسب بيئته ومعيشتته وبحسب نوعه وحركته فيها ف سبحانه الله العظيم .

انظر لتنوع النبات والأشجار والزهور والأعشاب وتناسب وظائفها بحسب بيئاتها، كذلك أنظر لتنوع وتعدد الحيوانات بأشكالها ومدى انسجام أعضائها ووظائفها مع بيئاتها من تناسبات عجيبة دقيقة .

انظر لعالم الطيور مثلاً قدرت بـ (٨٦٠٠) نوع على اختلاف أشكالها وألوانها وأجسامها وأحجامها وأرجلها وأجنحتها ومناقيرها ومخالبها وأعينها، كلاً بحسب بيئته وبما يناسب وظيفته وحياته ف سبحانه الله العظيم .

انظر لعالم الأسماك قدرت أنواعه بـ (٢٥٠٠٠) نوع . أسماك القرش منها وحدها قدرت بـ (٣٠٠) نوع .

انظر لعالم الحشرات فمن النمل فقط أكثر من (١٠,٠٠٠) نوع ومن العنكبوت وحده أكثر من (٧٠,٠٠٠) نوع .

انظر لعالم الزواحف وعالم البرمائيات وعالم الحيوانات عموماً تجد العجب العجاب هذا كله في عالم الأرض . أما لو تعمقنا في عالم البحار ففيه من العجائب ضعف ما في البر .

ولو صعدنا لعالم الفضاء علواً لوجدنا الأعاجيب انظر للشمس ولحركاتها شرقاً وغروباً وانظر لدرجاتها طوال العام (٣٦٥) درجة بعدد أيام السنة، كل يوم تطلع من زاوية لا تطلع منه مرة أخرى أبداً إلى العام القادم، انظر لتقلب الفصول بسبب ذلك، انظر لبعدها عنا (٩٣) مليون ميل وهي أكبر من الأرض بـ (١٠٩) مرات فكيف لو أنها اقتربت منا ولو قليلاً لأحرقتنا ؟ وكيف لو أنها ابتعدت عنا ولو يسيراً لتجمدنا من البرد ؟

## مَنُورٌ جَنَانٌ . أُرْدَرُ ..... أَلْمُزَقُّ ..... مَنُورٌ جَنَانٌ . أُرْدَرُ

انظر للقمر وحركته ولظهوره ولدرجاته ومنازله طوال الشهر له (٢٨) منزلة، ومنزلتين محاق لا يرى فيها بعدد أيام الشهر، به نعرف الليالي والأشهر وهو أصغر من الأرض فمساحته تقدر بربع الأرض وهو يبعد عنا مسافة (٢٣٩) ألف ميل . والغريب أننا نرى الشمس والقمر في السماء سواء وذلك لقرب القمر منا وإلا فالشمس أبعد من الأرض منه بـ (٤٠٠) مرة .

وذلك لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى حتى تحجب الأرض الشمس فلا ينعكس ضوءها من سطح القمر فتبدو لنا منازلها ودرجاتها لنعرف بها الأيام والحساب، ولولا ذلك لكان القمر كالشمس ثابت المظهر .

انظر لتناسب الليل والنهار طولاً وقصراً انظر للنجوم ولأشكالها ولمواقعها ولمواضعها ففي السماء ما يقدر بـ (١٠٠) ألف نجم يرى بالعين وما يقدر بـ (١٠٠) مليون نجم يرى بالتلسكوب (المقرب الفضائي) .

والغريب أن ألمع النجوم في السماء الدنيا غير الشمس طبعاً هو نجم الشعرى اليمانية وقدرت قوته بالنسبة لقدرة الشمس بـ (١٥٠٠٠) مرة وهو يبعد عنا بـ (٥١) مليار ميل وهو ليس الأقرب إلينا فهناك الكثير من النجوم أقرب منه ولكنها ليست بقوة لمعانه . ولو تدبرنا القرآن الكريم لوجدنا أن الله تعالى ذكرها في محكم كتابه العزيز قبل اكتشافات العلم الحديث لها بكثير حين قال سبحانه وتعالى : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ۖ﴾ [النجم] . وهناك ملايين ملايين النجوم غيرها في هذا الكون الفسيح المتوسع الذي لا يعلمه إلا الله جل في علاه، وصدق سبحانه الخلاق العليم : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات] .

ولو نظرنا في عجائب المخلوقات الجهرية لرأينا عجباً يفوق ذلك من عظيم خلق الله تعالى وتقدس، فالكون كله مكون من مركبات، وهذه المركبات مكونة من

## مَنُورٌ جَنَانٌ . (رَدِّدْ) ..... (لُزِّقْ) ..... مَنُورٌ جَنَانٌ . (رَدِّدْ)

عناصر، وهذه العناصر مكونة من جزيئات، وهي بدورها مكونة من ذرات دقيقة جداً جداً . وهذه الذرات مكونة من نواة مركزية وحولها جسيمات متناهية في الصغر، بعضها سالب الشحنة أسموه (إلكترون)، وبعضها موجب الشحنة أسموه (بروتون)، وبعضها متعادل الشحنة أسموه (نيترون)، ولكل وظيفة ومجاله .

أما في عالم البشر فانظر لتناسب البشر كلاً مع بيئته من حيث المأكل والمشرب والملبس والحياة المعيشية وطرق العيش وسائر أمورهم .

انظر للعائمتهم واختلاف ألسنتهم وألوان بشرتهم وصدق سبحانه القائل :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوُيُوتِكُمْ ۚ ﴾ [الروم] .

انظر لنفسك يا ابن آدم ومدى تناسب أعضائك منك، وتفكر في موضع منها مثلاً وأنت في موضع الخلاء تقضي حاجتك وتفكر كيف أنه عز وجل خلقك بتناسب عجيب، فحال قيامك لك وضع مناسب لذلك، وحال قعودك لك وضع مناسب لذلك، وحال قضاء حاجتك لك وضع مناسب لذلك، وحال اتصالك بزوجتك لك وضع مناسب لذلك، وحال نومك لك وضع مناسب لذلك، وهكذا . حكمة بالغة .

انظر مثلاً للعطاس منك يا ابن آدم يقول العلماء أن العطسة الواحدة تُخرج منك ملايين الميكروبات والجراثيم وأنت لا تدري، فيحس الإنسان بعدها بخفة في رأسه، وراحة في صدره، وحلقه وأنفه، وهو لا يعلم ما الذي حصل، ولذلك أمرنا ﷺ أن نحمد الله تعالى بعد العطاس مباشرة فأقل الحمد أن نحمد الله تعالى بالقول . والملفت للنظر أن كلمة (الحمد لله) على العطاس هي أول كلمة قالها أبونا آدم عليه السلام قالها مباشرة بعدما عطس . ففي قصة خلقه أن الله تعالى بعدما نفخ فيه الروح وسرت في جسده عطس فقال الله تعالى له : ( قل : الحمد لله ) فقال آدم

## مَنُزِّلُ حَمَائِكُمْ . (مُرَادُ) ..... (مُنَزَّلُ) ..... مَنُزِّلُ حَمَائِكُمْ . (مُرَادُ)

عليه السلام : (الحمد لله) فكان أول فعل صدر منه هو العطاس أراد الله عز وجل ذلك ليذكر سبحانه وتعالى خلقه دوماً بعظيم فضله ومنتّه ونعمه عليهم .  
وما العطاس إلا نعمة واحدة من نعم كثيرة بالغة، فكانت أول كلمة قالها آدم عليه السلام هي الكلمة التي لا يستحقها إلا الله جل شأنه وهي (الحمد لله) وسبحان الله العظيم .

ومن العجيب أن العلماء اكتشفوا أن القلب حال العطاس يتوقف عن النبض لثوانٍ معدودة ثم يعود بعدها لياشر النبض فسبحان الله العظيم بحق، ولذلك أمرنا ﷺ أن نحمد الله عز وجل على تلك النعمة الكبرى الذي يجهلها الكثير، فمن الذي رد عليك نبضات قلبك وأنت لا تعلم عن ذلك شيئاً سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

انظر لعجائب الأذن ومدى نعمة السمع فيك، ولو تأملنا آيات القرآن الكريم لوجدنا أن السمع مقدم على البصر في أكثر الآيات، ولو تدبرنا ذلك لوجدنا أن السمع يمتاز على البصر بـ (٥) أمور :

- أن المولود يبدأ يسمع منذ الولادة أما البصر فبعد عدة أيام يبدأ يبصر .  
- أن السمع هو حاسة استدعاء جاهزة في كل وقت . لذا فليس للأذن ما يغلقها، فتجده حتى حال النوم يسمع، أما العين فلها جفون تغلقها والإنسان حال النوم لا يبصر ولا يرى .

- حتى حال الموت يسمع الميت من حوله ولكنه لا يرى .  
- أن السمع به يتعلم الإنسان من حوله ولو أن إنساناً ولد أصماً لما استطاع أن يتكلم أو أن يتعلم لأنه لم يسمع من حوله، أما الكفيف فيستطيع أن يتعلم بواسطة حاسة السمع .

## مَنُورٌ حَمَاقَةٌ . أُرُورٌ ..... أُنُورٌ حَمَاقَةٌ . أُرُورٌ

- الإنسان في حياته يسمع ويسمع الكثير والكثير وهو بالتأكيد لا يرى كل ما سمع فمسامعه أكثر بكثير من مرائيه لأنه يسمع بنفسه ويسمع من غيره . فسبحان الله العظيم السميع البصير .

ثم انظر لما جعل الله تعالى في الأذن من سائل ثقيل شديد المראה ليحميها، وهو الصِّماغ بحيث إذا دخل في الأذن شيء كحشرة مثلاً ماتت من شدته .

وانظر أيضاً لتركيبة الأذن منك في جانبي الرأس ليسمع الإنسان الأصوات من كل جهة، أنظر لتكوينها من ثلاثة طبقات الأذن الخارجية وحولها الصيوان الذي يستقبل الموجات الصوتية من كل جهة، والأذن الوسطى بالطبلة والأذن الداخلية مكان الإحساس والتوازن منك، ولو أنها أذن واحدة لفقعت من شدة الأصوات .

انظر لعجائب العين منك ووجودها في مقدمة الرأس ومدى تركيبها وكيف أن الله تعالى جعلها تسبح في سائل لا يجف أبداً، لتتحرك في كل اتجاه بروابط وأعصاب دقيقة جداً ومتى داهمها شيء سال دمعها لا إرادياً ليطهرها، ثم حماها سبحانه بجفون لحفظها ولا سيما حال النوم والخوف والفتحة، وزود هذه الجفون بأهداب الرموش لتحميها وللجمال أيضاً، ثم حمى العين مما ينزل من الجبهة من عرق وسواه بالحوجب وهي أيضاً للجمال والزينة .

وقد اكتشف العلماء أن بالعين مليون عدسة صغيرة يرى الإنسان بها؛ منها عدسات يرى به الأسود والأبيض فقط، ومنها عدسات ملونة وكل ذلك ليتمتع الإنسان ويسعد في حياته فبكم هي نعمة البصر .

ثم انظر أخي لسائل الدم فيك مثلاً ! ففي جسمك يحتاج لسيولة معينة ليجري في العروق ومجاريه لكنه متى خرج منك بجرح في الجسد لزم أن يتخثر، ولو أنه بقي على سيولته تلك لمات الإنسان نزيفاً . وهذا السائل يتحرك في الجسم

## مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ ..... مُزَوَّبٌ ..... مَنُورٌ حَمْدُهُ . مُرَرٌ

بواسطة ضخه في سائر العروق من قبل سيد الأعضاء وهو القلب . ومن عجائب هذا القلب أنه يعمل طوال عمر الإنسان لا يتعب ولا يتوقف ولا يستريح أبداً، وهو يدق في الدقيقة الواحدة (٧٠) دقة .

ويضخ في اليوم الواحد (١١) طن من الدم، يقطع خلالها مسافة (٨٠٠٠) ميل وهو طول الشرايين والأوردة والشعيرات الدموية .

ثم انظر لدرجة حرارة جسمك المعتدلة (٣٧,٥) درجة مئوية، لكن درجة حرارة الكبد فيك ليؤدي وظيفته على الوجه المطلوب (٤٠) درجة لو نزل عنها لتعطل ولمات الإنسان، في حين درجة حرارة عينك لتؤدي وظيفتها (٩) درجات لو زادت عن ذلك لفقأت العين ولَسَال مائها على خدك، وكل ذلك في جسم واحد وتحت جلد واحد ولكل عضو ما يناسبه ويناسب وظيفته منك فيا سبحان الله الخلاق العظيم المبدع الحكيم وصدق سبحانه وتعالى القائل : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا بُصُرُونَ ﴾ (١١) [الذاريات] .

انظر لدماعك ففي المخ (١٠٠,٠٠٠) مليون خلية وبعد الولادة تتكون في كل ثانية في المولود (٤٠,٠٠٠) خلية، وما تلف بالشيخوخة منها لا يعوض ويقدر وزن المخ بـ (٢%) من وزن الجسم، وهو في الرجل البالغ قرابة كيلو إلا ربع . ومخ الرجل أكبر من مخ المرأة .

انظر وانظر وانظر في عالم المناسبات تجد أن الكون كله معمول بحساب دقيق، وبنظام عجيب، وبدقة متناهية لو تفكر الإنسان وتدبر . وسبحان الله العظيم . اللهم أرنا من عجائب قدرتك ما يقوي إيماننا بك وحبنا فيك ويقربنا إليك، اللهم اجعل نطقنا ذكراً، وصمتنا فكراً، ونظرنا عبيراً، واجعلنا ممن تفكر وتأمل وتدبر فانتصح واعتظ واعتبر . سبحانك سبحانك ولا تقال إلا لك .

كنوز حقائق . (ررار) ..... (لنررر) ..... كنوز حقائق . (ررار)

الخاتمة :

الحمد لله رب العالمين سبحانه معلم من شاء ما شاء كيفما شاء متى شاء .  
والصلاة والسلام والأنوار والبركات على النبي الخاتم والأسوة المقدم محمد ﷺ .  
ها قد وصلنا إلى ختام هذا المذهب . أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت فيه  
ومن خلاله لتحلية وإيضاح كثير من الكنوز والحقائق والأسرار المودعة في الوحيين  
الشريفين والنورين الكريمين كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم ﷺ .  
كما أسأله جل في علاه الإخلاص في العمل على الوجه الذي يحبه سبحانه  
وتعالى ويرضاه لعباده، وأن يجعل هذا العمل له وحده جل شأنه لا شريك له فيه،  
قرية منه وإليه، جلت عظمة ربنا الكريم الأكرم .

ثم نحمد الله تعالى وحده

فله الحمد والمنة والثناء الحسن

مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدِّدْ) ..... (مُزَجِّجٌ) ..... مَنُورٌ مَحَنَانٌ . (رَدِّدْ)

### ابتهال ودعاء

اللهم إن هناك أناس قد عملوا للدنيا ..... فلا تجعلنا منهم .

اللهم إن هناك أناس قد عملوا للآخرة ..... فاجعلنا منهم .

اللهم إن في الدنيا نعيماً لكنه فانٍ وعُرْضة للفتن ..... فآتنا نعيم الدنيا وجنبنا فتنها وزخرفها .

اللهم إن في الآخرة كرباً وخواتيم ومصائر ..... ففرج عنا كربها وآتنا خواتيم السعادة واجعل مصائرنا إلى نعيم الجنان .

اللهم آتنا خير الدنيا وجنبنا شرورها ..... وآتنا خير الآخرة وجنبنا أهوالها .

اللهم اكشف لنا حقائق الأمور ..... ووفقنا للأخذ بذلك لما فيه خير لنا .

اللهم اكفنا شرور أنفسنا وقنا سيئات أعمالنا ..... وانصرنا على أنفسنا وطهر قلوبنا من شهواتها .

اللهم اجعلنا ممن عظمت الآخرة في نفسه ..... فهان عليه كل ما سواها من نعيم الدنيا وزخرفها .

اللهم اربط على قلوبنا بالإيمان حتى لا تشوبها شائبة .... وقوي عزائم اليقين والخير والبر والنور فيها حتى الممات وثبتنا على الحق حتى لقياك في دار كرامتك ومستقر رحمتك .

نسألك يا الله بعظمتك وقدرتك على الخلق أن توفقنا لسلوك صراطك المستقيم واقتفاء هدي سيد المرسلين والتمسك بمنهجك الحق المبين حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا يا رحمن يا رحيم . اللهم آمين .

المراجع :

أولاً- القرآن الكريم .

ثانياً- تفسير القرآن الكريم وعلومه :

- ١- تفسير الطبري . ت ٣١٠ هـ .
- ٢- تفسير ابن أبي حاتم . ت ٣٢٧ هـ .
- ٣- تفسير البغوي (معالم التنزيل) . ت ٥١٠ هـ .
- ٤- تفسير الزمخشري (الكشاف) . ت ٥٣٨ هـ .
- ٥- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) . ت ٦٧١ هـ .
- ٦- تفسير ابن القيم (التفسير القيم) . ت ٧٥١ هـ .
- ٧- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) . ت ٧٧٤ هـ .
- ٨- تفسير السيوطي (الدر المنثور) . ت ٩١١ هـ .
- ٩- تفسير السراج المنير للشرييني . ت ٩٧٧ هـ .
- ١٠- تفسير الأنجري الفاسي (البحر المديد) . ت ١٢٢٤ هـ .
- ١١- تفسير الشعرواي . ت ١٤١٨ هـ .
- ١٢- أسباب النزول للواحدي . ت ٤٦٨ هـ .

ثالثاً- كتب التاريخ والسيرة النبوية والرجال :

- ١- السير والمغازي لابن اسحاق . ت ١٥١ هـ .
- ٢- المغازي للواقدي . ت ٢٠٧ هـ .
- ٣- سيرة ابن هشام . ت ٢١٣ هـ .
- ٤- أخبار مكة للأزرقي . ت ٢٥٠ هـ .
- ٥- أخبار مكة للفاكهي . ت ٢٧٢ هـ .

## مَنُوزٌ مَحْفَافٌ . (مُرَرَرٌ) ..... (مُزَوَّبٌ) ..... مَنُوزٌ مَحْفَافٌ . (مُرَرَرٌ)

- ٦- دلائل النبوة لابن هشام . ت ٢١٣ هـ .
  - ٧- الروض الأنف للسهيلى . ت ٥٨١ هـ .
  - ٨- الوفاء في حقوق المصطفى، وصفة الصفوة، كلاهما لابن الجوزي . ت ٥٩٧ هـ .
  - ٩- عيون الأثر لليعمرى الربيعى . ت ٧٣٤ هـ .
  - ١٠- امتاع الأسماع للمقرئى . ت ٨٤٥ هـ .
  - ١١- سبل الهدى والرشاد للصالحى . ت ٩٤٢ هـ .
  - ١٢- السيرة الحلبية لآبى الفرج بن برهان الحلبي . ت ١٠٤٤ هـ .
- رابعاً- كتب الحديث الشريف (القدسى والنبوي) :

### ١- كتب الحديث القدسى :

- الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية . للمناوى . ت ١٠٣١ هـ .
- الأحاديث القدسية . دار الكتب العلمية .
- الأحاديث القدسية . للشعراوى . ت ١٤١٨ هـ .
- شرح الأحاديث القدسية . منير الدمشقى
- جامع الأحاديث القدسية . عصام الصبابطى .

### ٢- الكتب الستة :

- صحيح البخارى . ت ٢٥٦ هـ . مع فتح البارئ لابن حجر . ت ٨٥٢ هـ .
- صحيح مسلم . ت ٢٦١ هـ . مع شرح النووي . ت ٦٧٦ هـ .
- سنن أبى داود . ت ٢٧٥ هـ .
- جامع الترمذى . ت ٢٧٩ هـ .
- سنن النسائى . ت ٣٠٣ هـ .
- سنن ابن ماجه . ت ٢٧٣ هـ .

### مَنُوزٌ جَمَانِيٌّ . (رَرَر) ..... (مَزَكَب) ..... مَنُوزٌ جَمَانِيٌّ . (رَرَر)

#### ٣- كتب السنن والمسانيد والمصنفات :

- موطأ الإمام مالك . ت ١٧٩ هـ .
- مسند الإمام أحمد . ت ٢٤١ هـ .
- سنن النسائي الكبرى . ت ٣٠٣ هـ .
- مسند أبو داود الطيالسي . ت ٢٠٤ هـ .
- مصنف ابن أبي شيبة . ت ٢٣٥ هـ .
- سنن الدارمي . ت ٢٥٥ هـ .
- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث . للحارث . ت ٢٨٢ هـ .
- مسند البزار (البحر الزخار) . ت ٢٩٢ هـ .
- مسند أبي يعلى الموصلي . ت ٣٠٧ هـ .
- صحيح ابن خزيمة . ت ٣١١ هـ .
- شرح مشكل الآثار للطحاوي . ت ٣٢١ هـ .
- صحيح ابن حبان . ت ٣٥٤ هـ .
- المعاجم الثلاثة (الكبير والأوسط والصغير)، جميعها للطبراني . ت ٣٦٠ هـ .
- السنن، والأفراد، كلاهما للدارقطني . ت ٣٨٥ هـ .
- مستدرك الحاكم النيسابوري . ت ٤٠٥ هـ .
- مسند الشهاب للقضاعي . ت ٤٥٤ هـ .
- السنن الكبرى، والسنن الصغير، وشعب الإيمان، والأسماء والصفات، والبعث والنشور، جميعها للبيهقي . ت ٤٥٨ هـ .
- مسند الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي . ت ٥٠٩ هـ .
- شرح السنة للبعوي . ت ٥١٦ هـ .

## مَنُورٌ جَمَانُورٌ . (مُرَرَرٌ) ..... (مُنَزَّوْرٌ) ..... مَنُورٌ جَمَانُورٌ . (مُرَرَرٌ)

- جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير . ت ٦٠٦ هـ .
  - المسلسلات من الأحاديث والآثار للكلاعي . ت ٦٣٤ هـ .
  - الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للمنذري . ت ٦٥٦ هـ .
  - مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي . ت ٧٤١ هـ .
  - تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي . ت ٧٦٢ هـ .
  - جامع المسانيد والسنن لابن كثير . ت ٧٧٤ هـ .
  - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي . ت ٨٠٧ هـ .
  - تحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري . ت ٨٤٠ هـ .
  - المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، والتلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، وكلاهما لابن حجر . ت ٨٥٢ هـ .
  - جامع الأحاديث الكبير، والصغير، والفتح الكبير، وجميعها للسيوطي . ت ٩١١ هـ .
  - كنز العمال للمتقي الهندي . ت ٩٧٥ هـ .
  - فيض القدير، والتيسير بشرح الجامع الصغير، كلاهما للمناوي . ت ١٠٣١ هـ .
- ٤- كتب الأجزاء الحديثية وشروح الحديث :
- خلق أفعال العباد، والأدب المفرد، كلاهما للإمام البخاري . ت ٢٥٦ هـ .
  - الزهد لأبي داود . ت ٢٧٥ هـ .
  - إصلاح المال لابن أبي الدنيا . ت ٢٨١ هـ .
  - السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل . ت ٢٤١ هـ .
  - السنة لابن أبي عاصم . ت ٢٨٧ هـ .
  - التوحيد لابن خزيمة . ت ٣١١ هـ .

## مَنُوزٌ مَحْفَظٌ . (مُرَادٌ) ..... (مُنَزَّهٌ) ..... مَنُوزٌ مَحْفَظٌ . (مُرَادٌ)

- نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ للحكيم الترمذي . ت ٣٢٠ هـ .
- تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للمسرقندي . ت ٣٧٣ هـ .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم . ت ٤٣٠ هـ .
- ذخيرة الحفاظ لابن القيسراني . ت ٥٠٧ هـ .
- المسلسلات، لابن الجوزي . ت ٥٩٧ هـ .
- الحكم الجديرة بالإذاعة للسلامي . ت ٧٩٥ هـ .
- تخريج أحاديث الإحياء (المغني عن حمل الأسفار) للعراقي . ت ٨٠٦ هـ .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر . ت ٨٥٢ هـ .
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني . ت ٨٥٥ هـ .
- نزهة المجالس ومنتخب النفائس . للصفوري . ت ٨٩٤ هـ .
- الإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي . ت ١٠٤٠ هـ .
- شرح موطأ مالك للزرقاني .

### ٥- كتب غريب الحديث :

- غريب الحديث لابن سلام الهروي . ت ٢٢٤ هـ .
- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم للميورقي . ت ٤٨٨ هـ .
- غريب الحديث لابن الجوزي . ت ٥٩٧ هـ .
- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير . ت ٦٠٦ هـ .

### ٦- كتب الألباني الحديثية . ت ١٤٢٠ هـ :

- سلسلة الأحاديث الصحيحة .
- سلسلة الأحاديث الضعيفة .
- صحيح وضعيف سنن أبي داود .

## مَنُورٌ جَمَانُورٌ . أُرُورٌ ..... أُنُورٌ ..... مَنُورٌ جَمَانُورٌ . أُرُورٌ

- صحيح وضعيف جامع الترمذي .
- صحيح وضعيف سنن ابن ماجة .
- صحيح الجامع الصغير وزيادته .

### خامساً- كتب الأديان :

- ١- الكتاب المقدس .
- ٢- قاموس الكتاب المقدس .
- ٣- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة . الندوة العالمية .

### سادساً- الموسوعات العلمية :

- ١- الموسوعة العلمية الشاملة .
- ٢- الموسوعة العلمية الميسرة .
- ٣- الموسوعة الطبيعية الميسرة .
- ٤- قصة الحضارة . ول ديورانت .

### سابعاً- مراجع أخرى متفرقة :

- ١- بعض كتب التراجم والسير .
- ٢- بعض كتب المرققات والفضائل .
- ٢- في ظلال الحمد للمؤلف .

## كنوز حقائق . أزرار . المَرْقَب ..... كنوز حقائق . أزرار

### الفهرس

المقدمة .....	٤
مدخل (النسب الذهنية والكلامية والواقعية) .....	٧

### الباب الأول : من كنوز الأقوال ( ١١ )

١ - بسم الله الرحمن الرحيم .....	١٢
٢ - كلمة لا إله إلا الله .....	١٧
٣ - اسما (الواحد والأحد) .....	٢٢
٤ - لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .....	٢٥
٥ - إنا لله وإنا إليه راجعون .....	٢٩
٦ - حسبنا الله ونعم الوكيل .....	٣١
٧ - الاستغفار (لسان التوبة) .....	٣٤
٨ - سبحان الله وبحمده .....	٤١
٩ - سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .....	٤٥
١٠ - الأذان .....	٤٩
١١ - الكلمة الطيبة .....	٥٦

### الباب الثاني : في رحاب الأركان ( ١٥ )

١٢ - مراتب الدين الإسلامي .....	٦١
١٣ - حقيقة أركان الإسلام .....	٦٤
١٤ - الوضوء (طهارة للروح والبدن) .....	٦٦
١٥ - مكانة الصلاة .....	٧٠
١٦ - عطاءات ومنح الصلاة .....	٧٥

## مَنُورٌ مَحْنَانٌ . أُمُرٌ . أُنْزَلُ . مَنُورٌ مَحْنَانٌ . أُمُرٌ

- ١٧- جزاء الصلاة (الصلاة وحدها جنة) ..... ٨١
- ١٨- مقام القنوت منزلة الفاتحة (حوار بين العبد وربّه) ..... ٨٦
- ١٩- مقام الركوع ..... ٩٠
- ٢٠- مقام الخضوع الكامل (منزلة السجود) ..... ٩٧
- ٢١- مقام التشهد ..... ١٠٢
- ٢٢- الزكاة (طهر ونقاء) ..... ١٠٧
- ٢٣- الصدقة (صلة بالناس وبرب الناس) ..... ١١٠
- ٢٤- المال (أحد النجّاتين) ..... ١١٤
- ٢٥- الصوم (صحة وائتزان) ..... ١٢١
- ٢٦- الحج (ليبيك الله هم لبيك) ..... ١٢٤

### الباب الثالث : منازل ومقامات القلوب (١٣)

- ٢٧- منزلة المحبة ..... ١٢٨
- ٢٨- منزلة الخوف ..... ١٣٢
- ٢٩- منزلة الرجاء ..... ١٣٦
- ٣٠- ميزان التقوى ..... ١٣٩
- ٣١- منزلة الولاية الحقّة ومجال السباق ..... ١٤٨
- ٣٢- منزلي الأبرار والمقربين ..... ١٤٧
- ٣٣- منزلة الصديقية ..... ١٥١
- ٣٤- منزلة الصالحين ..... ١٥٥
- ٣٥- مقام الإخلاص ..... ١٥٩
- ٣٦- مقام التواضع ..... ١٦٣

## مَنُورٌ جَنَانُهُ . (رُردر) ..... (مُنَزَّوْبٌ) ..... مَنُورٌ جَنَانُهُ . (رُردر)

- ٣٧- مقام الرضا ..... ١٦٦  
 ٣٨- كمال الإيمان (التصديق بالقدر) ..... ١٧٠  
 ٣٩- منزلة الإيثار ..... ١٧٤

### الباب الرابع : الاختيارات والابتلاءات (١٣)

- ٤٠- أمانة الاختيار (مسير أم مخير) ..... ١٧٨  
 ٤١- المخططات الثلاث (العقل والنفس والقلب) ..... ١٨٣  
 ٤٢- همّ المعاد وهموم الدنيا ..... ١٨٨  
 ٤٣- المصائب والمدلهمات ..... ١٩١  
 ٤٤- عجائب أقدار الله تعالى (الاستدراج) ..... ١٩٥  
 ٤٥- الدنيا دار بلاء عام ..... ١٩٩  
 ٤٦- المفسدات الأربع ..... ٢٠٣  
 ٤٧- عيوب النفس وعيوب الناس ..... ٢٠٨  
 ٤٨- شؤم البدع (الخذلان) ..... ٢١١  
 ٤٩- مدخل البدع (الاستحسان) ..... ٢١٤  
 ٥٠- دروس من مواقف الشيطان ..... ٢٢١  
 ٥١- معية الرحمن وسلطان الشيطان ..... ٢٢٥  
 ٥٢- حقيقة الدنيا (دار ممر) ..... ٢٣٠

### الباب الخامس : أصول الدين الحق (١٢)

- ٥٣- حقيقة الربوبية والألوهية ..... ٢٣٧  
 ٥٤- القرآن الكريم ..... ٢٤٣  
 ٥٥- من إعجاز القرآن الكريم وتحدياته ..... ٢٥٠

## مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَدُّر) ..... (مُنَزَّهٌ) ..... مَنُورٌ مَحْنَانٌ . (رَدُّر)

- ٥٦- مدلول الكتاب والسنة ..... ٢٥٦
- ٥٧- محمد ﷺ ..... ٢٦١
- ٥٨- طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ..... ٢٦٥
- ٥٩- حياض النبي ﷺ ..... ٢٦٨
- ٦٠- رحمة للعالمين ..... ٢٧٣
- ٦١- رفعنا لك ذكرك ..... ٢٨٠
- ٦٢- اسما (محمد وأحمد) ..... ٢٨٥
- ٦٣- حقيقة انتشار هذا الدين ..... ٢٨٨
- ٦٤- مسألة (الهداية والضلال) ..... ٢٩٥

### الباب السادس : مقارنة الأديان (١٤)

- ٦٥- الكعبة قياماً للناس ..... ٣٠٢
- ٦٦- القبلتين ..... ٣٠٦
- ٦٧- بيت المقدس ..... ٣١٠
- ٦٨- اليهود والنصارى ..... ٣١٦
- ٦٩- عيسى عليه السلام (الصلب والشبيه) ..... ٣٢٠
- ٧٠- رسالة عيسى عليه السلام ونبوته ..... ٣٢٧
- ٧١- كتب أهل الكتاب (التوراة) ..... ٣٣٣
- ٧٢- التلمود ..... ٣٣٧
- ٧٣- الإنجيل ..... ٣٣٩
- ٧٤- الزبور ..... ٣٤٣
- ٧٥- دعوى تفضيل اليهود ..... ٣٤٤

الْمَرْفُوعُ ..... الْكَوْزُ حَفَانِقُ. أَسْرَارُ

٧٦- إرث النبوة (الإيمان) ..... ٣٥٠

٧٧- كفر الكافر وإيمان المؤمن ..... ٣٥٣

٧٨- خيرية هذه الأمة ..... ٣٥٦

**الباب السابع : التكاليف الشرعية (١٦)**

٧٩- حقيقة التكليف ومدى نفعيته ..... ٣٦٢

٨٠- السبب والمسبب ..... ٣٦٦

٨١- قوانين حركة الحياة ..... ٣٦٩

٨٢- متطلبات الشرع ..... ٣٧١

٨٣- مقصدا العبادة ..... ٣٧٤

٨٤- قبول العمل ..... ٣٧٧

٨٥- الخير والشر ..... ٣٨٠

٨٦- إرادة الخير والعمل الصالح ..... ٣٨٤

٨٧- عطاء الله تعالى ..... ٣٨٧

٨٨- مشيئة الله تعالى في الكون ..... ٣٩١

٨٩- سجن الدنيا وجنتها ..... ٣٩٤

٩٠- بين الرحمة والغضب ..... ٣٩٧

٩١- الرصد والحساب (رقابة الله تعالى) ..... ٤٠٣

٩٢- ثمن الجنة (رحمة الله تعالى) ..... ٤٠٥

٩٣- الأخوة الإسلامية (الكريم واللتيم) ..... ٤١٠

٩٤- الغفلة (حقيقة الزهد) ..... ٤١٤

**الباب الثامن : حقيقة الإنسان ( ١٠ )**

الْمَرْفُوعُ ..... الْكَوْزُ حَفَانِقُ. أَسْرَارُ

٩٥- شخصية المسلم ..... ٤٢٣

٩٦- الذاتية والإنسان ..... ٤٢٥

٩٧- التوحد وقوى الإنسان ..... ٤٢٨

٩٨- النوم ..... ٤٣٢

٩٩- القوت (الأكل والشرب) ..... ٤٣٦

١٠٠- العمل عبادة ..... ٤٤٠

١٠١- الثبات على الحق المواعظ (حالنا والسلف) ..... ٤٤٣

١٠٢- الضحك والبكاء ..... ٤٤٦

١٠٣- من نعم الله تعالى ..... ٤٤٩

١٠٤- علم المناسبات ..... ٤٥٢

الخاتمة ..... ٤٦٥

ابتهال ودعاء ..... ٤٦٦

المراجع ..... ٤٦٧

الفهرس ..... ٤٧٣